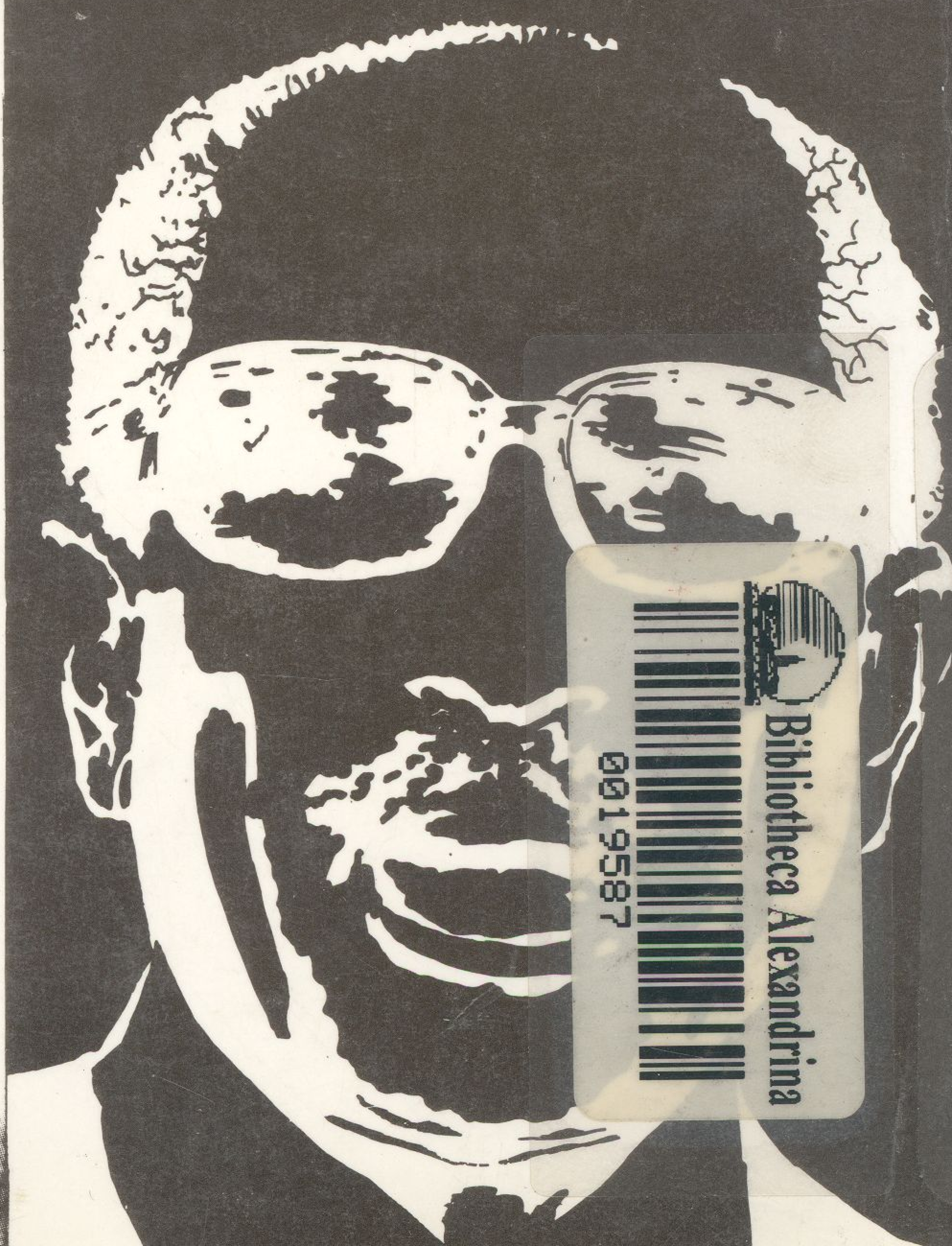
سعد التائه

# مصر بين عهدين

[1952 - 1970] [1970 - 1981]





سعد التائه

# مصر بين عهدين

(1952 - 1970) ، (1970 - 1981)

دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ص . ب . 6693 - 113

الطبعَة الثانيَة
بيروت 1987

# الإهداء

... إلى أطفال وأمهات الشهداء في كل بقاع الأرض ...

س أ

## مقدمة الطبعة الثانية

. . منذ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، صدرت عشرات الكتب بلغات مختلفة تدين السادات ومرحلة . . « إغتيال رئيس » ، « السادات ديكتاتوراً » ، «سقوط طاغية» ، «محاكمة عصمت السادات . . محاكمة لمصر » ، تقدر من طراز خاص ، « ازمة الديون في مصر » . . بالاضافة إلى « خريف الغضب » ، و« حوارات مع السادات » ، و« مدرسة السادات » . والاقلام التي ساهمت في تنصيب السادات واشادت به رئيساً ، ووضعت الكلمات في فمه ليتشدق بها ويخدع ويضلل ، أخذت تتبرأ من علاقاته بها بعد أن داهمتها حقائق الخيانة التي تردت فيها . .

كان الأمل أن تسقط مرحلة السادات بعد أن سقط الرجل . . ولكن السادات مع الأسف ما زال يحلق فوق العالم العربي بكل جرائمه وخياناته . . فالصهيونيون يغزون مصر كل يوم في البنوك والشركات ، ينهبون ويعربدون في شوارع القاهرة .

والسلام الذي تشدق به السادات وجواريه تجزء تحت قصف القنابل الذي ينهال على الفلسطينيين واللبنانيين والليبيين .

وما زالت الولايات المتحدة تقوم بدورها في العدوان على الوطن العربي لتستكمل حلقات السيادة ، والسيطرة على شعوبه . . وتجر مصر إلى مهاوي المجاعة والافلاس . .

. . وما زال الخونة من وكلاء الاستعمار وخدمه يزحفون تحت اقدام السيد الأمريكي والصهيوني في ذلة ومذلة لم تحدث من قبل ! . . ويكبتون مشاعر الشعب العربي بالارهاب والعنف وينفذون ما يأمر به المستعمر الجديد . .

وتحـول الوطن العـربي إلى سجن كبير تحكمه الانـظمة العسكـرية والفـاشية دون حياء أو خجل من حكم التاريخ . .

وما زالت معاهدة « كامب ديفيـد » ساريـة المفعول ، ومـع ذلك تهـافت الحكام العرب إلى الساحة التي تحكمها كامب ديفيد يسعون إلى منافذ للصلح مع اسرائيل .

والشعب العـربي مستمر في النضـال رغم الارهاب والعنف والسجـون والمشانق والابادة الجماعية .

كل هذا يحدث . . والهاوية تتسع . . ولا أحد يدري إلى أين ؟ . ولم يعد هناك من يخجل . من وصمة الخيانة . .

فـما زالت مرحلة السـادات قائمـة ،وما زالت عناصرها تلعب دورها المشـين في خدمة الصهيونية والمستعمر الأمريكي .

فما هو عصر السادات ؟ وماذا حدث فيه ؟ وماذا يحدث اليوم ؟

هذا ما يجيب عليه هذا الكتاب وهذه طبعته الثانيـة بعد نفـاذ الطبعـة الأولى في اشهر معدودات . . فالكتاب وثيقة تاريخيـة لمرحلة سـوداء ساقـطة في تاريخنـا . . وهو اجابة على كل التساؤلات التي تثار اليوم في الشارع العـربي ، فالكتـاب لا يتناول دور السـادات وخيانـاته فحسب ، بـل يكشف المرحلة بعنـاصرها وأبعـادها . . الـرجعيـة العربية ، الطبعة الجـديدة في الـوطن العربي ، خيـانة المثقفـين ، الاستعمار الأمـريكي واعوانه . . العـدوان والغزو الصهْيـوني للوطن العربي . . أسبـاب وعوامـل الانحدار الذي يسير إليه الوطن العربي . . والمأساة البشرية للإنسان العربي في عالم اليوم . .

وما بين الطبعة الأولى للكتاب وهذه الطبعة الثـانية اكـدت الاحداث صـدق ما جاء به . . فالعدوان الصهيوني لم يتوقف ويزحف إلى جنوب لبنان ويهدد سوريا ويحيك المؤامرات ضد ليبيا . .

وانكشف الوجه القبيح للاستعمار الاميركي فهـو الذي اشعـل حرب الخليـج ، وينتظر ليقطف ثمارها ويمد اسرائيل بمزيد من السـلاح والعون في عـدوانها ضد الـوطن العربي . . وأصبحت العلاقة الخاصة التي يتشدق بها الزعماء العرب هي عـلاقة تبعيـة واستعمار جديد . .

فالأزمات تتلاحق على مصر ، وكما جاء في صحيفة « الأهرام » القاهرية :

« لا معنى في النهاية لهذه الحقيقة المفزعة التي تقول أن مصر سوف تتحمل فوائد قدرها ١٠ مليارات دولار على دين قدره ٤,٥ مليار ، سوى أن مصر وهي الدولة النامية التي تكافح ظروفها سوف تكون مطالبة بتمويل خزائن الولايات المتحدة أغنى دول العالم بمبلغ ١٠ مليارات دولار إضافية قيمة الدين . . فهل هذا معقول ؟ » .

فماذا يكون الاستعمار ، إن لم يكن سلب هذه المليارات من شعب لا يجد المسكن ويقتطعون من فمه لقمة العيش باسم تصحيح « الدعم » ! والمدارس تنهار على التلاميذ الصغار . . والبطالة تسري وتتضخم . . والمجاعة تهدد الملايين بينما الدولار أصبح أربعة أمثال سعره أيام عبد الناصر . . وما زالت المساكن الفخمة والممتازة تقام في القاهرة ، ووصل ثمن السكن للأسرة مئات الآلاف .

وتبخرت أكاذيب العملاء والخونة ، فلم تهبط الدولارات على مصر بل سلبوا مصر وسرقوها في صورة أبشع من أيام الاستعمار البريطاني .

فمن خلال الاحتلال البريطاني قرر كرومر ممثل بريطانيا في مصر تخفيض فوائد الديون من ٤,٥ في المائة إلى ٣,٥ . .

أما اليوم ، فان المسؤولين المصريين يقطعون الرحلة ذهاباً واياباً إلى واشنطن لتخفيض الفوائد وتأجيل دفعها ، ولكن المستعمر الأمريكي ما زال رافضاً لكل طلب أو رجاء . .

وكتبت الاهرام تعليقاً على ذلك :

« نجد ان نسبة خدمة الديون في الهند مثلاً إلى صادراتها تصل حوالي ٢٠٪ . واذ نجد المكسيك صاحبة أكبر دين في العالم ، تصل النسبة فيها إلى حوالي ٦٥٪ وهي نسبة خطيرة طبعاً ، نجد أن نسبة خدمة ديون مصر إلى صادراتها تصل احياناً إلى 70% » .

وهكذا ، انكشف ما وراء العدوان الصهيوني وتخبئة معاهدة كامب ديفيد . . وتجري الأحداث لفرضها على كل الوطن العربي ، فكما تقول إتفاقية كامب ديفيد . .

« إن هذا الاطار مناسب ليشكل أساساً لسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب بل وكذلك بين اسرائيل وكل جيرانها الآخرين . . »

أي الخضوع للسيطرة والسيادة الأميركيتين . . ولهذا تجري الأحداث في لبنان ، والحرب في الخليج ، والعدوان على ليبيا . . كلها خيوط واحدة تحركها الولايات المتحدة . . والهدف كما جاء في جريدة « الاهالي » القاهرية .

« ثمة شواهد توحي بأن ما اراده بعض الكتاب الصهاينة نبوءه بسبيل أن يتحقق .

« قالوا أن العالم العربي سوف يشهد قبل نهاية القرن ، انقسام إلى العديد من الدويلات .

« وما يجري الآن في لبنان ، وهو ليس بمعزل عن مخططات الصهيونية ، صورة عن تمزق دولة عربية ، وعن صراع طائفي كاد يحول لبنان فعلاً إلى عدد من الدويلات ».

« وأي تحول في حرب الخليج لصالح ايران لا بد هو الآخر أن يهدد العراق في كيانه ووحدته ، وأن يحول هو الآخر إلى أكثر من دولة » .

« ولكن ما لم يكن متصوراً أن يتحرك البعض في مصر من منطق الانقسام بعد تفاقم ظاهرة التعصب بين المسلمين والاقباط » .

والهدف الأخير ، استكمال سيطرة الاستعمار الامريكي الذي يزحف إلى كل جزر في الوطن العربي لسلبه ثرواته ونهب قوته . .

فمصر اليوم أمام خطر جديد وحقيقي ، هدفه إقامة حكم عسكري سافر مثلما حدث في الفليبين وإقامة ماركوس أو نيكارجوا التي حكمها سموزا . .

وهذا الحكم العسكري يواجه الشعب في ازماته ويطرح قضية إقامة القواعد العسكرية مقابل تأجيل أقساط القروض أو المجاعة ورفضه القواعد . .

إن هذه المرحلة السوداء القائمة يكشفها هذا الكتاب أو على الأصح يكشف بدايتها وأبعادها .

ورغم المأساة التي نعيشها ، يكشف الكتاب أننا نعيش مرحلة انهيار النظام الاستعماري ، وانتصار الشعوب . . في وطننا العربي يخبر أجيالاً عاشت مرحلة التحرر . . مرحلة عبد الناصر . . تتدفق كالأعصار لتقتلع الاستعمار الجديد وجذوره . الرجعية في الوطن العربي . . . ولنا الغد . .

١٩٨٧/١/١٥

# الكتاب ومراجعه

... كان المفروض أن يصدر « هذا الكتاب »، قبل سقوط السادات ... وان يسقط « الكتاب » بعد أن سقط السادات ...

... ولكن السادات لم يكن فرداً ... بل كان رمزاً لمرحلة مرت بها مصر والوطن العربي ... وكان لسلوكه البالغ التحدي والصراحة الشاذة ، ميزة - اذا كانت هذه ميزة - تعرية نظم المساومة والخيانة ... وكان له فضل - اذا كان هذا فضلاً - عملية الفرز بين العناصر الوطنية ، وعناصر الخيانة المتخفية ، برداءات ، وأقنعة متعددة الألوان والأشكال .

كشف السادات بسلوكه ، وأخلاقياته ، وفكره ، وسياساته ، طبيعة النظم الرجعية ودورها الذي لم ينته في خيانة القضية الوطنية والقومية ... والاستهتار البشع بحياة الملايين ...

وتعرت في أيامه نظم الحكم المتدثرة برداء الدين كذباً ... أو نظم الحكم العائلية والقبلية ... أو المتخفية وراء شعارات الديموقراطية المزيفة ، والأشتراكية الكاذبة ...

كل هذا استخدمه السادات ... شعارات من أقصى اليمين ... وشعارات من أقصى اليسار ... لعب بها للتضليل والخداع ، وباع قضية الوطن والشعب لقاء بضعة دولارات أو ملايين الدولارات ...

وشاءت الأقدار ان يسقط تحت الأقدام .. ولم تنفعه الملايين من الدولارات التي كانت تحرسه ...

سقط « السادات » وسقطت معه مرحلة مظلمة في حياة شعب مصر . . . بعد أن أسكن الشعب المقابر . . . وجعله يقتات الجوع . . . ويهاجر مشرداً . . .

. . . ولكن . . .

هل سقوط السادات ، أسقط عناصر الخيانة « المعشعشة » ، في مصر والوطن العربي؟ . . .

ما زالت المعركة طويلة . . .

ولهذا ، كان صدور « الكتاب » ضرورة ، أملتها ظروف المرحلة . . . فليس الكتاب بحثاً في « ذات السادات » . . . كما أنه ليس دراسة أو تقييمًا لمرحلة . . . ولكنه « صرخة » ، مدعمة بالحقائق والوثائق التاريخية . . . لعله يشارك مع صرخات الملايين من الجياع والمشردين في وجه المظالم والفقر المدقع . . . والمأساة العربية . . .

* * *

. . . وما كان لهذا « الكتاب » ان يصدر ، لولا عشرات الأقلام التي ساهمت في تعرية « المرحلة » . . . سواء بالكتابة الصحفية أو التأليف . . .

من الكتب :

« هذا الانفتاح الاقتصادي » ـ فؤاد مرسي ، « محاكمة الانفتاح الاقتصادي » ـ عبد القادر شهيب ، « دفاع عن الشعب » ـ د . عصمت سيف الدولة ، « النيل في خطر » كامل زهيري ، « قصة ثورة يوليو » ـ أحمد حمروش ، « الحركة الوطنية المصرية » ـ طارق البشرى ، « تاريخ الحركة القومية » ، عبد الرحمن الرافعي ، « حروب عبد الناصر » ـ أمين هويدي ، « التأريخ الاقتصادي للثورة » ، د . علي الجريتلي ، « تاريخ الاشتراكية في مصر » ـ د . رفعت السعيد ، « الانتفاضة

الطلابية في مصر » ، « تطور الملكية الزراعية في مصر » ـ د . علي بركات ، « اوروبا ومصير الشرق العربي » ،ـ د . جوزيف حجار، « مصر في عهد عبد الناصر » ،ـ ببلياف ، « أحلام روتشيلد » ـ د . محمد ربيع ، ؛ « اليهود والحركة الصهيونية في مصر » ـ د . سهام نصار ، « تاريخ النهب الاستعماري في مصر » ترجمة عبد العظيم رمضان ، «بنوك وباشوات » . ترجمة عبد العظيم أنيس ، « العلاقات المصرية السوفييتية » ، د . فؤاد المرسي ، « قصة السوفييت في مصر » ، ـ محمد عودة وآخرون ، « سياستان أزاء الشرق الأوسط » ـ بوند كرايفسكي ، « اليهود في مصر » ـ أحمد غنيم ، « تفاقم الأزمة العامة للرأسمالية » ـ تريبلكوف .

صحف ومجلات :

الأهرام ، والجمهورية ، والأخبار ، والطليعة ، وروز اليوسف ، والأهرام الاقتصادي من مصر . . . الوطن ، القبس ، الطليعة ، من الكويت ، السفير والنهار والوطن العربي من لبنان . . .

وثائق ودراسات :

وثائق التجمع الوطني وصحيفة الأهالي ، وثائق حزب العمل الاشتراكي وصحيفة الشعب ، وثائق جماعة المستقلين ، وثائق الأنتفاضة الطلابية ، « 18 و 19 يناير ـ » حسين عبد الرازق .

وأخيراً . . . لا يمكن أن أختتم هذه المقدمة دون إنحناءة لجيل عبد الناصر من أبناء الفلاحين والعمال الذين حملوا عبء هذه المرحلة ، استشهاداً ، وعملاً ، وفكراً ، ومقاومة . . .

سعد التائه

## المقدمـــة الثانيـــة

خلال أشهر بل أسابيع من مقتل السادات ... تكشفت وقائع رهيبة عن نظام الحكم ... فلم يكن يحكم مصر دولة أو حكومة بل عصابة من اللصوص والقتلة وتجار المخدرات ...

وفضحت قضية رشاد عثمان أخطبوط الفساد الرهيب الذي سرى كالسرطان ، في جسم مصر ... وتحقق ما تنبأ به ميثاق عام 1962 عندما قال :

« إن الأمل الوحيد للرأسمالية المحلية ، في النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفي أثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر أوطانها الى هذه الهاوية الخطيرة ... » .

... وفي سبيل المال ، قام أشقاء السادات بجرائم القتل ... وانفتح الطريق امام تجارة المخدرات ...

وتحت شعارات الدين التي رفعها حلمي عبد الآخر ، كانت الرشوة والفساد والعمولات ... وتكونت ثروات خيالية للمسؤولين خلال السنوات العشر من حكم السادات ... فقالت محكمة القيم في حكمها ضد رشاد عثمان ...

« إن ما تردى فيه عدد من المسؤولين يستوجب استجوابهم بمقتضى أحكام القانون ، غير أن الفصل في الوقائع المسندة اليهم تخرج عن اختصاصات محكمة القيم . ومن ثم لا يسعها إلا ان تترك بتها للسلطات المختصة ... » .

ومن بين الأسماء ذات الوزن في النظام تردد أسماء عناصر في القمم ... كل قمم « اجهزة الدولة دون استثناء ...

وحتى لا نغفو . . . فإن محاكمة هؤلاء المسؤولين ، ليست مجرد قضية قانونية . . . بل قضية وطنية وقومية . . . كما سيتضح من صفحات الكتاب . . . .

إن هؤلاء المسؤولين ، لم يكونوا مفسدين أو مرتشين أو لصوص فحسب . . . بل خونة بكل ما تعنيه الكلمة من أبعاد . . . .

. . . خانوا نضال الشعب ، وسلموا مقاديره للأمبريالية الأمريكية . . . وفتحوا أبواب مصر للصهيونية . .

. . . خانوا الشعب بالتفريط في ثروته وأمواله ، وأعطوها للأجانب . . .

. . . خانوا كل القيم والمقومات للشعب . . . .

إن اسرار هذه الحقبة مسؤولية كل مثقف ووطني . . . وأرجو ان يكون هذا الكتاب ـ الذي كتب قبل مقتل السادات ـ بداية عمل جدي لفضح وادانة الخونة ، وكشف حقيقة ما حدث خلال حكم السادات . . . .

لقد صدر حكم الشعب وتم التنفيذ أمام قادة العالم ورؤسائه . . . ولعلها أول مرة في التاريخ . . . يسقط فيها رئيس من على مقعده وهو بابهى الأزياء والنياشين ليجد نفسه تحت الاقدام . . .

وظهر ان كل ما قيل ليس إلا القليل . . . فحيثيات الحكم لم يصدر منها سوى صفحات . . . وما زالت صفحات طويلة مطوية . . . ويجب ان تكتب للأجيال القادمة . . .

جيل مصر الخالدة . . .

الفصل الاول

# الخيانة العظمى

يهوذا خان ؟ . .
أكـم يهوذا
وباع المسيح
لا يهوذا دام
ولا جرح
بيلازم جريح

أحمد فؤاد نجم

# الخيانة العظمى

.. ما حدث ليلة عيد الاضحى عام 1977 ، لم يكن مفاجأة !

.. كل الخطوات منذ بداية حكم السادات ، كانت تسير في خطوات مرسومة ..

ولعل تاريخ الشعب المصري ، لم ير خيانة مثل هذه ، الا يوم قاد الخديوي توفيق قلة من الخونة ليسهلوا دخول الانجليز الى مصر ..

وتكررت المأساة ! ..

والفارق كبير بين مأساة ومأساة .. ففي عام 1882 لم يدخل الانجليز مصر الا بالرشوة والخيانة مما أدى الى هزيمة الجيش المصري في معركة التل الكبير ..

أما مأساة اليوم ، فحدثت بعد أن حقق الجيش المصري أعظم انجاز ، وانتصار له على خط بارليف ..

وفي غمرة الانتصار ، دخل كيسنجر ، الذي قاد العدوان على مصر ، ويداه ملطختان بدماء الشهداء ..

كان دخول كيسنجر ثم نيكسون بداية المأساة .. إن العدو الذي حاربنا ـ كما اعترف السادات ـ دخل في موكب الزهور .. وكانت دموع الثكالى واليتامى لم تجف ..

**الفاشية تعود**

كيف حدث هذا ؟ . ولماذا حدث ؟

منذ البداية ، كان الارتباط بين « الفاشية » و « الصهيونية » معروفاً .. وعلى

دماء الآف اليهود ، مهدت الصهيونية لاقامة دولة « اسرائيل » .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، كان الاتصال دائمًا بين القيادات النازيـة ، والقيادات الصهيونية . . وكانت الصهيونية تضحي بالآف اليهود من أجل انقاذ أفراد من الصهيونيين . . بل قدمت الصهيونية للنازية المال والمعدات . .

ولم يكن « السادات » بعيداً عن النازية فكراً وسلوكاً . . ألقي القبض عليه بتهمة الاتصال بالمخابرات النازية . . ثم أفرج عنه وفصل من الجيش . . ولم يعد الى صفوف الضباط الا بعد أن قدم الولاء الى « الملك » ، في لحظة كانت كل القوى الوطنية قد كشفت خيانة الملك وتحالفه مع الاستعمار . . ونادت بسقوطه ! .

وانضم « السادات » الى الحرس الحديدي الذي شكله القصر الملكي للتخلص من القيادات الوطنية . . وساهم في محاولة اغتيال النحاس باشا زعيم حزب الاغلبية . .

إنه جنون القتل والارهاب وتحدي مشاعر الملايين . . بهذه الشعارات خرجت الصهيونية الى الوجود ، وبهذا الفكر والسلوك عرف الشعب المصري « أنور السادات » ! .

وكما اتصفت النازية والصهيونية بالخداع . . كانت خطوات السادات تتسم بخداع وتضليل الجماهير . .

انضم « السادات » الى « ثورة 23 يوليو » وهو يعادي كل ما رفعته من شعارات وكل ما كانت تحقق من انجازات . . لكنه قام بتأليف كتاب يمجد الثورة . . وكتاب آخر يشيد بقائدها سماه « هذا عمك جمال يا ولدي » . .

وأمام قوة الثورة الوطنية ، وتدفق المشاعر وانطلاق الجماهير . . سار « السادات » مستسلمًا . . كان يوافق على كل شيء . . ويؤيد كل شيء . . ويستسلم أمام أي شيء !

وعبر « السادات » عن نفسه في كتابه « البحث عن الذات » ، بقوله :

**« كنت أسعى دائمًا للتحايل . . حاولوا مراراً أن يعرفوا سر سلوكي ، قالوا أنه ضعف . . وعدم معرفة بالأمور ، أو عدم اهتمام ، لكنهم لم يتوصلوا أبداً للحقيقة . . » !**

وما أن مات عبد الناصر ، حتى خدع رفاقه بالتسليم لهم . . وبالقيادة الجماعية . . ولكن سرعان ما انفرد بالحكم . . وظهرت حقيقته ! .

**قصة 15 مايو**

في شهري مارس وابريل عام 1977 ، كانت قطع الاسطول الامريكي السادس تتدفق على البحر الابيض المتوسط ، وتقترب من مصر . . حاملة طائرات . . وغواصات ذرية . . وحاملات جنود من المدربين على حرب الصحراء .

وفي مايو ، كان روجرز في تركيا يحضر اجتماع حلف الاطلنطي . . ولم يبق سوى ساعات على وصوله الى القاهرة . .

وفي غضون تلك الساعات ، كانت جماعات من الحرس الجمهوري تتدفق على وزارة الداخلية بميدان لاظوغلي ، بملابسهم المدنية ، يحملون السلاح تحت أرديتهم . .

وكان كبار ضباط الجيش المصري في اجتماع . . حضره وزير الحربية الفريق محمد فوزي ، ورئيس الأركان الفريق محمد صادق . . وتحدث الفريق فوزي قائلاً :

**ـ إن البلد سيباع للامريكيين !**

وتصدى الفريق صادق ـ ضابط الحرس الملكي السابق ـ لوزير الحربية ، قائلاً :

ـ سيادة الوزير . . ما دمت استقلت ، فإني أقترح أن تذهب الى بيتك وتستريح . . إن واجبنا أن نحاول ابقاء الجيش بعيداً عن السياسة ! .

وفي نفس اليوم ، ألقي القبض على ما سمي « جماعة علي صبري » ، وهي المجموعة التي نصبت السادات رئيساً للجمهورية !

وكانت هذه هي البداية . .

صاغ السادات « انقلاب 15 مايو » في قصة مشوقة قدمها للجماهير بشكل مسرحي . . أخذ يروي قصة الضابط الذي أحضر له « تسجيلات المؤامرة » . . ثم ذهب الى فناء وزارة الداخلية وأحرق « التسجيلات » في مظاهرة تلفزيونية . . وتحدث كأنه فوجىء بتحركات رفاقه ضده . . .

والحقيقة . . يرويها كتاب « وثائق 15 مايو » ، الذي أصدرته احدى « دور النشر » التابعة للسادات . . يقول الكتاب :

« . . كان الرئيس مستعداً بخطة عسكرية كاملة . . تحددت فيها التحركات والتكليفات كاملة . . وقد تم ذلك منذ شهرين كاملين ، عندما استدعى الرئيس السادات الفريق الليثي قائد الحرس الجمهوري وكلفه بوضع خطة لحماية القاهرة تنفذها قوات الحرس الجمهوري . . وضعت الخطة كاملة . وكان الفريق الليثي ينتظر فقط الأمر من الرئيس بالتنفيذ » ! .

. . ولكن ، هل صحيح أن قصة « انقلاب 15 مايو » كانت البداية ؟ ! .

. . لم تكن زيارة « روجرز » وزير الخارجية الامريكية لمصر في مايو عام 1971 أو تحركات الاسطول الامريكي في نفس الفترة عفوية . . بل كان هناك خيط يربط الأحداث التي تراكمت في تلك الفترة ، ظل خفياً حتى أظهرته صحيفة « هيرالد تربيون » في عددها الصادر بتاريخ 25 فبراير ( شباط ) عام 1977 ، عندما كشفت ارتباط السادات بالمخابرات الامريكية عن طريق « كمال أدهم » رجل المملكة السعودية . . وحصوله على مبالغ متفاوتة من المخابرات . .

كان الانقلاب معداً من قبل . . وكانت تحركات الأسطول السادس تخوفاً من حدوث صدام داخلي ، كما جاء في كتاب « وثائق 15 مايو » . .

« . . كان الرئيس السادات قد وضع في حساباته أن يحرك شعراوي جمعة قوات الأمن المركزي . . »

وكان وجود « روجرز » في « انقره » ، واجتماع حلف الاطلنطي . ترقباً للأحداث . . وتوقعاً لصدور « استغاثة » من السادات بطلب النجدة . . فكان الاسطول الامريكي مستعداً بقوات الانزال المدربة على حرب الصحراء . .

كانت كل خطوة تنبىء بالمسيرة المظلمة . . عاد أعداء الشعب الذين أدانتهم ثورة يوليو . . والذين خانوا الشعب . . وأفرج عن الجواسيس . . والخونة . . والذين باعوا أنفسهم للاعداء . .

كان كل هذا تمهيداً للتسليم للاعداء أنفسهم . . للامبريالية والصهيونية . .

وعادت الفاشية التي كانت تحلم بها القوى الرجعية في مصر والعالم العربي . . عادت في عداء سافر للجماهير ، لتعيد التحالف بين الفاشية والصهيونية تحت قيادة الامبريالية الامريكية . .

## السادات وأمريكا

في كتاب « حرب رمضان » الذي وضعه « حسنين هيكل » ، وكان مقرباً للسادات في بداية حكمه . . وخطط له للانفراد بالحكم في 15 مايو . . كشف أن السادات كان على اتصال بالخارجية الامريكية عن طريقين :

الأول . . طريق وزارة الخارجية الامريكية .

الثاني . . طريق المخابرات الامريكية .

في هذه المرحلة ، القى السادات خطابين رسميين أمام الجماهير ، أعلن فيهما الخطة الامريكية لحرب اكتوبر ( تشرين ) . . كما أعلن مطلب أمريكا في لقاء مباشر بين مصر واسرائيل . .

ففي 17 يوليو ( تموز ) 1973 . . قبل حرب أكتوبر بثلاثة أشهر ، قال السادات :

« . . وأمريكا قد اقترحت فتح قناة السويس . . ولما تفتحوا قناة السويس إجلسوا وتفاوضوا مع اسرائيل . . »

وفي 24 يوليو ( تموز ) 1973 . . قال السادات :

« . . أمريكا في 72 وأوائل 73 دخلت بعملية جديدة . . دخلت بعملية الحل الجزئي ، القضية ممكن تحل اذا بدأت بحل جزئي بين مصر واسرائيل هدفه فتح قناة السويس . وربط هذا الحل الجزئي بالحل النهائي برباط ما ، ده كلام الامريكان الرسمي . . »

فماذا حدث بعد حرب أكتوبر . . وبعد أن قدمنا آلاف الشهداء ؟

ان ما نفذ هو نفس ما طلبته أمريكا ، بل نستطيع أن نرى أن ما حدث هو ما خططته المخابرات الامريكية . . فوزراء الخارجية المصريين استقالوا واحداً أثر الآخر . . ونفذت الولايات المتحدة ما أرادت :

أولاً : فتح قناة السويس .

ثانياً : الجلوس والتفاوض مع اسرائيل . .

ويبقى سؤال . .

لماذا كشف السادات أوراقه قبل حرب أكتوبر . . ولماذا أعلن رفضها ؟

في هذه المرحلة ، كان المد الثوري في مصر قد بلغ ذروته . . وخرجت مظاهرات الطلبة والعمال تطالب بالحرب ، وتحرير أرض الوطن . . وفي نفس الوقت كان الجيش متوجساً من تراجع أو انسحاب يأتيه بأوامر سياسية . .

ولم يكن أمام السادات الا أن يخوض الحرب . . ولكن ، ليقف بها عند الحدود المرسومة . . أو الحدود المتفق عليها مع أمريكا .

ففي اللحظة التي كان فيها الطريق مفتوحاً أمام الجيش المصري للوصول الى الممرات أمر السادات بوقف القتال ، حتى وصلت الحشود الاسرائيليه الى مواقع الجيش المصري . .

بل أبشع من ذلك . . حدثت الثغرة في صفوف الجيش المصري بعد أن أمر « السادات » بنقل القوات المدرعة التي تحمي « الدفرسوار » الى الضفة الشرقية للقناة ، على الرغم من معارضة القادة العسكريين !

وفي اللحظة التي كانت القوات المصرية تعبر القناة ، وتواجه القوات الصهيونية والاسلحة الامريكية . . كانت سياسة الانفتاح ترسم لتتدفق رؤوس الاموال والخبراء الامريكيين . . ثم زحفت البنوك والشركات الرأسمالية التي تساهم الصهيونية في رؤوس أموالها . . وأجتذبت البنوك الاجنبية أموال المصريين في الداخل وحولتها الى الخارج . . ولم يدخل مصر مليم واحد . . بينما البنوك الاجنبية التي لم يتجاوز رأسمالها خلال خمس سنوات 26 مليون جنيه ، أودعت في فروعها الرئيسية بأوروبا وامريكا 160 مليون جنيه !

وهكذا ، شاعت الفاشية بعد أن سلبت الجيش انتصاراته ، أخذت تسلب من الشعب قوت يومه .

وكشفت فضائح شركة « لوكهيد » ، ارتباط المسؤولين وزوجاتهم في صفقات

الرشوة والعمولات والاختلاسات . . وأصبحت فضائح الطغمة الحاكمة على لسان رجل الشارع . . وتناقلتها صحف العالم : فضائح صفقة السيارات من ايران . . والحديد المسلح . . وصفقات السلاح . . وصفقة الطائرات . .

وفي نفس الوقت . . زاد الغلاء بصورة بشعة في مصر . . ولجأ الكثيرون من أهالي القاهرة الى المقابر يبحثون عن مسكن يأويهم ! .

## السادات واسرائيل

لم تكن « اسرائيل » سوى أداة الاستعمار العالمي منذ أن قامت الى اليوم . . وكانت حرب 56 رداً على تأميم القناة واستردادها من الشركة الاستعمارية واعادتها الى الشعب الذي حفرها . . وكان عدوان 1967 رداً على تأميم الشركات وتمصير البنوك التي كانت تنهب الشعب المصري وتستنزف أمواله . .

. . وكان التأميم أبرز انجاز حققته ثورة يوليو . . كان أول خطوة في سبيل التحرر الاقتصادي بعد الاستقلال السياسي . . ولكن السادات أعلن « لا تأميم . . ولا مصادرة » ، بل فتح الابواب لشركات جديدة ورؤوس أموال واحتكارات امبريالية . . وضرب قرارات المقاطعة التي أجمعت عليها الاقطار العربية ، بعد أن خان الاجماع العربي « لا مفاوضة . . لا صلح . . لا معاهدة » .

وهكذا وجد رأس المال الصهيوني طريقه الى مصر مع الرأسمالية الامريكية والاحتكارات العالمية ! . وعاد النهب الاستعماري لمصر . .

ولكن . .

سرعان ما أنكشفت كل الخدع . . انكشفت الخدعة التي حدثت في حرب أكتوبر ، وساد التذمر صفوف الجيش . . وانكشفت خدعة الحريات ودولة المؤسسات . . وأصبح السادات عارياً أمام الجماهير .

وانطلقت قوى الشعب في انتفاضة 18 و 19 يناير . . هتفت بسقوط السادات . . وهتفت باللعنات . . اشترك كل الشعب من الاسكندرية الى أسوان . . شيباً وشباباً . . أطفالاً ونساء . . كل الشعب قام في انتفاضة تاريخية . . وصوت واحد ونداء واحد يهتف بسقوط السادات . .

وكان يجب أن يسقط . .

رفض جنود البوليس اطلاق الرصاص . . وامتنع الجيش عن ضرب الشعب . . ولم يجد السادات أمامه الا أن يطلق قواته الخاصة لتطلق الرصاص على الشعب وليثبت حكمه . . وسقط عشرات الشهداء .

بدأ السادات حياته السياسية بالارهاب الفردي ، وينتهي بالارهاب الجماعي . . وكان لقاء ليلة عيد الاضحى ، لقاء بين الارهاب الصهيوني ، والارهاب الرجعي في الوطن العربي . .

وفي ختام اللقاء ، أعلن السادات أنه سيعمل على « ضمان أمن اسرائيل » .

والسؤال الذي ستكشف عنه الايام . . من الذي سيعمل لضمان أمن الآخر . . هل السادات هو الذي سيضمن أمن « اسرائيل » أم أن « اسرائيل » هي التي ستقوم بضمان أمن السادات ؟ !

خيانة الأمانة

في 15 مايو عام 1974 ، قدم السادات ورقة اكتوبر . . وجاء فيها :

**« لقد أرجف الذين زعموا أننا نريد أن نلغي « الميثاق . . وأن نعدل عن اشتراكيتنا » إن وثائق الثورة لا تنسخ بعضها ولكنها تكمل بعضها البعض ، لقد قلت في خطاب 28 سبتمبر الماضي أنني أؤمن بالاشتراكية ، وبأنها الحل الوحيد لمشكلة التقدم . ومبادىء الميثاق الاساسية قد استقرت في دستورنا الدائم ولا يملك أحد تعديل الدستور الا باجراءات طويلة وبعد استفتاء شعبي . »**

وفي 7 يونيو عام 1977 نفض هذا الكلام ، قائلاً :

**« المبادىء الستة المشهورة هي جوهر ثورة 23 يوليو . . وما جاء بعد ذلك من ميثاق أو بيان 30 مارس أو خلافه كلنا نعلم الظروف التي صدرت فيها ، وكلنا نعلم أنها صدرت لكي لا تنفذ وإنما لتمتص موقف ! »**

وهكذا كانت الامانة التي حملها باسم ثورة يوليو ! !

فهل حقاً صدر « الميثاق » ولم ينفذ ؟

« الميثاق » الذي اصدره عبد الناصر عام 1962 باسم ثورة يوليـو ، نص صراحة على انتماء مصر العربي . . وعلى طبيعة المعركة ضد الصهيونية . . قائلاً :

**« . . ان قطعة من الارض العربية في فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمر لتكون سوطاً في يده يلهب به ظهر النضال العربي .**

فهل هذا واقع أم مجرد كلام ؟

وقال الميثاق . .

**« . . ان النضال الوطني ، حتى في ابان معركته العسكرية المسلحة ضـد الاستعمار ، أضاف لهذا القطاع العام كل الاموال البريطانية والفرنسية في مصر ، وهي الأموال التي سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الاجنبية وفي العهود التي استبيحت فيها حرية الثروة الوطنية لتكون نهباً للمغامرين الاجانب . . »**

فهل كان هذا الكلام امتصاصاً لموقف أم تقرير واقع تاريخي واقتصادي عاشه ولمسه وعانى منه الشعب المصري ؟

ولسنا في معرض تحليل « الميثاق » . . ولكننا أمام أقوال السادات ، الذي تشدق كثيراً بالاخلاق والقيم . . وأصدر قانون « العيب » . . وقف « السادات » في المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي الذي عقد بعد وفاة جمال عبد الناصر ، وانتخب فيه السادات رئيساً للاتحاد الاشتراكي . . وأعلن :

**« . . أتعهد أن اعطي كل جهد وكل اخلاص بـل كل نفس في حيـاتي لاستكمال المسيرة التي قادها جمال عبد الناصر على طريق الحـرية والاشتـراكية والوحدة . .**

وقال :

**« . . لقد كنت طوال عمري مؤمناً به زعيماً ومعلماً . . »**

وفي كلمة القاها في 15 ديسمبر ( كانون الاول ) عام 1970 ، قال :

**« هكذا كانت سياستنا التي سنها الزعيم والمعلم جمال عبد الناصر وجاهد من أجلها طول حياته ، والى آخر لحظة من حياته . . كان فقدان عبد الناصر كارثة وطنية . . »**

وفي خطاب أمام هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا لقب عبد الناصر بالقائد الخالد . .

أما في مذكرات السادات التي كتبها بعد ذلك ، والتي جعل عنوانها « البحث عن الذات » . . يقول :

**« . . مسكين عبد الناصر ، فقد مات دون أن يتمتع بلذة العيش وقضى حياته في الكراهية والغضب وامتلأ قلبه دائمًا بالقلق حيث كان ينظر الى الجميع نظرة شك ، ولذا كان من الطبيعي أن يترك ميداناً من الكراهية لأقرب زملائه وللشعب بكامله . . »**

وسخرت الصحافة العالمية من مذكرات السادات ، فكتبت صحيفة « لوبوان » الفرنسية . .

**« . . يقول السادات في مذكراته أن تعاطفه مع ناصر جعل منه انساناً أعمى . . والواقع أن شيئاً ما من هذا العمى بحب ناصر لم يبق هذه الايام ، وعبر صفحات ذكريات السادات يبدو عبد الناصر رجلاً عصبياً متشككاً . . »**

السادات والمعركة

السادات يتهم نفسه ، وليس في حاجة الى توجيه اتهام اليه : قال في نص البيان الموجه الى الامة في الأول من حزيران « يونيو » عام 71 . .

**« . . وقد قال عبد الناصر ، ومن بعده أقول . . ان التفريط ولو للحظة واحدة في صداقة الذين يساعدوننا ولا يساعدنا غيرهم على القتال والنصر ، تفريط في مصير بلدنا وتمكين للاستعمار الذي يريدنا بغير صديق في معركة التحرير ومعركة البناء . . »**

وفي 29 شباط عام 72 . في المؤتمر القومي . . سأل أحد الأعضاء :

**ـ هل يشترط الاتحاد السوفيتي بعض الشروط لمساعدة مصر والدول العربية على ازالة العدوان ؟**

وأجاب السادات :

**أخشى أن يكون مبعث هذه الاسئلة حملات التشكيك المستمرة ، والتي تهدف**

في النهاية الى تقويض علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي حتى نبقى وحدنا ويسهل عزلنا والقضاء علينا . . نسمع هذا في اذاعات أمريكا ، وقد قرأناه في المنشورات التي وزعها الاجانب الثلاثة في القاهرة ، الذين جندتهم المخابرات الاسرائيلية . . الاتحاد السوفيتي لم يطلب منا أية شروط لمساعدتنا على إزالة آثار العدوان . . أمريكا هي التي تحاول أن تفرض علينا شروطها المسبقة . .

وبعد توقيع المعاهدة المصرية . . السوفييتية ، قال أمام مجلس الشعب :

« . . أريد أن اقول أمامكم وانا واثق أنني أعبر عن ارادتكم وارادة جماهير أمتنا كلها ، ما يلي . .

« إن الصداقة مع الذين يساعدوننا ولا يساعدنا غيرهم على القتال وعلى النصر ليست صداقة مرحلة وليست مجرد تكتيك . .

« الصداقة مع الذين يساعدوننا على النصر والبناء ليست صداقة مرحلة ، وانما هي صداقة كل المراحل ، وليست مجرد تكتيك . . وانما هي استراتيجية ثابتة . . »

السادات من أقواله يدين كل من يشكك أو يفرط في الصداقة مع السوفيت . . فماذا فعل ؟ . .

* ألغى معاهدة الصداقة .
* طلب سحب الخبراء السوفيت من مصر خلال أسبوع . .
* اتهم السوفيت بأنهم يقدمون السلاح لمن لا يستطيع أن يحارب ! .
* اتهم السوفيت في خطاب مذاع بـ « الغباء » ! .
* اتخذ موقف العداء ـ في الداخل والخارج ـ من السوفيت ! .

والوجه الآخر

في عام 1972 . . في شهر كانون الثاني ، قال السادات في أول اجتماع للوزارة الجديدة .

« . . ان أمامنا معركة تحد طويلة بعد أن دخلت امريكا المعركة ضدنا . . إن

هذا التحدي الواضح جعلني أقرر بنفسي ومعي الفريق أول محمد صادق جميع النواحي العسكرية . .

وقال . .

« . . لقد تحقق أمس فعلاً ما سبق أن توقعناه في حساباتنا السياسية ، فقد اتخذت الولايات المتحدة خطوة خطيرة أمس ، لم تعد اسرائيل بمقتضاها قاعدة لطائرات الفانتوم التي تمدها بها أمريكا بل لقد قررت الولايات المتحدة بموجب الاخبار التي أعلنت أمس 17 يناير ( كانون الثاني ) أن هناك اتفاقاً جديداً يقضي بتزويد اسرائيل بصناعة الاسلحة الضخمة والمعدات والمعونات الفنية مع ارسال خبراء التدريب الامريكان وستكون مع هذه المعونة المعدات والاسلحة الامريكية الحديثة . .

وقبل ذلك بعام ـ ايضاً ـ في يناير ( كانون الثاني ) عام 1971 . . خطب في المؤتمر الشعبي الذي عقد في مدينة أسيوط . . قائلاً :

« . . انني اذكر امريكا انها لم تستطع في معركة فيتنام مواجهة الفلاح الفيتنامي البسيط بكل ترسانة أسلحتها . . واذا كان هذا موقف الفلاح الفيتنامي البسيط ، فسيكون موقفنا أكثر صلابة أيضاً لاننا نعرف الشرف ونقدره . . »

وقبل هذا الخطاب بسبعة أيام . . قال في مدينة طنطا :

« . . إن الجمهورية العربية كسبت معركة طيران العمق بفضل الصواريخ التي ساعدنا بها الاتحاد السوفييتي . . ان أصدقاءنا السوفيت عند كلمتهم . . »

## الموقف الاقتصادي

قال السادات في ورقة اكتوبر التي قدمها للشعب في 15 مايو/ مارس/ 1974 .

« . . ان القطاع العام يظل الاداة الاساسية للتعبير عن الارادة الوطنية في تشكيل اقتصادنا القومي . . إنه الضمان الرئيسي لان تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية ، تعبر بالفعل عن استقلال مصر الاقتصادي . . »

ولم تكن هذه الكلمات الا تعبيراً حقيقياً للموقف الاقتصادي في مصر ،

والذي شاهدته ثورة يوليو . . وكما أعترف السادات في خطاب أول مايو عام 71 . .

**« . . المنطقة التي كانت مشتى صغيراً أصبحت قاعدة للصناعة الثقيلة في مصر ، والتي كانت متروكة للاسترخاء والكسل . . أصبحت بركاناً من النشاط والعمل . . المنطقة الساكنة الهاجعة بين النيل والجبل أصبحت قلباً يضج بالحياة . . وقمة تطاول كل الذرى . . » « . . حلوان أكبر قاعدة للصناعة الثقيلة في مصر . . وفي العالم العربي . . وفي الشرق الاوسط . وفي افريقيا . . »**

وبعد خمس سنوات ، نشرت صحيفة « الجمهورية » القاهرية صرخة من أحد رجال مصنع الحديد والصلب يقول فيها أن المصنع تحول الى حديد خردة . . هجره المهندسون والفنيون . . وتركه العمال . . وتفكك قطعة قطعة !

إن ما حدث لمجمع الحديد والصلب يحدث لعشرات المصانع التي أقيمت في مصر . . ولم يكن ضرب العلاقة المصرية ـ السوفيتية الا تمهيداً للقضاء على مصر الصناعية ، تماماً كما حدث في أعقاب الغزو البريطاني لمصر . .

والسادت يعترف ، قال في 20 تشرين الأول ( اكتوبر ) عام 1970 :

**« . . لقد أعطانا الاتحاد السوفييتي معدات السد العالي الثاني . . واقصد به مشروع شرائط الحديد والصلب . . »**

وقال في نفس الخطاب :

**« . . بعد عدة سنوات سنجد لدينا خبراء في صنع السفن على أعلى مستوى عالمي . . كل هذا بمعاونة الاتحاد السوفيتي . . في الوقت الذي يرفض فيه الغرب اعطاءنا بندقية واحدة »**

سبق الاصرار

ان ما ارتكبه السادات ، سياسياً واقتصادياً ، انما تم مع سبق الاصرار والترصد . . ففي اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي التي عقدت برئاسة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في 12 نوفمبر ( تشرين الثاني ) 1968 ، لمناقشة القضية . . قال السادات :

**« ان القضية الاساسية تختصر بالتالي :**

**هل يحكم شعب مصر من الخارج ام لا ؟ الامريكان يصرون على حكم شعبنا من الخارج ، مرة أخرى ، كما فعلوا في السنوات السابقة .. لا .. ان هذه المعركة مصيرية ولا بد من الصمود حتى آخرها ..**

.. وبعد أن تولى رئاسة الجمهورية ، قال في خطاب ألقاه في 25 مايو (مارس) عام 1971 ..

**« .. إن أزمة الاستعمار المعاصر قائمة في كل مكان والعجز الكامل عن فهم التاريخ فيها لا ينبع من مجرد الجهل بحتمية التطور ولكنه يرجع في الوقت نفسه الى أن الاستعمار لا يستطيع أن يتخلى عن مطامعه الا مكرهاً ومجبراً لانه يريد أن يواصل الاستغلال الى آخر لحظة ممكنة .. »**

وعلى الرغم من هذا فتح السادات الابواب للاستعمار .. وتحولت مصر من مركز صناعي الى مركز سياحي للمترفين .. وبدل المصانع تقام الفنادق ونوادي القمار في دولة الايمان !! .

وبدل أن نرغم الاستعمار على التراجع ، سلمنا بأن 99 في المائة من حلول المشاكل في يده ! .

وأصبح الخبير الامريكي في سفارة الولايات المتحدة بالقاهرة والمسؤول عن المعونات يتحكم في اقتصاد مصر ..

والبنك الدولي يملي شروطه المجحفة .. ويطالب برفع الدعم عن غذاء الفقراء .. وخفض ميزانية الخدمات .. والتقليل من مصاريف الدفاع ..

ان الرجل الذي قال :

**« .. ان اسرائيل تعتبر نفسها ، ويعلن وزراؤها أنها خط دفاع أول عن مصالح أمريكا الامبريالية في المنطقة »**

**خطاب 3 مايو ـ مارس ـ عام 71**

.. فتح السادات الابواب للصهيونية لغزو مصر .. ولهث وراء المفاوضات .. وسمح لرأس المال الصهيوني والامريكي بانشاء البنوك والشركات .. وأعطي لهم حق ملكية الارض في مصر ..

.. من الخطأ أن نتصور « عقلية السادات » أو تصرفاته على أنها نابعة من فرد . . .فليس الفرد الا انعكاساً لفكر وسلوك الطبقة التي ينتمي اليها . .

منذ البداية ، قام « نظام السادات » على أوضاع مليئة بالمتناقضات والاخطاء .

واذا كان من الصعب الآن تقييم المرحلة « الناصرية » ، الا أن هذه المرحلة حققت التحرر الوطني . . وانتزعت السيادة من الاستعمار لتجعلها في يد الشعب . . وبدأت مرحلة الاستقلال الإقتصادي . .

وخرجت « الناصرية » من خلال التجربة بحقيقتين :

الاولى : أن تحالف الرجعية ورأس المال يجب أن يسقط . .

الثانية : أن تحالف القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعي لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل . .

أدركت « الناصرية » ذلك من خلال معركة 56 ، ومأساة الوحدة والانفصال .

ففي عدوان 56 أسرع ممثلو الاقطاع والرأسمالية المستغلة ، يطالبون بالتسليم والاستسلام .

وفي مأساة « الوحدة » تبين أن القوى الاساسية في عملية الانفصال كانت ممثلة في الاقطاع السوري والشركة الخماسية . .

وكان من المفروض أن تتيح « الناصرية » لقوى الشعب العامل أن تنظم صفوفها في أحزاب ، لتقوم الجبهة الشعبية في مواجهة القوى الاستعمارية والرجعية المتربصة . .

ولكن مع الاسف أرادت « الناصرية » أن يكون حل التناقضات بين الطبقات والفئات المكونة لتحالف قوى الشعب في اطار تنظيم واحد . . مما رجح كفة اليمين . .

ان اليمين بطبيعته تنظمه المصالح المشتركة ، وتترابط عناصره ، بالعلاقات

الاجتماعية والقدرات المادية والذكاء الخبيث . .

أما قوى الشعب فهي في حاجة الى قيادات تنظيمية حزبية تمثل الطليعة الواعية القادرة على تجنيد قوى الشعب ، وبث الوعي بالصراع ومواجهة الاخطار . .

. . هذه الحقائق أدركها عبد الناصر في أواخر أيامه ، ولكن الوقت كان متأخراً . .

**اليمين . . الرجعي . .**

في 2 مايو **67** ، أي قبل « النكسة » بشهر واحد تحدث عبد الناصر عن الثورة المضادة ، وحددها بعملاء الاستعمار وبقايا الاقطاع ، وبقايا الرأسمالية المستغلة والانتهازيين . .

وقال عن الانتهازيين

**« في ناس أخذوا من الثورة نفسها ، ومش مكفيهم اللي أخذوه ، وفي نفس الوقت ينقلبوا على الثورة ليتجهوا الى الثورة المضادة . . »**

ثم قال في خطاب خطير كشف لأول مرة الطبقة الجديدة التي بدأت تتطلع الى الوراء لتتحالف مع بقايا الاقطاع وبقايا الرأسمالية العميلة . . فقال :

**« . . ان هذه الطبقة العسكرية السياسية كانت قد وصلت الى حيث اعتبرت نفسها وريث شرعي للثورة أو بمعنى أدق وريث للحكم أو بمعنى آخر اكثر تحديداً . . أن الثورة بالنسبة لهم أصبحت هي الحكم ، والحكم بالنسبة لهم أصبح مظاهر ومغانم . . »**

ولكن ، ماذا حدث لمواجهة هذه الثورة المضادة ؟

حاول عبد الناصر أن يوجد التنظيم الطليعي . . ولكن القوى الرجعية حولت هذا التنظيم الى جهاز من أجهزة الدولة . . وظلت جماهير الشعب بدون تنظيم أو قيادات تعبر عن مصالحها . . أو تحاول حل التناقضات بين المصالح المتضاربة . .

وفي ظل الصراع الطبقي « المكتوم » اتسعت دائرة اليمين واحتل مراكز جديدة . . وخطيرة . .

كانت ثورة يوليو ، قد فتحت المجال أمام الطبقات المضطهدة ، فقامت

بالاصلاح الزراعي . . وسارت في طريق التصنيع وتـأميم الشركـات الاجنبية ، ففتحت بذلك الطريق لاقامة القطاع العـام . . كما خلقت فـرص النشاط أمـام الرأسمالية الوطنية . . وأوجدت فرص العمل أمام المثقفين والعمال . .

ولكن الفـلاحين ، كـانوا بـلا تنظيم أو قيـادة واعية . . فتسللت عنـاصر البرجوازية الصغيرة الى صفوفهم في التشكيلات الحكومية لـلاصلاح الـزراعي ، وانطلقت هذه العناصر من الموظفين تنهب ما كسب الفلاح ، وتنحاز الى الملاكين الكبار الذين يملكون الرفاهية والرشوى والاغداق على هؤلاء الموظفين الذين كانوا محرومين في الماضي من كل شيء . . .

وفي القطاع العام ، تمسكت قيادات القطاع العام بالسلطة دون أن تحاول مشاركة العمال في ادارة عملية التصنيع أو المراقبة مما أتاح للعناصر الرجعية فرصة التخريب . . وأتاح لكبار الموظفين فرصة النهب . .

وهكذا تشكلت الثورة المضادة من العناصر الرجعية القديمة والعسكريين من ذوي الفكر الفاشي . . والعناصر الطفيلية أو البيروقراطية في القطاع العام . .

ولم يكن أمام جماهير الشعب وطبقاته العاملة الا أن تتحرك في انتفاضات عفوية ضد القوى الرجعية ، ولكن هذه الانتفاضات كانت سريعاً ما تكبت وتنتهي الى لا شيء ، لغياب القيادات والتنظيمات . .

وكانت نكسة **67** فرصة أمام هذه القوى الرجعية للتحرك . . وهب عمال حلوان وطلبة الجامعات في انتفاضات رائعة ضد اليمين الزاحف . .

وجاءت وفاة عبد الناصر ليقفز « الفاشيون » الى الحكم . . وأسرعت القوى الرجعية تدعمهم . . وأعادوا سيطرة ، الاستعمار . . وجاءت الشركات الاحتكارية لتنهب الشعب المطحون ، بينما أرتفع عدد أصحاب الملايين من **100** مليونير الى **500** مليونير الى عشرات المئات .

. . هذه هي القوى . . وهذه هي الفئات التي أصبحت تحيط « بالسلطان » في مصر ، بعد أن تمت عملية تصفية تحالف قوى الشعب . . خطوة . . خطوة ! .

ان هذه القوى الرجعية لا تستطيع أن تواجه الجماهير وحدها ، ولهذا كان من البديهي أن تسقط في يد الاستعمار وأن تلجأ اليه لحمايتها . . وقد عبر عثمان أحمد

عثمان المليونير الكبير وأحد أعمدة النظام ، بقوله عن « الوطنية » أنها كلام تافه .

.. في بداية السبعينات ألقي القبض في مصر على « عصابة دولية » ، لتهريب النقد .. وأشتهرت القضية باسم « قضية عبور ورفله غرباوي » ..

وبعد سنوات قليلة بدأت « سياسة الانفتاح » التي انتهت بتوقيع اتفاقية « كامب ديفيد » ..

فهل هناك علاقة بين الحدثين ؟ !

في **19** مارس عام **1973** ، نشرت صحيفة « الأهرام » بيان النيابة عن هذه القضية ، جاء فيه ..

**« كانت مباحث أمن الدولة خلال تعقبها لنشاط شبكة التهريب ، قد توفر لديها معلومات تؤكد أن هناك تخطيطاً أجنبياً منظمًا وراء هذه الشبكات ، التي اتسع نشاطها فجأة بصورة لم تعهدها البلاد من قبل .. وأكدت هذه المعلومات أن التخطيط لجأ الى هذا الطريق ، بهدف ضرب الاقتصاد القومي ..**

وكشف بيان النيابة عن عدد من الوقائع ذات الدلالة .. والتي كانت « العصابة » تهدف الى تحقيقها .. ومنها :

أولاً : النيل من دور القطاع العام والسيطرة على السوق الداخلية ، والتستر وراء الدعوة لتشجيع القطاع الخاص ،فجاء في نفس بيان النيابة :

**« .. كان المخطط يبدأ بالدعوة الى تشجيع القطاع الخاص ، ثم تتخذ هذه الدعوة كستار للهجوم على القطاع العام ، ولاعطاء الفرصة للرأسمال الخاص للربح السريع عن طريق النشاط الطفيلي الذي لا يسهم في الانتاج . بل يسعى الى السيطرة على تجارة الجملة وعلى القسم الاكبر من تجار التجزئة .. وذلك عن طريق قيام رأس المال الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام المنتج والمستورد من ناحية وبين الشعب كمستهلك من ناحية أخرى .. وبهذه الطريقة يتركز جانب من المخزون السلعي في أيدي هؤلاء الوسطاء ، وبعدها يظهر دورهم ، حيث تكون لهم السيطرة على السوق المحلية باحتكارهم السلع ، في حركة تحديد الاسعار ، وفي النهاية ، في خلق سوق سوداء ، بكل آثارها المخربة من ارتفاع تكاليف الانتاج ونفقات المعيشة .. »**

.. من هذه الفقرة في بيان النيابة يتبين لنا بعض حقائق الموقف الراهن في مصر ..

* الدعوة الى تشجيع القطاع الخاص ، وهو ما يطالب به البنك الدولي ، وكذلك صرح به مستشار المعونة الامريكية في القاهرة ..

* الهجوم على القطاع العام ، وهو ما تتكفل به الدولة اليوم .. سواء بعرض شركاته للبيع للشركات الاحتكارية العالمية .. أو تشكيك أجهزة الاعلام في دور القطاع العام .

* العمل على ارتفاع نفقات المعيشة ..

وننتقل الى الواقعة الثانية التي كشفها بيان النيابة .. ولعلها أخطر ما أعلن عنه .

ثانياً : التعاون مع عناصر ليست بعيدة عن الكيان الصهيوني ـ كانت مصر ما زالت في حالة حرب ـ فالبير أوفديا سالم المتهم الصهيوني في القضية ، والده أحد مؤسسي دولة الكيان الصهيوني ، وشقيقه صاحب « بنك ديسكونت » في جنيف الذي تحول اليه الاموال المهربة .. بل لقد ذهب الامر الى حد أن هذه الجهات الاجنبية قد اختارت نفراً من المصريين الذين أدركت أن الربح هو محركهم الاساسي ، وسهلت لهم تنمية حجم أموالهم وتضخم نشاطاتهم ليسيطروا بعد ذلك على السوق ويحققوا لها أهدافها .. وفي هذا يقول بيان النيابة :

**« تبين أن منظمة أجنبية في الخارج تنظم عملية التحويل منذ ٤ سنوات ، بواسطة شبكة تضم مندوبين في بلدان مختلفة .. وان هذه المنظمة تعطي تسهيلات لبعض هؤلاء التجار بطريق غير مباشر ليزداد حجم نشاطهم ، فيتمكنون من السيطرة على تجارة الجملة في وقت قصير .. »**

**وكشفت النيابة في بيانها ارتباط العناصر الطفيلية بالصهيونية العالمية . وارتكبوا جريمتهم في لحظة كانت مصر تستعد فيها لحرب أكتوبر .. أي ارتكبوا جريمة « الخيانة العظمى » .**

ولم يقتصر ارتباط أفراد عصابة « غبور وغرباوي » بالعناصر الصهيونية ، ولم تكن الصهيونية وحدها التي تحركهم .. بل لعبت أمريكا دوراً أساسياً في أعمال

هذه العصابة . .

ونأتي الى الواقعة الثالثة التي كشفها بيان النيابة . .

ثالثاً : أن مجال نشاطات هذه الفئات تعدى نطاق الاقتصاد الى مجالات اخرى ، ربما كانت هي الهدف الاساسي . .

فقد نشرت « الاهرام » في عددها بتاريخ **27** مارس **1973**

**« . . ان نشاط الشبكة تعدى عمليات تهريب النقد الى نشاط أخطر من ذلك بكثير . . ان عمليات التهريب لم تكن سوى ستار يختفي وراءه النشاط الآخر . . »**

كانت عصابة « غبور وغرباوي » متعددة الجنسيات . . فهي تضم **108** متهمًا نصفهم ممن يحملون جنسية مصرية ، والباقي **23** متهمًا أمريكياً و6 من ألمانيا الغربية ، و 5 ايطاليين ، و 4 كنديين ، و **2** من اليونان وبلجيكا ، وواحد من كل من هولندا وبريطانيا ، وفرنسا ، وجنوب أفريقيا . .

ان « المؤامرة » ضد الشعب المصري بدأت بالجريمة . . وما حاولت عصابة « غبور وغرباوي » تحقيقه ، أصبح الآن هدفاً يعلنه الرسميون الامريكيون ، سواء كانوا مسؤولين في البنك الدولي أو خبراء الاقتصاد أو رجال السياسة !

وأصبحت الجريمة سياسة . . وأصبحت السياسة هي كيف تنفذ الجريمة !

ويعلن مدير الوكالة الامريكية للتنمية الدولية في القاهرة تصريحات نشرتها صحيفة « أخبار اليوم » ، أن ما سعى اليه المتهمون في قضية «غرباوي وغبور » ، هو السياسة التي ستفرض على مصر . . وجاء في تصريحاته :

**« . . ان الحكومة ـ ويقصد الحكومة المصرية ـ مصممة على دعم القطاع الخاص . . لذلك يجب على بعض المديرين الذين يظنون عكس ذلك ، عدم مناهضة سياسة الانفتاح » . .**

ولم يكتف المسؤول الامريكي بذلك . . بل طالب بمراجعة سياسة دعم السلع . . وهو ما تنفذه الحكومة المصرية خطوة خطوة في طريق الغاء الدعم . .

**المهربون والسياسة**

وقالت النيابة في بيانها عن قضية التهريب هذه بأنها :

« . . أخطر محاولة أجنبية لتخريب الاقتصاد الوطني . . »

وتوضح كما تقول النيابة . أن هدف العصابة يتمثل في :

**« التلاعب في عمليات استيراد السلع الاجنبية باستغلال نظام لاستيراد بدون تحويل عملة لصالح بعض أفرادالقطاع الخاص المنحرفين . » وتحويل هذه العمليات عن طريق الحصول على النقد الاجنبي الخاص بالهيئات والمؤسسات الاجنبية في مصر ، واستغلال مدخرات المصريين الذين يعملون في الخارج ، والهدف هو حرمان مصر من النقد الاجنبي وسيطرة بعض أفراد القطاع الخاص على السوق المحلي للتحكم في عملية الاسعار ، وهز الثقة في نظام القطاع العام كركيزة للنظام الاقتصادي » .**

فهل تولت عصابة « غرباوي وغبور » الحكم في مصر ؟ !

أولاً : صدر الحكم ببراءة جميع المتهمين بعد مرور أكثر من خمس سنوات على ضبط المتهمين . .

ثانياً : أصبح نظام الاستيراد بدون تحويل العملة قانوناً في مصر . .

ثالثاً : أصبحت حرية تداول النقد الأجنبي في مصر تشريعاً . .

ووقف الوزراء أمام مجلس الشعب . . وعلى صفحات الصحف ينادون بل يدافعون عن كل ما أرتكبته « العصابة الدولية » من جرائم في حق الشعب . .

وأصبحت الجريمة شريعة الحكم ، وأعلن وزير التجارة ، وهو يدافع عن نظام الاستيراد بدون تحويل عملة ، بأن الحكومة حاولت في هذا النظام تقنين التهريب !

ولم يكن هذا غريباً . . فعندما وصل ممثل الرأسمالية الطفيلية عثمان أحمد عثمان الى تولي الوزارة ، سأله مندوب جريدة الجمهورية . .

- أليست قوانين الاستثمار تهديداً للسيادة الوطنية ؟

فكان رده :

- دعونا من هذا الكلام التافه ! .

وأصبحت الوطنية في ظل النظام القائم في مصر هي التفاهـة . . أما الجريمة

والخيانة فهي الحق والشرع ! .

**الانفتاح . . والمخدرات :**

في فبراير عام 1977 ، نشرت صحيفة « الاهرام » تحقيقاً صحفياً عن « سر طوفان الحبوب المخدرة في أسواق القاهرة . . »

وتبين أن شبكة دولية تقوم بتهريبها من سويسرا . . وأن أخطر هذه الاقراص انتشاراً هي أقراص « المونولون » و « النوبارين » وشهرتها « الفانتوم » و « اسكاي هوك » .

واتضح أن زعيم هذه الشبكة الدولية يقيم في سويسرا واسمه ألبير ، وهو اسرائيلي الجنسية . . وكان يرسل هذه الحبوب باسم إحدى شركات الادوية ! .

وقد تم ضبط ثلاث شحنات من هذه الحبوب قدر ثمنها بأربعة ملايين جنيه ، كما القي القبض على إثنين من افراد هذه العصابة الدولية هما هنري شميت ، وهنري روبكسكير . .

. . ثم تتالت أخبار المخدرات في الصحف المصرية . . وكان رأس المال الذي يعمل في هذه التجارة يتجاوز عشرات الملايين ، فقد ضبطت صفقات بمبالغ تتراوح بين مليون و 9 مليون جنيه !!

وكانت كميات المخدرات المضبوطة تتزايد مع التوسع في سياسة الانفتاح . فضبطت في عام 1979 م . سائل « ماكستون فورت » 37192 سنتيمتر مكعب . . مقابل 202 سم مكعب عام 1973 . . وهو المخدر الذي يلهب الشرايين . . بل يدمرها . .

وأمامنا حقيقتان :

الأولى : حرب الافيون التي لم يشهد التاريخ الانساني أقذر منها ، عندما فرضت بريطانيا على الصين السماح بتجارة الافيون . . وشنت من أجل ذلك ثلاث حروب . . حرب 1840 . . ثم حرب 1841 وأعقبتها حرب 1842 . . واحتلت القوات البريطانية مدينة « شنغهاي » ، وكادوا أن يحتلوا العاصمة بكين . . ولم يتوقف الزحف الا بعد توقيع الاتفاقية التي تضمنت نصوصها اطلاق تجارة الافيون .

الثـانية : الحقيقـة التـاريخية التي تضمنهـا كتـاب « سيـاستـان ازاء العـالم العربي » . . وجاء فيها :

**« . . من المعروف أن المستعمرين البريطانيين بدأوا منذ اواخر القرن الثامن عشر بنقل كميات هائلة من الافيون الى الصين . . ومن الامور الاقل ذيوعاً أن أرباب العمل الامريكان ساهموا في هذا العمل الشائن مساهمة نشيطة للغاية ، مع فارق واحد ، هو أن شركة الهند الشرقية كانت تزرع الافيون في ممتلكاتها الهندية ، بأشد أنواع الاحتكار صرامة ، بينما كان الامـريكيون يستـوردون الافيون من تركيا . . وفي تلك الاونة حيث لم تكن قناة السويس قد ظهرت للوجود . . كان التجار الامريكان يشحنون الافيون بالسفن الشراعية السريعة من أزمير والموانىء التركية الاخرى . . وكانت صناديق الافيون تقوم برحلة حول العالم تقريباً . . »**

وكان الدولار الواحد في تجارة المخدرات يحقق ربحاً مقداره خمسة دولارات . وكما قيل : « اذا وجد رأس المال 10% من الارباح مؤمنة ، فانه يشتغل ، واذا وصلت الارباح الى 20% ينشط ، و 50% يتملكه جرأة جنونية ، 100% يدوس بالاقدام جميع القوانين ، أما اذا تأكد من تحقيق 300% من الارباح ، فليس ثمة جريمة لا يتجاسر على ارتكابها ولو قادته الى حبل المشنقة . . »

ان مصر اليوم تواجه أبشع استعمار . . تخريب اقتصادي . . ونهب ثـروة الشعب . . وتدمير نفسية الانسان . . وتحطيم كيانه . .

### الخيانة العظمى

لم يكن ارتباط الرأسمالية الطفيلية بـالصهيونيـة أو الامبريـالية الامـريكية مفاجأة . . فقد أشار الميثاق الذي أعلنه عبد الناصر الى هذه الظاهرة . . وقال :

**« . . إن نمو الاحتكارات العالمية الضخم ، لم يترك إلا سبيل ين للرأسمالية المحلية في البلاد المتطلعة الى التقدم : أولهما : أنها لم تعد قادرة على المنافسة الا من وراءأسوار الحماية الجمركية العالية التي تدفعها الجماهير .**

**وثانيهما : أن الامل الوحيد لها في النمـو ، هو أن تـربط نفسها بحـركة الاحتكارت العالمية ، وتقتفي أثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر أوطانها وراء هذه الهاوية الخطيرة . . . »**

وتحقق ما جاء في « الميثاق » . . وظهر ارتباط الرأسمالية الطفيلية بالصهيونية والمخابرات الامريكية في قضية « غبور وغرباوي » . . ولكن ما هو أدهى وأمر . . هو ارتباط الوزراء الذين أعلنوا سياسة الانفتاح بالاحتكارات العالمية . .

* ساهم وزير مالية سابق في تأسيس أول « بنك كوري » في مصر وعين رئيساً لمجلس ادارته . .

* أسس نائب وزراء سابق ، شركة للقيام بأعمال الوكالة عن الشركات الاجنبية . .

* أصبح رئيس وزراء سابق ، المحاسب الأول في مصر ، فيقوم مكتبه بأعمال مراجعه الحسابات لنحو 30% من شركات الاستثمار الاجنبي .

* أما الشخصية التي فاقت كل هؤلاء ، فكان المقاول عثمان أحمد عثمان الذي نجح في تأسيس 15 شركة مصرية وأجنبية مشتركة . .

* وأخيراً . . وليس آخراً . . قيام أسرة « السلطان » وأقاربه وأصهاره بالمساهمة والمشاركة والارتباط بالشركات الاحتكارية العالمية والصهيونية في عمليات الاستثمار . . أي النهب المقنن ! .

وسقط الوزراء في هاوية الجريمة . . وسيق عبد الله مرزبان نائب رئيس وزراء سابق ووزير الاقتصاد وأحمد نوح وزير الطيران الى القضاء . . بتهمة تقاضي الرشوة . . وتبين أن عقد تمويل شراء هذه الطائرات تجاوز 45 مليون دولاراً . . وتضمن شروطاً لا يتصور قبولها ، حيث بلغت قيمة القرض عند سداده مبلغ 83 مليون جنيه ! .

وتتالت الجرائم . .

* المهندس أحمد سلطان نائب رئيس الوزراء السابق يتقاضى رشوة من شركة وستنجهاوس .

* صفقة الحديد والصلب التي أتهم فيها عثمان أحمد عثمان . .

* صفقة سيارات الاوتوبيس من ايران . .

* 13 مليونيراً في السجن : في قضية فرع البنك الاهلي بالعجوزة .

* عصابة المليونير سرقت حديد تسليح بأكثر من مليون جنيه ! .

ولم يحتمل نظام السادات الرقابة الادارية التي فضحت طبيعة النظام ، فقام بالغائها . . وتبين أنها أعدت تقارير تمس عدداً من الشخصيات الرسمية ، وكشفت صفقات يسودها طابع الرشوة . . بل السرقة ومنها :

* صفقة اللحوم الفاسدة .

* صفقة السمن الفرنسي الذي وصل فاسداً .

* صفقة اللحوم والجبن التي عقدتها شركة « مالتي ترود » وهي شركة مصرية أجنبية يرأسها أحد رؤساء الوزارات في نظام السادات . .

* رشاوى سجلها مكتب التحقيقات الفيدرالية الامريكية تقاضاها عدد من المسؤولين والوزراء السابقين . .

قد يسخر البعض مما قدمنا من نماذج . . فما تنشره الصحف الاجنبية عن تراكم ثروات أصحاب الملايين من المسؤولين في مصر يفوق الخيال . . ولكن نكتفي ببعض ما تنشره الصحف المصرية ، حتى يكون الشاهد من أهله . .

بقيت إضافة صغيرة على ما نشرته صحف القاهرة في هذا المجال . . فصحيفة « الاهرام » قالت :

« المدنية الحرة ، صنعت في وقت قصير عدداً من اصحاب الملايين من غير المصريين . . »

ما معنى ذلك ؟

معناه ببساطة ، أن طبقة شرهة الى المال باعت مصر وفتحت أبوابها للنهب الداخلي والخارجي . .

الانسان الذي يلقي على زعيم شعبي قنبلة ليقتله . . لن يتردد عن اغتيال الشعب نفسه . .

قام السادات بأكثر من محاولة لاغتيال الزعيم الشعبي مصطفى النحاس . .

وعندما حقق الانقلاب العسكري بعد توليه السلطة بدأ في اغتيال الشعب المصري . .

مرغ كرامة الشعب ، وأهدر كفاحه عندما ذهب مستسلمًا الى تل أبيب يقدم التحية الى قتلة وأعداء الشعب . .

وباع الوطن بالقروض والعمولات للولايات المتحدة ، الدولة السفاحة . . التي قتلت مليوناً من الاطفال والنساء والشباب في فيتنام . . وصنعت أبشع نظام إرهابي في ايران تحت حكم الشاه . . وسلحت العصابات الحاكمة العسكرية في نيكاراجوا . . وأمدت اسرائيل بقنابل النابالم التي قصفت بها أطفال بحر البقر . . .

**استسلام . . وتسليم**

لم تكن معاهدة الخيانة مجرد استسلام . . بل كانت في الواقع تسليمًا لكل مقدرات الشعب في مصر ، للصهيونية والعدو الامريكي . .

فلم يكن تحقيق الإنجازات التي تمت خلال حكم عبد الناصر ، مجرد تجسيد للارادة الوطنية ، بل كانت خطوة نحو انتقال مصر والانسان المصري من مجتمع الزراعة المتخلف الى مرحلة التصنيع . . أي خلق الانسان الجديد . . الانسان العامل . .

انتزعت مصر من الدول الاستعمارية حقها في إصدار القرار السياسي . . وحققت بذلك استقلالها الفعلي عندما أقامت السد العالي . .

كان ذلك بداية مرحلة جديدة . . سواء في انتقال الفلاح المصري من الزراعة البدائية الى مرحلة الزراعة الآلية . . أو كهربة مصر كنواة للتصنيع . . واقامت صناعة الحديد والصلب . . والالومينوم . . وصناعة السيارات . . وعشرات من المصانع التي ضمت فئات متعددة من المهندسين والكيمائيين والعلماء والعمال . .

وجاء السادات يسلم كل هذا البناء للعدو الامريكي والصهيوني . . وتدفقت ادوات اللهو الاستعماري ، والمؤسسات الاستهلاكية لتستغل الكهرباء للنهب الاستعماري بدل أن تكون قوة محركة للصناعة الحقيقية . .

وأصبحت قوالب الألومنيوم الخام تصدر الى المصانع في الخارج بدل من

تصنيعها في مصر . . . كما كان يحدث للقطن في أيام الاستعمار البريطاني .

وفي عدد « الاهرام الاقتصادي » الصادر في 11 مايو 1981 نقرأ . .

**« تصدرت قوالب الالومينوم قائمة الصادرات التي قامت بتصديرها خلال شهر مارس الماضي . . وأوضحت الغرفة التجارية بالقاهرة أن عدد شهادات المنشأ التي أصدرتها خلال ذلك الشهر بلغت 282 شهادة بزيادة 27 شهادة عن شهر فبراير الماضي . . وأوضحت انه رغم زيادة عدد الشهادات الا أن القيمة الاجمالية للصادرات إنخفضت بنسبة تصل الى 13% عن شهر فبراير . . »**

ومعنى ذلك ببساطة أن مصر تخسر مرتين . .

الاولى : بتصدير قوالب الالومنيوم بدل تصنيعها في مصر . .

الثانية : أن سعر قوالب الالومنيوم كمادة خام يهبط ، كما هو الحال لكل المواد الخام التي تصدر من العالم الثالث لتعود مصنعة بأضعاف أضعاف سعرها . .

كان مصنع أو مجمع الحديد والصلب في حلوان يقدم المواد الخام لصنع آلات ومعدات تصنيع قوالب الالومينوم . .

ولكن في ظل الحكم المظلم تحول مجمع الحديد والصلب الى مجموعة من الآلات الخردة ـ كما نشرت صحيفة الاهرام ـ ويتم تصدير خام الالومينوم . .

وتعود مصر الى الوراء . . ويهدم المقاولون والطفيليون الصناعة ليقيموا العمارات الضخمة وليحولوا الانسان المصري من جديد الى « فعله » بدل أن ينخرط في موكب الصناعة العالمي . .

الحلف الخبيث

لم يكن في استطاعة الرجعية العربية وحدها مقاومة المد الشعبي الذي نشأ من تطور حركة التحرير الوطني في مصر . . ونشأ التحالف الاستعماري الرجعي لدفع مصر الى منطقة التخلف . . ولتعيش مصر على الموارد الطفيلية كما يعيش الوطن العربي . . لقد استمرأ شيوخ البترول الحصول على الثروة من الارض دون جهد

يبذل ، ودون جهد حقيقي لتطور الحياة ، أو إقامة الصناعات الضرورية . . وارادوا لمصر أن تتخلى عن طريق الانتاج والتنمية وتندرج في المجتمع الاستهلاكي المتخلف . .

وتدفقت البنوك العربية والاجنبية على مصر . . وأقيمت مدن السياحة . . وشقوا لها الطرق العلوية والسفلية والعمارات السكنية الفخمة . . بينما تدهورت الصناعة في مصر . .

ووفقاً لتقارير وزارة الصناعة المصرية نفسها ، تعاني بعض المنتجات في الصناعة من صعوبات التصدير في الاسواق المحلية بسبب منافسة مثيلاتها الاجنبية . مثل الكابلات الكهربائية واطارات السيارات وأنابيب الصلب ولوازمها ، وصناديق الورق المقوي ( الكرتون ) والفورمايكا والخشب المعاكس ( الابلجاج ) ومعدات الغزل ومواد الصباغة والمراجل البخارية ومنتجات الحرير الصناعي ومنتجات التريكو والملابس الجاهزة وأسلاك اللحام . .

كما كشفت تقارير وزارة الصناعة المصرية أيضاً عن أن مستلزمات الانتاج المستوردة من الخارج لحساب القطاع العام تفرض عليها رسوم جمركية عالية تزيد في بعض الحالات عن الرسوم المفروضة على الانتاج المثيل المستورد . .

وكان اللورد كرومر ممثل الاستعمار البريطاني في مصر ، قد فعل نفس الشيء في بداية الاستعمار القديم ففرض رسوم جمركية على انتاج المنتوجات المحلية مما أدى الى ضمورها أمام الانتاج المستورد . .

وكما قالت مجلة « لوموند دبلوماتيك » الفرنسية ، فان سياسة «الانفتاح» ادت الى حدوث ركود في الفروع التقليدية من الصناعة المصرية . ووجب على كثير من المؤسسات الصغيرة أن تغلق أبوابها ، فتعرض العمال المؤهلون للبطالة وأضطروا الى الهجرة وتدهور أكثر فاكثر وضع القطاع العام . .

وفي تحقيق صحفي نشرته مجلة « الوطن العربي » نجد خريجي كليات العلوم والهندسة المصرية يبيعون الصحف في فيينا . .

وفي حوار بين محررة « أخبار اليوم » القاهرية ، وجمال الناظر رئيس هيئة الاستثمار سألت المحررة . .

« لماذا نعتمد على الخبراء الاجانب ، ونغدق عليهم مرتبات مرتفعة ؟

وجاء في رد جمال الناظر . .

« ـ القطاع العام يتعاقد مع الخبير الاجنبي ويحرم المصري » . .

وهكذا عادت مصر الى منطقة التخلف . . وأصبحت تتعامل مع ابنائها كما يتعامل شيوخ البترول مع شعوبهم . . فالخبراء الاجانب لهم الاولوية بمرتبات باهظة . . والتنمية تقوم على توفير الراحة للوافدين الاجانب . . بينما يعاني الشعب من الفاقة والبطالة . .

وكما قال اسماعيل صبري وزير التخطيط السابق . .

**« إن سياسة الانفتاح تعني العودة الى الرأسمالية ـ مجتمع الرفاهية بالنسبة لحفنة من الموسرين ، والفاقة المتناهية بالنسبة لملايين المصريين . العودة الى ترميم النفوذ الامبريالي في البلاد . .**

. . إن ترميم النفوذ الامبريالي في الوطن العربي يقوم أساساً على اموال البترول والقوة العسكرية الصهيونية والدعم الامريكي .

**هذا التحالف المشؤوم**

قال مواطن عربي بسيط . . « حقاً إن مصر أم الدنيا كما يقولون . . فاذا اتجهت مصر صوب الاشتراكية جذبت الوطن العربي معها ، واذا اتجهت نحو الرأسمالية اندفع العالم العربي خلفها . . »

ولم يكن التامر ضد مصر اعتباطاً . . سواء من الصهيونية أو الرجعية العربية او الولايات المتحدة . .

وكتبت صحيفة « هاارتس » الاسرائيلية . .

**« إن التدخل الامريكي المتزايد في الشرق الاوسط ، بدءاً بالمرحلة التي أعقبت حرب أكتوبر ، ووصولاً الى ذروته في اجتماعات كامب ديفيد وبعدها ، يشير الى تمهيد الطريق الى امكانيات تحقيق استراتيجية جديدة في الشرق الاوسط . . ويكمن الهدف الاساسي لهذه الاستراتيجية في إقامة تحالف إقليمي ذات مكونات وغايات تختلف عما كان عليه الامر**

في الخمسينات . . ويمكن أن يكون أعضاء هذا التحالف هي الدول ذات التوجه الامريكي في الشرق الاوسط .

أما الهدف من هذا التحالف المشؤوم ، فهو الابقاء على التخلف الذي يعيشه الشعب العربي . . . يعيش مقيداً بالصحراء ولا يخرج الى دور الحضارة الصناعي . . . ففي كتاب « عندما يجيء السلام سنكون مستعدين » وصدر في اسرائيل . . . نقرأ :

« . . وسيكون أحد الاهداف المهمة من سياسة الدول المنتجة للنفط استصلاح الصحراء ، والبحث في وسائل فنية جديدة للري وتحلية مياه البحر وتحسين تربة الصحراء . وقد تصبح القاهرة عاصمة لسلط الصحراء للاسرائيليين وستكون رئاسة المنظمات المتعلقة بجامعة الصحراء ، وزراعة الصحراء ، والانسان في الصحراء ، وستقام جامعات الصحراء في سوريا ، العراق ، الكويت ، السعودية ، واليمن ومصر واسرائيل . . »

لم يعد خافياً أن الاستعمار الامريكي يرسم ويخطط كما فعل الاستعمار القديم . . فهو يخطط لفترة محددة ويدرك أن نهايته قريبة ، قد تمتد مع التفاؤل الى نهاية النفط في الوطن العربي والذي يحدد حالياً بـ 30 عاماً . . وبعد ذلك يترك المنطقة خاوية من البترول ومعدمة من مصادر الحياة . . فكما شاهدنا انهيار الاستعمار القديم ، لم تجد المستعمرات من شركات الكهرباء والمواصلات والمياه الا بعض الاجهزة الخردة . .

. . ومن المثير حقاً أن تتعلق الحكومات العربية بالولايات المتحدة في اللحظة التي ينهار فيها نظام الشاه . . وسموزا وأمثالها من فقاعات الزمن !

العدو الاشرس

لم تكن اسرائيل بالعدو الذي لا يقهر . . كاد يزول عام 1948 لولا الهدنة وتدفق المساعدات والمعونات . . وانهار في حرب 73 لولا التدخل الامريكي . .

ان الولايات المتحدة كما أثبتت الاحداث والتطورات هي العدو الحقيقي والاشرس ولم تكن اسرائيل الا أداة لقهر الارادة العربية . .

ولم يكن غريباً أن نرى نفس العائلات التي رحبت بالاستعمار البريطاني وقدمت لقادته الهدايا كعائلة سلطان وأباظة وبطرس غالي ، تظهر من جديد في ظل الغزو الامريكي تدعو له وترحب به . . ولم تكن هذه العناصر الارموزا لطبقات خانت الشعب خلال مسيرته ، واندمجت في الشركات الاحتكارية والصهيونية . . وأصبحت جزءاً منه . .

ونفس الشيء نجده في كل أقطار الوطن العربي . . العناصر التي نصبها الاستعمار البريطاني ومنحها العزب والأطيان وملكها آبار البترول وساهمت معه في نهب وإفقار الشعب العربي ، هي نفسها التي تقود مسيرة الاستسلام الجديدة . .

وفي الوقت الذي تدعي فيه هذه الانظمة محاربة الصهيونية ، نجدها تشتري السلاح من الولايات المتحدة التي أعلنت أكثر من مرة أنها لن تسمح بالقضاء على اسرائيل !

في الوقت الذي تدعي فيه مقاومة الاستعمار نجدها تفتح أبواب الوطن العربي للافاقين الاجانب والمحتالين من كل جنس !

وفي الوقت الذي تشكو فيه من الاستغلال الاستعماري ، تساهم بفوائض القروض في دعم هذا النظام !

ولعل هذا يكشف لنا حقيقة « الاحلاف العسكرية » « قوات التدخل السريع » .

إن الولايات المتحدة تدرك أن الشعب في مصر لن يقف صامتاً أمام الغزو الجديد . . ففي الوقت الذي كان السادات يوقع مع بيغن « المعاهدة المشؤومة » كانت الولايات المتحدة توقع اتفاقية ثانية مع اسرائيل تعد فيها بحماية المعاهدة واتخاذ الاجراءات السريعة والعاجلة لمعالجة الموقف . .

وازداد حجم التورط الامريكي في الشرق الاوسط لحماية أنظمة القهر . . وتقرر إنشاء قاعدة عسكرية في منطقة رأس باياناس على البحر الأحمر . . يقوم الامريكيون باعدادها لانفسهم مستعينين بشركات « القطاع الخاص » . .

الفصل الثاني

# «ثورة يوليو» والردة

إن الثورة لم تحدث ليلة 23 يوليو . . إن الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش الى مكانه الطبيعي تحت قيادة الشعب وفي خدمة أمانيه . . ان الجيش في تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبي ومن ثم فتح الطريق أمام ارادة التغيير . . »

**جمال عبد الناصر**

# «ثورة يوليو» والردة

.. هل الناصرية تعبير عن حكم العسكر؟ وهل كان العسكريون هم حملة لواء الناصرية ؟ اسئلة كثيرة ترددت في محاولة لبحث حالة السادات ..

ولا شك أن مشكلة القيادات العسكرية لثورات التحرر هي إحدى مشاكل العالم الثالث .. التي تدرجت من مستوى نفر في الجيش كما هو الحال في ظهور « موبوتو» و « بوكاسا » .. الى أعلى الرتب عندما تولت « اللواءات » قيادة الانقلابات كما شاهدنا في أمريكا اللاتينية وآسيا .. الى انقلابات وثورات « البكباشية » أي « المقدم » ..

فالى أي مدى يمكن أن يحكم على الناصرية بانها انقلاب عسكري أم ثورة وطنية ! ؟

**ما هي الناصرية ؟**

لم تكن الناصرية مذهبا .. ولم تملك نظرية أو تقدم نظرية جديدة ، لحركات التحرر الوطني .. ولكنها في الحقيقة كانت ممارسة تولد عنها مجموعة من الافكار السياسية .. والنتائج العملية .

وفي هذا الاطار تأخذ الناصرية مكانها من تاريخ مصر ، ودورها في تاريخ القومية العربية ، وحركة الثورة العالمية ..

وعلى هذا الاساس لا يمكن القول بأن الضباط الذين تحركوا ليلة 23 يوليو ، هم الذين صنعوا أو حققوا ما تحقق من انجازات خلال مرحلة حكم عبد الناصر ... كانوا امتداداً لحركة وطنية ممدودة الجذور منذ بداية القرن الماضي حتى عام 1952 ..

ومنذ عام 1952 ، استطاعت الناصرية ان تحقق كثيراً من المطالب الوطنية

والقومية التي نادت بها الجماهير وضحت بالدماء في سبيلها . . و . على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي . .

وكما يقول الكاتب والمؤرخ طارق البشري في كتابه « الديموقراطية والناصرية » : « . . وعبد الناصر عندما أمم قناة السويس ، وقاوم العدوان الثلاثي عام 1956 لم يكتشف هدفاً خافياً ولا ابتدع سياسة غابت عن الوطنيين غيره ، أو الوطنيين قبله ، وذلك لا يخل بضخامة ما وضع ، فالممارسة أصعب المراحل واحسمها أثراً . . »

. . واذا كانت هذه هي النظرة الى موقف عبد الناصر من إحدى المشاكل الوطنية . . فان الموقف من القومية العربية لم يكن بعيداً عن هذا التصور . .

فلم تكن القومية العربية من بنات أفكار عبد الناصر بل هي امتداد طولي وعرضي لحركة الجماهير والمثقفين العرب في كل أنحاء الوطن العربي وفي داخل مصر . . ولكن عبد الناصر أعطاها عملية وفاعلية من خلال الصراع ضد الاستعمار . ومن خلال البنيان الاقتصادي . .

. . وهكذا يتضح لنا أن العنصر العسكري الذي ساهم في الناصرية ، كان عنصراً من عناصر الحركة الوطنية ، ولم يكن هو وحده الحركة الوطنية . . ولم تكن جذور عبد الناصر أو الناصرية جذوراً عسكرية بقدر ما كانت جذوراً وطنية تعبر عن أماني ورغبات وتطلعات طبقات وفئات جماهيرية واسعة . . وهذا لا ينفي أن عبد الناصر كان عسكرياً . .

**الجيش والثورة . .**

اذا قلنا أن العناصر الوطنية في الجيش كانت رافداً من روافد الحركة الوطنية . . وليست هي الحركة الوطنية . .

اذن ما هو دور الجيش في ثورة 23 يوليو ؟

عندما قامت ثورة يوليو . . فوجىء كثير من السياسيين والمحللين ، بان الجيش قام بثورة وليس انقلاباً ، بدأت التحليلات والتنظيرات ، سواء من اليمين أو من اليسار تحاول ان تحلل الطبيعة الطبقية للجيش . . كما تحاول أن تجعل من الجيش المؤسسة الاكثر عصرية في المجتمعات المتخلفة . . كما قامت بتصنيف لجيوش بلدان

العالم الثالث ، الى جيوش غير استعمارية ، وجيوش استعمارية سابقة ، وجيوش تتشكل أثناء الحروب الوطنية أو بعد تأسيس الدول الوطنية . .

ونسي هؤلاء جميعاً ، أن الجيش ليس سوى مؤسسة خاضعة لنظام الحكم القائم . . يحكمها اتجاه الدولة في مسيرته . . سواء الى اليمين أو الى اليسار . . وأن نظام الحكم ـ أي الدولة ـ يخضع لتأثير القوى الاقتصادية والاجتماعية الاكثر قوة وفعالة .

وكما لمسنا في مسيرة حركة التحرر العالمي ، نجد جيوشاً نشأت بصورة متحررة قبل أن تخضع دولها للسيطرة الاستعمارية ، ومع ذلك دعمت هذه الجيوش السيطرة الاستعمارية . .

كما ان جيوشاً نشأت أثناء حروب التحرر الوطنية . . ومع ذلك قادت الانقلابات العسكرية الاستعمارية ضد الدولة الوطنية . . وضد شعوبها . .

وهذا يؤكد لنا أن أي محاولة لتحليل القوى الاجتماعية للجيش هي محاولة « تبريرية » ، أو كما يقال « ذرائعية » . .

فماذا حدث في مصر ؟

وكيف تحرك الجيش ضد الدولة ؟

. . . لم تكن ثورة 23 يوليو . . أو حركة الجيش مفاجأة لاحد . . بل لعل كثيرين تنبأوا بها قبل قيامها . .

ففي يوم « حريق القاهرة » الذي اشعلته القوى الاستعمارية والرجعية ، لوقف حركة المقاومة ضد الانكليز . . عاشت مصر ساعات طويلة بدون سلطة حاكمة . .

ولم يكن حريق القاهرة مجرد انتكاسة للحركة الشعبية في طريقها للتحرر ، بل كان دلالة حقيقية على انهيار نظام الحكم . . وتمثل انهيار النظام في انهيار أعمدته التي كان يستند اليها . . حزب الوفد . . والبوليس . . والجيش . .

سقط الوفد عندما أعلن الاحكام العرفية . . أما البوليس فكان قد بدأ تمرده بالاضراب الكبير . . ثم انضم الى الجماهير في مظاهرات يوم الحريق . . ولم يكن

الجيش أفضل حالاً في ولائه لنظام الحكم ، منذ عودته بعد هزيمة 1848 . . وفضيحة الاسلحة الفاسدة . . ومنح الرتب العسكرية لخدم الملك وشقيقاته !

فلم يتحرك الجيش . . أو بمعنى أدق ، بعض فرق الجيش ضد الدولة ، الا عندما انهار النظام . . ولم تعد هناك دولة يتبعها هذا الجيش . . فلم تكن هناك سلطة حاكمة بعد أن تفسخت الطبقات الحاكمة . . فقفز الجيش الى الحكم . .

كان وصول الجيش الى السلطة نتيجة حتمية أو طبيعية للضربات المتتالية التي وجهتها القوى الشعبية والوطنية الى نظام الحكم ، فعملت على تقويضه وانهياره . .

كما كانت حركة الجيش نتيجة لمحصلة العوامل والتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في مصر منذ المقاومة ضد الاحتلال البريطاني . . الى قيام الحزب الوطني . . الى صراع حزب الوفد ضد الملك والانكليز . . واضرابات العمال والطلبة خلال ثورة 1919 ، وبعدها الى قيام اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة عام 1946 ثم النضال الوطني المستمر . .

وكما قال عبد الناصر نفسه :

**« . . ان الثورة لم تحدث ليلة 23 يوليو . . إن الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش الى مكانه الطبيعي تحت قيادة الشعب وفي خدمة أمانيه . . إن الجيش في تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبي ومن ثم فتح الطريق أمام ارادة التغيير . . » .**

**الطبقة الجديدة**

في ظل الاوضاع المهترئه . . وعجز الطبقات الحاكمة عن حل مشاكل الجماهير . . أو إدراك المتغيرات الدولية والعالمية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حمل المثقفون الذين عانوا من البطالة وانحدار حياتهم ، الفكر الجديد . . وبشروا به . . وشكلوا التنظيمات لقيادة الجماهير . . ولكن الجيش كان أكثر تنظيمًا وأقوى فاعلية بما يملك من سلاح وتنظيم وعلاقات فانفرد بالحكم . .

واستمد النظام السياسي من الشكل العسكري وجوده . . وكما يقول الكاتب السياسي طارق البشري في كتابه « الديموقراطية الناصرية » : **« . . وللجيش أسلوب معروف في بنائه وتنظيمه يعتمد على الضبط والربط والخضوع القاسي**

والحركة المنبثقة من أعلى ويتكون على خط هرمي . . » .

وكان طبيعياً مع هذا الشكل أن تندمج السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في يد واحدة . . ونشأ عن هذا الوضع عدد من مراكز القوى . . بعضها كان ذا ولاء حقيقي للثورة وتطلعات الشعب . . والبعض الاخر كان يناصبها العداء ، وان تظاهر بالولاء !

إن ثورة يوليو ، لم تحاول تغيير النظام بل نحت العناصر الحاكمة العاجزة عن ادارة الحكم في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة سواء في الداخل أو على النطاق العالمي . . وكما قيل : « ليس من الدقة القول بأن الجيش يملأ الفراغ ومن الافضل القول بانه يفتح طريقاً محجوزاً بالقوة . . »

وأيضاً قيل : « . . في حين أن الحكام التقليديين عاجزون عن الاستمرار في السلطة والطبقة الوسطى أضعف من أن تمسك بها . والعمال لم ينضجوا بعد لتحقيق هذا الهدف ، لا توجد قوة غير العسكريين قادرة على ملء هذا الفراغ . . »

وكانت غالبية الضباط من أبناء صغار الفلاحين وسكان المدن ومن سلالة الاقطاعيين أو كبار الملاك . . وهكذا لقاؤهم مع المفكرين الثوريين . . فكلاهما واجه التدهور والانحدار الى هاوية الفقر . . وهؤلاء بطبيعتهم يتوقون الى تجديد ثراء عائلاتهم القديمة اذا كانوا من سلالة الاقطاعيين أو يتطلعون الى المساواة بكبار الملاك اذا كانوا من صغار الفلاحين . . أو الانتقال من سكنى « الحواري » الى أحياء الاغنياء اذا كانوا من سكان المدن . . وكما تقول النظريات الاشتراكية عن هذه الطبقة التي يطلق عليها « البرجوازية الصغيرة » . .

« . . اما انها تبغي أن تعيد وسائل الانتاج والتبادل القديمة وتوطدها من جديد وتعيد معها علاقات الملكية القديمة ، والمجتمع القديم ، واما أنها تبغي أن تحصر بالقوة وسائل الانتاج والتبادل الحديث في نطاق الملكية القديمة ، هذا النطاق الضيق الذي حطمته ، وكان لا بد أن تحطمه حتماً هذه الوسائل الحديثة نفسها . . » .

. . ولما كانت الطبقة فقيرة الى وسائل الانتاج أو المال ، فانها لجأت الى الرجعية القديمة لتحقيق تطلعاتها عن طريق الوساطة والرشوة . . كما أنضمت اليها

فئات من المثقفين الانتهازيين وانحازوا الى القوى المضادة للشعب . .

## الرجعية القديمة

تلاقت الرجعية القديمة مع الطبقة الجديدة . . كانت الرجعية القديمة قد فقدت مقومات وجودها منذ زمن طويل ، منذ سقوطها في وهدة الانحلال والتفسخ ، وباعت الارض للاجانب الذين تدفقوا على مصر في عهد سعيد باشا ، والخديوي اسماعيل . . وأدى التجاء اسماعيل باشا الى القروض الى نهب ثروة مصر والتدخل الاجنبي وتعيين وزيرين أجنبيين في الحكومة المصرية .

وفي نفس الوقت الذي عرفت مصر حفلات الرقص الغربي . . وانساق الامراء والباشاوات وراء « الخديو » يقلدونه . . قصور وولائم . . وخمور من واردات اوروبا وعشيقات مستوردات . . ومجوهرات ، كان الشعب يعاني الموت جوعاً . . ويصفون المجاعة التي حدثت في ذلك الوقت :

**« . . وانتابت أهل الصعيد قاطبة سنة شديدة ، لم يسمع بمثلها منذ اجيال مضت . . فكنت ترى الاطفال والنساء هائمين على وجوههم ، متنقلين من قرية الى قرية يستجدون الاكف ليدرأوا غائلة الجوع ، وكثيراً ما حملتهم شدة المسغبة على أن يقتاتوا بفضلات الطرق . . وقمامة الشوارع . . » .**

واشتعلت الثورة العرابية التي كادت أن تطيح بالاسرة الحاكمة ، والباشوات لولا التدخل الاجنبي الذي جاء يسندهم ، وأعاد سيطرة هؤلاء الملاكين من جديد . .

كان واضحاً أن الزراعة لم تعد تكفي ، وحاولت مصر أن تدخل مرحلة الصناعة ، فوقف الاقطاع والاستعمار عقبة في طريق التصنيع . .

وعلى الرغم من محاولات التصنيع التي بدأها بنك مصر ، الا أنها ظلت قاصرة في الحدود التي أرادها الاستعمار . . بل لجأ الاستعمار الى الالتفاف حول هذه الصناعات ليسهم برؤوس أمواله ويحول الارباح الى الخارج . .

إن سقوط الاستعمار القديم الذي كانت تستند اليه القوى الاقطاعية والرأسمالية المحلية ، جعلها تبحث عن حليف جديد . . فنادى اتحاد الصناعات بالقروض الامريكية . . كما حاولت انعاش بعض عناصر البرجوازية الصغيرة .

وبدأ التحالف المشؤوم . .

**أين الناصرية ؟**

عندما نقول ، أن الناصرية كانت أسلوباً ومنهج عمل لحركة التحرر الوطني في مصر . . فهذا يعني ما حققته الناصرية من انجازات أو انتصارات في معركة التحرر . سواء في تحرير مصر سياسياً أو سيرها نحو التحرر الاقتصادي . . وكذلك دورها في المعركة القومية على مستوى الوطن العربي . . ثم اتجاهها في طريق الاشتراكية . .

« الناصرية » في تطورها وممارستها للتحرر الوطني ، هي التي حققت التأميم في مصر . .

وكان تأميم قناة السويس هدف كل القوى الوطنية . . ونادى به الحزب الشيوعي المصري عام 1922 في برنامجه . . ومنذ الشهور الاولى لحركة يوليو تكون مكتب لقناة السويس كان مقره مجلس الشيوخ وتابع لرئاسة مجلس الوزراء ، عمل به الدكتور مصطفى الحفناوي الذي وضع مؤلفات عن القناة وطالب بتأميمها . . وفي نوفمبر 1952 أي بعد ثلاثة أشهر من قيام الثورة ألقى محاضرة في نادي الجيش عن القناة وطالب بتأميمها . .

ثم دعم هذا المكتب وصدر به قرار جمهوري في نوفمبر 1954 ، وتولى رئاسته الدكتور حلمي بهجت بدوي والدكتور محسن شفيق . . وأصبح اختصاصه دراسة شؤون القناة واعداد أبحاث حول احتمال تأميمها . .

وهكذا نرى أن العناصر المدنية من المثقفين المصريين هي التي مهدت لتأميم القناة . . وهي التي وضعت الخطط . . وحمل عبد الناصر والعناصر الوطنية في الجيش عبء التنفيذ .

فكان أول عمل في طريق التحرر الاقتصادي ، منبثقاً من رغبة وطنية عارمة . . ومن جهد وطني . . ولم يكن مغامرة عسكرية . . أو فكرة طارئة . . أو رد فعل على التحدي الامريكي . .

فاذا تحدثنا عن « الناصرية » . . فانما نعني هذا الجيش الذي خاض ثلاث حروب في ظروف عالمية وداخلية دقيقة وصعبة . . وحقق في حرب 73 إحدى

معجزات الحروب الحديثة . .

فترة السيطرة الاستعمارية . .

ثم تأتي عملية التصنيع . .

كان أبرز ما تحقق في المرحلة الناصرية هو تغيير البناء الاجتماعي في مصر . . فقد اتاحت الصناعة التي اقيمت ، تدفق الفلاحين نحو المصانع مما أدى الى تطور كبير في الحياة الاجتماعية بانتقال مصر من مرحلة الزراعة المفروضة عليها ، الى مرحلة التصنيع التي دعمت الطبقة العاملة . . كما وكيفا . . فازداد تعداد العمال وازداد الوعي وانطلقت قوى اجتماعية جديدة أثرت الارض العربية بجهدها وعرقها وخبرتها . .

وكان هذا هو مضمون الناصرية . فعندما وجهت الصهيونية والامبريالية جيوشها ضد مصر . . كانت تضمر الحقد لانتزاع مصر من بركة الرأسمالية الآسنة العفنة . . وانتزاعها من براثن الاحتكارات والشركات الصهيونية والامبريالية . .

ولا جدال ، أن الجيش عندما فتح الطريق أمام الشعب أدى الى تدفق الطاقات والامكانيات الكامنة في الجماهير ، كما أن العناصر الوطنية التي خرجت من الجيش وعملت مع قوى الشعب العامل أثرت عملية البناء . .

وفي ظل الناصرية قفزت فكرة القومية العربية من مجرد نظريات الى تجارب واقعية وممارسة فعلية . .

وبدأت أول خطوات التلاحم الشعبي بين الاقطار العربية في مساندة مصر في كفاحها . . أو التجاوب مع ثورة العراق . . والتأييد المادي والمعنوي لثورة الجزائر . . والتصدي لقوى الامبريالية والرجعية العربية في اليمن . .

وانبثقت من جديد حركة المقاومة الفلسطينية . .

ولم تكن القومية العربية من بنات أفكار « الضباط الاحرار » ولم تكن منبثقة من « مجلس قيادة الثورة » . . ولكنها وجدت في الناصرية الدعم والتأييد والقدرة على الممارسة الفعلية . .

فكانت القاهرة مركز تلاقي كل القوى الثورية العربية . كما أدت خطوات

التصنيع الى تعميق معنى القومية العربية بمحاولات التكامل الاقتصادي . . ووحدة العمل السياسي وظهور القيادات العسكرية المشتركة . .

وعلى ضفاف قناة السويس امتزجت الدماء العربية في نضالها ضد الصهيونية والامبريالية العالمية . .

لم تكن هذه الانتصارات من صنع تنظيم « الضباط الاحرار » ، الذي سرعان ما تحلل وتبعثر أفراده بين التشرد أو المناصب . .

ولم تكن هذه الانتصارات من صنع مجلس قيادة الثورة الذي وصفه احمد حمروش بقوله :

« كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف » . .

. . بل إن بعض أفراد « مجلس قيادة الثورة » كانوا في تناقض حقيقي مع اتجاهات التحرر . .

- سقط اولهم منهاراً أمام عدوان 56 . .

- وقفت مجموعة « الصامتين » في عداء صريح لاتجاهات الثورة نحو الاشتراكية .

- انسحب عدد من القيادة بعد قرارات التأميم . .

- عارض عدد منهم موقف التصدي لامريكا . .

وهكذا نرى أن « الناصرية » لم تكن تنظيم «الضباط الأحرار» ولم تكن « مجلس قيادة الثورة » ، ولكنها كانت حركة الشعب في طريق التحرر . . وكما أعلن عبد الناصر :

« . . ان الشعب المعلم أراد لطلائعه الثورية أن تنضم الى صفوف العمل الجماهيري وأوكل الى جيشه الوطني حماية عملية البناء . . »

وكانت « الناصرية » هي المرحلة التي انطلقت فيها الجماهير تحقق أمانيها وأهدافها ، بعد أن « فتح الجيش الطريق المحجوز بالقوة » . . وتحقق الاستقلال السياسي . . وبدأت مرحلة التصنيع والتحرر الاقتصادي . .

.. انطلقت الجماهير .. والمجابهة مع الاستعمار والقوى الرجعية لم تتوقف .. وفي ظل هذا الصراع حققت كثير من عناصر الجيش تطلعاتها الطبقية كما أنضمت اليها فئات من المثقفين الانتهازيين وانحازوا الى جانب القوى المضادة للشعب .. ولكن قوة الحركة الوطنية ووجود قيادة عبد الناصر ، استطاعا أن يشلا حركة القوى المضادة ..

فعندما يعلن الزعيم الوطني جواهرلال نهرو خلال زيارته للقاهرة عام 1955 « .. ان انتصار مصر في معركة الاحلاف انتصار للهند ايضاً .. »

لم يكن يجامل عبد الناصر ، بقدر ما كان يعبر عن قدرة الثورة الوطنية في مصر .. ومدى انتصارها .. ودورها في حركة التحرر العالمي ..

ان انتصار مصر في تأميم قناة السويس أعاد الثقة الى حركات التحرر بعد انتكاسة تأميم البترول في ايران .. كما أكدت معركة الاحلاف قدرة الشعب الصغير على التصدي للقوى الامبريالية العالمية ..

ورغم الخيانة والانتكاسات التي حدثت في مصر .. فان ثورة التحرير العالمية ما زالت ماضية في طريقها .. وما زال البناء الذي أقامته « الناصرية » يتصدى ويتحدى للغزو الامبريالي ، سواء في دعائمه البشرية التي انطلقت في تلك المرحلة .. أو في الركائز الاقتصادية التي أقيمت .. أو ما حدث من تطور ثقافي واجتماعي ..

**المؤامرة ضد الجيش**

وكان أحد البنود الهامة التي جاءت ضمن مبادي ثورة 23 يوليو البند الخامس :

**« في مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهة الداخلية المتحفزة للثورة كان الهدف الخامس هو إقامة جيش وطني قوي .. »**

وطلع علينا السادات في محاولة تبرير زيارته المشؤومة لاسرائيل ، بخطاب يعلن فيه :

**« .. ضحينا بقوتنا ولا نزال نضحي لكي نشتري السلاح المتطور ونحن**

**أحوج ما نكون لكل مورد مهما صغرت قيمته . . » .**

ثم جاء في خطاب :

**« . . ماذا أقول لشعبي الذي تحمل عن الأمة العربية من المحيط الى الخليج أثقل أعباء البذل والعطاء ، حتى التضحية بالقوت . . ! »**

ولم تمض شهور حتى بدأت صفقات السلاح من الولايات المتحدة وانكلترا . . وحشد القوات المصرية على الحدود الليبية . وأرسل السلاح والجنود الى زامبيا . . ثم أعلن متفاخراً أنه يزود رجال القبائل والاقطاعيين ضد افغانستان بالسلاح . .

بدأ السادات مؤامراته ضد الجيش المصري ، منذ أن أعلن « تنوع مصادر السلاح » . فكان معنى ذلك العودة الى شركات السلاح العالمية . . أي العودة الى أسواق السلاح الفاسد [1] . . والصفقات المريبة والرشاوي . .

وكان الهدف الثاني من « تنوع مصادر السلاح التخلص من العسكريين المدربين على السلاح السوفيتي تمهيداً لتحديد حجم الجيش . .

فهل كان هذا الهدف نابعاً من السيادة الوطنية . . أم تحقيقاً لرغبات الامبريالية العالمية . . ؟

كان تخفيض نفقات الدفاع أحد مطالب البنك الدولي الخاضع للسيطرة الامريكية . . واشارت مجلة « الايكونومست » البريطانية ، بقولها : **« أنه لا أمل في تحسين المسار الاقتصادي في مصر ، الا بتخفيض نفقات الدفاع . . »**

وكان الهدف من تخفيض نفقات الدفاع ، تحديد حجم الجيش . . ولم يكن هذا مطلباً أمريكياً فحسب . . بل كان هدفاً استعمارياً منذ أنشأ محمد علي جيش مصر الحديث . .

**معاهدة 1848**

. . بعد انتصارات الجيش المصري الباهرة في معركة « نصيبين » ضد

---

(1) ثبت في حرب « العراق - ايران » ان الصواريخ والقنابل التي كانت تلقيها الطائرات والمدفعية الايرانية تسقط دون أن تنفجر . . .

تركيا . . وبعد أن أصبح الطريق الى القسطنطينية مفتوحاً . . وبعد أن استسلم الاسطول العثماني الى الاسطول المصري ، هبت أوروبا بعد أن أقلقها تفوق مصر عسكرياً . . وقررت انكلترا سحق الجيش المصري . . وبدأت تصفية انجازات محمد علي . .

واجتمعت الدول الاوروبية لوضع مصر تحت الوصاية . واتفقت على فرض معاهدة 1948 وكان أهم نصوص المعاهدة . . .

- تقليص الجيش المصري الى 20 الفاً .

- أن يعين الباب العالي كبار الضباط.

ورضخ محمد علي أمام القوة للشرط الاول ، ورفض الشرط الثاني . . أما السادات فقد نفذ الشرطين . .

- وافق على تقليص الجيش المصري . . واصدر قراره بقبول استقالة الضباط . . وسرح عدداً كبيراً . . وأعتقل آخرين . .

- اما بالنسبة للشرط الثاني ، فقد أفرج عن الضباط الموالين لامريكا وأعادهم الى الجيش . . وأبعد غالبية ضباط معركة اكتوبر . . وتولى المناصب الرئيسية الضباط المعروفون بالولاء للولايات المتحدة . .

ظل قيد تحديد الجيش قائمًا منذ معاهدة 1848 ، حتى استطاع الخديو اسماعيل التحرر من هذا القيد ، وحصل من السلطان على موافقة بزيادة عدد الجيش . . ولكن الاستعمار عاد وطلب بتحديد حجم الجيش لتسديد نفقات الديون التي لجأ اليها اسماعيل . . .

ومرة ثانية أطلقت « الثورة العرابية » حرية مصر في تكوين جيشها . ولكن الاستعمار عاد بعد الاحتلال البريطاني ، وشرد ضباط الجيش . . ونزع سلاحه . . وحدد حجمه الى 6 الآف وأغلقت المدارس الحربية عدا واحدة . . وأغلقت ترسانة الاسلحة البحرية ، وعطلت الترسانة البحرية وبيعت السفن الحربية . وتخلص الانكليز من الضباط والجنود الذين اشتركوا في الثورة العرابية بارسالهم الى السودان وهناك تم القضاء عليهم وظل الجيش المصري تحت القيادة البريطانية حتى عقدت معاهدة 36 . . ونصت المعاهدة على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصري

وتزويده بالسلاح . . وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط انتشروا في مختلف الاسلحة ، وكان لهم التوجيه والتدريب . . وقامت ثورة 23 يوليو لتحقق الانطلاقة للجيش .

## الجيش . . والسلاح .

ظل الجيش المصري مقيداً بوجود البعثة العسكرية البريطانية . . تحدد التدريب وتختار نوعية الأسلحة . . ولم يتحرر الجيش المصري الا بعد قيام ثورة يوليو ، وكسر احتكار السلاح . .

وكانت مشكلة السلاح في مصر من أعقد المشاكل . وحاولت حكومة الوفد تحت ضغط الجماهير ، أن تحصل على السلاح من الدول الاشتراكية خلال المقاومة ضد الانكليز عام 1951 . . ولكن الملك أقال الوزارة قبل أن تحقق هدفها . .

وعندما قامت ثورة يوليو لجأت حكومة الثورة الى الولايات المتحدة لتزويدها بالسلاح ، وأرسلت العديد من البعثات والوفود ، ولكن أمريكا ظلت تماطل وتسوف . .

ووقع العدوان الاسرائيلي على غزة ، ولم يكن لدى مصر سوى ست طائرات صالحة للطيران ، وحوالي 30 طائرة جاثمة تفتقر الى قطع الغيار . . اذ كانت بريطانيا قد أوقفت تجهيزها . . وكانت التقديرات تشير الى أن ما لدى مصر من عتاد للدبابات يكفي لقتال أمده ساعة واحدة . . وكان حوالي 60 بالمئة من دباباتنا في حاجة الى تصليحات كبيرة ، والمدفعية في وضع بائس مشابه . ـ لم يكن لدينا ما يكفي حتى من الاسلحة الصغيرة . .

ولجأ عبد الناصر الى الدول الاشتراكية ، وعقد صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا . . وهدد دالاس وزير خارجية أمريكا بايقاف كل المساعدات الامريكية ، وقطع العلاقات الدبلوماسية ومحاصرة مصر ومنع أي سفينة تحمل سلاحاً من الوصول اليها . وجاء رسول من واشنطن يحمل انذاراً . . وكان الرد المصري . .

« لقد فات الاوان . . »

وبدأت أول مرحلة لخلق جيش وطني معد بأحدث الاسلحة . . ولم تهدأ

امريكا وظل هدفها تحطيم هذا الجيش بكل الوسائل . .

فعندما أرادت مصر الحصول على قرض من البنك الدولي لمشروع السد العالي طلب البنك حق الاشراف على ديون مصر الخارجية . . وكان الهدف تقييد حق مصر في شراء المزيد من السلاح . .

ولجأت الدول الاستعمارية الى مؤامرة العدوان عام 1956 لتنزل بالجيش المصري الهزيمة قبل أن يتدرب على السلاح الجديد . .

كل هذه المحاولات فشلت . .

وجاء السادات وبدأ ينفذ المخطط المرسوم وبدل أن يجدد قوى الجيش بعد رائعة انتصارات على خط برليف . . بدأ يعمل على اجهاضه ونزع السلاح والتسليم للولايات المتحدة . .

## الجيش والسوفييت

لكي ندرك مدى خيانة السادات للجيش ، نعود الى أقوال القادة العسكريين المصريين في حرب أكتوبر . . فبعدما أعلن السادات مبدأ « تنوع مصادر السلاح » صرح المشير احمد اسماعيل قائد معركة اكتوبر قبل وفاته قائلاً :

**« . . ان تغيير مصادر سلاح الجيش يتطلب عشرين عاماً على الاقل لتصل القوات العسكرية الى المستوى اللائق للتصدي للعدوان ، فالمسألة ليست تبديل سلاح بسلاح بل تدريباً واستيعاباً وممارسة للسلاح الجديد . . »**

وقال الفريق الشاذلي :

**« . . ان الاتحاد السوفيتي في عشر السنوات الماضية قدم للدول العربية الآف من الدبابات ، وقبل هذا كانت انكلترا مورد السلاح وكانت تمدنا بالعشرات لا بالمئات وانني لا اعتقد أن أمريكا يمكن أن تحل محل موسكو ، كمورد للسلاح لنا . وهذه حقائق نعترف بها . . »**

واعترض كثيرون من العسكريين على تنوع مصادر السلاح فنحاهم السادات من مراكزهم . .

اما الموقف من الخبراء السوفييت . . فكان ضمن الخطة المرسومة لتصفية الجيش . . ولم يكن السادات أول من عمل على التخلص من الخبراء السوفييت العسكريين فقد سبقه الى ذلك الصاغ شمس بدران الذي قام بابعاد العسكريين السوفييت تمهيداً « لمؤامرة النكسة » . .

وجاء السادات الى الحكم ، وافرج عن شمس بدران وسمح له بالهروب الى لندن رغم أنه كان مطلوباً في جرائم التعذيب . .

ثم قام السادات بتنفيذ الخطة . .

كان وجود الخبراء السوفييت العسكريين أشبه بوجود الخبراء الفرنسيين الذين استعان بهم محمد علي لخلق جيش مصر الحديث . . ولا أدل من ذلك شهادة القادة العسكريين المصريين . .

قال حافظ اسماعيل الرجل العسكري ، وأول من عقد صفقات السلاح السوفيتي عام 1955 . .

**« في الفترة ما بين أوائل عام 1957 وحتى عام 1960 ( عندما تركت القوات المسلحة الى السلك الدبلوماسي ) ، كانت القوات المسلحة كلها قد دخلت في مرحلة من أكبر مراحل التطوير بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا . وتم احداث تطورات جديدة فيها جعلتها أكثر قدرة في ميادين القتال . . ونجحنا في إقامة القاعدة الفنية للقوات المسلحة مع تشيكوسلوفاكيا عام 1960 وهي ورش ومؤسسات الاصلاح والصيانة . . وهي أقرب الى الانتاج والتصنيع . . كما أنها تعزز قاعدة انتاج الذخائر . . »**

لقد ظل الجيش المصري محصوراً في عمل التكتيكات التي تنتهي بقتال فرق المشاة أو المدرعة في مراحل الحرب المختلفة وهو المستوى الذي كان يقف عنده الجيش المصري منذ البعثة العسكرية البريطانية . . فلما جاء السوفييت تغير الحال . . ونترك للفريق صلاح الدين الحديدي الكلام :

**« . . عملوا ، أي الخبراء السوفييت ، على توسيع آفاق القاعدة والضباط الى ما هو أعمق من الموضوعات التكتيكية ، وبدأنا نفهم العمليات التعبوية والاستراتيجية التي يشترك فيها جيش ميداني أو اكثر والمدعم بعناصر من القوات**

**البحرية والجوية وعناصر من الدفاع الجوي . . كما وضع الخبراء أساساً سليماً وقوياً لتدريب كبار القادة . »**

وبعد مؤامرة النكسة » عام 67 ، ، قال بريجنيف للرئيس الجزائري بومدين

**« . . اننا متألمون لأننا وجدنا أحدث طائراتنا واحدث صواريخنا في مراكز بحوث الولايات المتحدة . . »**

وما فعله « القادة الخونة » في حرب 67 عندما تركوا السلاح السوفيتي يقع في يد اعدائهم ، قام به السادات ، وسلم الطائرات « الميج » الى امريكا لترميمها . .

أما مسألة المال ـ أي ثمن السلاح ـ فهو القوت اليومي الذي برر به السادات مبادرته الخائنة . . فان أقوال عبد الناصر تدحضه فقد أعلن في أحد خطبه :

**« . . لقد تم تعويضنا بالاسلحة والمعدات ـ التي فقدت في الحرب بالمجان . . »**

**السلاح . . وامريكا**

بعد أن اعلن السادات انه اختار طريق السلام ، ليوفر ثمن السلاح للشعب . . نشرت الاهرام بالخطوط العريضة :

**« اسلحة بخمسة الآف مليون دولار تبحث الحكومة الامريكية في تقديمها الى مصر . . »**

ثم يتبين أن الصفقة من شركة « لوكهيد » المشبوهة والمدانة بالرشوة عالمياً . . ويتضح أن هذه الاسلحة ليست سوى ست طائرات . . ويؤكد كيسنجر للكونجرس الامريكي أن الطائرات الست ليست بذات شأن ، في حالة نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط . . ثم يعلن أنها « مكافأة للاعتدال المصري » .

ورغم ذلك يؤكد كيسنجر أنه لن تعقد صفقات مماثلة في المستقبل القريب ويتضح تواطؤ السادات من تصريح وزير الدفاع الامريكي السابق شليسنجر بعد لقاء مع السادات فيقول :

**« ان الرئيس المصري مهتم بالسلاح على المدى الطويل وليس بشكل فوري . . » بل أغرب من ذلك ، ما جرى داخل الكونجرس الامريكي بين وكيل**

الخارجية المساعد واعضاء الكونجرس . . ويسأل احد النواب :

**« . . انكم لن تسعوا بأية طريقة الى إغناء مقدرة التحليق والقصف بهذه الطائرات »( يقصد الطائرات الميج التي أرسلت للترميم )**

**وتأتي الاجابة :**

**«ـ لا ليست هذه نيتنا . . »**

**سؤال آخر :**

**«ـ ما هي الضمانات التي ستحصل عليها من المصريين بانهم لن يقوموا بتطوير التجهيزات التي سنرسلها اليهم ؟ كيف سيراقب ذلك ؟ »**

**وتأتي الاجابة :**

**«ـ ان هذه الآلات والتجهيزات ستسلم لاستخدامها في الاغراض المنصوص عليها أي في أغراض دفاعية فقط . . وعلى هذا الاساس تمت الموافقة »**

**وسؤال اخير :**

**«ـ هل لدينا جهاز فعال يمكننا من معرفة هذا الامر ؟ والاجابة :»**

**«ـ يتوقف ذلك على الملحقين العسكريين وصداقتهم مع القوات المصرية !! »**

**وهكذا أصبح الجيش المصري تحت رقابة المخابرات الامريكية .**

**الجيش والشعب**

. . لم يكن تدعيم الجيش بالسلاح أو زيادة عدده هدفاً في حد ذاته ، أو رغبة في استعراض القوة ، أو العدوان . .

فعندما قيل لـ « بن جوريون » :

ـ ان عبد الناصر لا يفكر في الحرب الآن ، ولكن يفكر في بناء مصر . . قال بن جوريون :

«ـ ان هذا ما يفزعني ! »

وبدأت اسرائيل العدوان بالغارة على غزة . . ثم حدث العدوان الثلاثي بعد « تأميم القناة » . .

إن مصر التي ورثت من الاستعمار فقراً لغالبية السكان ، ونقصاً في المواد الغذائية ، وظروفاً غير صحية للمدن والقرى ، كان لا بد لها من استعادة ثرواتها المنهوبة لاعادة حياتها الاقتصادية والاجتماعية . .

وعندما بدأ التفكير في إقامة السد العالي لزيادة الارض الزراعية وكهربة مصر . . رفض البنك الدولي تقديم القرض الا بشروط مجحفة باستقلال مصر وسيادتها . . وسحبت الولايات المتحدة وانكلترا وعدهما بتقديم القرض . .

واعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس . .

وكانت بداية المعارك . .

ان الولايات المتحدة التي رفضت تقديم السلاح الى الجيش هي التي رفضت تقديم المساعدة لتطوير الحياة الاقتصادية ! . .

ومصر لم تلجأ الى الاتحاد السوفيتي للحصول على الاسلحة أو التصنيع الا بعد أن اغلق الغرب الرأسمالي أبوابه . . أو بمعنى أصح ، عندما رفضت مصر استمرار حالة التبعية أو الرضوخ للمطالب الاستعمارية . .

وبدأت مصر مرحلة التصنيع . . وكان لا بد لها من جيش يحمي تطورها وهي تواجه قاعدة استعماريةعلى حدودها . .

**نحو التصنيع . .**

ربما يعيش جيل السادات اليوم سنوات أسوأ من سنوات ما قبل ثورة يوليو . . ولكن جيل الثورة الذي عاش المرحلتين . . مرحلة ما قبل الثورة . . ومرحلة الناصرية يستطيع أن يدرك بالمقارنة ماذا قدمت الصناعة لجيش العاطلين من حملة المؤهلات والعمال العاطلين . . وماذا تقدم الزراعة ؟

إن تقسيم بلدان العالم الى دول متطورة صناعياً وأخرى تختص بالزراعة كان أساس الاستغلال الرأسمالي العالمي الذي فرضه الاحتلال البريطاني على مصر . .

. . وكان رفاعة رافع الطهطاوي ، قد طلب بالتصنيع منذ عودته من أوروبا

عام 1820 . . وكتب يقول أن سعادة الدولة لا تتم الا بالصناعة . . ولكن أبناء محمد علي أغلقوا المصانع في مصر . . وجاء الاحتلال البريطاني ليكمل المأساة . . فاغلقت المصانع الباقية . . .

ويعترف اللورد كرومر عام 1901 وعام 1905 فيعلن أن مصر زراعية » وأصدر التحذيرات للمحاولات المصرية التي أرادت اقامة مصانع !

وفي عام 1916 أصدرت لجنة التجارة والصناعة التي شكلتها الحكومة تقريراً جاء فيه :

- اغراق السوق المصرية بالواردات الاجنبية ، يغلق الباب أمام الصناعة المصرية . .

- إن فشل اتجاهات محمد علي الصناعية ، لم تكن ترجع الى خطأ أو خلل في الآراء وإنما يعود الى اساليب الحكم . .

وقالت اللجنة في تقريرها :

« . . إن البلد الذي يقصر عن حل المشكلة الصناعية حلا فاصلاً ، إنما يكتفي بالبقاء في درجة منحطة من سلم الرقي . . »

فما قامت به ثورة 23 يوليو ، لتصنيع مصر ، لم تكن رغبة ذاتية وانما كان تحقيقاً لهدف وطني طالما نودي به كما كان تعبيراً عن الرغبة في التحرير الاقتصادي وحل الازمات . . والخروج بمصر من مرحلة الفقر الى نطاق الدول المتطورة صناعياً . .

ولكن السادات يعلن ما أسماه « الثورة الزراعية » ليعود بمصر حقلاً زراعياً في خدمة الصناعة الصهيونية والرأسمالية العالمية . .

تجاهل السادات أن « الثورة الزراعية » التي كان شاه ايران أول من نادى بها ، أدت الى تدهور ايران . . كما تجاهل أن الثورة الزراعية في الحقيقة لا تتحقق الا بالتصنيع الذي يعمل على تحويل الاقتصاد الزراعي الى الطراز الحديث . . ويأتي الى القرية بالثقافة ، والمعرفة ويؤثر في العلاقات الاجتماعية ، ويهيء الظروف الى تحولات جذرية في حياة الفلاحين . .

. . وكما يقول مؤلف « دور التصنيع في تكوين الاقتصاد الوطني المستقل » :

**« . . ان التصنيع لا يقتصر على بناء المنشآت الصناعية فقط ، فالتصنيع يشتمل أيضاً على إعادة تكوين الاقتصاد الزراعي على الطراز الحديث ، وعلى استخدام وسائل جديدة ، للنقل في البلاد ، وعلى تطبيق الطرق الصناعية في بناء المنازل ، وبعبارة اخرى ، فان التصنيع ، هو تحويل اقتصاد البلاد كله الى ميكانيزم عظيم الفاعلية ، تقوم فيه الماكينات المختلفة بخدمة الانسان في عمله أو في حياته العادية ، الا ان التصنيع يبدأ بطبيعة الحال ، من إنشاء الصناعة الخاصة بالبلاد . . » .**

واتجهت مصر الى الصناعة التي حرمت منها طوال سني الاحتلال . . وفي خلال 25 عاماً كما يقول الدكتور على الجرتيلي في كتابه . . التي بدأت من 1952 الى عام 1977 . . حدث التالي :

- زاد الدخل المتولد من الصناعة من 127 مليون جنيه سنة 1952 الى 367 مليون سنة 1962 ، ثم الى 665 مليون جنيه عام 1972 ، وارتفع نصيب الصناعة في الناتج المحلي الاجمالي من 9% عام 1952 الى 1,2 مليون عام 1975 .

- زادت نسبة الواردات من الآلات والخامات والسلع الوسيطة الى مجموع الواردات وبالتالي انخفضت نسبة المصنوعات المستوردة . .

- يقتصر الامر على توسيع الصناعات القائمة في أوائل الخمسينات ، بل استحدثت صناعات ذات تكنولوجيا متقدمة منها الحديد والصلب والالمنيوم ومنتجاتها ، وصناعة الاطارات ، والآت الديزيل وتجميع السيارات والسلع المنزلية المعمرة ، والاسمدة الحديثة .

ويقول الدكتور على الجرتيلي :

**« . . يتضح من احصائية أعدها البنك الدولي عن مدى التطور الصناعي في الدول الاعضاء ، أن مصر تسبق معظم الدول العربية من حيث نسبة القيمة المضافة في قطاع الصناعة الى القيمة المضافة في القطاع السلعي بوجه عام . . »**

**امريكا والسوفييت**

. . لم تكن سياسة عدم الانحياز التي اختطتها ثورة 52 مجرد شعار سياسي

بل كان لها انعكاسها على حياة المصريين .. وتطوير حياتهم .. والتقدم الصناعي الذي انجزته .. فاستطاعت أن تمد يديها الى الشرق الاشتراكي .. والى الغرب الرأسمالي في نطاق السيادة الوطنية ..

وكانت الرغبة عارمة بين المصريين لاقامة العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي.

ففي الوقت الذي كانت فيه مصر ترفض إقامة العلاقات مع الاتحاد السوفييتي تحت الرغبة الملكية والاستعمار .. كانت الدول الاستعمارية تتسارع في إقامة هذه العلاقات وتتنافس في التقارب مع الاتحاد السوفييتي ..

وخلال أزمة 1930 التي اجتاحت العالم ، كان على رأس الدولة في مصر صدقي ( باشا ) ، عدو الشعب ، وأحد عمد الرجعية .. ورغم ذلك اضطر الى التبادل التجاري مع الاتحاد السوفييتي لتصريف القطن المصري ..

وطالب بعد ذلك عديد من أعضاء « مجلس النواب » في عهود ما قبل ثورة 1952 ، بالعلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي ..

كانت الرغبة الوطنية قائمة .. ولكنها لم تتحقق الا بعد ثورة يوليو .. وأدى ذلك الى تطوير الاقتصاد المصري .. فاقيم حوض بناء السفن وعادت هذه الصناعة الى مصر بعد أن كانت قد أغلقت منذ الاحتلال البريطاني عام 1882 ، وأقيم مجمع الحديد والصلب الذي وصفه السادات نفسه بأنه « سد عال » ثان .. ومصنع الالمنيوم . وعشرات المصانع التي استوعبت الآف من المهندسين خريجي الجامعات والمدارس المتوسطة والعمال ..

وزاد تداول السلع بين الاتحاد السوفييتي ومصر بمقدار 27 مرة ، وزادت حصة الاتحاد السوفييتي من التجارة الخارجية لمصر من 3% عام 1955 الى 25% قبل الردة

وتضاعفت صادرات الاتحاد السوفييتي الى مصر خلال الفترة من 1955 الى 1971 بمقدار 34 مرة ، وكانت نسبة الآلآت والمعدات 80% من قيمة الوارد من الاتحاد السوفييتي.

وتشهد مصر اليوم ( في ظل حكم السادات ) العودة الى حضن النظام

الاستعماري ، واستبدلت الآلآت بزجاجات الكوكاكولا والسينالكو . . أو مشروعات « الابهة » كاقامة الفنادق والطرق العلوية والسكن الفاخر . .

إن مأساة السادات أنه يجهل أو يتجاهل الف باء الاقتصاد . . الذي يرتكز على حقيقتين !

الاولى : أن النظام الرأسمالي منذ تحول الى نظام استعماري أو امبريالي تحول الى عصابات لنهب الشعوب . .

الثانية : أن النظام الرأسمالي دخل مرحلة النهاية أمام يقظة الشعوب ، وقيام الدول الاشتراكية . . وأصبحت السوق أمامه ضيقة . . وبعد أن كان الاستعمار القديم يعطي للبقرة غذاءها ليحلب لبنها . . أصبح اليوم يشارك البقرة غذاءها . . !!

فما تدعيه الدول الاستعمارية من تنمية للدول الفقيرة . . أو مشاريع « النظام الاقتصادي الجديد » . . ما هي الا محاولات لاعاقة الدول النامية عن التطور . .

فكما نرى من « سياسة الانفتاح » أو النظام الاقتصادي الجديد في مصر كما تريده الدول الاستعمارية ، ليس سوى تصفية الصناعات والعودة بها الى مورد للمواد الخام وسوقاً لصناعاتها . .

وفي هذا الاطار كان التحول من الطريق « الناصري » الى تطبيق « الانفتاح » عملية نهب جديدة تقوم بها الرأسمالية العالمية مع شركاء ( خونة ) في الداخل . .

**عودة الى الوراء**

عاد الارتباط بالنظام الرأسمالي العالمي تحت شعار « الانفتاح » . . وعلى الرغم من التحذيرات التي اطلقتها الصحافة ورجال الاقتصاد ، الا أن السادات وحاشيته من الاقتصاديين المتأمركين ، ظلوا سائرين في الطريق المظلم . .

ففي الندوة التي أقامتها نقابة المحامين المصريين لمناقشة « الانفتاح » قال الدكتور حلمي مراد مدير الجامعة السابق ووزير التعليم العالي :

**« . . الانفتاح يسير عندنا بطريقة عشوائية يعوزها الانضباط ، حتى بدا كأنه اقتصاد حر مطلق . . وهذا النوع من الاقتصاد غير موجود في العالم حتى في أمريكا**

**نفسها قلعة الرأسمالية ، فلا يوجد بها اقتصاد حر مطلق لان الحكومة تتدخل أحياناً لفرض القيود ، وضوابط لحماية الاقتصاد الامريكي ، مثل القيود المفروضة على استهلاك الطاقة ، والبترول وغيرهما وتدخل الدولة لمكافحة التضخم . وحتى في تجارة الاحذية واستيرادها تجنباً للمنافسة . . »**

**« . . اذا كان هذا يحدث في دولة كبرى كامريكا فمن باب أولي الا يحدث هذا التسيب في الاقتصاد أو تركه دون ضوابط في دولة نامية كمصر مرهقة اقتصادياً ومثقلة بالديون . . ويتعين الحفاظ على مواردها حتى لا تبرز في أوجه لا تعود عليها بالنفع » .**

وفي دراسة لحزب التجمع عن « الانفتاح » واعادة ربط مصر بالرأسمالية العالمية قال الحزب :

**« . . أعلن أن الانفتاح الجديد المطلق وبلا ضوابط ، وأقيل رئيس وزراء مصري واهين لأنه بارك الانفتاح ولكن بضوابط ، وليس هناك اقتصاد في العالم وفي أي دولة رأسمالية أو اشتراكية بلا ضوابط ، ويستحيل على أية دولة نامية استنزفت على يد الاستعمار أن تحرر اقتصادها وأن تعيد بناءه بغير ضوابط دقيقة وبخاصة مصر . . »**

ولكن لامريكا رأي آخر ، تعلن صراحة في ندوة « مؤتمر الادارة » العالمي الذي عقد في الاسكندرية في نهاية عام 1976 . ففي هذا المؤتمر سيطرت « مشكلة المناطق الحرة » على المناقشات . . وطالب المستثمرون الاجانب بأن تكون هذه المناطق حرة بحق ، وليس بالاسم فقط . . فالهدف ـ كما قالوا ـ أن تبيع الدولة العمالة والخدمات ! ولا ينبغي أن تتدخل في تقييد حرية رأس المال الاجنبي بأي صورة من الصور ! لذلك ينبغي أن تترك للمستثمرين حرية اختيار المجالات التي يريدون توجيه استثماراتهم اليها دون أي قيد !

. . وكان من بين المصريين ـ مع الاسف ـ من أيد هذا الرأي ، فاعلن الدكتور سمير بباوي استاذ الادارة بكلية تجارة القاهرة « . . إما أن تطبق أساليب المناطق الحرة بصورة كاملة ، أو لا تطبقها . . ليس هناك حل وسط . . أما انفتاح أو لا انفتاح . . »

واصبحت مصر كلها منطقة حرة لمن ينهب ومن يسرق ومن يرتشى ! وتدفقت

البنوك الاجنبية ، أو بمعنى أدق عادت كما كانت أيام الاحتلال البريطاني ، وارتفع عددها من 4 بنوك عام 1972 الى 69 مؤسسة مصرفية ومالية مختلفة منها 33 بنكاً في القاهرة ، 25 مكتباً تمثيلياً للبنوك ، 11 مكتباً متخصصاً في العمليات المالية .

وكتبت صحيفة « فايننشال تايمز » الانكليزية تقول في تقرير عن البنوك :

« .. إن معظم البنوك الاجنبية المشتركة في مصر حققت نجاحاً كبيراً منها بنك « تشيس الاصلي » الذي يضم 235 عاملاً وموظفاً وفنياً وهو ما يمثل 10% من جملة الموظفين والفنيين العاملين في القطاع الاجنبي المصرفي في مصر ، وأن جملة ودائع هذا البنك ارتفعت الى 69 مليون جنيه مصري عام 1976 وحققت أرباحاً بلغت 1,9 مليون دولار . كما حقق بنك « باركلز الدولي » نصف مليون جنيه كأرباح .. »

ولم يقتصر الامر على « أرباح البنوك » وتحويلها مع « مدخرات المصـريين الى الخارج ، بل اتجهت سياسة الدولة الى تصفية الصناعة .. وبعد أن كان السادات يصرح ، ويعلن في عام 1974 بأن « القطاع العام يظل الاداة الاساسية للتعبير عن الارادة الوطنية في تشكيل اقتصادنا القومي ، وبأنه الضمان الرئيسي لان تـظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية .. نقرأ في صحيفة « الاهرام » بتاريخ 1978/2/2 : « .. التجربة الجديدة التي تبدأ بها 3 شركات ... طرح اسهم القطاع العام لـلاكتتاب .. » وبـالفعل بـدأت الشركـات الاجنبية تـدخل مصـر للاستيلاء على المصانع المصرية للحصول على أرباحها وتصفيتها ، كما حدث في « الشركة العامة للبطاريات بالاسكندرية أو « شركة ايديال » في القاهرة .

وفي نفس الوقت أباح « الانفتاح الاقتصادي » استيراد ثلاثة آلاف سلعة أو كل شيء ما عدا 11 سلعة وأدى ذلك الى تراكم وتخزين الانتاج المحلي ، وارتفعت الشكوى من القطاع العام والمصنع الوطنية .. ولكن الدولة تحت الضغط الامريكي استمرت في سياسة الانفتاح ، وقامت بتصفية جديدة للقطاع العام وبيعه وتسليمه الى الرأسمالية الطفيلية والاجنبية ..

وتحت شعار بيع الشركات الخاسرة ، بيعت الشركة العامة للدواجن ، بعد ان حققت نجاحاً بكل الموازين .. فقد ارتفع رأسمالها خلال ثلاث سنوات 76 - 1979 من 15 مليون جنيه الى 53 مليون جنيه .. وارتفعت نتيجة ذلك اسعار

الدجاج من 70 قرشاً الى 105 الى 140 قرشاً . .

وفي بداية عهد الانفتاح ديسمبر 1975 كتبت صحيفة الجمهورية . .

**« . . لماذا لا يستطيع القانون أن يبطش بالمهربين . . ولماذا تختفي المواد الاساسية من كساء الشعب وقوته ماذا حدث للذين نهبوا مئات الملايين . . » .**

وعاد التحالف بين القوى الرجعية والاستعمار الجديد ليتعاونوا على نهب الشعب في مصر . .

وحققت سياسة « الانفتاح » ما أراده « كرومر » لمصر وحققه في ظل الاحتلال البريطاني وعادت مصر « مزرعة » واغلقت المصانع . . وافتتحت مصر سوقاً للنهب . .

وكان لهذا أثره على اليد العاملة . . وارتفع عدد العمال العاطلين . . وتشرد المهندسون خارج مصر يبحثون عن عمل . . وارتفعت صرخات نقابة الاطباء لمشكلة الاطباء العاطلين في بلد تزداد فيه وفيات الاطفال وأمراض الشعب .

**الثورة الزراعية**

ومأساة الفلاح أبشع في ظل « الانفتاح » . .

كانت الثورة الزراعية الحقيقية قد بدأت بقانون الاصلاح الزراعي الذي صدر في سبتمبر ( ايلول ) عام 1952 . . وحدد الملكية الزراعية وأقر قيمة موحدة للاجارة الزراعية . .

ولم يكن هذا افتئات على طفيلية الملاك العقاريين المصريين ، وألوان جشعهم التي لم تعرف أية حدود . . هؤلاء الملاك الذين امتلكوا الاراضي كهبات من حاكم مصر . . سواء كان محمد علي أو احفاده . . فكان من بينهم الغلمان والاغوات والخدم . . ثم الاجانب الذين استغلوا سفه هؤلاء الملاك وانتزعوا منهم ملكية الارض . . وجاء الاحتلال ليمنح الخونة ملكية أراضي جديدة مكافأة للخيانة . . فكان من بينهم عائلتي الفقى وعبد الغفار اللذين طعنا الجيش المصري من الخلف في معركة التل الكبير ، وسلطان باشا رمز الخيانة في الثورة العرابية . . ومحمود سليمان ( باشا ) واباظة ( باشا ) وغيرهم ممن رحبوا بقوات الاحتلال وقدموا الهدايا

للغزاة .. وشاركهم في ملكية الارض العناصر الصهيونية التي قدمت القروض لاسماعيل ( باشا ) وأدت الى خراب الخزانة المصرية ... كما امتلكت الارض شركات الاراضي الزراعية التي وفدت الى مصر ..

فكان قانون الاصلاح الزراعي الاول ، ثم قانون الاصلاح الزراعي الثاني الذي صدر عام 1961 .. « ثورة زراعية » .. وفرضت الحراسة على الاراضي التي كان الاقطاعيون يحتفظون بها ضاربين عرض الحائط بقانون الاصلاح الزراعي ..

ثم نأتي الى « الثورة الزراعية » بمعناها الحرفي .. وهي « مكننة الزراعة » أي الانتقال من الوسائل البدائية في الزراعة الى الاستعانة بالتطور العلمي .. والحديث عن السد العالي وزيادة الارض الزراعية حديث معاد .. وكذلك كهربة الريف .. ولكن الحديث عن « المزرعة الممكننة » تغفله وسائل الاعلام . هذه المزرعة التي أقيمت فوق مساحة من الاراضي تبلغ 10 الآف فدان في منطقة النوبارية .. ويستطيع العامل الواحد في هذه المزرعة فلاحة مساحة من الأراضي تزيد حوالي 10 مرات في المزارع العادية ..

وأهديت جميع المعدات اللازمة لهذه المزرعة من الاتحاد السوفيتي .. واتخذت وزارة الاصلاح الزراعي قراراً بتأسيس مثل هذه « المزرعة الممكنة » على مساحة 300 الف فدان المستصلحة ..

إن هذه « الثورة الزراعية » مرتبطة أساساً بالتصنيع وبالتطور نحو الاشتراكية .

وجاء السادات بعد أن أقسم بالولاء لثورة يوليو و « الالتزام » بمسيرة عبد الناصر على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .. » فالغى قانون تحديد الايجار .. وسمح للاجانب بملكية الارض .. وأعاد استغلال الفلاح عن طريق شركات الاحتكار الزراعية ..

وما حدث للصناعة تكرر للزراعة .. فالجهد والنضال اللذان بذلا خلال عشرين عاماً أصبحا في خدمة الامبريالية .. المصانع تتحول ملكيتها الى الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية .. والسد العالي تتحول مياهه من خدمة الفلاح المصري والشعب في مصر الى خدمة اسرائيل .. والكهرباء تستغل من قبل الشركات الوافدة. . وأراضي الاصلاح تستغلها الشركات الاجنبية .

ولم يكن الاصلاح الزراعي رغبة فرد أو شهوة حاكم ، بل كان تجاوباً مع الارادة الوطنية التي طالما نادت به أصوات داخل مجالس النواب قبل ثورة يوليو . . وخاض الفلاح المصري معارك قتالية من أجل تحقيقه ابان محمد علي الى معارك « بهوت » و « ديار نجم » ضد الاقطاع . .

**التحولات الثقافية والاجتماعية**

كان تطبيق التعليم المجاني بجميع مراحله خطوة أخيرة منذ أعلن طه حسين « أن التعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن « . . وخلال أعوام 1952 الى 1970 ارتفع عدد طلبة مدارس البنين الابتدائية من 866,5 ألف عام 1952 الى 2,25 مليوناً عام 1970 . والبنات من 526 ألف عام 52 الى 1,37 مليون عام 1970 . . وكانت هذه الزيادة لأبناء المحرومين في المدن أو القرى . . بعد أن أصبح التعليم مجانياً حتى المستوى الجامعي .

وبينما كان التعليم العالي يضم 41 ألف طالباً في عام 1952 ، فانه شمل 170 ألف طالباً في عام 1968 . . وانفتح الطريق امام الطبقات المحرومة ، ودخل أبناء الفلاحين والعمال الى أماكن كانت مغلقة أمامهم . . كان القضاء قاصراً على أبناء الملاك ، فأصبح حقاً للمتفوق . . وفتحت كليات البوليس والجيش أبوابها لأبناء الشعب البسيط بعد أن كانوا يسألون الطالب المتقدم الى هذه الكليات عن نسبه وأصله ، وماذا يملك أبوه ، ومستوى المنصب الذي يشغله في درجات الوظائف ! . .

وتكونت طبقة عاملة صناعية كبيرة ذات آمال كبيرة ، وتطلع أفرادها الى أن يحصل أبناؤهم وبناتهم على شهادات جامعية . .

وبدأ الشعور بالكبرياء الوطني يغمر الشعب . . وزاد الاقبال على السلع الوطنية حتى كادت أن تختفي السلع الأجْنبية . . وأصبح المنزل المصري من صنع الأيدي المصرية ، بما يعني ذلك من سوق عمل وحفاظ على الثروة القومية . .

ويقول الدكتور جلال أمين عن هذه الفترة : .

« . . ليس من الغريب أيضاً أن تكوّن هذه الفترة من أخصب الفترات التي مرت بها مصر من حيث حماية وبعث التراث الثقافي والشعبي ، ومساندة وسائل التعبير

عنه ، واعادة اكتشافه ، فكتب الروائيون والقصصيون المصريون ، الاكثر اتصالاً بالشعب العامل والفلاح المصري ، ما يمكن اعتباره أفضل أعمالهم ، وقامت مدرسة جديدة للشعر ، ونشطت الدولة في بناء مسارح جديدة ونشر التراث العربي وتشجيع الترجمة ودعم الفنون الشعبية ، ورددت مصر أغاني جديدة أحرزت شعبية تحمل كلمات جديدة في الحب والوطنية » . . .

وشهدت مصر أياماً من أروع أيامها رغم السلبيات والمؤامرات خلال الفترة من 52 حتى 71 . . وكانت السلبيات نابعة من جهاز الحكم الذي ظل محتفظاً بهياكله القديمة العفنة . . فكان رجال السلك الدبلوماسي يعادون اتجاهات الثورة في سياستها الخارجية . . ورئيس البنك المركزي يشهد بالوضع الاقتصادي ويسرب الاسرار المالية الى العناصر المعادية . . والعسكريون من بقايا أبناء الذوات يدبرون المؤامرات . . وانعكس ذلك على القطاع العام ، والقطاع الزراعي ، والجيش . .

كانت مقاومة العناصر المعادية عنيدة . . تدعمها القوى الاستعمارية والرجعية العربية . . وتمدها بالمال والخطط المخربة . . ففي القطاع الزراعي استطاع كبار الملاك أن يسجلوا الاراضي الزائدة بأسماء أقاربهم ، كما تسلل الى جهاز تنفيذ الاصلاح الزراعي عناصر من أتباع كبار الملاك . . وفي القطاع الصناعي ، احتفظ كثيرون من الطبقات القديمة بمراكزهم كمديرين في القطاع العام ، فكانوا يهربون البضائع ويخربون في وسائل الانتاج . . وفي الجيش ، التفت العناصر الرجعية والخائنة جول المشير عامر وعزلته عن الثورة . . وكانت تعمد الى ابعاد العناصر المدربة ، في الاتحاد السوفيتي الى مناصب مدنية . . وفي الاعلام ، كانت العناصر الوطنية تطارد ، بينما تحتمي العناصر الرجعية بالقيادات المشبوهة .

وكانت البضائع والمصانع والاسلحة المستوردة من الاتحاد السوفيتي تظل في صناديقها مجمدة . . حتى سلمت الى العدو في حرب 67 . .

وعلى الرغم من ذلك ، فان الطاقات الكامنة في الجماهير ، انطلقت تكتسح أمامها هذه العقبات . . وحققت انجازاتها الضخمة ، وأكدت قدراتها على مواكبة تطورات العصر الحديث . . حتى جاء السادات ! .

وتلخص إحدى الدراسات الصادرة في 25/4/ 1980 نتائج ما فعله ، فتقول :

**« . . وفي حين تزداد نسبة البطالة على الصعيد الداخلي بشقيها الظاهري والمقنع**

وخاصة على صعيد الخريجين حديثاً ـ أطباء ، مهندسين ، فنيين ، كـادرات فنية وغيرهم لعام 1978، لتصل الى 12,3 % عن العام الذي سبقها ، فانها وصلت في عام 1979 نسبة 27,8% من عدد القادرين على العمل في هذه الكادرات الاساسية . . واضافة بطالة هذا النظام المجتمعي الاساسي والهام الى البطالة على المستوى العمالي والفني وغير الفني ولا سيما على صعيد قطاع الانشاءات ، والبطالة الكاملة والمقنعة على الصعيد الزراعي ، فان رقماً كبيراً سيبدو أمامنا ليثير تساؤلات جديدة حول طبيعة وأهداف نظام السادات كله وحول أهداف هذا النوع من التخريب الاقتصادي الفظيع بنتائجه وبوقائعه » . . ( بلغ عدد العاطلين الحقيقيين عن العمل في مصر في نهاية عام 1979 أكثر من مليون و 800 ألف . . وتقول التوقعات أن سيبلغ 5,4 مليون شخص في عام 1984 في حالة استمرار هذا النهج الاقتصادي ، ولا يدخل في هذه الارقام نسبة مليون ونصف يعملون في الاقطار العربية كفنيين واداريين وعمال فنيين وعاديين ) .

وتبدو هذه النظرة متشائمة ، ولكن اذا عدنا الى ما نشر في صحيفة « الاهرام » في يونيو 1976 ، في الصفحة الاقتصادية والتي كان يشرف عليها رئيس تحرير الاهرام الحالي نرى أن المؤامرة ضد شعب مصر مبيتة . . وأن الخيانة التي ترتكب كاملة الاركان . . قالت الاهرام . .

« . . هناك مشكلة حقيقية تـواجهها بعض الصناعـات . . المشكلة الرئيسية هي مشكلة المخزون من السلع الجاهزة للبيع ، فقد تأثرت مبيعات العديد من المصانع بعد ان كان انتاجها يتم تصريفه كله في السوق المحلية . . » .

وقالت :

« يؤكد البعض أن السبب الرئيسي هو اطلاق الاستيراد للسلع التي يوجد لها مثيل في الصناعة المصرية . . . »

ثم أوردت « الاهرام » نماذج من هذا المخزون . . مخزون الاخشاب . . المخزون من بعض أصناف منتجات الكاوتشوك . . مخزون منتجات غزل ونسج الصوف . . المخزون من الجوارب . . وقال رجال الاقتصاد المهيمنون على الصناعات أراءهم بصراحة . . فيقول رئيس مجلس إدارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك :

« إن من أسباب الزيادة في هذا المخزون السلعي ، المنافسة الشديدة ، المفاجئة لبضائع مستوردة بسبب فتح باب الاستيراد على اطلاقه دون أي تحفظات لمصانع كلفتها الدولة ملايين الجنيهات لخدمة القطاعات المختلفة والاقتصاد القومي منذ عشرين عاماً . . »

وقال رئيس مجلس ادارة شركة النصر للغزل والنسيج والتريكو :

« إن مخزون الجوارب سيزداد خلال الفترة القادمة وأن الاستيراد من الجوارب بشكل ملحوظ سيؤدي الى حدوث راكد في المستقبل وقد أدى هذا الامر حالياً الى تشغيل ورديتين لهذا الخط الانتاجي بدل ثلاثة . . واذا استمر الحال على ذلك فانه سيؤدي بالضرورة الى مخزون بشركة مصر للحرير الصناعي التي تشتري منها خام جوارب النايلون » .

وقال مستشار وزارة الصناعة :

« إن حماية الصناعة المحلية ضرورة . . »

كانت هذه الاقوال في عام 76 . . فماذا حدث ؟ . مزيد من الانفتاح . . ومزيد من الاستيراد . . ومزيد من المخزون . . وبطالة . . وتخريب للصناعة ! .

ثم ننتقل الى مأساة ثانية . . فلم يعد تفريغ مصر قاصراً على كوادرها العمالية المدربة والتي تفرقت في العالم تبحث عن لقمة عيش . . بل تصل المأساة الى القمم . . وتتساءل صحيفة « الأخبار القاهرية » . .

« ما سر هذه الظاهرة ؟ .

ما الاسباب وراء الاستقالات بالجملة لرجال الادارة العليا لشركات القطاع العام . . والقطاع الصناعي بذاته ؟

ان أبرز ما انجزته بلادنا ، ذلك الحشد الهائل من الخبراء ورجال التكنولوجيا الذين يديرون القطاع العام . . إنهم يتمتعون بخبرة عالمية شهدت الدنيا كلها لهم ، حتى أن المنظمات الاقتصادية الدولية بدأت تتصيدهم . . أو بمعنى آخر تتهافت عليهم . . » .

. . وهكذا تتم تصفية مصر من صناعتها ومن خبرائها . . ليفسح المجال أمام

العناصر الطفيلية ، فمن ناحية أدى الثراء الطفيلي الى التضخم وارتفاع الاسعار مما جعل الانسان الشريف في مصر ، عاجزاً عن ملاحقة الاسعار بمرتبه المحدود ، مهما بلغ حده . . ومن ناحية أخرى ، لم تعد العناصر الوطنية تحتمل رؤ ية ما بنته خلال المرحلة الناصرية ينهار أمام عينيها . .

وفي الوقت الذي لا يجد خبراء الصناعة مفراً من الهجرة ، نجد أعمال المهندس المقاول عثمان أحمد عثمان تتسع . . ونجد المهندس جمال السادات والمتخرج حديثاً من كلية الهندسة يفتح مكتباً استشارياً ، وتبلغ قيمة الاعمال الاولى لهذا المكتب خلال ستة أشهر من افتتاحه 12 مليون جنيه مصري !

## تخريب مبيت . .

. . وكما حدث في السياسة « خطوة خطوة » ، يحدث التخريب المتعمد في الصناعة أو الخيانة ، وتصفية القطاع العام والقضاء على الصناعة « خطوة . . خطوة » . .

ان عدداً من خبراء الصناعة المصريين ورؤساء شركات القطاع العام جذبهم الانفتاح العام ، أو بمعنى أصح تركوا الصناعة المصرية أمام رشوة القطاع الخاص ومحاولة تعديل دخولهم أمام « غول التضخم » الزاحف . . وعلى سبيل المثال نجد شركة الاستثمارات الكويتية تجذب الدكتور طاهر أمين وزير التعاون الاقتصادي السابق ليعمل كمدير لها . . والدكتور محمد أمين رئيس شركة « أيديال » يشغل حالياً منصباً كبيراً في الامم المتحدة ، وكان ذلك تمهيداً لبيع شركة « ايديال » . . والمهندس أحمد هزاع رئيس شركة النصر للاجهزة المنزلية يعمل مديراً لبنك « تشيس مانهاتن » . . والدكتور مراد جريس رئيس شركة النشا انتقل ليعمل مستشاراً للتنمية بشمال أفريقيا . . وشريف حسن مدير عام مؤسسة الغزل والنسيج والدكتور نزيه ضيف انتقل الى العمل في الامم المتحدة . . كما استقال الدكتور ابراهيم شبابك خبير الغزل والنسيج العالمي ، والمهندس كمال الدين بيلي رئيس شركة الاسكندرية للزيوت والصابون . . والدكتور زكي البدري رئيس شركة البلاستيك والكهرباء بالاسكندرية . .

ويعمل « نظام الحكم » على طرد هؤلاء الخبراء الصناعيين بجانب الاغراءات الاجنبية . . فيقول د . سمير بدوي مدير صندوق الدعم للغزل :

**« . . فوجئت في التشكيلات الصناعية الجديدة بنقلي من الصندوق الى شركة أخرى دون أخذ رأيي ودون مناقشتي فيمن يصلح للتعاون معي . . » .**

ويقول كمال الدين بيلي رئيس شركة الاسكندرية للزيوت والصابون عن أسباب استقالته . .

**« . استلمت شركتي عقب التأميمات عام 1961 ، وكان حجم مبيعاتها لا يتجاوز 800 ألف جنيه . . وقد تركتها الآن وهي تبيع بحوالي 25 مليون جنيه حسب ميزانية 1976 . . والمرتب لم يتجاوز مليمًا واحداً منذ 1961 . . »**

ويقول المهندس حسن عبد الفتاح رئيس الهيئة العامة للتصنيع عن أسباب استقالته :

**« . . هناك اختلافات في السياسات ، كما أن الجو العام أصبح يدفع الانسان لاعطاء جهده لبلاده في موقع آخر . . » .**

أما المهندس نزيه أمين ، رئيس هيئة الحديد والصلب السابق ، ورئيس شركة الجوت فقد رفض التعليق على استقالته ، قائلاً :

**« . . أرفض التعليق على الاستقالة ، فهذا حق . . » ولعل النقل من « هيئة الحديد والصلب » الى شركة « الجوت » يوضح لنا السبب !** . ويكشف لنا المهندس كمال الزيادي رئيس المؤسسة الهندسية السابق أبعاد هذه التغييرات التي تحدث في القطاع العام الصناعي . . قائلاً :

**« . . إن كثرة التغييرات تصيب القطاع الصناعي بالعقم ، وخاصة عندما ينقل المدير الى غير تخصصه . . فرقيّ المهندس سيد عوض المتخصص في أعمال الصلب لكي يصبح رئيساً لشركة سورناجا للفخار ! . ونقل 2 من كبار المهندسين المتخصصين في صناعة البطاريات وهما جلال عزمي لكي يصبح رئيساً لشركة « نارويين » للكاوتشوك ، وحسن جعفر ليصبح مديراً لشركة « مستيلكو » . . كما نقل د . علاء الدين الحديدي دكتوراه في صناعة الورق ومدير شركة « فارتا » ( 15 سنة ) لكي يصبح مديراً في شركة كازوزة ( سي كولا ) وهذه هي التشكيلات » . .**

ويكشف د . علي طلخة النهج المتعمد للتخريب والقضاء على الصناعة في

مصر ، فيقول :

**« . . إن كثرة التغيرات لا تعطي الاستقرار . . ويكفي أن أقول أن ٤ شركات كبرى هي الغزل الاهلية ، والشوربجي ، ومصر حلوان للغزل والحديد والصلب تغير رؤساء شركاتهم من 4 الى 5 مرات خلال 5 سنوات فقط .**

وكلما جاء واحد لكي يدرس وينفذ برنامجه نقل بعد سنة » . . ويعلن الدكتور علي زكي البدري رئيس شركة تركت :

**« . . تركت شركتي التي أحببتها ، لكي أمارس عملي في القطاع الخاص ، لان العمل في القطاع العام أصبح من الصعوبة بمكان لتعدد أجهزة الرقابة وتدخل الوزارة في كل صغيرة وكبيرة الى جانب المعاملة القاسية التي نلقاها من وزير الصناعة . . » .**

وفي نفس الصفحة التي نشرت فيها صحيفة « الاخبار » هذا التحقيق ، نقرأ إعلانين . . الأول ، عن « نيوزيلاند » يعلن أن « نيوزيلاند » مستعدة لتصدير الخبرات المتخصصة في الهندسة المدينة . . وتصدير المصنوعات والمعلبات الغذائية . .

والثاني ، إعلان لشركة الصناعات الهندسية المعمارية ، أسسها « المقاولون العرب » عثمان أحمد عثمان وشركاه . . يعلن أن الشركة تعرض بجناحها بسوق القاهرة الدولية 1977 . . مستوردات من انكلترا والسويد وفرنسا !! .

أما الاسلوب الاخر للتخريب ، فيتمثل فيما نشر عن لجنة الصناعة بمجلس الشعب أثناء بحثها في أزمة صناعة هي السجاير المصرية . . ونبين أن من أسباب نقص الانتاج انقطاع التيار الكهربائي المستمر أثناء الانتاج ، وطالب أحد أعضاء مجلس الشعب بمحاسبة أصحاب المصلحة في نقص الانتاج وخلق السوق السوداء للسجاير في مصر ، وطالب بالتصدي لشركات السجاير الاجنبية التي تتحكم في السوق وتقضي على شركات السجاير المحلية . .

. . أي أن التخريب لا يقتصر على تفريغ القطاع العام من خبرائه . . بل يمتد التخريب الى العناصر المنتجة نفسها برشوتها لقطع التيار الكهربائي أو عرقلة الانتاج بأي صورة ليخلو السوق أمام البضائع المستوردة وأرباح الوكلاء الطفيليين . .

واعلن الدكتور عبد الرازق عبد المجيد نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية ، أثناء زيارته للولايات المتحدة في أواخر عام 1980 . .

« أن توظيف رؤوس الاموال الاجنبية في مصر الآن يمكن أن يعود بأرباح تصل الى نسبة 200 في المائة » !! .

**الخيانة الوطنية**

ظل نضال المصريين الطويل من أجل التصنيع ينمو ، واستطاعت مصر أن تنتزع من الاستعمار البريطاني الحق في فرض الحماية الجمركية للصناعة المصرية ، كما صدر القانون الذي ينص على وجوب حصول المصريين على 51 % من أسهم الشركات الاجنبية ، وذلك حتى تبقى السيادة في إصدار القرارات للمصريين . .

حدث ذلك قبل ثورة 23 يوليو . . ثم جاءت الثورة لتحقق الرغبة الوطنية ، واستعادت الثروة المصرية . . وبدأت بتأميم قناة السويس ، ثم وضع مجموعة البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية المملوكة للانكليز والفرنسيين والبلجيك تحت الحراسة ثم صدر قرار تمصيرها ، ثم تغير التمصير الى التأميم . .

وصدرت قوانين التأميم عام 1961 . . واستعاد الشعب ثروته التي تكونت من الدماء والعرق المصري . .

ولكن « السادات » في حديث صحفي ، ورداً على سؤال صحفي أجنبي يقول . .

السؤال : « . . **هل يمكنكم أن تعطونا بعض الامل المشجع لمستثمرينا ؟**

الجواب : **ناقشت أمس . . احتمال إيجاد هيئة برئاسة رئيس الوزراء نفسه لتسهيل كل شيء للمستثمرين . . وعندما كنت في المانيا آخر مرة التقيت مع رجال الاعمال الالمان هناك وقلت لهم أرجوكم كونوا صبورين معنا . . »**

وبدأ بيع القطاع العام للمستثمرين . . والتعدي على الحقوق الوطنية التي اكتسبها الشعب خلال سنين الثورة . . وخلال نضاله السابق لها . .

ففي 23 مايو 1978 ، تم توقيع الاتفاق بين شركة « ايديال » المصرية لانتاج الثلاجات والغسالات والاثاث المعدني ، وشركات « طومسون براندت » الفرنسية

لانشاء شركة مشتركة ، يتضمن العقد ان يمتلك « طومسون » 51 % من الاسهم وايديال 49 % . . أي أن مساهمة الدولة تهبط من 100 % الى 49 % . .

وكانت شركة « ايديال » قد حققت في العام السابق أرباحاً سنوية وصلت الى 16 مليون جنيه !

وفي تقرير رسمي أن ربع الشركات الصناعية العامة باستثناء الغزل والنسيج تتفاوض مع رجال أعمال أجانب لتكوين شركات مشتركة . فشركة كلوريدا الانكليزية اشترت 50 % من أسهم الشركة العامة للبطاريات ، وشارك بنك باركليز بنسبة 2 % والجامعة الامريكية بنسبة 10 % وبقي 38 % للجانب المصري .

ويفضح أساتذة الجامعات في الندوة التي أقامها مركز دراسات التنمية التكنولوجية في جامعة القاهرة . . فقال الدكتور عاطف عبيد :

**« . . ان الطرف الاجنبي يستغل موقعه بشكل مبالغ فيه ولغير صالح الطرف المصري ، إنه يطلب أن تكون فترة ادارته مفتوحة لأي مدى ولأي زمن ، ويطلب أحياناً أن تكون المساهمة المادية رمزية »** وقال المهندس فؤاد ابو زعلة رئيس شركة الحديد والصلب :

**« . . ان 9050 مهندساً وفناناً هاجروا من شركة الحديد والصلب »** « وقال فؤاد يونس رئيس شركة القاهرة للاسكان والتعمير . .

**« . . ان شركتي ساهمت مع شركة اجنبية في إنشاء شركة جديدة بنسبة 51 % ورغم هذا فقد خرج كل شيء من أيدينا . . »**

ان « الخيانة » التي تحدث في تصفية القطاع العام ، ليست في « الردة الصناعية . . أو عودة المستثمرين لنهب الشعب . . أو تشريد العمال . . ولكنها بالاضافة الى خيانتها للنضال الوطني ، فانها تتعارض مع الدستور الذي ينص في ( مادة 30 ) .

« . . الملكية العامة هي ملكية الشعب . . تتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام ، ويقود القطاع العام التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسؤولية الرئيسية في خطة التنمية . . »

وبعد . .

لعل ما كشفته فضيحة « هضبة الاهرام » يعطي فكرة عن مضمون سياسة الانفتاح « ففي هذه الصفقة اشترى المستثمر الاجنبي أرض هضبة الاهرام » بنصف مليون دولار وباعها بألفي مليون جنيه ! .

. . . ثم يطالب البنك الدولي برفع الدعم عن قوت الفقير الذي لم يتجاوز 400 مليون جنيه . . بينما النهب في صفقة واحدة 2 الف مليون ! . أي خمسة أضعاف ! .

الحرب . . والغزو

في اكتوبر 73 كانت الحرب . .وبانتهائها بدأت « سياسة الانفتاح » . . وأدركت العناصر الوطنية ، ماذا يراد بمصر ! .

ففي الأول من يناير عام 1974 ، /ولم يكن تم عقد اتفاق « فك الارتباط » ، قال « ايريك بلمند فيلد عضو الجمعية العامة لحلف شمال الاطلسي أن الوقت قد حان لكي تنضم مصر والاردن واسرائيل الى حلف شمال الاطلسي . . وأضاف . . أن هذه الدول يجب الا تبقى بعيدة عن الانضمام للحلف . . »

. . وفي 22 يناير أعلن السادات في الجزائر خلال مؤتمر صحفي بعد إعلان « فك الاشتباك » أن الولايات المتحدة قد انتهجت سياسة جديدة ، وأن كل تغيير في الموقف الامريكي لا بد أن يستتبع تغييراً مماثلاً من جانب العرب نحو الولايات المتحدة . »

وفي 27 يناير من نفس العام نشرت الصحف ان 50 مشروعاً مصرياً برؤوس أموال عربية وأجنبية . . رأس المال الفرنسي يساهم في تعمير منطقة القناة . . محادثات بين عبد العزيز حجازي ورئيس الغرفة التجارية الفرنسية بباريس .

وفي 2 فبراير عين علي أمين المعروف بولائه لامريكا وشقيق الصحفي الذي حكم عليه في قضية تجسس ، مديراً لتحرير الاهرام .

وفي 6 فبراير اجتمع الدكتور عبد المنعم القيسوني رئيس البنك المصري الدولي والدكتور حامد السايح الذي كان رئيساً للبنك الأهلي بوزير الخارجية الامريكية في واشنطن . . ثم أجتمع القيسوني مع دافيد روكفلر رئيس بنك تشيس مانهاتن . . ثم مع المسؤولين في شركة وستنجهاوس وبعض الشركات الاخرى وتركزت المناقشات على توثيق العلاقات مع البنوك الامريكية . .

وفي 11 فبراير وافق السادات على أربعة قرارات اقتصادية هامة تتعلق بتشجيع الاستثمار العربي والاجنبي في مصر والخطوات العاجلة اللازمة وتطوير جهودها . .

لم يكن خافياً الاتجاه الجديد من خلال هذه الاتصالات . . والخطوات . . سلم « السادات » مصر للرجعية العربية والامبريالية العالمية وبالاخص الامريكية . .

فمنذ بداية الصراع . . أي منذ بدأت مصر خطواتها نحو التحرر والاشتراكية ، ناصبت هذه القوى العداء للتجربة الناصرية . . وكانت مطالبها تتركز في ثلاث نقاط

- الغاء الاتحاد الاشتراكي
- تصفية القطاع العام
- إبعاد السوفيت من مصر . .

. . والعناصر الثلاثة مكملة لبعضها . . فبدون الاتحاد السوفيتي لم يكن ممكناً اقامة الصناعات الضخمة التي أقيمت . . وبدون الصناعة لا يمكن تشكيل الطبقةالعاملة ، كما أن ضعف الطبقة العاملة لا يؤهلها للدور السياسي في الاتحاد الاشتراكي . .

وكان تبديد النقاط الثلاث معناه الردة عن خط ثورة 23 اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً . . والعودة الى احضان الاستعمار . . وتصفية النضال الوطني الطويل للشعب في مصر ، الذي خاضه خلال أكثر من مائتي عام . .

**الحقيقة بالارقام**

وظهرت الصحف المصرية في 23 يوليو 1974 بصرخة واحدة ضد ما يبيته نظام السادات ضد مصر . . وطلعت الاهرام بصفحة كاملة تدافع عن القطاع العام ضد غزو الشركات الاحتكارية ، ومحاولة تصفية القطاع العام الصناعي فقالت : على امتداد السنين . . ستبقى الصناعة عملاً من أروع انجازات ثورة 23 يوليو وأكثرها تأثيراً ليس في مستقبل مصر وحدها وانما في كل المنطقة العربية وما حولها .

مصر الصناعية أصبحت ملحمة نضال بطولي . . عرق وعمل متواصل . . وجهد مخطط مدروس . . استثمرت فيه على مدى 22 عاماً ما يقرب من 2300

مليون جنيه . .

ان الشوط الطويل الذي قطعته مصر في طريق الصناعة منذ البرنامج الاول وحتى اليوم له اثر هام في تحديد معالم الصورة . . التي تعطينا منتجات صناعية قيمتها خمسة ملايين جنيه كل صباح . . بالاضافة الى صادرات يومية يصل الى 200 ألف جنيه . . يقدمها 515 ألف عامل يحصلون على أكثر من 173 مليون جنيه سنوياً في صورة أجور ومزايا . .

إن قطاع الصناعة في بلدنا يمثل بلا أدنى شك النموذج الخلاق للتطور خلال سنوات محدودة . . من دولة تعتمد على الزراعة كمصدر أساس للدخل الى مجتمع صناعي بكل ما تحمله الكلمة من مقاييس أو دلالات . .

ربما من غير المقاييس التي تحقق في قطاع الصناعة على امتداد 22 عاماً مضت . . ما كانت الآمال التي نتطلع اليها اليوم . . وما كانت القدرة التي حققها الشعب في صموده البطولي بعد عدوان يونيو . .

واذا كان هناك ما يقال عن دور القاعدة الصناعية في مجال تلبية احتياجات الجماهير من السلع الصناعية ، وخدمة المعركة ، فليس أبلغ مما قاله الرئيس انور السادات في ورقة اكتوبر التي أقرها الشعب كوثيقة من وثائق الثورة :

« لقد زودت القاعدة الصناعية ، والانتاج الزراعي والاطار الواسع للخدمات الاجتماعية قواتنا المسلحة ما كانت في حاجة اليه ، وقد لعب القطاع العام الدور الرئيسي في تحقيق الصمود الاقتصادي في الفترة التي تلت الهزيمة ، وفي الاعداد للمعركة بانتاجه ، وبفوائضه المالية ، وبرجاله من مديرين وفنيين ، وعمال تفانوا في العمل من أجل الوفاء باحتياجات الشعب ، والقوات المسلحة ، واستمرار التنمية رغم عبء المجهود الحربي » . .

ان البناء الصناعي المصري يرتفع اليوم شامخاً رمزاً حياً لعظمة الثورة وقدرتها على تحويل مجرى حياة الانسان . . وبكل المقاييس تحققت لقطاع الصناعة والتعدين من الانجازات والنجاحات ما يخرس أبواب المتشككين ، ويزيد من ثقة كل مصري بقدرة الوطن . . ومؤسساته الاقتصادية » . . ثم بدأت صحيفة « الاهرام » في تقديم مقارنة بين مصر الزراعية في العهد الاستعماري البائد . . ومصر الصناعية

التي أقامتها ثورة 23 يوليو . . وقدمت بالاحصاءات وبالارقام مقارنة بين الوضعين . . فقالت : في مجال الانتاج

. . كنا . .

**كانت قيمة الانتاج الصناعي في مصر عام 1952 في حدود 26,5 مليون جنيه ، وكانت كلها ـ تقريباً ـ من انتاج القطاع الخاص**

. . وأصبحنا . .

حقق قطاع الصناعة والتعدين خلال عام 1973 انتاجاً قيمة بالاسعار الجارية 1667 مليون جنيه أي ما يعادل 617 % من الانتاج الصناعي عام 1952 .

. . كنا . .

لم تكن صادرات مصر من الصناعة عام 1952 تتعدى 12 مليون جنيه فقط .

. . وأصبحنا

حقق قطاع الصناعة والتعدين صادرات فعلية قيمتها 150 مليون جنيه خلال العام الماضي 1973 أي ما يعادل 120 % من صادراتنا عند قيام ثورة يوليو . .

. . كنا

كان عدد العاملين في الصناعة حوالي 180 ألف عامل عند قيام ثورة يوليو . . يبلغ ما كانوا يتقاضون كأجور سنوية 30 مليون جنيه . وذلك على أساس المنشآت التي يعمل بها أكثر من 10 عمال .

. . وأصبحنا

بلغ عدد العاملين بالشركات الصناعية ـ القطاع العام وحده ـ حوالي 515 ألف عامل بلغت أجورهم في العام الماضي 173 مليون جنيه . . موزعين بين الصناعات المختلفة في مجال الأموال المستثمرة . .

. . من الحقائق التي يجب أن يعرفها كل مواطن عن الصناعة أن بلدنا استثمرت على مدى 22 عاماً منذ قيام ثورة يوليو ما يزيد على 2024 مليون جنيه في بناء القلعة الصناعية وهذا يمثل اجمالي الأموال المستثمرة بالشركات فقط دون المشروعات

الضخمة التي يجري تنفيذها ( عام 1974 ) كمجمع الحديد والصلب بحلوان ومجمع الألومنيوم بنجع حمادي وغيرهما من المشروعات التي استثمر بها حتى ديسمبر الماضي ما يزيد على 250 مليون جنيه . .

في مجال الاستثمارات المنفذة

. . كنا . .

لم تتجاوز المبالغ المستثمرة خلال عام 1952 بقطاع الصناعة 2,1 مليون جنيه . . وأصبحنا

بلغت قيمة الاستثمارات التي تمت بقطاع الصناعة خلال عام 1973 وحده حوالي 166 مليون جنيه ، ومما تجدر الاشارة اليه أنه تمت خلال ذلك العام 45 مليون جنيه بمجمع الصلب وحده . . و 18 مليون جنيه لمجمع الالمونيوم . . وبالطبع فان هذه الاستثمارات ستؤتي ثمارها انتاجاً وخيراً وفرص عماله جديدة وأجوراً وأرباحاً على مدى السنوات المقبلة . .

ونشرت صحيفة «الجمهورية» مناقشة صريحة مع أساتذة الاجتماع بالجامعات وقالت ، بمناسبة 23 يوليو 1974 . .

« . . لم يعد الفلاح يحني رأسه لصاحب الارض ليصفعه . . لم يعد العامل ترساً في عجلة الانتاج ، إنما أصبح مالكاً للآلة نفسها . . لم يعد المثقف يعيش على هامش المجتمع . . بل أصبح يحركه . . »

وقال الدكتور صلاح قنصو . .

« الثورة ، المصرية وضعت المجتمع على أعتاب مرحلة تطور جديدة ، ففي خلال العشرين عاماً الماضية ظهرت قيم بتغير المجتمع الزراعي الى مجتمع شبه صناعي . . وقد ظهرت بدايات هذا التغير بزيادة عدد العمال وبخلق نمط حضاري وصناعي تحكمه قيم مختلفة عن القيم التي تحكم المجتمع الزراعي الذي تحكم وتسيطر عليه التواكلية . . »

وانبرت الاقلام الوطنية في حماس وانطلاقة ، وكأنها في حرب مع الأخطار القادمة والمحدقة بالوطن . . وكتب محمد عودة ، وكامل زهيري يكشفان أبعاد المخطط الذي يستهدف ضرب القطاع العام والصناعة . . وظهرت دراسة في جريدة « الاخبار »

على ثلاث اعداد مثالية « حول حتمية القطاع العام ودوره في الحاضر والمستقبل . . وكتب وزير التموين السابق فؤاد مرسي دراسة نشرتها الصحافة العربية عن التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاقتصادية أوضح فيها بالارقام والمنطق العلمي خطورة « سياسة الانفتاح » على اقتصاد مصر وسيادتها وانعكاس ذلك على حياة الناس . . وظهرت المؤلفات عن الشركات المتعددة وخطورتها . وعن « محاكمة سياسة الانفتاح » . . ولكن الخيانة كانت مبيتة . .

**الرجعية القديمة والجديدة**

في 30 مارس 1974 ، ولم يكن مضى على معركة اكتوبر عام ، قال الدكتور عبد العزيز حجازي أثناء مناقشة ساخنة في مجلس الشعب :

« . . إننا نعلنها للمواطن العربي والاجنبي أن عهد التأميم قد انتهى . . » !!

ومن قبله صرح رئيس جهاز التعاون العربي والدولي بأنه سيتم قريباً تعديل قانون استثمار المال العربي والاجنبي على أساس أن المشروعات التي توافق عليها الدولة في إطار هذا القانون وطبقاً لسياستها الاقتصادية ستعفى بوضوح وبطريقة حاسمة من أي احتمال للتأميم أو المصادرة أو الحراسة . .

وفي نفس اليوم الذي نشرت فيه هذه الآراء ، كانت ليبيا تؤمم ثلاث شركات أمريكية . .

وفي نفس الشهر كانت « بيرو » تعلن تأميم صناعات النفط وصيد الاسماك . . كما أممت شركة « سيرودي » باسو الاحتكارية التعدينية الكبرى التابعة للرأسمال الامريكي ، وتمتلك هذه الشركة مصانع الحديد والفولاذ وستة مناجم لاستخراج النحاس والذهب والفضة . . كما صدر قانون الاصلاح الزراعي فانتزع 58 مليون هكتار ومليون ونصف من الماشية من كبار الملاك الجشعين . .

ولم يخجل وزير الصناعة في مصر ، فيعلن ليؤكد ما قاله عبد العزيز حجازي ويصرح . .

« إن عهد التأميم والحراسة قد انتهى الى الابد . . » ! ونسي الوزير أن هذا الحق أصبح معترفاً به من الامم المتحدة . . وأن لكل دولة الحق في تأميم ثرواتها . . الا اذا فقدت الدولة سيادتها . .

وظهرت الصحف المصرية ، ليست مجللة بالسواد ولكن مزهوة باللون الاحمر تعلن ما صرح به السادات :

« .. لا تأميم .. لا مصادرة .. لا حراسة .. »

ويقف وزير الاعلام في عهد عبد الناصر ، ويتنكر لكل المبادىء والقيم ، ليصرح :

« اننا لا نستطيع أن ننمي مجتمعنا واقتصادنا برأس المال الوطني وحده ونحتاج في هذا الشأن الى رؤوس الاموال الاجنبية لأن لدينا الأيدي العاملة .. إن أجر العامل المصري هي أرخص الاجور في العالم .. »

وهكذا تنكر لكل ما كان ينادي به سابقاً .. وأسرع الى سوق النخاسة الرأسمالية ببيع جهد المواطن المصري بأرخص الاسعار ..

وخلال الشهور الاولى من عام 1974 .. أي في أعقاب حرب أكتوبر المجيدة .. تتالت خطوات « الردة » .. وكانت بشائرها الافراج عن الصحفي الذي ضبط متلبساً بالخيانة الوطنية والتجسس . وأعلن العفو عنه ثم عاد ليمارس هوايته ـ

كان الخطأ في محاكمة هذا الصحفي ، تقديمه الى المحاكمة بقوانين العقوبات .. وكان المفروض ان يحاكم سياسياً بتضليل الشعب . ودفاعه عن معاهدة صدقي ـ بيغن واخفاء جرائم الملك السابق وتقديمه على أنه « العامل الاول والفلاح الاول » و « الملك المؤمن » .. وطعنه في الحركة الوطنية .. ومساهمته في إخفاء جرائم السعديين خلال مرحلة الارهاب .. ومحاولة « الانحراف » بكفاح الشعب خلال معركة القناة عام 1951 .. ثم مشاركته في انقلاب يناير 1952 .. وتصويره « أمريكا الضاحكة على أنها حامية الحريات بينما كانت تبيد شعب كوريا .. وتقف ضد حركات التحرر .

لقد عادت الاصوات القديمة كنعيق البوم .. ووقف زكي عبد المتعال الوزير الذي استقال من حكومة الوفد بايحاء ملكي ، ليتحدث عن التضخم ويرجع اسبابه الى الحروب التي خاضتها مصر دفاعاً عن أرضها .. ويطالب بوقف تعيين الخريجين .

وتساءل أحمد ابو الفتح شقيق المليونير محمود ابو الفتح عن الضمانات للدول

الاجنبية للاستثمار ! ! .

وكان ذلك في اجتماع حضره أكثر من مائتين من الوزراء وكبار الاقتصاديين والمستثمرين المصريين والعرب والاجانب . . والذي أعلن فيه رئيس الوزراء عبد العزيز حجازي أن الانفتاح ليس نظرية جديدة ، ولكنه تحرك من أجل رفاهية الشعب وأنبرى له أحد الوطنيين متسائلاً . . الانفتاح عن وبمن ، وماذا سيستفيد العامل والفلاح من الانفتاح ، وهل من قبيل المصادفة أن ترتفع الاسعار في مصر ونئن منها جميعاً في نفس الوقت الذي نتحدث فيه عن الانفتاح . والانفتاح بمن ، وهل الاجهزة التي تتولى الانفتاح الآن في مستوى المسؤولية ؟ !

ولكن الانفتاح تقرر باستفتاء زائف ! .

وعندما سأل أحد الصحفيين من ألمانيا الغربية « السادات » :

ـ ما هي الضمانات لرؤوس الاموال ؟

رد قائلاً :

ـ الضمانات جاهزة ؟ !

. . الضمانات جاهزة ! . ولكن الانفتاح كان بلا أجهزة . . وقالت صحيفة « أخبار اليوم » . .

« أعلنا على العالم سياستنا في الانفتاح . . ولم نعد أنفسنا لذلك اعداداً كاملاً . . لا مشروعات مدروسة ومعدة للعرض والمناقشة . . ولا وسائل نقل ومواصلات تسعف اصحاب رؤوس الاموال في الاتصال بالخارج . . ولا غرف خالية في الفنادق . . ! »

وعلى الرغم من ذلك سارت « سياسة الانفتاح » . . وسافر القيسوني وحجازي الى أوروبا وأمريكا ـ وعقدت الاتفاقيات . . وكان الاعلام يتحدث عن المشاريع الضخمة ، وطلعت صحيفة « الاهرام » في عام 1974 تتحدث عن مشروع منخفض القطارة مع المانيا الغربية . . وجاءت وفود أصحاب الملايين من اليابان وأمريكا . . وتقرر إعفاء أرباح شركات المقاولات الاجنبية العاملة في التعمير من الضرائب الجمركية وضرائب الارباح التجارية والصناعية . . وفوض مجلس الوزراء

وزير التعمير في تعيين الاجانب بالوظائف التي تتطلب خبرة خاصة في التعمير لا تتوفر بالقدر الكافي من المصريين . ( في مصر كليات هندسية متعددة التخصص منذ اكثر من 60 عاماً . . انشئت أول كلية هندسة في مصر أيام محمد علي أي منذ اكثر من 170 عاماً . . )

ويصرح لهؤلاء ، الاجانب بتحويل 50 % من رواتبهم للخارج . . وكتب علي أمين الصحفي بعد أن عاود هوايته في بيع الاوهام فقال :

« يقدر الخبراء المعونة التي ستقدمها حكومة الولايات المتحدة الى مصر قبل نهاية عام 74 بأكثر من الف مليون دولار . . وهذه المعونة خلاف المشروعات التي تنوي الشركات والمؤسسات الامريكية تنفيذها ، وتقدر بألفي مليون دولار . . »

و « المتفق عليه أن توفر أمريكا عدداً ضخماً من الخبراء الذين تطلبهم مصر لسرعة تنفيذ مشروعات التعمير والتصنيع والتعليم » . .

وجاء مكنمار رئيس البنك الدولي وظل يغوص في أسرار مصر الاقتصادية ، ثم تمخض عن قرض لمياه الشرب ! . بفائدة 1/4 7 % .

أما الاحلام الامريكية فتحققت في تدفق البنوك . . تشيز مانهاتن . . بنك بان امريكا . . الامريكان أكسبريس . . فيرست ناشينال سيتي وكانت قد صفيت أعماله في مصر عام 1961 . . ووصل عدد البنوك الى 36 بنكاً أمريكاً وأوربياً ويابانياً جاءت تنهب أموال مصر ، وثلاث فنادق مثل شيراتون في السويس والاسماعلية وبور سعيد . .

وتمخض « الانتاج » عن مأساة ، أخذ ينعيها من دفعوا مصر اليها . . فكتبت مجلة الاحتكارات البريطانية ( الايكونومست ) تقريراً اضافياً عن مصر ، جاء فيه « . . **واذا كان حلوان رمزاً للماضي الموالي السوفييت ،فان تجديد قصر الخديوي اسماعيل ، القديم ، المحاذي للنيل والذي تقوم به شركة فنادق أمريكية ، يشكل رمزاً مخجلاً للحاضر الموالي للغرب** »

ومع ذلك ، فتجارة الفنادق هي الوحيدة التي تبشر برواج ممكن ، حيث يضع العرب والمصريون أموالهم ويقدم الغربيون خبرتهم ومعداتهم . . فندق هيلتون يضيف جناحاً لبنائه الحالي ، ويخطط لانشاء فندق جديد . . أما الشيراتون فيخطط

لانشاء ثلاثة فنادق ، فيما يتهيأ فندق « واغون لتس » الفرنسي لانشاء فندق في ميدان التحرير ، ويمهد الانتركونتتال الارض على شاطىء النيل لاقامة فندق من خمس وعشرين طابقاً !! .

ومع ارتفاع اسعار شقق البذخ من 45,000 ألف الى 200,000 ألف دولار تنصب أموال الخليج أيضاً على بناء الشقق السكنية . .

أما بالنسبة للبنوك الاجنبية ، فقد نشرت إحدى الصحف الخليجية دراسة عنها تحت عنوان : « بدل أن تأتي الاموال الاجنبية لتمويل المشاريع المصرية ، خرجت رؤوس الاموال المصرية الى أنحاء العالم !! »

وصرح الدكتور زكي شافعي وزير الاقتصاد السابق :

**« . . المصارف الاجنبية في مصر تحتفظ بمعظم أموالها في الخارج ، وهذه الاموال هي ودائع المواطنين المصريين . وبالتالي فقد أصبحت هذه المصارف الاجنبية جسراً تعبره مدخرات المصريين الى الخارج في الوقت الذي تتزايد فيه حاجة مصر الى تمويل الاستثمارات المختلفة ، وتتجه الى اقتراض الجزء الاكبر من هذه الاموال من الخارج بفوائد باهظة » .**

**صرخات في واد**

ارتفعت الصرخات منذ البداية ضد أسلوب « سياسة السادات » ، وأصر العمال في مؤتمرهم على صيغة تحالف قوى الشعب . . وفي المؤتمر العاشر لاتحاد طلاب مصر ( ولم تنشره الصحف المصرية ) ، طالب رئيس اتحاد طلاب الجمهورية بتأكيد مطالب الشعب : (1) القطاع العام (2) نسبة العمال والفلاحين (3) تأكيد الناصرية . وصرخ أحد الطلبة في المؤتمر . .

« . . إكراماً لروح الشهيد أطلب من نفسي ومنا جميعاً أن نحمي ما ضحى الشهيد من أجله . . »

ولكن دماء الشهداء كانت قد سالت على أرض الوطن لتتحول الى سبائك ذهب تملأ جيوب الخونة وأعداء الشعب . .

قفز عثمان أحمد عثمان من وسط عمال التراحيل الى كرس الوزارة . . وارتبط مع السادات برباط النسب . . وتزاوج مع شركات الاحتكار العالمية التي وفدت من

كل حدب وصوب تنهب شعب مصر . .

وجاءت الرجعية التي ألزمها نضال عبد الناصر جحورها ، لتحول مصر الى دار لهو ودعارة . . بعد أن زاد ثراؤ ها أثر الحرب . .

وتعلق المثقفون والضباط الذين اشتروا العرب وبنوا الفيلات ، بأذيال الأسياد الجدد . . ونسوا الكرامة الوطنية وتخلوا عن الشعب

ومن خلال القانون 93 لسنة 1974 الذي أباح ممارسة تمثيل الشركات التجارية ، وتبعه قرار رئيس الجمهورية لتنظيم أعمال الوكالة التجارية ، نشرت جريدة ، « الاخبار » أن 2000 مليون جنيه ضاعت على الدولة ودخلت الجيوب والحسابات السرية . . وتساءلت الصحيفة « متى تنتهي لعبة العمولات ؟ »

وتتالت الفضائح كما نشرتها الصحف

عثمان أحمد يدافع عن نفسه في إتهامه باضاعة ٦ ملايين دولار في صفقة الحديد من اسبانيا . .

لجنة لتقصي الحقائق في صفقة اتوبيسات ايران

- 529 الف جنيه عمولات لـ 3 أفراد عن تصدير البرتقال
- تلاعب خطير في أموال شركة الزجاج . . خسائر اكثر من نصف مليون جنيه
- فضيحة شركة الطيران وارتباطها بفضائح شركة لوكهيد العالمية
- فضيحة وزير الكهرباء مع شركة وستنحهاوس

. . وتتالت الفضائح لتمس « قمة النظام » وتساءل محمود القاضي في مجلس الشعب عن التوكيلات التي يمارسها شباب من آبناء العائلات الحاكمة . .

وعندما اكتشفت إحدى العاملات بوزارة الزراعة اختلاسات بـ 400 الف جنيه كافأتها وزارة الزراعة بخصم 15 يوماً من مرتبها . وقضى على الرقابة الادارية بعد كشفها لعدد من الفضائح ! .

وأصبحت مصر نهباً مباحاً . . وتتألق صفحات الصحف تتحدث عن « الاسرار الخفية وراء البضائع الاجنبية المهربة » وقالت الاهرام « من هم المليونيرات الذين

يسيطرون على الاسواق ولا يحاسبون على ثرائهم المفاجىء . . » وقالت ايضاً . . « المدعي الاشتراكي يحقق في ظروف الثروات الخيالية التي صنعها التلاعب في اسعار البطاطس » ، وتحقيق عن إغلاق مدرسة وتشريد 1200 تلميذ بعد أن بيعت ارض المدرسة ومبانيها بمبلغ 36 الف جنيه في حين أنه يساوي نحو مليون جنيه . . » !!

وكانت النتيجة . . كما وصفت مجلة الايكونومست في عام 1976

« . . وتبدو القاهرة ، في الواقع ، وكأنها أصبحت مدينة من كهوف قلاع رملية يغمرها مد ثمانية ملايين انسان يحيون يائسين في أكواخ على السطوح وفي المقابر أو بيوت متداعية قديمة مستأجرة ، ويتحشر كل ستة الى ثمانية منهم في الغرفة الواحدة . . » .

وهانت حياة الانسان في مصر ، فأصبحت تستورد له معلبات اللحوم الفاسدة من فرنسا وألمانيا الغربية . . وصرح وكيل أول وزارة التموين أنه رفض إطعام الحيوانات بهذه اللحوم . . ويقول أن القطاع الخاص لا يستورد الا نوعيات ردئية خاصة من اللحوم المعلبة وهدفه الربح السريع . .

. . كل هذا . . وفي كل يوم مزيد من الانفتاح . . ومزيد من تدفق الاجانب . . ومزيد من الثراء لطغمة المجرمين الرأسماليين . .

أما المصريون . . عمالاً وفلاحين ومثقفين ، فقد شردوا في بقاع الارض يبحثون عن وسائل للحياة ! .

**الازمات . . والنتيجة . .**

في اعقاب الانفتاح ، انفلت معدل الواردات ليبلغ اكثر من 200 مليون جنيه مصري ! .

أما الميزان التجاري ، وكنتيجة لتلك الواردات الهائلة ، اختل اختلالاً شديداً . . وتفاقم العجز في المعاملات التجارية . . فحتى عام 1972 لم يكن العجز قد تجاوز 200 مليون ، قفز وتضاعف سنة 1973 بعد اعلان سياسة الانفتاح الاستهلاكية ليصل الى 450 مليون جنيه ثم 500 مليون جنيه لعام 1974 و 1300 مليون عام 1975 . . واستمر التصاعد . .

وارتفعت الاسعار خلال ثلاث سنوات بعد حرب اكتوبر أكثر من 50 % بينما

لم يتجاوز متوسط الزيادة في الاجور 6,5 % ! .

وعلق ملحق الاهرام الاقتصادي في عدده الصادر في فبراير ( شباط ) 1977 على الوضع الاجتماعي . . قائلاً :

**« . . بأنه مجتمع التفرقة والعزل . . يأتي على شكل العزل العنصري في جنوب أفريقيا وروديسيا وإسرائيل . . التفاوت الطبقي الصارخ والهوة المتزايدة الاتساع بين فئات اجتماعية لا تقل خطورة عن العزل بسبب لون البشرة أو الأصول أو الاعراق ، كلاهما يخلف فئات واسعة من المنبوذين . .» ويستهلك مجتمع العزل هذا بالصورة التالية :**

9,8 من مواطنيه يلتهمون 44,5 % من جملة الاستهلاك . . والاخطر من ذلك ، فان نسبة 2,3 في أعلى الهرم يلتهمون وحدهم 24 % من حجم الاستهلاك « ويكشف لنا تقرير من حزب التجمع الوطني ، الاسباب الحقيقية للأزمة التي تتصاعد كل يوم . . وهي ليست سوى عمليات نهب منظم وتخريب مدبر من الشركات العالمية التي تدفقت على مصر . .»

يقول التقرير . .

**« . . في عام 1953 بني فندق شبرد بأيدي مصرية وشركات مصرية ، في هذا العام تتم « عمرة واسعة » في الفندق ، وتتولى هذه العمرة 12 شركة أجنبية منهم شركة من أقصى غرب كندا ، من بلد إسمها « مانكوفر » ، 12 شركة أجنبية تشترك في عملية ترميم فندق ، صمم وبني وأثث بأيدي مصرية منذ 25 سنة مضت ! .**

**« مصر وحدها من عام 1950 حتى عام 1965 أقامت في القاهرة والاسكندرية وحدها 25 سنترال تليفون كامل بجهود مهندسيها وعمالها وخبرائها ، وبدون أي خبير أجنبي . و « اليوم » اقترضت مصر من البنك الدولي 62 مليون دولاراً لدعم شبكة التليفونات في القاهرة ، فأعطيت الـ 62 مليون دولاراً لشركة تليفونكن الالمانية الغربية التي انجزت عملية واحدة وبسيطة . .**

**. . وفي كل مرة تختفي سلعة محلية من السوق يكون السبب أن هناك سلعة مستوردة ، لا بد من توفير ظروف انتشارها . . يختفي « السابو والرابسو » لكي**

يباع « التايد » و « الاريل » المستوردان ! .

**وانخفض انتاج السجاير المصرية ليزيد توزيع السجاير المستوردة . . وهكذا** تتحول أموال المصريين الى جيوب الخواجات . . والشركات . . والوسطاء . . وانفق 200 مليـون جنيه عـلى نفق الشهيد أحمد حمدي الـذي يمر تحت قنـاة السويس . . وهو نفق لا أهمية عسكرية ولا اقتصادية بالنسبة للاقتصاد المصري ، انما أقيم تحقيقاً لمصلحة اسرائيلية ومطلباً اسرائيلياً . عبرت عنه جولدا مائير عندما قالت « لن يكون هناك سلام الا يوم أستطيع أن أستقل سيارة وأذهب للقاهرة للتسويق . . » ! .

وحاول البعض أن يدعي بأن هذا النفق يخدم أغراضاً عسكرية ، فرد الفريق الجمسي ، بأن هذا النفق لم تطلبه القوات المسلحة وليس لها فيه أية مصلحة ! ففي حالة قيام حرب ، فأن أول شيء يسعى اليه الطرفان هو نسف هذا النفق الذي تكلف 200 مليون جنيه ، كانت وحدها كافية لاقامة المساكن الشعبية وحل أزمة الاسكان ! . ولكنها دخلت جيوب الشركات الاستعمارية والمقاولين المصريين ! .

منطق الخيانة

كان « الميثاق » الذي عبر عن نضال الشعب المصري ينص :

« في مجال المال . .»

« يجب أن تكون المصارف في إطار الملكية العامة فإن المال وظيفة وطنية لا تترك للمضاربة أو المغامرة . . »

وبعد « الردة » قال وزير التعاون الاقتصادي في نظام السادات : « إن الهجوم على البنوك الاجنبية يتركز حول أنها تهتم بجمع الودائع من العملة الصعبة . . والواقع ، أن المصريين كانوا يقدمون عن طواعيه واختيار هذه الودائع لتلك البنوك أو فروعها خارج مصر في بيروت ولندن أو سويسرا .

باختصار . . فإن الدولة في مصر تقوم بما كان يقوم به المهربون سابقاً . . وقد واجه الوزير سؤالاً من محرر « روز اليوسف » . . قائلاً :

**ولكن المعروف ، أن رأس المال المالي هو عصب الاقتصاد والقابض عليه ،**

**الا تخشى أن تسيطر تلك البنوك الاجنبية وما في ذلك من خطر ، على الاقتصاد المصري ؟ »**

**أشاح الوزير بيده قائلاً :**

**-«لا يوجد أي خطر من هذا على الاطلاق ، فحجم أعمال تلك البنوك محدود بالنسبة لحجم البنوك المحلية ؟ ! .»**

**-«لماذا لا تسمحون للبنوك المحلية بهذه الاعمال ؟ .»**

**-«بصراحة ، حتى يطمئن رأس المال الاجنبي للاستثمار . . اننا جادون فعلاً ، ولتسهيل التعامل مع المستثمرين عندما يجدون فروع بنوكهم الاصلية الموجودة في لندن ونيويورك وباريس . . في القاهرة .»**

**« ثم هذه البنوك في النهاية بدأت تساهم في عمليات اقتصادية مصرية في حدود 40 مليون دولار حتى الآن والبقية تأتي ! .»**

وهكذا يكشف الوزير ، أن كل ما قدمته البنوك الاجنبية التي تنهب مصر 40 مليون دولاراً فقط للاستثمار . . فكم نهبت ؟ .

وكم من الاموال حولت الى الخارج ؟ . وكم من الارباح جنت منذ بداية الانتاج ؟

وكما حدث أيام الخديو اسماعيل ، يتقدم الاجانب بمشروعات وهمية يعترف بها وزير التعاون الاقتصادي في نظام الانتاج . .

فيقول :

« إن أول قوافل الاستثماريين التي نزحت الى مصر كانت من الافاقين والنصابين ، الذين تخيلوا أن بوسعهم أن يقضموا«الطورطة » مجاناً ! .»

● تقدم البعض بمشروع يساهم فيه بالآلآت والمعدات . . وعند تقييم تلك المعدات وجدنا أنها لا تساوي ربع الثمن الذي تقدم به الينا

● تقدّم مستثمرون أجانب بعرض توريد كميات من السلع التي يريدون انتاجها في مصر . . ثم تبين أن الهدف ليس استثمار أموال وانما هو بيع سلع ! .

● مثل آخر . . تلك المشروعات الضخمة عن القرى السياحية . . كلها أوهام . .

فهل تراجعت الدولة في ظل نظام « السادات » عن « الانفتاح » أم تمادت فيه وفتحت الابواب على مصراعيها للسلع . . والبضائع الفاسدة . . و لارباح الخيالية المنهوبة من دماء الشعب . .

وعندما تنتهي مهمة « السادات » لدى الاسياد الامريكان ، سيحملونه وحوارييه تهمة الفساد . . لتبرئة النظام الرأسمالي الذي يقوم على الجشع والنهم . . ويخلق الظروف للفساد . . ثم يحاولون خلق « سادات » جديد !!

**تصفية الناصرية**

كان الخطأ الاساسي في المرحلة الناصرية أن عبد الناصر أراد أن يكون « الكل في واحد » . . وتكونت حلقات كل منها يدعي أنه يمثل تياراً وطنياً . . وجعلت من نفسها حاجزاً بين عبد الناصر والجماهير . .

. . والثورة الوطنية ـ التي هي بطبيعتها ، في هذه المرحلة التاريخية ذات اتجاه اشتراكي ـ لا يمكن أن تتم بمعزل عن الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولا يمكن أن يقتصر دور الجماهير على تأييد القيادة مهما كانت مميزات تلك القيادة . . والطريق الطبيعي لانجاز الثورة الوطنية الاشتراكية هي طريق تنظيم الجماهير في أحزاب ومنظمات حقيقية تنبثق منها السلطة السياسية التي تتولى القيادة . . ولكن الحلقات التي أحاطت بعبد الناصر حالت دون تنظيم الجماهير . .

وأعتمدت « الناصرية » على الاجهزة البيروقراطية والبوليسية ، وعلى الرغم من تحقيق منجزات تقدمية وتحررية مهمة الا أنها لم تترك الفرصة لثورة حقيقية وظل « باب الردة » مفتوحاً . .

وعلى أثر وفاة عبد الناصر إنفجرت الصراعات بين حلقات النظام ، واستغلت القوى الامبريالية هذه الصراعات ، وبدأ النفوذ الامريكي العمل على تصفية « النظام الناصري » والقضاء على الاتجاه الاشتراكي ، ونسف المكاسب التي حققتها الجماهير . . .

وفي غيبة الجماهير ، اجتمعت قيادات هذه الحلقات التي أطلق عليها مراكز القوى ، ومن خلال المساومات بين أفرادها اختاروا « السادات » . .

وكان اختيار « السادات » صفعة لكل القوى الوطنية الحقيقية وللنضال الوطني . . فان ماضيه سواء في عدائه لحزب الوفد ( كان يمثل الغالبية ) أو في ارتمائه بين احضان الملك . . أو انتمائه الفكري للنازية ، كان معروفاً للجميع . . وكانت هذه الاتجاهات تمثل عداء للاشتراكية . .

وبدأ السادات في تنفيذ الخطة المرسومة . . تحالف مع « مجموعة الصحفي هيكل » لضرب « مجموعة علي صبري » . . .

وأدركت مجموعة « علي صبري » أنها تواجه ارتباطات مشبوهة بالامبريالية الامريكية . . فحاولت، أن تجر الاتحاد السوفيتي الى التدخل في الشؤون الداخلية في مصر ، ولكن السوفيت ظلوا ملتزمين بموقف عدم التدخل . .

. . وتحركت الولايات المتحدة وتم انقلاب 15 مايو ، وأبعدت إحدى حلقات النظام عن السلطة . . إن هذه الفئة التي أبعدت لم تكن المعبرة الحقيقية عن أماني وطموحات الجماهير في مصر ، ولعلها كانت المسؤولة عن أغلب حوادث الارهاب ، والوقوف بعنف ضد المنظمات الحزبية والنقابية ، واشتركت في النهب . . ورفعت وحققت شعار « آهل الثقة » . . فظهر على سطح المجتمع فئات طفيلية وعاجزة لتشغل مناصب ومراكز هامة . .

. وبدأ صراع جديد . . . بين مجموعة « هيكل » و « السادات » ، أو بمعنى آخر صراع بين اتجاهين . .

الاتجاه الاول . . يريد المساومة والتفاهم والمصالح وبشروطه التي كان ينادي بها : تحييد الولايات المتحدة . . والا لتقاء معها في منتصف الطريق

الاتجاه الثاني . . ويمثله « السادات » يريد حسم المشكلة نهائياً ـ ضد أمريكا . . أم مع امريكا ؟

والاتجاهان بعيدان عن تحالف قوى الشعب . . بعيدان عن خط التحرر

الوطني . . ويضعان نهاية للمرحلة الناصرية . .

الاول يريد ان يرسم نظريات جديدة لحركة التحرر العربية من خلال أوهام ، يحافظ بها على مكاسبه دون مشاركة الجماهير . . كان هذا الاتجاه يمثل « الورثة » للامبرياليات القديمة . . ورث عنها ملكية الشركات والمؤسسات التي آممت ، واقتنص الغرب والقصور التي تركها الاجانب وراءهم بعد التأميم . . وكانت خطة هذا الاتجاه تتمثل . .

( 1 ) التحالف مع الشعب باشكال غير محددة . . يقدم للشعب ما يريد أن يمنحه . . ويمنع عنه ما لا يريد أن يمنحه .

( 2 ) التحالف مع الاتحاد السوفييتي والقوى الاشتراكية في حدود المنفعة . . أي منفعة طبقة . . دون أن يلتزم بأي شيء للجماهير . .

( 3 ) التنازل عن المكتسبات الشعبية مع الاحتفاظ بما نالته الطبقة البيروقراطية من مكاسب . .

أما الاتجاه الثاني فيرى :

( 1 ) اقتلاع العشرين سنة الماضية من حياة الشعب المصري من عام 1952 حتى 1970

( 2 ) تجميد العلاقة نهائياً مع المعسكر الاشتراكي

( 3 ) الغاء القطاع العام والمكاسب الاشتراكية

وكان الاتجاه الثاني يمثل مطلب الولايات المتحدة والرجعية العربية . . ولهذا سرعان ما انتصر هذا الاتجاه الذي يمثل داخل مصر السماسرة والطفيليين والرأسمالية الزراعية .

واختفت من على مسرح الاحداث فئات البيروقراطية والرأسمالية الناشئة .

وكان الاتجاهان ضد حركة التطور وحركة الشعب . . وكان الشعب يقف بعيداً يرقب الصراعات ويعاني الازمات

وسقطت قوى المساومة والتفاهم . . لتبقى قوى التسليم الكامل . .

ولكن هل انتهى الصراع بين الاتجاهين ؟

انفصل « هيكل » عن جناحه ، وبدأ يبشر « بالحقبة السعودية » . . وأخذ يقدم نفسه بديلاً للسادات كاتجاه واعي وأكثر قدرة على ممارسة السياسة الامريكية في المنطقة بشكل له المظهر العلمي أو الاقناع المدروس ! .

الفصل الثالث

# حرب أكتوبر

«كانوا يتقدمون موجات بعد موجات ... كنا نطلق عليهم النار ... ويتقدمون ... كنا نحيل ما حولهم جحيماً ويتقدمون .

لقد كان لون القناة قانياً من الدم ، وهم يتقدمون .»

**الجنرال جونين القائد الاسرائيلي**
**لجبهة سيناء**

دولا مين ودولا مين
دولا عساكر مصريين
دولا مين ودولا مين
دولا ولاد الفلاحين

**أحمد فؤاد نجم**

# حرب أكتوبر

**من النكسة الى الردة . . . .**

كان قرار « حرب اكتوبر » قد اعلن ليلة 9 يونيو عام 1967 ، عندما رفضت الجماهير العربية منطق الهزيمة والاستسلام . . .

كان ما حدث في نكسة 5 يونيو ضد منطق انتصارات حركة التحرر الوطني . . . وضد حقيقة القوى الذاتية العربية . . . .

ولهذا سرعان ما انطلقت الجماهير في القاهرة والخرطوم وبغداد ودمشق . . . في كل الوطن العربي ترفض الهزيمة . . وسرعان ما أقيم الجسر الجوي بين موسكو والقاهرة . . .

وفي هذه اللحظات تأكدت الأسس العلمية والعملية التي تقوم عليها ثورات التحرير في نضالها ضد الامبريالية والصهيونية العالمية . . .

● التحالف مع جماهير العمال والفلاحين . . .

● تنظيم قوى الشعب ذات المصلحة الحقيقية ، في اطار تنظيماتها الطليعية ضد التحالف الرجعي الامبريالي .

● ان حركة التحرر جزء من الثورة العالمية . . .

**أولاً : حركة الجماهير**

كانت الحركة العفوية التي انطلقت ليلة 9 يونيو ، وعياً جماهيرياً حقيقياً . . . ولم يكن ينقصه سوى التنظيم والقيادة الطليعية ، ليكون وعياً علمياً يواجه النكسات . . .

ففي تلك اللحظات حيث حوم شبح الهزيمة ، ورفعت الرجعية شعار الاستسلام . . . وووقف الاتحاد الاشتراكي يائساً عاجزاً عن الحركة ، انطلقت الجماهير في كل مكان ترفض منطق النكسة . . .

شعرت الجماهير أن « نظام الحكم » الذي فرض عليها الوصاية يتداعى . . . وأن وراء الهزيمة والانهيار « مؤامرة » تستهدف سلب كل ما حققته الجماهير من انتصارات ضد الاستعمار والرجعية . . . كما تستهدف في المقام الأول ضرب مكتسبات التحرر من تأميم . . . وتحرر من عبودية رأس المال . . . ومن سيطرة ملاك الأرض الجشعين على وسائل معيشة الشعب . . . .

وكانت الجماهير تدرك أن قواها الثورية النامية التي هي جزء من الثورة العالمية لا يمكن أن تسقط في مثل « الهوة » التي حدثت خلال حرب 5 يونيو ( حزيران ) . . . .

وأكدت « مؤامرة المشير » ومحاكمة شمس بدران ، أن ما حدث في 5 يونيو لم يكن نكسة بقدر ما كان مؤامرة وخيانة ساهم فيها ضباط خونة من سلالة الاقطاع ، وصحفيون معروفون بالانتماء الى الرجعية . . .

. . . والواقع . . . كانت الجموع التي انطلقت ليلة 9 يونيو تمثل جماهير الفلاحين الذين جاؤوا من أعماق الريف متسلقين القطارات والسيارات . . . وعمال القطاع العام الذين زحفوا من الاحياء الشعبية والأزقة . . . ونساء كادحات . . .

ومع هذه الهبة الثورية ، انطلقت عناصر البورجوازية الصغيرة يجرفها المد الثوري والشعور الوطني ، بعد ان كانوا قد استسلموا أمام الهزيمة . . .

اما الرجعية والامبريالية التي أخذتها المفاجأة ، وكانتا تتربصان لتقفزا الى الحكم ، فقد انزوتا تتربصان لفرصة أخرى تضربان فيها الشعب . . .

ولكن التلقائية والعفوية التي اتسمت بها حركة الجماهير في 9 يونيو تعرضت للنكسات والوقوع في براثن القوى المضادة . . . فبينما تصدت الجماهير في تلقائية للمؤامرة الرجعية الصهيونية الامريكية ، قامت القوى اليمينية بعد أن أفاقت من هزيمتها ، باحتواء الانتفاضة واجهاضها . .

**ثانياً : التنظيم الطليعي .**

كان لوصول الجناح العسكري للحركة الوطنية عام 1952 الى الحكم ، تأثير كبير على التطور في مصر . . . وعلى مجرى الأحداث . . . .

وعندما أراد عبد الناصر أن يصحح الأخطاء بعد نكسة أو مؤامرة 5 يونيو (حزيران ) لم يستطع أن يذهب الى نهاية التغيير .

ففي خطاب 23 يوليو 1967

**« . . ان الشعب يطالب بوضع حد للامتيازات التي حصل عليها البعض بغير وجه حق . . وأنا مع الشعب » .**

**« . ان الشعب يطالب بالتكافؤ في التضحيات . . وأنا معه في ذلك . . »**

**« ان الشعب يطالب بالنقاء والطهارة الثورية . وأنا أطالب مع الشعب بذلك . . »**

ولكن المشكلة لم تكن تتعلق بـارادة فرد . . بل شكـل الحكم والقـوى الاجتماعية والتغييرات الاقتصادية . .

فما أن زالت « عصبة المشير » التي أشار اليها عبد الناصر بقوله أن هناك فئة عسكرية أعتقدت أنها « الوريثة للثورة » ، حتى تشكلت مراكز قوى جديدة ، كان بعضها امتداداً لعصبة المشير . . والبعض الآخر قفز ليملأ الفراغ الذي تركتة جماعة المشير . .

وسرعان ما أفاقت الرأسمانية الطفيلية والرجعيـة وأعادت تشكيـل قواهـا من جديد ، ومدت يدها الى مراكز القوى الجـديدة ، وتسلمت مـراكز حسـاسة في الحكم . .

ولم يكن في هذا جديد . . فقد حذر الفكر الاشتراكي من الحركات العفوية قائلاً :

**« . . قد يتساءل القارىء لماذا كانت الحركة العفوية ، حركة الاتجاه نحو أهون السبل ، تؤدي على وجه الدقة الى سيطرة الايديولـوجية البرجوازية ؟ »**

ويجيب :

**« . . ذلك لمجرد كون الايديولوجية البرجوازية من حيث منشؤها أقدم من الايديولوجية الاشتراكية ، ولأنها مبحوثة بصورة أكمل من جميع الوجوه ولانها تتصرف بوسائل الشر أكثر بما لا يقاس . . » .**

وهذا ما حدث بالفعل في مصر . . ارتفع شعار « لا صوت يعلو صوت المعركة » ، وخلف هذا الشعار عادت الامتيازات الى أصحابها . . وزادت الاختلاسات من القطاع العام . . وبينما الجماهير تبذل التضحيات كانت الفئات المحظوظة تزداد ثراء وتجري وراء عقد الصفقات مع الغرب الرأسمالي

. . وعاد التشكيك في القدرات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية للعالم الاشتراكي بهدف عزل مصر عن حليفها . .

**ثالثاً** : عزل مصر . .

في اعقاب النكسة مباشرة ، وبعد أن فشلت مؤامرة المشير وشمس بدران . . وتأكد تمسك الجماهير بعبد الناصر ، جاء الى مصر كبير محرري « نيوزويك » المجلة الامريكية واجتمع بعدد من كبار الصحفيين المصريين . .وطلب منهم الدعوة الى اخراج الخبراء السوفييت . . وقال صراحة أنه لا يعترض على استمرار هجومهم على الولايات المتحدة ! .

وأخذت الرجعية تشكك في قدرة وكفاءة السلاح السوفيتي ، بهدف فصم العلاقات بين حركة الثورة العربية وقوى الثورة الاشتراكية . .

الحقيقة أن « معركة السلام » والنزاع حول مصادر ونوع السلاح المطلوب للمواجهة ضد الاستعمار والصهيونية ، كانت من أبرز عناصر الصراع . .

كانت فضيحة السلاح « الفاسد » من القضايا التي تمخضت عنها حرب 1948 « وأثبتت التحقيقات تآمر الرجعية والاستعمار في شراء وتقديم السلاح الفاسد الى الجيش المصري مما أدى الى مصرع عشرات من الجنود بأسلحتهم وليس بسلاح العدو . . وأثبتت التحقيقات أن الملك وحاشيته ورجاله العسكريين استطاعوا أن يكونوا ثروات طائلة من وراء عقد صفقات السلاح الفاسد . .

وعندما سقط تحالف الاقطاع والاستعمار ، تحررت مصر من قبضة تجار

السلاح وعقدت أول صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي عام 1955 . .

وثارت أمريكا ! . وقامت فرنسا وانكلترا بالعدوان مع اسرائيل دفاعاً عن سوق السلاح الذي فقدوه . . وعن أسهم شركة القناة

وبعد نكسة يونيو ( حزيران ) بدأت الاشاعات . . » « السلاح السوفييتي سلاح دفاعي » . . و « السلاح السوفييتي سبب الهزيمة » . !! .

مما أضطر الاتحاد السوفييتي الى عقد مؤتمرات صحفية يكشف فيها أن الأسلحة السوفييتية لم تقاتل بل سلمت من القادة الخونة الى العدو دون أن تطلق طلقة واحدة . .

**العدو ؟ ! .**

أكد عدوان 5 يونيو ( حزيران ) أن الثورة العربية ، لا تواجه الصهيونية فحسب ، بل تواجه أمريكا . . وأعلن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه بعد النكسة في 23 يوليو 1967

**« . . أمريكا كانت مع العدوان . . وأيدت العدوان . . كان هناك تواطؤ بين أمريكا واسرائيل »**

وفي حديث رسمي بتاريخ 4 مارس 1968 . . قال :

**« . . إن لدى القيادة العامة العليا شواهد على أن الولايات المتحدة وبريطانيا اشتركتا في العدوان الإسرائيلي بطائرات من حاملات الطائرات تؤمن اسرائيل بغطاء جوي يكفل لطائراتها أن تتفرغ للهجوم . . »**

ولم يكن موقف الولايات المتحدة مفاجأة بل امتداداً طبيعياً لدورها في ضربة حركة التحرر العربي . .

ولكن ظهور أمريكا بشكل سافر العداء ، كان من أبرز التغيرات التي حدثت في المنطقة ، منذ بدأ العدوان الصهيوني . .

ان عدوان «5 يونيو» جزيران ، أكد أن خطوط القتال لم تكن تمر بين إسرائيل ودول المواجهة فحسب ، بل كانت تمتد لتشمل قوى الثورة العربية

وحركات التحرر والعالم الاشتراكي في مواجهة مع الصهيونية والامبريالية الأمريكية والاحتكارات العالمية . .

ولكن اليمين الرجعي والرأسمالية الطفيلية استمرت في زحفها . . وأخذوا يتحدثون عن تقنين الثورة . . وتدعيم القطاع الخاص . . وعن الموقف الدولي . . وظهر شعار « القوتان الاعظم » لوضع الاتحاد السوفيتي وأمريكا في كفتي ميزان متعادلتين . . الذي يقدم لك السلاح للدفاع عن نفسك في موقف الذي يدمرك بالسلاح أو الذي يقدم السلاح لعدوك . .

وبينما كانت المتغيرات الدولية والعالمية تسير في اتجاه كبح جماح قوى العدوان ، كانت الرجعية العربية تحول هذه المتغيرات الى عناصر للهزيمة . .

وجاء في مقال نشرته مجلة « الطليعة » التي كانت تصدر عن « دار الأهرام » . . تحت عنوان«المحتوى الجديد للوحدة الوطنية والشعبية الجديدة » ، أنه « يجب أن يعلو النضال الوطني فوق النضال الاجتماعي حيث أنه من الضروري استخدام كل الامكانيات للقضاء على آثار العدوان وتتبوأ المسألة الوطنية اليوم مكان الصدارة ، وقد أحتلت المكانة الرئيسية من بين مهامنا في المرحلة المعاصرة ، يجب ادراك هذه الحقيقة بمنتهى العمق » .

وكان معنى ذلك التراجع عن النضال الاجتماعي ، وفتح المجال أمام جماعة « زكريا محي الدين » التي كانت تدعو الى اعادة النظر في خط مصر السياسي الذي اتخذته قبل 5 يونيو تجاه الولايات المتحدة . .

واكدت صحيفة « الاهرام » في مقالات « هيكل » أن الولايات المتحدة تقبض في يدها في الواقع على مصير الشرق الاوسط ، وكان ذلك هو التمهيد الاول لما قيل أن الولايات المتحدة في يدها 99 % من الحل ! .

واستمرت مقالات « هيكل » تتحدث عن « القنبلة الذرية » التي تمكلها اسرائيل وعن « مناطحة الثور للجبل » . . ويقصد به مواجهة الشعب العربي للولايات المتحدة ! .

وبدأ رفع الحراسة عن الاموال والاراضي التي يملكها الاقطاعيون ، وأفرج عن أفراد من « عائلة الفقى » التي قتلت عضواً في الاتحاد الاشتراكي . . ومن

المعروف أن عائلة الفقي « كانت إحدى العائلات التي خانت مصر أيام الغزو البريطاني » ! .

وظهرت الدعوة والعمل في سبيل القضاء على الدور القيادي للقطاع العام . .

وقامت صحيفة « الاهرام » بالدعوة علنا في بعض مقالاتها بالدعاية لوجهة نظر « الرأسماليين الجدد » والتأكيد على ضرورة تشجيع القطاع الخاص ! ! .

وقامت جماعة « زكريا محي الدين وعبد المنعم القيسوني » بتقديم اقتراحات في أواخر 67 وأوائل 68 تهدف الى ايقاف بناء المؤسسات الجديدة التابعة للدولة ونقل المؤسسات التابعة للقطاع العام المؤممة ، والتي بنيت حديثاً « ولا تحقق ربحاً » الى القطاع الخاص . . كما اقترح رفع الاسعار للمواد الاستهلاكية . .

. . واستقال زكريا محي الدين من كل مناصبه . . واستبعد عبد المنعم القيسوني . . بعد أن سعى الرأسماليون الجدد الى تأييد البنك الدولي وبنك النقد الدولي في الحصول على قروض مقابل تغييرات جذرية في سياسة مصر . . والتخلي عن « التجربةالاقتصادية » التي بدأت منذ عام 1961 ، وتحسين العلاقات الامريكية المصرية . .

ولكن عبد الناصر أعلن في أكتوبر أن مصر ماضية في سياسة التنمية على الرغم من نصائح وتوجيهات البنك الدولي الذي طالب بتخفيض الاستثمارات في القطاع العام . .

وعلى الرغم من الاطاحة بالرؤوس المنفذة لخطط الرجعية ، الا أن الرأسمالية الجديدة والرجعية كانت « معششة » داخل أجهزة الدولة والاعلام ، تعمل في خبث وذكاء ماكر . .

**المؤامرة**

في جلسة مجلس الوزراء فبراير ( شباط ) عام 1968 . قال عبد الناصر :

**« . . شايف ان الامريكان عايزين يمشونا في سكة غير سكة قرار مجلس الامن . . اجتماع مشترك بيننا وبين اليهود غير موجود في قرار مجلس الامن . . تفاوض مشترك غير موجود أيضاً في القرار . أنا شايف إنهم**

عايزين عن طريق السير في الاجراءات بالاسلوب اللي مخططين له . . يمشونا الى مطلب اسرائيل الاساسي . هذا يجرنا الى ضرورة استعراض خطط الامريكان ضدنا . وهذه الخطط مرت على ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الاولى أن الهزيمة تقضي على النظام كله ويقوم بدلاً عنه نظام آخر موال للامريكان

ـ المرحلة الثانية كان في تقديرهم أن كل فلوسنا بتخلص في شهر ديسمبر بحيث نبقى غير قادرين على توفير القمح اللي بنعمل به العيش للناس . لكن قرارات مؤتمر الخرطوم جاءت صدمة لهم وأخذنا الدعم الاقتصادي اللي قدرنا نعبر به هذه المرحلة .

المرحلة الثالثة . وهي المرحلة الاخيرة . لقد إتجه الامريكان بعد ذلك للعمل على اسقاطنا داخلياً عن طريق عدم الاستقرار الداخلي . وأنا أقدر أن الامريكان حيصرفوا السنة الجاية من 15 الى 20 مليون جنيه في مصر على بعض العناصر الداخلية لتحقيق هذا الغرض . .»

. . وتحقق ما تنبأ به عبد الناصر . . ولكن بعد وفاته . . وأدركته الجماهير . . وحدثت الانتفاضة الطلابية في يناير 1972 . .

وأصدر الطلبة بيانات تدعو الى انهاء كل المحاولات التي تبذلها الحكومة المصرية ( حكومة السادات ) من أجل الوصول الى حل سلمي . . طالبوها بأن تتخلى عن الاهتمام بمبادرة الولايات المتحدة . .

ودعا زعماء الطلبة الى تجميد مرتبات كبار الموظفين والى حرية الكلام والصحافة . . طالبوا بأن تؤيد الحكومة تنظيمات المقاومة تأييداً كاملاً ، وبأن تفرج عن جميع العمال الذين القي القبض عليهم بعد اضراب حلوان . . وتميزت الخطب التي ألقاها الطلبة بشن حملات ضد « هيكل » رئيس تحرير الاهرام « و « موسى صبري » رئيس تحرير الاخبار

وامتلأت مباني الجامعة باللافتات والشعارات « نموت ونحيا مصر » « اقطعوا العلاقات مع « جزار عمان » « الحل السياسي لا وجود له » . .

واصدرت اللجان الوطنية في الجامعات والكليات المختلفة بيانات تعبر عن

اتجاهات الشعب ..

وجاء في بيان اللجنة الوطنية العليا لطلاب جامعة القاهرة :

(1) ايقاف كل المحاولات لعقد حلول سلمية مع العدو الامر ئي الصهيوني وشجب كافة المحاولات السابقة وانتهاج منهج حربي متنامي ضد العدو

(2) البدء فوراً في تعبئة جماهيرنا في شكل جيش شعبي قوامه فرق الطلبة والعمال والفلاحين لمواجهة احتمالات الحرب الطويلة ضد العدو

(3) تعديل هيكل اقتصادنا كيما يصبح اقتصاداً للحرب بأن يركز على الانتاج الحربي وإيقاف الترف الاستهلاكي وتحميل الدخول الكبيرة العبء الاكبر من المعركة

(4) اعلام غير هزيل ، وديموقراطية غير مزيفة

وكانت بقية بيانات الطلبة في مختلف الجامعات والكليات تتضمن نفس المطالب ، مع اضافات أو تأكيد على اقتصاد الحرب .. ووقف استيراد السلع الاستهلاكية .. وتقريب الفوارق بين المرتبات .. وتكوين المليشيا الشعبية ، وتأكيد دعم المقاومة الفلسطينية ..

استمر الصراع عنيفاً بين القوى الرجعية والمتآمرة وبين الشعب .. وفي الوقت الذي كان الطلبة يطالبون بموقف حاسم مع العدو الامريكي كان النظام يقوم باتصالات سرية وعلنية مع الولايات المتحدة ، افتضحت بعد أن أبعد « هيكل » عن « اللعبة » ونشر أسرار تلك الاتصالات في كتابه « الطريق الى رمضان » .. وتبين أن السادات كان على اتصال بأمريكا عن طريقين .. **الاول** : وزارة الخارجية .. **الثاني** : المخابرات الامريكية ..

وفي هذا الجو الملبد « بالضباب » كما قال السادات .. أو بالمؤامرات .. كما هي الحقيقة فوجىء الشعب في مصر والعالم العربي باشتعال الحرب في 6 (تشرين أول) أكتوبر 73 ، ففي الوقت الذي كان السادات يتحدث عن عداء أمريكا .. ويلح على طلب السلاح من الاتحاد السوفيتي ، كانت هناك اتصالات مع كيسنجر حتى قبل أن يتولى منصب وزير الخارجية .. عن طريق شبكات الاتصال المغلقة ..

ويروي « هيكل » في كتابه « الطريق الى رمضان » قصة هذه الاتصالات :

« . . فقد بذلت محاولات لايجاد وسائل جديدة للاتصال ، ووجدت نفسي مشتركاً في واحدة منها على الاقل . وكان ذلك ، حين قام دونالد كانديل رئيس مجلس ادارة بيبسي كولا بزيارة القاهرة عام 1972 ، وكان كانديل صديقاً شخصياً لنيكسون الذي كان محامياً للشركة ، وقد اتصل بي عن طريق محام مصري بارز هو الدكتور زكي هاشم ( محامي الشركات الامريكية ) الذي تولى بعد ذلك منصب وزير السياحية . . »

هكذا اشتعلت الحرب .

الحرب . .

« . . كانوا يتقدمون موجات بعد موجات . . كنا نطلق عليهم النار . . ويتقدمون . . كنا نحيل ما حولهم جحيماً ويتقدمون .

لقد كان لون القناة قانيا من الدم . . وهم يتقدمون » .

/ الجنرال جونين القائد الأسرائيلي /
لجبهة سيناء

. . كان واضحاً أن هؤلاء الجنود من الفلاحين والعمال الذين شقت لهم « الناصرية » طريق الحياة . . يريدون هذه الحياة . . لم يعودوا كما مهملاً . . بل تفجرت فيهم ينابيع الانسان المكبوتة منذ سنين . .

ولعل « الحرب الدفاعية » ، هي أسمى اللحظات التي تبدو فيها حقيقة الانسان ، وقدراته الخارقة . . وظل الانسان المصري محروماً من الدفاع عن نفسه مكبلاً بقيود ثقيلة ، حتى جاءت اللحظة التي انطلق فيها من هذه القيود ليظهر حقيقة جوهره . .

فعندما قامت ثورة 23 يوليو ، لم يكن الجندي المصري يملك سلاحاً الا بقايا الحروب التي يجود بها عليه العدو . . ولم تتح له فرصة التدريب أو العمل . . وكان يحكم خطواته قادة من « أبناء الذوات » الذين فرضوا عليه التدريب من أجل « الاستعراض »

وكان من أبرز أهداف الثورة « تكوين الجيش الوطني » . . فلن تستطيع دولة

أن تحمي بناءها وأبناءها بدون جيش قوي . .

وبعد صراع عنيف استطاعت مصر أن تحصل على السلاح من الاتحاد السوفييتي . . ولكن في اللحظة التي امتلكت مصر فيها السلاح ، كان الجيش قد انفصل عن الثورة . . وأصبح رصيداً للقوى المضادة . .

فكانت الاسلحة تظل في صناديقها . . والقادة والضباط الذين يدربون أو يتلقون أحدث فنون الحرب ينقلون الى مراكز مدنية بمرتبات مغرية بمجرد عودتهم من الاتحاد السوفييتي . . وكان عبد الناصر عاجزاً عن تغيير « المشير » أو « قادة الجيش المشبوهين » والا أحدث صداماً غير مأمون . .

وتفرغ عبد الناصر للبناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . . حتى كانت نكسة 67 ، وسقط « المشير » و « رجاله » . . وخلال فترة قصيرة نسبياً أعيد بناء الجيش وأختير القادة المؤهلون للعمل . . وتدفق على الجيش أبناء الفلاحين والعمال الذين أتاحت لهم « الثورة » فرص التعليم . . وأصبح الجيش من المؤهلين « لمعركة الحرب الالكترونية الحديثة » .

ويروي « هيكل » في كتابه « الطريق الى رمضان » . .

« في اجتماع بين عبد الناصر والماريشال زاخاروف الذي ألقيت عليه مسؤولية كل جوانب المعونة السوفيتية في إعادة بناء القوات المصرية المسلحة ، قال زاخاروف لعبد الناصر أنه اذا كان يريد نتائج سريعة فإن الحاجة تستدعي إحضار مزيد من مستشاري التدريب الروس زيادة على بضع المئات من الموجودين حالياً لديه . ورد عبد الناصر بأنه مستعد لقبول عدد من المستشارين يصل الى مستوى اللواء ، وهكذا أصبح لكل قائد لواء مستشاراً سوفيتياً معين له ، وكان عددهم قد بلغ حينذاك 1200 مستشاراً . . » ولعل عبد الناصر كان يتمثل بقول الفريق الشهيد عبد المنعم رياض :

**« . . ليست لدى فائدة في كل هذا الكلام عن الحل السلمي ، ان الجيش لا بد أن يقاتل ، واذا لم تتح له الفرصة للقتال ، فان رجالنا سيصبحون عبيداً ، وتصبح نساؤنا كلهن بغايا . . » .**

شيء هام أثير خلال الاعداد للمعركة ، ففي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا

للاتحاد الاشتراكي تحدث عبد الناصر عن أهمية تشكيل « الجيش الشعبي » لحماية الاهداف الرئيسية في مصر . . وقال عبد الناصر في هذا الاجتماع .

**« . . لا بد أن نسرع في اعداد الجيش الشعبي . لقد وعدني السوفييت بتسليح هذا الجيش الذي سيصل عدده الى مليون مقاتل . . وأن يكون واضحاً للجميع أن هذا هو قرارنا وأننا مصرون على عدم الاستسلام الى أن يحل آخرون محلنا فيحكموا ويستسلموا . أما نحن فلن نقبل . هذا ما قلته عام 1956 ، وما زلت أقوله وأكرره مرات » . .**

. . وكانت فكرة « الجيش الشعبي » مطلباً جماهيرياً ، طالب به طلبة الجامعات في مؤتمراتهم . . كما طالب به العمال . . ولكن القوى المضادة استطاعت أن تكبت « الفكرة » وأن توئد المحاولة . .

إن « القوى المضادة » التي كانت تعيث فساداً في الجيش . . انتقلت بكل ثقلها الى الجبهة الداخلية ، مستغلة انشغال « القائد » بالاستعداد للمعركة . . وسعت الى قرارات رفع الحراسة ، وفتح الباب أمام القطاع الخاص . . الى تدعيم الطبقة الجديدة . . وزيادة شرهها الى جمع المال . .

وهكذا اندلعت « الحرب » والصراع الطبقي في مصر على أشده . . ولكن البناء الذي أقيم خلال سنوات الثورة ، استطاع أن يبرز قيمة وحقيقة الانسان . .

**القتال . .**

ست سنوات وهم ينتظرون هذه اللحظة . . مئات الزوارق تعبر القناة . . الآف من الجنود ، ومع الجنود ركب المهندسون ومساعدوهم . . وكانت نيران العدو تنصب من خط برليف لاقتناص الرجال في زوارقهم . . وأصيبت زوارق . . وسقط شهداء . . واشتعلت ضفتا القتال بالقذائف . . وسط هذا الجحيم ، عبرت القوارب المطاطية القناة ـ عبر المشاة وعبرت الدبابات . . الجنود المصريون يقتحمون الدشم ، مستخدمين الاسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية . . و الالغام . . الجنود الاسرائيليون في ذعر . . المصريون فوق رؤوسهم . . يقتحمون عليهم حصونهم . . ويتلاحمون معهم بالمسدس والسلاح الابيض . .

كان الاسرائيليون يتساءلون وهم في حالة ذهول بعد وقوعهم في الاسر :

ـ أين كان هؤلاء المصريون . . إنهم ليسواهم المصريين الذين عرفناهم ؟ ولكنهم كانوا المصريين . . كانوا مشروعي السلاح . . محرومين من حق الحياة . . مفروض عليهم الجهل والامية . . وعندما تحرروا ظهرت قواهم الحقيقية . . ثم وجدوا السلاح والتدريب واتيحت لهم فرصة مواجهة العدو مباشرة والاشتباك معه في قتال . . رفعوا العلم المصري فوق خط برليف . .

وتحطمت أسطورة « التفوق الصهيوني » . .

لم تكن أسطورة . . كانت خدعة ، كان العدو « مسلحاً بالفانتوم » و « السكاي هوك » . . وعندما تسلح الجندي المصري « بصاروخ سام 6 تهاوى التفوق . . بل وواجهته « الميج » . . كان العدو مسلحاً بالدبابات الامريكية ، وعندما امتلك الجندي المصري الصواريخ « أرض أرض » انتهى التفوق الصهيوني . .

كان وراء الجندي الصهيوني عالماً طويلاً وعريضاً من الثورة الصناعية . . ومن خبرة وتجارب التصنيع سواء في التنظيم أو الادارة . . ومن العلم الحديث . . وانعكس ذلك كله في حرب 56 و 67 . . واستطاع الانسان المصري أن يعوض تخلفه خلال فترة زمنية تعد معجزة ، عندما ارتبط تصنيعه وتدريبه وعلومه بالثورة الاشتراكية . .

ففي خلال عقود طويلة ظل الانسان المصري تحت الكبت الاستعماري مقيداً بالزراعة ولم ينل من تجارب الصناعة أو العلوم الحديثة الا القليل الذي كان يمن به عليه العالم الرأسمالي . .

وعندما تحرر وفك أسر القيود ، وانطلق بحثاً عن المعرفة ، والعلم ظهرت له الحقيقة ، وهي ان التخلف ليس قدراً مكتوباً على شعوب دون أخرى . . . ولم يكن عجيباً من أصحاب العقليات الفاشية ان يروا في تحطيم خرافة التفوق مفاجأة . . . فقال رئيس الأركان الاسرائيلي . . :

« إن لكل حرب مفاجأة . . . ومفاجأة هذه الحرب هي الجندي المصري » .

كانت القوات المصرية مجهزة ومدربة بشكل متفوق ، وبروح قتالية عالية واستطاع المصريون أن يحطموا خدعة التفوق الصهيوني . . . وشاهدت سيناء

خوذات الجنود الاسرائيليين مبعثرة هنا ، هناك . . . والدبابات والمدرعات والسيارات المجنزرة الصهيونية محترقة ومتناثرة . . . والجنود الصهيونيين يجرون مستسلمين حفاة ، رافعين أيديهم الى اعلى . . .

ان استعمال الصواريخ سواء الموجهة الى الدبابات أو الى الطائرات تحتاج الى خبرات فنية عالية . . ومع ذلك استطاع العامل والفلاح المصريان أن يدركاها . . .

واذا كان قرار « الحرب » قد أتخذ ليلة 9 يونيو ( حزيران ) ، فإن القتال بدأ بالفعل « بحرب الاستنزاف » .

فكتب مراسل التايم الامريكية اثناء الحرب يقول :

**« إن سلاح الطيران الاسرائيلي الذي كان فعالاً عام 67 ، قد شلت فاعليته تقريباً بحائط الصواريخ . . . » .**

واستشهد عشرات العمال المصريين الأبطال وهم يبنون قواعد الصواريخ ، وتحمل القطاع العام في مصر عبء إقامة وانشاء حائط الصواريخ تحت وابل من قذائف طائرات العدو وبتضحيات مجيدة من المهندسين والعمال والفعلة أبناء الفلاحين المصريين . . . وكما قيل . . . كان حائط الصواريخ ملحمة في تخطيطه وبنائه . . .

وكان اغراق المدمرة إيلات التي دمرتها زوارق الطوربيد المصرية في أكتوبر تشرين الأول عام 1967 إيذاناً ببداية حرب اكتوبر .

**الوطن العربي**

لم تكن معركة « أكتوبر » معركة مصر وحدها . . . فالجماهير العربية التي انطلقت ليلة 9 يونيو في كل أنحاء الوطن العربي ، كانت تترقب لحظة القتال . . .

وكانت معركة سوريا من أروع معارك الحرب . . . اشتعلت في نفس اللحظة التي خاضت فيها الجيوش المصرية القتال . . . وكان العدو حائراً وهو ينقل قواته بين الجبهة المصرية والجبهة السورية . . .

ووصلت القوات السودانية الى مصر ، لتساهم في المعركة . . . وقامت القوات العراقية بما يشبه المعجزة لتقطع أكثر من ألف كيلومتراً بأسلحتها لتخوض القتال

بجانب القوات السورية . . . وكانت هناك طائرات عراقية في مصر تساهم في القتال . . .

واشتركت القوات الأردنية مع القوات السورية والعراقية في الهجوم على القوات الصهيونية . . .

وكانت هناك القوات الكويتية على ضفة القنال تقاتل جنباً الى جنب مع القوات المصرية . . .

وأسرعت القوات السعودية الى القتال بجانب القوات السورية . . .

وأعلنت الجزائر بعد ان اتجهت طائراتها الى مصر للاشتراك في المعارك . . . بياناً لمجلس الثورة والحكومة يقول :

« . . . الآن وقد بدأت المعارك ، فإنه ينبغي ان تستمر حتى النصر واتجهت طائرات مغربية من الرباط الى القاهرة . . .

وفي « ابو ظبي » بدأ التبرع بالنقود والدم . . .

وأعلنت « اليمن » انها ستبدأ في إرسال القوات خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ، كما أعلن رئيس وزراء اليمن الجنوبية أنه قد وضع كافة موارد بلاده ، تحت تصرف مصر وسوريا والفدائيين الفلسطينيين .

واذاع العراق ان موقف القوات العراقية في جبهة الجولان جيد . . . وأشار الرئيس العراقي ان العراق كان أول دولة تستخدم سلاح البترول ، وأضاف قائلاً : « ان الدم العربي بلا شك أغلى كثيراً من البترول . . . » .

وقام الفدائيون الفلسطينيون بضرب العدو بالصواريخ في عدة أماكن . . .

واشتعل العالم الثالث . . . وأعلنت أوغندا ان الجنود المتطوعين غادروا البلاد بالفعل لمساعدة العرب . . . كما أقيم جسر جوي بين تشاد والقاهرة . . وقطعت فولتا العليا والكاميرون ، وجمهورية أفريقيا الوسطى ، والدول الافريقية الأخرى علاقاتها باسرائيل .

الموقف الامريكي .

في اليوم الثاني للقتال تحركت إحدى حاملات الطائرات الامريكية ، واتجهت

الى جزيرة كريت . . .

وفي اليوم التالي اعلن مصدر عسكري في واشنطن أن عدة وحدات من الاسطول السادس الامريكي تحركت متجهة الى جزيرة كريت . . .

وتساءل وزير الخارجية المصري خلال مناقشات مجلس الامن عما اذا كان بعض المواطنين الامريكيين قد طلبوا حقيقة التطوع في سلاح الطيران الاسرائيلي . . . وان حكومة الولايات المتحدة تستعد لارسال 30 طائرة فانتوم إضافية الى اسرائيل من نفس طراز الطائرات التي حاولت الاغارة على القاهرة . . .

وكان رد المسؤولين الامريكيين الادعاء بأن الاتحاد السوفييتي يصعد الامدادات الحربية لمصر وسوريا .

ورفض المسؤولون الامريكيون أن يعقبوا على ما إذا كانت الولايات المتحدة مستمرة في إمداداتها بالمواد الحربية لاسرائيل أم لا ! . . .

وفي اليوم الخامس للمعركة ، كان مطار « هيثرو » بلندن وكأنه معسكر لترحيل الجنود . . . وكان المئات من الشباب الامريكي المتطوعين في حرب الشرق الأوسط ينتظرون السفر بالطائرات الى اسرائيل . . . ووصل أكثر من 500 رجل على طائرات نفاثة من نوع الجامبو وانضموا الى المتطوعين البريطانيين الذين ينتظرون السفر الى اسرائيل . . .

وتوقفت طائرة امريكية تابعة لخطوط « بان أمريكان » وهي في طريقها الى فرانكفورت ، في مطار « هيثرو » وانزلت 51 مجنداً للسفر من لندن الى ميدان القتال . . .

ووقع 37 عضواً من أعضاء البرلمان الكويتي الخمسين ، بياناً يحث على سحب الأرصدة النقدية من الولايات المتحدة ، وإعادة النظر في صادرات البترول الى امريكا . . .

وأعلن ممثل « الهستدروت » ( اتحاد النقابات الاسرائيلي ) ان القيادات النقابية الصفراء لعدة اتحادات عمالية قررت المساهمة مالياً في المجهود الحربي الاسرائيلي . . . واعلن جورج ميني رئيس اتحاد عمال امريكا مساندة وتضامن منظمته مع العمال الاسرائيليين .

وأكد متحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية أن حاملة الطائرات فرانكلين روزفلت غادرت برشلونة متجهة الى شرق البحر الأبيض المتوسط .

ورفض المتحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية في مؤتمره الصحفي اليوم التعليق عن شحنات معدات عسكرية فوق إحدى طائرات النقل الاسرائيلية . وقد ذكرت الصحف ان هذه الطائرة حملت بصواريخ جو/ جو . . .

وفي اليوم السادس صرح مصدر بوزارة الدفاع الامريكية أن هناك إمدادات عاجلة من قذائف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات ، وبعض أنواع الذخيرة الأخرى في طريقها الى اسرائيل وأوضح هؤلاء المسؤولون أن طائرات النقل الاسرائيلية سوف تشحن بأنواع الذخيرة المطلوبة من القواعد الامريكية .

وأعلن كيسنجر ان الولايات المتحدة لا ترى أن البيانات السوفييتية التي تحث الدول العربية على مساندة مصر وسوريا عاملاً « مساعداً » ، كما أن واشنطن غير راضية بالجهود العسكرية الروسية لاعادة تزويد العرب بالامدادات !

وذكر أن عدة مئات من الامريكيين والكنديين المتطوعين للخدمة أو القتال في اسرائيل ، قد وصلوا الى مطار « هيثرو » بلندن . . . وقد سافرت أول مجموعة منهم وتتألف من 113 رجلاً أغلبهم من الامريكيين اليوم الى اسرائيل ، ومن المقرر أن تغادر طائرتان بوينغ 707 اخريان لندن غداً نهاراً . . .

وذكرت صحيفة « يا » الأسبانية ان حوالي مائة وخمسين من الطيارين الامريكيين الذين كانوا يقودون طائرات فانتوم في حرب فيتنام قد توقفوا في مدريد في طريقهم الى اسرائيل . . .

وفي باريس ذكر السفراء العرب ان طائرات امريكية بقيادة طيارين امريكيين قد اشتركت في الغارات على دمشق . . .

وكتب فريد « هوفمان » مراسل وكالة أ . ب . في واشنطن أن المسؤولين قد صرحوا اليوم بأن الولايات المتحدة ستبدأ في خلال أيام في تعويض اسرائيل عن بعض خسائرها الفادحة في الطائرات والدبابات والمعدات العسكرية الأخرى . . . .

وقد رفض المسؤولون في وزارة الدفاع الامريكية مناقشة هذا الموضوع ، غير أن مصادر الحكومة الامريكية ذكرت أن القرار الرئيسي بهذا الشأن قد اتخذ بالفعل

وأن شحنات الاسلحة الامريكية ستبدأ في التحرك صوب اسرائيل قريباً !!!

ويقول المراسل ان ثمة دلائل تشير الى ان الولايات المتحدة سوف تسحب أسلحة من قواتها الجوية ومن الجيش الامريكي ، وربما تستعين بما لدى أوروبا ومناطق أخرى من العالم .

وكان هذا الاجراء أكثر أهمية من الجسر الجوي الذي كان يجري العمل به لاعادة تزويد اسرائيل بالأسلحة . . .

وكانت تقديرات البنتاغون تقول ان اسرائيل قد تكبدت ضربة عسكرية كبيرة اذا لم تكن كارثة . . .

وقال مراسل وكالة الانباء الفرنسية في جزيرة ترسيرا ( احدى جزر الآزور ) حيث توجد قاعدة امريكية جوية كبيرة ان ثلاثمائة طائرة امريكية تقريباً قد مرت بقاعدة لاجس الامريكية خلال الأربع والعشرين ساعة الاخيرة . . .

وقد صرح أحد ضباط السلاح الجوي البرتغالي في القاعدة البرتغالية الامريكية المشتركة في جزر الآزور بأن عدداً ضخماً من الطائرات كان يمر عبر القاعدة محملاً بكل ما يحتاجه المرء في الحرب .

وحددت وكالة الانباء البرتغالية الطائرات بأنها طائرات نقل من طراز سي - 130 وبوينغ 707 وبعض طائرات الفانتوم المقاتلة . . .

وقال الضابط البرتغالي أن التقارير في لشبونة تقول ان هذه الطائرات تطير من هنا الى اسرائيل مباشرة . . .

وفي اليوم الثاني عشر للقتال قدم لمجلس الشيوخ الامريكي مشروع قرار يحدد أن سياسة الولايات المتحدة مهتمة بالمحافظة على قوة اسرائيل ، وبالتالي تزويدها بكافة الوسائل اللازمة التي تكفل لها الدفاع عن نفسها !

وينص المشروع على ان الولايات المتحدة ينبغي عليها تزويد اسرائيل بجميع الوسائل اللازمة لهزيمة العدوان . . .

منذ بدء المعركة ذكر تقرير نشرته صحيفة « ليدجرستار » ، عن شهود عيان في محطة بحرية على المحيط قولهم :

« ان البحارة قاموا بلصق أوراق على العلامات الاسرائيلية فوق ذيل الطائرة عندما كان يجري شحنها ثم قاموا بدهن الأوراق بالطلاء » .

وكانت الطائرة الاسرائيلية تقوم بشحن صواريخ جو / جو من محطة جوية بحرية في فرجينيا . . .

ورداً على هذا التحدي الامريكي ، كتب الصحفي ارنولد بوشغريف في اليوم السابع للقتال معبراً عن تفكير المصريين الذين تلاقى معهم :

**« . . . ان الولايات المتحدة تنادي بضبط النفس ، اننا نوافقها تماماً على ان الحرب لا يجب ان تتوسع ، يجب الا تنتقل من الجبهة العسكرية الى الجبهة المدنية . . . ولكن من الضروري جداً ان تكون الولايات المتحدة أول من يتمسك بضبط النفس الذي تدعو له . . .**

**اذا كانت الولايات المتحدة بعد اجتماع حزب العمال الاسرائيلي وقراره بالاستمرار في ضم الأراضي - ستقرر اعطاء اسرائيل مزيداً من الأسلحة حتى تساعدهم في سياسة ضم الأرض ، فإن الولايات المتحدة تكون بذلك تعمل ضد كل عوامل ضبط النفس ، لقد صرحت الولايات المتحدة من قبل بأنها تزود اسرائيل بأسلحة من أجل سلامتها وليس من أجل التوسع واذا عاونت الولايات المتحدة قرار حزب العمال وساندته بشحنات من الاسلحة فإنها إذن تعاود التوسع . . .**

**ومن الواضح ان اسرائيل تحاول ان تجذب اطرافاً كثيرة في هذه الحرب وخاصة الولايات المتحدة عن طريق شحنات الاسلحة والمتطوعين الامريكيين والطيارين الحربيين السابقين واذا حدث ذلك فإن الولايات المتحدة ستكون على خط النار ضد مصر وسوف تنشب فيتنام أخرى . . . » .**

**الموقف السوفييتي :**

كانت المفاجأة الأولى في الحرب قد حدثت منذ سنوات عندما أغرقت القوات البحرية المصرية المدمرة « ايلات » بصواريخ من زوارق الطوربيد . . .

وكانت المفاجأة الثانية ، عندما أغارت الطائرات الإسرائيلية على القناة

وفاجأتها صواريخ سام3 وسام 6 .

وكانت المفاجأة الثالثة في حرب اكتوبر عندما قام المشاة من حملة الصواريخ ـ ولأول مرة في تاريخ الحروب ـ بمواجهة الدبابات . . .

وكما يروي كتاب « حرب الساعات الست » ، كانت الأسلحة « زي الرز » . . .

ومنذ اليوم الأول للقتال ، تحرك السوفييت في مواجهة الولايات المتحدة . . . وأرسل بريجينيف الى الرئيس الجزائري بومدين رسالة أعلن فيها :

**« ان مسؤولية الانفجار العسكري في الشرق الاوسط تقع كلية على عاتق حكام تل أبيب . . . ولم توقف اسرائيل منذ يونيو 1967 اعتداءاتها ضد البلاد العربية تساندها في ذلك وتحميها الدوائر الامبريالية . . . وأضاف بريجينيف في رسالته :**

**« . . . ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والحكومة السوفييتية مقتنعتان تماماً بأن القادة الجزائريين ـ الذين لديهم خبرة واسعة في مجال النضال ضد الامبريالية يدركون جيداً مدى تعقد الموقف الحالي . . . وهما واثقتان من أن القادة الجزائريين تحدوهم المثل العليا والتضامن الأخوي ، سيستخدمون جميع إمكاناتهم ويتخذون الاجراءات اللازمة لتقديم مساندتهم لسوريا ومصر في النضال الذي فرضه عليهما المعتدي الاسرائيلي . . .»**

وقال أخيراً . . .

**« . . . أما الاتحاد السوفييتي فإنه يقدم للبلاد العربية الصديقة كل صور المساعدة والمساندة في النضال العادل الذي تخوضه هذه البلاد ضد العدوان الامبريالي الصهيوني » . . . .**

. . . وعن موقف السوفييت أبدى أبا أيبان ثلاث ملاحظات هي :

● أن الاتحاد السوفييتي يسلح مصر وسوريا بطريقة مكثفة مما يغريهما بالهجوم .

● ان ليونيد بريجينيف طلب علناً الى رئيس الحكومة الجزائرية الاشتراك في النزاع

وهو ما يعد تحريضاً سافراً على توسيع نطاق النزاع .

● ان موسكو منذ بدء المعارك زودت مصر وسوريا بكميات كبيرة من الاسلحة . .

وفي اليوم السابع من القتال اعلن البنتاغون الامريكي أن السوفييت قد أقاموا جسراً جوياً حقيقياً لامداد سوريا ومصر بكافة انواع الأسلحة . . .

وصرح أندريه جريشكو وزير الدفاع السوفييتي :

**« . . . إن الدول العربية تدافع عن استقلالها الوطني في نضال عادل . . . » .**

ومن ناحية اخرى ذكرت صحيفة « داي فيلت » التي تصدر في « هامبورغ »، ان جمهورية المانيا الديموقراطية قد بعثت بطيارين وخبراء في شؤون الدفاع الجوي المضاد الى سوريا كمستشارين عسكريين . . .

واستعمل سلاح « البترول » ، لأول مرة مما جعل الدول الأوروبية الرأسمالية تقف في حذر مترددة بالنسبة للقتال . . . فبينما كان الاحتكاريون في فرنسا وانكلترا يحثون حكوماتهم على مساندة اسرائيل ، أصرت الحكومتان على اتخاذ موقف الحياد . . . .

كان العالم كله في جانب ، واسرائيل وامريكا في جانب ، وكما صرحت غولدا مائير :

**« ليس لاسرائيل أصدقاء في الغرب سوى امريكا » .**

. . . توقف القتال فجأة بعد ان دخلت طلائع الجيش الى « ممر متلا » ، وكان الطريق مفتوحاً لاستعادة العريش دون مقاومة . . . .

وظل العالم كله . . . وليس الشعب العربي وحده ، في دهشة عن سر توقف القتال المفاجىء لجيش منتصر والطريق مفتوحاً أمامه لتحرير الأرض . . .

**ويقول مراسل « روز اليوسف » في ميدان المعركة . . .**

**« كان الضابط يقول ان الاسرائيليين على وشك القيام بهجوم مضاد كبير . . .**

وسألته :

« لماذا لا تقوم بالهجوم الكبير المنتظر لدفع قواتنا الى الامام . . .
في طريق العريش . . . والممرات . . .

لم يجبني الضابط . . . »

ونشرت مجلة « نيوزويك » أن بعض رجال المخابرات الامريكية ذكروا أنه كان ممكناً للمصريين أن يندفعوا في الأيام الأولى للقتال للاستيلاء على « الممرات » ، وكان ممكناً نجاحهم . . .

وقالت مجلة « تايم » أيضاً ان المصريين قد فشلوا في أن يستغلوا الفرصة المؤاتية في سيناء لهم بعد النزول للتقدم نحو « ممرات متلا » مثلاً . . .

كان توقف القتال ، واستئنافه مرة ثانية يوم 14 اكتوبر أشبه بالهدنة التي عقدت في حرب 48 ، واستغلتها الصهيونية في تدعيم قواها بالأسلحة ورجال من أوروبا وامريكا . . . ثم استأنفت القتال الذي انتهى بمأساة ، بالنسبة للقوات المصرية التي كانت على مشارف تل ابيب قبل الهدنة . . .

استؤنف القتال في 14 اكتوبر بعد ان وصلت القنابل التلفزيونية الامريكية والدبابات والمتطوعين من الولايات المتحدة . . . وكانت الدبابات الامريكية تهبط من الطائرات الى ميدان المعركة . . .

وتوقف تقدم القوات المصرية على مسافة تتراوح بين 12 ، 15 كيلومتراً من نقطة بدايته ، مع تكبيدها خسائر كبيرة . . . وتلقت الوحدات المصرية المهاجمة بعد ذلك أمراً بالتراجع الى الخطوط التي بدأت منها الهجوم . . .

**الثغرة . . . الدفرسوار :**

بدأ هجوم القوات الصهيونية عبر القناة في منطقة الدفرسوار في 12 أكتوبر . . . أي ان الهجوم المصري لم يستأنف إلا بعد أن وصلت القوات الاسرائيلية الى ضفة «القناة » . . .

وظلت ثغرة « الدفرسوار » مثار الحديث والمناقشات بعد اعلان قرار وقف القتال . . . وظلت الحقيقة تائهة أو ملفوفة بالضباب حتى فجرها الفريق الشاذلي ،

وكشف دور القيادة السياسية في المعركة . . .

قال الفريق الشاذلي :

« . . . وقع خلاف بيني وبين السادات . . . بدأ الخلاف يوم 13 اكتوبر ثم تجدد بعد وقف اطلاق النار في 22 أكتوبر . . .»

ويقول ؛ . . .

« . . حادثة 13 أكتوبر ( تشرين الأول ) ، بدأت بكذبة صغيرة وانتهت بكذبة كبيرة . . في صباح ذلك اليوم ، وكنا في مقر رئاسة أركان الجبهة ، فوجئت بصحيفة « الأهرام » ومعها « الأخبار » تنشر أن بضع دبابات إخترقت المواقع المصرية . . . » .

ثم يقول : . .

« . . . كان الخبر غير دقيق لأن مئات الدبابات الاسرائيلية كانت قد بدأت حصارها للجيش الثالث . . . فطلبت موعداً عاجلاً مع وزير الحربية الفريق أحمد اسماعيل وسألته عن مصدر الخبر ، فأجاب : دي تعليمات الريس . . . » .

فهل صحيح ان ثغرة الدفرسوار نشأت نتيجة أوامر من القيادة السياسية بنقل قوات مدرعة كانت تحمي « الدفرسوار » الى الضفة الشرقية رغم معارضة القادة العسكريين ؟

وهل صحيح ان الفريق الشاذلي ، طلب عند حدوث الثغرة بتراجع فرقة من المدرعات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ولكن السادات رفض؟

ويجيب « هيكل » في كتابه « الطريق الى رمضان » :

« . . . كان المخططون المصريون يضعون في اعتبارهم ، واعدوا بالفعل خطة لمواجهة هجوم تقوم به القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية للقناة أطلق عليها اسم « الخطة 2000 » وخصصوا لها القوات التي ستقوم بتنفيذها . وكان « الدفرسوار » أحد ثلاث أماكن محتملة لاستخدامها في العبور الى الضفة الغربية » .

وعندما سئل المشير أحمد أسماعيل . . .

« هل حقاً أن أحد أسباب نجاح الاسرائيليين في فتح الثغرة هو اننا كنا قد نقلنا كل احتياطي الدبابات من الغرب الى الشرق بحيث أصبحت الضفة الغربية عارية ؟»

أجاب المشير :

«ـ ليس هذا صحيحاً فقد كانت الفرقة الرابعة موجودة فعلاً ؟»

. . . وهكذا لم ينف المشير ، وإن كان قد ذكر أن الفرقة الرابعة وحدها كانت موجودة . . .

أما « هيكل » فيؤكد أنه كانت هناك فجوة في منطقة الدفرسوار بلا حراسة . . .

وعلى الرغم من ذلك . . . حدث ما هو أبشع من مجرد نقل القوات التي كانت تحمي الدفرسوار . . .

ففي يوم 17 اكتوبر صدر الأمر الى لواء المظلات المصري 22 بالتحرك للسيطرة على الموقف ، وكانت عناصر من هذا اللواء قد وصلت تقريباً الى تقاطع الطرق الاسرائيلية ، كما كان رجال الضفادع البشرية ، بالتنسيق مع قيادة اللواء ، قد استعدوا لنسف الجسر عندما تلقوا الأمر بالتراجع واقامة جبهة على خط الفرقة نفسه الواقفة بجانبهم لتجنب وجود نتوء . وكان من العسير على قائد اللواء أن يصدق أن هذا الأمر صادر من مقر القيادة المصرية ، وطلب تعزيزاً له ، فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته . لكن في محاولة منه لكسب الوقت ، واتاحة الفرصة لنجاح مهمته ، فإنه طلب تعزيزاً للأمر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في القاهرة . وجاءه التعزيز أيضاً ، فأضطر رغم أنفه الى رفع قبضته عن « زمارة » الرقبة الاسرائيلية ، وكان قاب قوسين أو أدنى منها . . .

وكانت مدفعية الجيش الثاني ، وعناصر من مدفعية الجيش الثالث ، قد بدأت في قصف جسور العدو وأصابتها بأكثر من إصابة مباشرة حين تلقت القيادتان بدورهما أمراً بالانسحاب !

لم يكن تدخل «القيادة السياسية» أو بمعنى أصح « السادات » في العمل

العسكري قاصراً على « عملية الثغرة » . . . بل كان السادات يضع التحرك العسكري في حدود رسمها ولم يطلع عليها القادة العسكريون إلا لحظة العملية . . فعندما سئل المشير أحمد اسماعيل :

ـ لماذا لم يتقدم الجيش المصري بعد العبور واقامة رؤوس الكباري نحو ممرات سيناء المشهورة لاحتلالها ، واكتفى باحتلال مساحة على طول الشاطىء الشرقي للقناة بعمق ما بين عشرة وخمسة عشر كيلو متراً ؟ .

أجاب المشير أحمد اسماعيل :

**« . . . لأول مرة في تاريخ العسكرية المصرية تخرج توجيهات سياسية مكتوبة للقائد العام للقوات المسلحة ( السادات ) بجانب التوجيهات العسكرية توضح طبيعة المهمة والعملية !!! »**

وليست المسألة في حاجة الى ذكاء ، لندرك لماذا لم تتقدم القوات المنتصرة لاحتلال الممرات أو الوصول الى العريش . . .

إن احتلال هذا الجزء من الشاطىء الشرقي للقناة ، هو نفس ما طلبته الولايات المتحدة وأعلنه السادات واستنكره في خطابات 17 و 24 يوليو / تموز قبل حرب أكتوبر مباشرة !

**مزيد عن الثغرة**

. هل كانت « الثغرة » قاتلة ؟

ـ ـ أي هل كانت « ثغرة الدفرسوار » هي الدافع الى وقف القتال والتسليم ؟! قبل أن نخوض في مسألة الثغرة نجد اننا امام بعض الحقائق التي لا بد أن تستوقفنا .

**أولاً** : كان « السادات » يتدخل في سير القتال بتوجيهات سياسية ، ورأى المشير أحمد اسماعيل أنها سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ العسكرية المصرية . . .

**ثانياً** : كان « السادات » قبل القتال وبعد القتال ، على اتصال بالعدو الامريكي عن طريق شبكات الاتصال المغلقة . . .

**ثالثاً** : أفرج « السادات » عن الضباط المدانين في حرب 67 ، والمتهمين

بالتآمر والتقصير الذي بلغ حد الخيانة ، وأخرجهم من السجون وأعاد بعضهم الى الجيش . . . وتولوا مناصب خطيرة . . .

* * *

ذكر « فينوغرادوف » انه وخبراؤه العسكريين يشعرون بأشد القلق تجاه الموقف العسكري ، ويرون ان كثافة حشود القوات المصرية فوق شريط من الأرض محدود في الضفة الشرقية يعرضها لخطر كبير . وقال السفير السوفييتي للصحفي هيكل :

**« ذلك لأنه اذا بدأ الاسرائيليون عملية ضرب المنطقة ، فإن خسائركم ستكون أسوأ من أي شيء تعرضتم له في عام 1967 » . . .**

وأتصل هيكل بالفريق أحمد اسماعيل وأبلغه رأي السوفييت في ضرورة تقدم القوات المصرية لاحتلال الممرات . . . فقال :

**«ـ أتعرف . . . تلك كانت نيتي !»**

وعندما بلغ هذا الرأي للسادات ،. . قال :

**ـ « . . . إن الأرض ليست مهمة . . إنما المهم هو استنزاف العدو » !**

ولما أصدر « السادات » الأمر باستئناف الهجوم في 14 أكتوبر ، انقسمت الآراء بين ضباط القيادة المصرية . . . سواء القيادة العامة أوـ القيادات التابعة ، حول الهجوم . . . فرأى البعض أن اللحظة المثالية لم تنتهز ، ولكن لا تزال هناك فرصة طيبة للتقدم ، وربما استطاعت بتشديد الهجوم ان تعوض الزمن المفقود . . . ولكن البعض الآخر كان يرى ان الفرصة ولت ، وأن الوقت متأخر للقيام بالهجوم !! . . .

. . . وهكذا ضاعت فرصة احتلال الممرات ، التي أجمع المعلقون العسكريون في العالم اجمع على ان احتلالها كان في يد القوات المصرية . . . إن لم تكن القوات المصرية قد وصلت اليها بالفعل وصدر اليها الأمر بالانسحاب ! . . .

وخلال تلك الأيام حدثت « الثغرة » ، وعندما اعلن وقف القتال لم تتمكن القوات الاسرائيلية حتى تلك اللحظة من السيطرة على الطريق الرئيسي المؤدي من القاهرة الى مدينة السويس ، ولا على المواقع الاستراتيجية الموجودة في المنطقة . .

وبهذا حرمت قوات « الثغرة » من تحقيق أهدافها الاستراتيجية وأصبحت في وضع مهدد ومحرج من الوجهة العسكرية . . .

وعندما قبلت « اسرائيل » قرار مجلس الأمن ، كان هناك تواطؤ بين كيسنجر واسرائيل على الغدر وعدم الالتزام بالقرار . . .

فعندما عرض كيسنجر على القادة الاسرائيليين القرار ، طالبوه بفسحة من الوقت لدعم موقفهم في الثغرة . . .

فسألهم . .

«- كم من الوقت يلزمكم ؟»

وكان الرد :

- « يومين أو ثلاثة . . .»

وأجاب كيسنجر :

«- يوم . . يومين ، لا يهم . . إن قرار وقف القتال في فيتنام لم ينفذ إلا بعد يومين !»

وهكذا أعطى كيسنجر للقادة الصهيونيين الاشارة الخضراء لدعم موقفهم بينما كانت الأوامر للقوات المصرية هي الالتزام الكامل بقرار وقف القتال !

ووقف الجندي المصري محروماً من الدفاع عن ارضه وهو يرى القوات الصهيونية تتقدم أمامه ، وتحتل أراضٍ جديدة . . .

وعندما تم وقف القتال في 25 اكتوبر ، كان قرار مجلس الأمن يدعو الى الأمتثال لقراريه السابقين بعودة القوات المتحاربة الى خطوط 73/10/22 ولكن القوات الصهيونية ظلت متمسكة بمواقعها . . .

حدثت الثغرة . . وقاومها الجيش المصري ، وخرج سلمياً ، وبدأت الخطط استعداداً للقضاء عليها . . . ووضعت خطة شاملة يقول عنها المشير أحمد اسماعيل :

« . . . كانت لدينا خطتان للقضاء على الثغرة .«خطة محدودة » ثم خطة أكبر

**تلائم تطور الثغرة واتساعها » .**

**« لقد كانت لدينا خمس فرق للانقضاض على الاسرائيليين ، وقد رأى الامريكيون بواسطة أقمارهم الصناعية التجسسية استعداداتنا . . . وكان حتمًا ان نقضي على الثغرة . . وأعطيت السيد رئيس الجمهورية « تمام » . قائلاً أن وضعنا جيد قبل سفره الى أسوان . . . »**

وقال الفريق الجمسي :

« تم إيقاف النار الفعلي ظهر يوم 28 أكتوبر ، بعد وصول قوات الأمم المتحدة . . واعتباراً من 31 أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب الاستنزاف المخططة ضد العدو غرب وشرق القناة . . . كانت أمامنا مهمة رئيسية وهي ألا نسمح للعدو أن يتمركز أو يخندق ويثبت أقدامه في الغرب . كان هذا عملاً يومياً للقوات المسلحة ، الى ان يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة . . .»

وقد وضعت خطة الهجوم الشامل . . . وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة ، الطيران والدفاع الجوي ، والبحرية . واختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة . . وعرضت على السيد الرئيس في 24 ديسمبر وصدق عليها . . . ولم يبق إلا تحديد الموعد . . . بقرار من الرئيس . . .»

أما اللواء سعد مأمون فيرى من ناحيته . . .

« . . كان شعاري أن نلقن العدو درساً . . . أقصى من درس العبور وتحطيم حصون بارليف . . كل دبابة للعدو في الغرب . . . كان يقابلها حوالي دبابتين في قواتنا وقطعتين مضادتين للدبابات . . . علاوة على نيران المدفعية والطيران ، علاوة على احتياطي القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير . . .»

ولكن السادات فاجأ القوات المسلحة للمرة الثالثة أو الرابعة بقبول إتفاق فك الأرتباط . . .

كانت المفاجأة الأولى من السادات خلال المعركة ، هي صدور أوامره بوقف الهجوم بعد اختراق خط بارليف .

وكانت المفاجأة الثانية . . أوامره بنقل اللواء المدرع من منطقة الدفرسوار الى الضفة الشرقية ، مما أتاح للعدو فتح الثغرة . . .

وكانت المفاجأة الثالثة . . . قبول وقف القتال في 22 أكتوبر . . .

ثم المفاجأة الرابعة . . . قبول إتفاق « فك الارتباط » رغم تحديد موعد تصفية الثغرة . . واستعداد سوريا في تلك اللحظات للقيام بهجومها الكبير . . .

فهل كان السوفييت . . أوالسوريـون هم الداعين الى وقف القتال ، كما أعلن السادات ؟ . . .

. . وهنا تبرز وثيقة شبه رسمية ، لم ينكرها السادات . . . ولم تكذبها وسائل اعلامه . . . تشرح لنا ما حدث . . .

الوثيقة هي نص حديث لفلاديمير فينوغرادوف السفير السوفييتي في القاهرة مع عدد من الشخصيات المصرية الرسمية والعسكرية ، ونشـرته صحيفـة « السفير » اللبنانية في عددها الصادر في 16 أبريل / نيسان عام 1974 . . . .

« . . . هدف الحرب المباشر !»

« سأل القادة السوفييت عن الهدف المباشر المطلوب تحقيقه من هذه الحرب ، وهل هو التحرير الشامل للأراضي العربية المحتلة ؟»

وأجاب السادات :

«- ان الهدف عمل محدد لتغيير ميزان القوى العسكري ، والسياسي ، لصالح العرب ، ولهدم نظرية الأمن الاسرائيلي ، ولتحريك جمود الأزمة . . .»

ويقول السفير السوفييتي :

« ونقلت للرئيس السادات وجهة نظر القيادة السوفييتية في أن هذا الهدف قد تحقق بالفعل ، وأن التفكير في طلب وقف اطلاق النار في هذه المرحلة يعد امراً منطقياً ، ما دام الهدف قد تحقق ، وقبل أن تفيق اسرائيل من صـدمة الهـزيمة المفاجئة ، إلا إذا كانت هناك نية لتحقيق أهداف أخرى أكبر . . .»

وقال السادات :

« . . . إنني أريد استغلال الحجم الكبير للنجاح العسكري الذي تحقق على الجبهة المصرية لتطوير الهجوم ، والتقدم لاسترداد الممرات » . . .

تطوير الهجوم . . .

« . . . صباح يوم 10 تشرين وافقت القيادة السوفييتية ، وأكدت أنه اذا كانت مصر تريد تطوير الهجوم لاسترداد الممرات فيجب ان يتم ذلك فوراً ، دون إبطاء ، لأن الفرصة المتاحة للاستفادة من نجاحات 6 أكتوبر واستغلال المفاجأة الاستراتيجية ما زالت قائمة وان لم تكن لوقت طويل ، لأن أجهزة الاستطلاع السوفييتية رصدت حشوداً اسرائيلية ضخمة تستعد للعمل في الجبهة المصرية . .»

« . . . وقال السادات :

انه يفضل الانتظار في المواقع الحالية ، واصطيادها في صحراء مكشوفة ، قبل التقدم لاسترداد الممرات . . .»

ولم يبدأ تطوير الهجوم المصري إلا يوم 14 اكتوبر !

الاختراق الاسرائيلي

وفي يوم 16 تشرين ، وبعد خطاب السادات في مجلس الشعب ، وصل الى القاهرة كوسيجين واجتمع مع السادات عدة مرات وكان الاختراق الاسرائيلي - للقوات المصرية شرق القناة ، وبدء تسلل القوات الاسرائيلية غرب القناة قد أصبح امراً واقعاً وتم الاتفاق بين كوسيجين والسادات على أن يبدأ الاتحاد السوفييتي اتصالات لوقف اطلاق النار . وقدر لهذه الاتصالات أن تستغرق فترة كافية تتمكن مصر خلالها من القضاء على التسلل والاختراق الاسرائيلي ، وتتمكن سوريا من القيام بهجوم مضاد في الجولان ، وحتى يتم وقف اطلاق النار والوضع ملائم للعرب مائة بالمائة . . .

وقف اطلاق النار .

وقال السفير السوفييتي :

« في فجر 20 تشرين ، وفي الساعة الثالثة صباحاً بالضبط ، اتصل بي الرئيس السادات ، وطلب مني ابلاغ بريجينيف رسالة عاجلة بالموقف ومطالبة بالتدخل لتحقيق الوقف الفوري لاطلاق النار ، وكما علمت بعد ذلك ، فإن سوريا لم تكن تريد وقف اطلاق النار في ذلك الوقت حيث انها كانت على وشك القيام بهجومها المضاد الكبير . . .»

« . . . وأصدر القادة السوفييت قراراً فورياً باعلان التعبئة الجزئية في القوات السوفييتية ، وحشد سبع فرق عسكرية سوفييتية ووضعها على أهبة الاستعداد للسفر والقتال على الجبهة المصرية . بل وصلت طلائعها بالفعل الى القاهرة . . .»

قرارات خطيرة :

ومضى السفير السوفييتي قائلاً :

« . . . وكلنا نعرف قصة الأيام التالية والحزن الاسرائيلي لوقف اطلاق النار ، والتهديد السوفييتي بالتدخل المنفرد عسكرياً ، والاتصالات مع أمريكا حتى تحقق وقف اطلاق النار النهائي في 26 اكتوبر .

لم أخف شيئاً إلا بعض القرارات البالغة الخطورة التي إتخذها الاتحاد السوفييتي في الفترة من 23 الى 25 . . . وتعرفها القيادة المصرية جيداً . . ولم يحن الوقت ـ بعد ـ لاذاعتها ، رغم أنها كافية وحدها ، دون أية تفاصيل أخرى ، ليعلم العرب المدى الذي وصل اليه الاتحاد السوفييتي في تأييده لحركة التحرر الوطني العربية » .

ويؤيد كلام السفير السوفييتي ما جاء في « الوثائق » التي نشرت في صحيفة « القبس » الكويتية بتاريخ 1975/9/24 . . . وهي عبارة عن نص البرقيتين المتبادلتين بين السادات والأسد في 21 اكتوبر 1973 . . .

« من السيد الرئيس محمد أنور السادات

الى السيد الرئيس حافظ الاسد . . .

يتطور الموقف بصورة خطيرة على جبهتنا . . . إتضح لي في العشرة أيام الأخيرة أنني أحارب أمريكا ، ولست أستطيع أن أتحمل المسؤولية التاريخية لتبديد قواتي مرة أخرى ، لذلك أخطرت روسيا بقبولي وقف القتال على الخطوط الحالية .»

« إن قلبي ليقطر دماً وأنا أخطرك بهذا ولأن مسؤوليتي تحتم عليّ اتخاذ هذا القرار . ولسوف أواجه امتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبني الشعب.» .

ورد الأسد في برقية تحمل نفس التاريخ . . . أي 21 أكتوبر 1973 : « من الرئيس حافظ الاسد الى الرئيس محمد أنور السادات تلقيت برقيتكم وكانت مؤثرة

**للغاية ، أخي الرئيس ، حاولت بعد وصول برقيتكم أن أمعن النظر مرة أخرى في الموقف العسكري على الجبهة الغربية وعلى ضفتي القنال وخرجت باستنتاج وهو ان الوضع لا يدعو الى التشاؤم وأنه بالامكان أن يستمر الصراع مع القوات المعادية سواء منها تلك التي أجتازت القنال أم تلك الموجودة أمام قواتنا على الضفة الشرقية . ويمكن أن يؤدي استمرار الاعمال القتالية الى تدمير القوات المعادية التي عبرت القنال . . . » .**

واذا تغاضينا عن الخيالات ، والاحساس الزائد بالذات ، في كتابات حسنين هيكل ، إلا اننا نلجأ اليه كشاهد معروف بانتمائه الى الغرب والولايات المتحدة بالذات . . . فماذا قال في كتابه « الطريق الى رمضان » عن لقاء بينه وبين السفير السوفييتي :

**« قال السفير السوفييتي » .**

**«لقد كنت طوال اليوم في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين . وأقول لك الحق ، أنهم غير مرتاحين الى النحو الذي يتطور اليه الموقف ولست أدري السر في عدم تقدم قواتكم ، لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأوا الاندفاع الى الممرات ؟ إن هذا ليس بالأمر المنطقي . . . »**

**وقال السفير :**

**« . . . إن الجسر الجوي لمصر وسوريا قد بدأ بالفعل . . .»**

**. . . ويقول هيكل :**

**« . . . إن من بين الأسئلة التي وجهها اليه بريجينيف ( أي الى السفير السوفييتي ( بالتليفون ( « ما هي حدود أهدافهم المحدودة » ) ـ كان الرئيس السادات لا يزال يؤكد للسوفييت . . . هذه حرب «أهداف محدودة » .**

* * *

ان هذه الوثائق تؤيد بعض الحقائق وليس كلها ! .

**أولاً** : ان السادات عندما اعلن الحرب في أكتوبر لم يكن هدفه التحرير . . . بل « التحريك » ! وكانت أهدافه المحدودة سراً لم يعلنه . . .

**ثانياً** : ان السادات لم يكن يحارب امريكا ـ كما ادّعى ـ بل كانت تقف بجانبه قوات سوفييتية . . . وفي مقابل الجسر الامريكي لاسرائيل ، كان هناك جسر سوفيتي لمصر .

**ثالثاً** : ان السادات حقق بالحرب ما طالبته الولايات المتحدة به . . التقدم الى عشرين كيلومتر شرق القناة . . وفتح القناة للملاحة . . . والتفاوض مع اسرائيل . . .

**المعركة . . وماذا بعدها ؟**

. . . الذين شاهدوا الصمت والألم والغضب على الوجوه لحظة وقف اطلاق النار . . . لن ينسوا تلك اللحظات . . .

والذين عاشوا تحت قصف طائرات العدو . . . وشاهدوا الضحايا من الأطفال والنساء صرعى قنابل النابالم الامريكية . . . لم ينسوا الآلام التي تفجرت لحظة وقف اطلاق النار . . .

كانت المعركة في عنفوانها . . والعالم مذهول من قدرة هذا الشعب العربي الذي وصفوه بالجهل والتخلف والاستكانة . . . ولاحت تباشير النصر ، فالعالم كله يتحرك معنا . . .

الشعب العربي ينطلق من قيوده . . . والوحدة العربية تؤكد وجودها . . والتضامن الافريقي يتصاعد . . والعالم الاشتراكي يمارس صداقته وتحالفه في أروع صورة . . . بالسلاح والمعدات والرجال . . . وتفجرت صراعات العالم الرأسمالي . . .

ووقفت اسرائيل وحيدة إلا من التأييد الأمريكي . . . وأوشك الحصار أن يطبق على العدو . . ولم يكن أمام أمريكا إلا ان تخوض معركة عنيفة وقاسية ـ كحرب فيتنام ـ لانقاذ اسرائيل . . .

كانت هذه اللحظات هي قمة الصراع . . . وأهتز العالم الرأسمالي أمام المفاجأة العربية في 6 أكتوبر وأذهله تطور الاحداث . . . ورفعت الولايات المتحدة حالة التأهب بين قواتها الى الدرجة القصوى . . . ولكنها كانت أشبه بمن يتشبث بأوهى الوسائل لتتماسك أمام العالم . . .

كانت الولايات المتحدة تواجه نفس المصير الذي واجهته بريطانيا وفرنسا ـ بعد معركة 1956 . . . ولكن ما حدث في أعقاب حرب اكتوبر كان نقيضاً لما حدث بعد معركة 1956 . . .

كانت المعركة ضد الامبراطوريتين الهرمتين ، فرنسا وانكلترا نتيجة لتأميم قناة السويس . . . وكانت ضربة التأميم قاصمة للاستعمار القديم . . .

وأعلنت كل من فرنسا وانكلترا حالة التأهب القصوى . . وشنتا الحرب الى جانب الكيان الصهيوني رأس الجسر للمصالح الاستعمارية . . واحتلتا بورسعيد . . . وتقدمتا نحو الاسماعيلية . . .

كل هذا لم ينه المعركة . . بل استمرت حتى اندحرت اكبر امبراطوريتين شهدهما التاريخ الحديث . . .

وكانت آثار المعركة ونتائجها رهيبة على العدو وحلفائه . . .

- سقط النظام الملكي الرجعي في العراق .
- تحقق النصر لثورة الجزائر .
- تفككت وانحلت امبراطورية فرنسا في افريقيا .
- تم تأميم كل المصالح الفرنسية والانكليزية في مصر . . .

وهنا يتبادر السؤال التالي :

ـ هل خافت الأنظمة الرجعية ان يتكرر في أعقاب معركة 6 أكتوبر ما حدث في أعقاب 56 . . . ؟ .

ـ هل خافت القوى الرجعية أن تسقط هيبة حليفتها الكبرى أمريكا ، فتتساقط مواقعها كما سقطت أنظمة رجعية من قبل ؟ .

ـ هل خافت القوى الرجعية على ما تنهبه من ثروات شعوبها أن يضيع مع ضياع الامبراطورية الامريكية ؟ .

* * *

قال كيسنجر لأحد وزراء الخارجية العرب في لقاء بواشنطن :

« من الأفضل أن ننتظر مدة ثلاثة أو أربعة اسابيع الى ان تنهك الأطراف المتحاربة بعضها بعضاً ، وعندئذٍ يصبح التوصل الى تسوية ما ممكناً . . .»

وقال أيضاً :

« اننا لا نعتبر الرئيس السادات عدواً لنا . . . » !

« . . . كانت الولايات المتحدة تفصل بين الشعب المصري والسادات . . . فهي لا ترى السادات عدواً . . . ولكنها تقصف المدنيين في بورسعيد . . وتسلح اسرائيل للقضاء على الجيش المصري . . .»

وهكذا كانت تجري حرب 6 أكتوبر . . . تماماً كما جرت حرب 48 ، زعماء أو حكام في علاقات حسنة مع الولايات المتحدة . . . وشعوب تخوض حرباً مدمرة ضد الولايات المتحدة . . .

ففي الوقت الذي طلب السادات من كيسنجر « ان يزور القاهرة عن طريق الاتصالات « غير المرئية » . . وكان ذلك قبل قرار مجلس الأمن بوقف القتال . . كان الجيش المصري يخوض أعنف المعارك ضد القوات الامريكية والصهيونية . . وكان الجسر الجوي السوفييتي يقدم العون وأعلنت حالة الطوارىء في وحدات الجيش الأحمر ، وتم نقل ألوية مظلات الى جنوب المجر ومن هناك الى مصر عبر يوغوسلافيا . . . وقدرت القوات السوفييتية بخمسين ألف جندي . . .

. . . واعلنت الولايات المتحدة حالة التأهب النووي القصوى ، ولم يأبه الاتحاد السوفييتي . . .

وكان الهدف من التحرك السوفييتي فك الحصار عن الجيش الثالث . . . ودعم القوات المصرية للقضاء على الثغرة . . .

وتوقف القتال بعد ان تلكأت اسرائيل في تنفيذه . . ولكن بدأ الاستعداد للقضاء على الثغرة . . .

وقال كيسنجر بصراحة انه اذا حدث ذلك ، فإن أمريكا ستجد نفسها مضطرة لمساندة اسرائيل صراحة . . .

ولم يكن كلام كيسنجر إلا تحصيل حاصل . . . فالولايات المتحدة ساندت

اسرائيل صراحة منذ بداية القتال . . . ولم يكن التهديد الجديد إلا من قبيل استعراض العضلات كما حدث في حالة « التأهب النووي » ، . . فإن الولايات المتحدة كانت تدرك أن أي خطوة ستجعلها في مواجهة مباشرة مع الاتحاد السوفييتي

وفجأة اعلن اتفاق « فك الاشتباك » و « فصل القوات » . . . وكانت جريدة « الأهرام » نشرت قبل الاتفاق بأربعة أيام . . . ما يلي :

**« ان بقاء اسرائيل على الضفة الغربية يؤدي الى النتائج التالية :**

**أولاً : يعرضها لاستنزاف مرهق .**

**ثانياً : يحمل اقتصادها ضغوطاً يتعذر عليها احتمالها الى ما لا نهاية . . .**

**ثالثاً : يلزمها الاحتفاظ باحتياطيها في حالة تأهب . . .**

**ثم قالت صحيفة « الاهرام » .**

**أما الفصل بين القوات الى مسافة زادت أو قلت عن القناة معناه :**

**أولاً : يلغي احتمال تجدد القتال بوجود قوات دولية فاصلة .**

**ثانياً : يثير قضية فتح القناة ويجرد مصر من حججها في عدم إعادة فتح القناة . . .**

**ثالثاً : الحل الجزئي بفتح القناة ينزع عوامل الضغط على المجتمع الدولي .**

**رابعاً : يجعل من الصعب استمرار شهر سلاح البترول . ويختم المقال كلماته بالقول :**

**« لاسرائيل إذن مصلحة في الفصل بين القوات بأية شروط أو بدون شروط** . . . وعلى الرغم من هذا كله . . . بل على الرغم من كل البطولات والتضحيات . . . وفي غياب الرقابة الدولية . . . وفي غفلة من الرأي العام العربي . . . فجأة وبأسرع مما كنا نتخيل . . يتم التوقيع على اتفاق فصل القوات . . . » .

في اعقاب حرب 67 استطاع الشعب في مصر وفي الوطن العربي ان يحول « النكسة » الى « صمود » ، واصرار على مواصلة القتال . . . وكانت أهم الخطوات نحو هذا الهدف . . .

(1) اغلاق قناة السويس . . .

(2) اخلاء مدن القناة إستعداداً للمعركة . . .

(3) تدعيم العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والعالم الثالث . . .

وكانت عملية إخلاء ، مدن القناة من أروع ما حققه الشعب في مصر ، واستطاع ان ينقل مصانعه وبيوته وحياته كلها الى مدن وقرى بعيداً عن مدافع العدو . . . وتقبل سكان مدن القناة حياة اللاجئين بصمود وصبر . . .

وزرعنا قواعد الصواريخ في كل شبر ، وفي ظروف غاية في القسوة والعنف . . وسقط عشرات من المهندسين والعمال المصريين . . . وسقط بجانبهم خبراء سوفييت . . .

كل هذا حدث بعد « نكسة » أو «مؤامرة »، فقدنا فيها كل سلاحنا . . وأموالاً طائلة . . . وتعرض الشعب العربي لابشع أنواع الاتهامات والطعون والتشكيك في قدراته . . .

ولكن الشعب لم يستسلم . . لم يفقد الأمل . . . لم يفقد الاصرار على مواجهة الامبراطورية الامريكية أو الصهيونية الفاشية . . .

وجاء 6 أكتوبر على قمة هذا البناء الشامخ الذي شاده الشعب طوال سنوات رائعة من الصمود والكفاح والقتال . . .

ولاح النصر . . كان العالم كله معنا يدين الصهيونية والغدر الامريكي . . . وظهرت بوادر التناقض والتفكك في المعسكر الاستعماري الرأسمالي . . . وبدأت دول افريقيا تسحب اعترافها باسرائيل دولة بعد دولة . . . ووجه الاتحاد السوفييتي نداءه الى المسلمين السوفييت لمساندة اخوانهم العرب . . .

وفجأة انطفأ لهيب المعركة . . وساد الظلام . . وتحرك كيسنجر وزير الخارجية

الامريكي اليهودي . . . وتم توقيع اتفاق الكيلو 101 .

وإذا بنا أمام واقع جديد .

● تم فتح قناة السويس .

● تعمير مدن القناة الثلاثة . . . السويس والاسماعيلية وبورسعيد تأكيداً لعدم العودة الى حرب التحرير كما شاعت اسرائيل . . .

● تخفيض القوات المصرية شرق القناة . . أي سحبها والاكتفاء بقوات رمزية . . .

● تدمير قواعد الصواريخ على ضفتي القناة . . .

وانتهى كل شيء . . . ذهبت كل هذه الحروب والدماء والأرواح هباء . . . وكان « فك الاشتباك » تمهيداً للمفاوضات الثنائية والاعتراف باسرائيل وفتح الابواب للامبريالية الامريكية .

تراجع الجندي المصري عن ارضه التي حررها بدمائه ورواها بدمه . وانفاسه . . . وأصبحت الولايات المتحدة « رسولاً للسلام » ومنحت « وسام الامتنان » ، على قذف أطفال مدرسة بحر البقر بقنابل النابالم من طائرات الفانتوم . . . وهلاك العمال في مصانع « أبو زعبل » تحت سيل القنابل الامريكية . . .

وحصلت أمريكا على «دور منفرد » في العبور الى الشرق الأوسط . . . والى عالمنا العربي . . .

وصدرت التصريحات لتأمين كل الظروف لغزو الرأسمال الاستعماري للتشييد والبناء وليس التصنيع . . . وهو نهج الاستعمار الامريكي في التنمية . . . فلا تصنيع ولا تطوير بل إقامة فنادق للسياح وتعبيد الطرق للأحلاف العسكرية . . . وممارسة تجارة المخدرات والجنس !

وأعلن « موشي دايان » بعد اتفاق الكيلو 101 . . .

« . . . إن حالة من التغيير في التفكير والاسلوب قد حدثت للقيادة المصرية » .

وصرح بأن هـذه الاتفاقيـة التي تمت هي إتفاقيـة ثنائيـة بين اسـرائيل ـ ومصر . . . ولا يضمنها طرف ثالث !! . . .

وكانت السخرية ، أن يعلن السادات بأننا أمام نقطة تحول تاريخية ! . . .

ولكن أية سخرية أقسى على النفس العربية من أن يقف كيسنجر عند معابد فيلة وينظر الى السد العالي ويقول :

« . . . إنني من هذا المكان استطيع ان اجمع بين الماضي ممثلاً في معابد فيله ، والحاضر ممثلاً في السد العالي . . . » .

وأية سخرية أقسى على النفس من أن نسمع كيسنجر يرد على أحد المصريين الذين قالوا له :

« ـ . . . إننا سننتزع الصحراء ! . . .

فيرد كيسنجر :

« ـ ولكني أحب الصحراء ! .

وأية سخريـة أقسى على النفس من ان يقف كيسنجـر عند السـد العالي ويتحدث عن امكانيات مصر الاقتصادية والزراعية والبشرية ! . . .

وبعد ذلك ردد الدعاة عن حرب اكتوبر قائلين :

ـ ألا يكفي ان القضية تحركت ! . . .

تحركت القضية . . ولكن الى أين ؟ الى طريق الثورة . . . أم الى الطريق المضاد ؟ .

كانت حرب اكتوبر في معاركها خطوة الى الامام . . . كانت رمزاً لكل ما أنجز خلال العشرين عاماً من عمر الثورة . . فاذا بها ترتد خطوات الى الوراء . . . بل الى الهاوية . . .

وجعلها « السادات » إشارة للتحول . . . وخاتمة لمرحلة مضيئة . . وبـداية لمرحلة مظلمة . . .

## الفصل الرابع

# كامب ديفيد

« عندما كان السادات في وقفة انتباه ليتلقى التحية من كتيبة الجيش الاسرائيلي ، ثم إتجه يحيي العلم الاسرائيلي بعد ذلك .. كان العالم العربي يقف مشدوهاً في أبشع وأقسى اللحظات المؤلمة ، بينما غالبية العالم شعر بالذهول والصدمة .. لم يكن سوى الصهيونية والامبريالية التي لم تدار فرحتها .. »

من كتاب الصحفي الهندي
« هاربها جان سنج »

# كامب ديفيد

**من الخيمة الى الزيارة**

« . . الذين قالوا أنهم قد فوجئوا لم يفاجأوا . . وحدهم الشهداء وقتلى الحروب الاربع وأبناء عمان وتل الزعتر وبحر البقر وبورسعيد فوجئوا . . وحدهم الفقراء الذين أكلت أجسادهم الامراض والآلات والسياط والاحلام ، فوجئوا . . أما الذين ادعوا المفاجأة فهم يكذبون . الذين باعوا العرب وتسلطوا على العرب وسجنوا العرب ، يكذبون . . »

لعل مصر لم تشهد في تاريخها الطويل خائناً طعنها في أعماقها مثلما فعل السادات بل لعل التاريخ لم يشهد خائناً استباح عرض شعبه واستحل دماء شهدائه مثلما فعل السادات !

لم يشهد التاريخ خائناً يسلم شعبه الى أعدائه وهو في قمة النصر !

لم يشهد التاريخ قائداً يطعن جيشه من الخلف ، وهو يحرر أرضه ! .

لم يشهد التاريخ ملكاً أو سلطاناً يعيد ثروة بلاده الى العدو بعد أن انتزعت منه مثلما فعل السادات . .

لم يشهد التاريخ رجلاً يدوس بأقدامه على تاريخ شعبه وأمته ويمتهن كرامتها ويمزق أمجادها مثل ما فعل السادات !

تاريخ طويل من النضال والكفاح . . والدماء والدموع . . والقتال والاستشهاد . .

آمال شعب . . ومستقبل أمة . . وتاريخ أجيال أهدره السادات في « كامب ديفيد » .

كل شيء سلمه السادات . . الارض ، الشعب ، لقمة العيش ووقف يبتسم في لامبالاة ، وكأن هذا لا يعنيه . . و « بيغن » يردد في قحة وتحدي واستفزاز ، في أعقاب توقيع الاتفاقيات المشؤومة . .

**« ويجب أن يطلق على مؤتمر « كامب ديفيد » مؤتمر جيمي كارتر . . لقد بذل الرئيس جهوداً شاقة أكثر مما بذله أجدادنا في بناء اهرامات مصر . . »**

إن بيغن وكارتر لم يستردا مصر التي سارت في طريق الاشتراكية . بل يريدون « الاهرامات » . . . يريدون الحاضر والماضي . . . وتحقق قول الشاعر . . . .

**« . . مشى على تاريخهم مستهزئاً . .**

**ولو استطاع مشى على الاهرام . . »**

**من القتال . . الى التآمر**

. . في أقل من شهر من بدء القتال . . وبعد أسبوعين من وقف القتال ، وصل كيسنجر الى مصر . . وبعد لقاء مع السادات ، أعلن عن عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الامريكية ! .

وارتفع العلم الامريكي فوق القاهرة ، بعد أن ساهمت في الحرب ضد الشعب المصري بالسلاح والرجال . .

فهل حدث هذا عفواً ؟ . أم أن هذه السرعة في إعادة العلاقات كان متفقاً عليها قبل الحرب ؟ .

ذكرت صحيفة « هارتس » الاسرائيلية في عددها بتاريخ 1973/12/5 الحقائق التالية :

**أولاً : أن المخابرات الامريكية وضعت يدها على الخطة الكاملة للحرب في شهر ابريل ( نيسان 1973 ) .**

**ثانياً : أن الموعد المحدد لبدء الحرب لم يكن محدداً . .**

أما الخطة المصرية للحرب كما أوردتها الصحيفة فتتضمن المواد التالية :

( 1 ) عبور القوات المصرية لقناة السويس بأعداد كبيرة في القطاع الاوسط وتحطيم خط برليف .

( 2 ) إعادة تنظيم القوات في الضفة الشرقية للقناة بعد العبور ، والتقدم لاحتلال الممرات الاستراتيجية .

( 3 ) احتلال كل صحراء سيناء وفصل شرم الشيخ والتوقف عند حدود الخامس من حزيران ( يونيو ) .

وبالفعل . . كان الفريق سعد الدين الشاذلي ، رئيس الإركان يدعو الى زيادة هجمات قوات الصاعقة المصرية ، وفاعليتها خلف الممرات في سيناء لارباك القيادة الاسرائيلية ودب الفوضى في صفوف وحداتها ودفع المدرعات المصرية للتوغل بعيداً في سيناء حسب ما نصت عليه الخطة ، وكان هذا الرأي يلقى تجاوباً وتأييداً من قادة الوحدات . . كما يتفق هذا الرأي مع وجهة نظر القادة السوفييت العسكريين التي أبلغها السفير السوفييتي في القاهرة . .

أما وزير الحربية الفريق أحمد اسماعيل الذي كان يتلقى توجيهات سياسية للعمليات الحربية من السادات فظل ينتظر الامر بالهجوم حتى يوم 14 اكتوبر . -

الخطوة الثانية التي اتخذها « السادات » تمهيداً للتسليم ، كانت في 13 ديسمبر 73 . عندما إتخذ قرارات التغيير في القيادة العسكرية . . وكانت كالتالي :

اقالة الفريق سعد الدين الشاذلي ، رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة من منصبه . .

إقالة اللواء عبد المنعم واصل وتعيين اللواء احمد بدوي ، الذي شغل منصب قائد إحدى فرق الجيش الثالث قائداً لذلك الجيش . .

وقال « السادات » أنه اقال الفريق الشاذلي في أكتوبر بعد حدوث الثغرة . . وانهيار الشاذلي ومطالبته بسحب القوات المصرية الى غرب القناة . .

ولم يقل « السادات » الحقيقة . . كان الشاذلي في منصبه حتى 13 ديسمبر ( كانون الاول ) ويؤكد ذلك تصريح له نشرته صحيفة « الاهرام » في 5 ديسمبر

( كانون الاول ) ، يتوعد القوات الاسرائيلية غربي القناة بالقضاء عليها .

وقال السادات أن الفريق الشاذلي طالب بسحب القوات المصرية . . والحقيقة كما جاءت في كتاب « حرب رمضان » ، أن الشاذلي طالب بعودة القوات المدرعة التي كانت تحمي الثغرة الى مواقعها . . وكانت هذه القوات المدرعة قد تركت مواقعها بأوامر من السادات ! .

لماذا أقيل الشاذلي ؟

كانت اقالة الفريق الشاذلي ، بعد اتفاق السادات وكيسنجر على تأجيل فك ارتباط القوات المصرية ـ الاسرائيلية وبحثه في جنيف . .

كما أن إقالة اللواء عبد المنعم واصل وتولي اللواء أحمد بدوي قيادة الجيش الثالث ، كانت تمهيداً للغزو الامريكي القادم . .

**خطوات سريعة**

تقرر عقد مؤتمر « جنيف » في 21 ديسمبر ( كانون الاول ) 1973 . .

وفي 17 يناير ( كانون الثاني ) 1974 أعلن من القاهرة وواشنطن والقدس عن اتفاق حكومة مصر واسرائيل بشأن فصل القوات وفك الاشتباك . . وأعلن الرئيس الامريكي نيكسون بنفسه نبأ الاتفاق . .

ونص الاتفاق على نصوص خطيرة . . وكان أخطر منها ما أعلنته جولدا مائير بأن هناك ملاحق سرية ، واعلانها عن حق مرور السفن الاسرائيلية في القناة . .

**أولاً : نص الاتفاق على سحب الجيش المصري من سيناء وبقاء قوات رمزية في مسافة لا تبعد سوى 20 كيلومتر من القناة . . نص الاتفاق على سحب قواعد الصواريخ من الضفة الشرقية والغربية للقناة . . أي أن مصر فقدت سيادتها على أرضها . .**

**ثانياً : أكدت صحيفة نيوزويك أن مصر ستسمح للسفن الصهيونية بالمرور .**

**ثالثاً : أكدت جولدا مائير في بيان ألقته أمام الكنيسة أن هناك وثائق إضافية سرية تشكل جزءاً من الاتفاق بين حكومتي مصر واسرائيل لن تذاع محتوياتها . . وأن انسحاب القوات الصهيونية لن يتجاوز 20 كيلو متراً .**

. . وأدخل « السادات » مصر تحت المظلة الامريكية . . وأخذت اسرائيل في تنفيذ مطالبها التي خاض الشعب المصري أربع حروب للتصدي لها . .

وتتالت الخطوات . .

● في 2 فبراير عين علي أمين أحد أعمدة الاعلام الامريكي مديراً لتحرير الاهرام .

● في نفس اليوم وقعت أول اتفاقية بترول مع المانيا الغربية وهي المرة الاولى التي سمح فيها لشركة من المانيا للبحث عن البترول في مصر .

● في 6 فبراير اجتمع عبد المنعم القيسوني مع دافيد روكفلر رئيس بنك تشيزمنهاتن .

● في 8 فبراير نسفت القوات المصرية أربع قواعد صاروخية أرض ـ جو على الضفة الشرقية للقناة . .

● في 11 فبراير وافق السادات على أربع قرارات إقتصادية هـامة تتعلق بتشجيع الاستثمار العربي والاجنبي في مصر . .

● بيار الجميل رئيس الكتائب اللبنانية الفاشية يشيد بخطة السادات . .

● المرشدون الاجانب يطلبون العودة للعمل بالقناة . .

خطوات متتالية منذ وقف القتال نحو الانهيار ! . حتى الوصول الى كامب ـ ديفيد .

**خائن . . خائن**

ما لم يحدث في تاريخ مصر منذ قرون . . بل لعله لم يحدث أبداً . . حدث في ظل حكم السادات ، في بساطة ويسر . .

فعندما زحفت شركات النهب الاستعماري على مصر عام 1870 تصدت لهم الثورة العرابية في قتال ونضال طويل . . واستشهد أبطال عظام . .

وكان أحمد عرابي الزعيم المصري قد كتب الى مستر بلنت ، يقول :

**« . . أما ما يهددنا به أصحاب البنوك ورجال المال في أوروبا ، فاننا سنحمل**

**ذلك في ثبات وحكمة ، ففي رأينا أن ذلك الوعيد لن يضر الا أنفسهم . . »**

**« وان هذا الذي اكتبه اليك هو ما يفكر فيه كل مصري حر العقل محب لبلاده »**

أما السادات فقد فتح لرجال المال أبواب مصر . . وأعلن وزير المالية الصهيوني بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد . .

**« . . إن طريقاً جديداً يفتح أمام « اسرائيل » ، اذ منذ زيارة السادات للقدس ، وضع الخبراء في وزارتي سلسلة من المشروعات عن التعاون المصري ـ الاسرائيلي يمكن أن يفتح آفاقاً واسعة للغاية ، واذا ما توصلنا الى السلام ، مع جميع جيراننا . . فان مستقبل المنطقة كلها سيتبدل . . » !!**

ما تريد الصهيونية أن تسيطر عليه ، ليس مصر فحسب . . بل المنطقة كلها . .

أي من النيل الى الفرات !

وبذا يحقق الغزو الاستعماري أهدافه ! .

لم تزحف الصهيونية أو الجيوش الإمريكية الى قلب القاهرة كما فعلت الجيوش البريطانية عام 1882 . . ولكن دخلت رؤوس الاموال ، والغزو المالي ، والاستنزاف الاقتصادي من خلال الخيانة . .

كشف الاستعمار الامبريالي والصهيوني عن أهدافه لاول مرة في التاريخ صراحة . . فالوثائق ـ وثائق كامب ديفيد ـ وثائق تاريخية حقاً . . فلم يسبق للامبريالية أن أفصحت عن أهدافها كما فعلت في نصوص هذه الوثائق . .

خلال العدوان الثلاثي عام 1956 ، لم يعلنوا أن هدفهم هو استرداد ـ شركة القناة . . أما في عام 1977 ، فقد أصرت الصهيونية والامبريالية الامريكية أن تتحدى . . ونصت الوثائق على ما يلي . .

**« يجب أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :**

**1 ـ اعتراف كامل .**

**2 ـ إلغاء المقاطعة الاقتصادية .**

**3 ـ الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية .**

**4 ـ يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التطور الاقتصادي في اطار اتفاقيات السلام النهائية . .»**

وهكذا تهدم وثائق كامب ديفيد ، كل تاريخ ونضال الشعب ، منذ حاولت الصهيونية احتلال الارض العربية . . الى نضال الثورة العرابية ضد الغزو المالي . . الى كفاح الشعب المصري ضد المعاهدة البريطانية التي فرضت عليه عام 1936 . . الى الكفاح العربي المشترك ضد الصهيونية والامبريالية الامريكية . .

ان ما ارتكبه السادات في « كامب ديفيد » جريمة متعمدة مع سبق الاصرار والترصد . .

ظل السادات متربصاً بثورة يوليو ، ينتظر الفرصة المناسبة ليقفز الى الحكم ويرتكب جريمته . . والسادات يعلم ماذا تعني الثورة ضد الصهيونية . . ويدرك معنى الغزو المالي . . وهو في تنازله يعرف مغزى هذه التنازلات . .

كان السادات عضواً في مجلس قيادة ثورة 23 يوليو . . وسواء شارك أو لم يشارك ، وسواء كان في صميم الاحداث أم على هامشها . . وسواء كان مؤمناً بهذه الثورة أو كافرا بها . . فإنه استمع الى كلمات ميثاق الثورة . . وانصت الى خطابات عبد الناصر . .

كانت كلمات « الميثاق » واضحة الاهداف بالنسبة للكيان الصهيوني والصهيونية . ففي الباب الرابع ، نقرأ :

**« . . إن قطعة من الارض العربية في فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عدوانية عنصرية أرادها المستعمر لتكون سوطاً في يده ويلهب به ظهر النضال العربي اذا استطاع يوماً أن يتخلص من المهانة أو يخرج من الازمة الطاحنة . كما ارادها المستعمر فاصلاً يعوق امتداد الارض العربية ويحجز المشرق عن المغرب . ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتي للامة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابي . . »**

كما قرأ السادات وأدرك ما يعنيه « الميثاق » بقوله :

**« . . اضطر الاستعمار تحت هذه الظروف الى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر ، عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل ، وعن طريق التكتلات الاقتصادية الاحتكارية ، وعن طريق الحرب الباردة التي تدخل في نطاقها محاولة تشكيك الامم الصغيرة في قدراتها على تطوير نفسها وعلى الاسهام الايجابي المتكافىء في خدمة المجتمع الانساني . . »**

و « السادات » قرأ وفهم وأدرك ما قاله « الميثاق » عن الأموال التي سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الأجنبية ، وفي العهود التي استبيحت فيها حرمة الثروة الوطنية لتكون نهباً للمغامرين الأجانب . . .

و « السادات » هو الذي قال بلسانه أمام عبد الناصر بعد نكسة 67 . . بأن أية تنازلات أمام العدو معناها أن تحكم مصر من الخارج . .

وعندما وقع « السادات » في « كامب ديفيد » على وثائق تتعارض مع كل ما أقرته ثورة 23 يوليو . . ونصوص تتنافى مع مصالح الشعب في مصر وفي الوطن العربي . . وهو يعلم ذلك . . فانه هنا يرتكب جريمة عامداً متعمداً . . بل كما يقول رجال القانون « جريمة مع الترصد وسبق الاصرار » .

واذا كان القاتل الذي يرتكب جريمة القتل ضد فرد مع الترصد وسبق الاصرار تكون عقوبته الاعدام ، فما بالنا بارتكاب الجريمة ضد شعب بأكمله . .

ـ 2 ـ

كان مجرد توقيع « الاتفاقيات » إدانة . . . كان خروجاً عن النضال الوطني في مصر . . وكان خروجاً على الاجماع العربي . . كان تحدياً للشعب المصري ، ولكل العالم العربي . . شعوبه وحكوماته . . ورؤسائه . .

وما تضمنته الوثائق رهيب وبشع . . وكأنما المقصود منها هو الاذلال وتحطيم كل ما بناه ، وآمن به الانسان في مصر والوطن العربي بل محاولة لتحطيم الانسان العربي وتمزيق روحه .

**البداية**

منذ البداية . . في الاسطر الأولى من مقدمة الوثيقة الاولى نجد شرط الاملاء

والفرض . . ونقرأ كلمة « يجب » . وتتكرر الكلمة بعد ذلك في كل صفحات الاتفاقيات .

ـ البحث عن السلام « يجب » أن يسترشد .

ـ لكي يصبح السلام معمراً « يجب » .

ـ « يجب » أن تكون هناك ترتيبات انتقالية .

ـ « يجب » ان تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن .

وهكذا نجد كلمة « يجب » مفروضة . . وكأنما كان السادات « تلميذاً في مدرسة كامب ديفيد » يتلقى العقاب من أساتذته ؟ !

عقاب على هذه الحروب التي استمرت ثلاثين عاماً . . وارتكب فيها التلميذ اخطاء يجب تصحيحها . .

ـ عدم الاعتراف خطأ . . ويجب الاعتراف الكامل !

ـ المقاطعة الاقتصادية خطأ يجب تصحيحه !

وهكذا تتوالى اعترافات المذنب أمام الكاهن يطلب الغفران !

. . ومنذ البداية . . وفي الصفحة الاولى من الوثيقة الاولى ، تتجاهل الاتفاقيات الشعب في العالم العربي . وكأنه غير موجود . . وغير معترف به . .

ففي الفقرة الثانية من المقدمة نجد الحديث عن « المبادرة » ، وكيف استقبل السادات من برلمان وحكومة وشعب اسرائيل . . ولا نجد بعد ذلك ذكر لبرلمان أو حكومة أو شعب أي قطر من الاقطار العربية بما فيه مصر ! الا في الفقرات التي تتحدث عن ممثلين للجماعات المستسلمة . .

. . ومنذ البداية تكشف الوثائق عن أهداف العدوان الصهيوني . . وفرض هذه الاهداف على العالم العربي . . وكأنما العرب أصبحوا أمة مغلوبة على أمرها عليها أن تستسلم لشروط المنتصر . . ونقرأ النص في الفقرة الاولى من المقدمة . .

« ان شعوب الشرق الاوسط تتشوق الى السلام ، حتى يمكن تحويل موارد الاقاليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة اهداف السلام » .

أي أن السلام مرتبط باستغلال الاقاليم البشرية والطبيعية الشاسعة .. وما لم تسلم وتستسلم الحكومات والشعوب العربية لهذا الاستغلال ، فلا سلام !

ولم يكن في هذا جديد .. فكل ما جاءت به اتفاقيات « كامب ديفيد » نشر بكتاب .. « بعد أن تسكت المدافع » .. وهو صادر عن دار مجهولة الهوية ، اطلقت على نفسها « دار القضايا » .. والكتاب صدر عام 1975 ...

والمؤلف رغم ادعائه اليسارية ، يسقط الفكر العلمي من منهجه ليحل مكانه « علم استقراء المستقبل » ..

والمؤلف بذكاء .. كان في كتابه كقارئة الكف ، استطاع أن يقدم ما تخبئه القوى الاستعمارية وما تعده للمنطقة .. فقال « هناك اذن تسليم شبه عام بأن وجود اسرائيل لا مفر من قبوله داخل « حدود آمنة ومعترف بها » بعد استرداد العرب أراضيهم المحتلة ، وبعد قيام كيان فلسطيني . ما الذي يمنع ذلك أن يتطور هذا التسليم « بوجود اسرائيل » الى الاعتراف بأن يكون لاسرائيل « دور وظيفي » في المنطقة ؟»

ولكن المؤلف أخطأ في تنبئه .. فان اتفاقيات « كامب ديفيد » أقرت الدور الوظيفي والتسليم بوجود اسرائيل دون استرداد العرب أراضيهم المحتلة .. ودون قيام الكيان الفلسطيني ..

نلحظ أن الكتاب يتحدث عن « الوطن الفلسطيني » ككيان .. بينما يتحدث عن « الكيان الصهيوني » كدولة !

ان هذا الكتاب يعد بالفعل وثيقة مكملة لاتفاقيات كامب ديفيد فهو يكشف الاهداف الحقيقة والخفية لهذه الاتفاقيات .. يقول :

« لاول مرة يلوح نمط قد يحث البعض على البحث عن مصلحة في قيام « تكامل ما » بين « الكيف الاسرائيلي والكم العربي » ، تكامل بين قدرات اسرائيل التكنولوجية ، ومقدراتها البشرية من جانب .. وبين المال العربي .. وحاجة العرب الى توظيف هذا المال في صورة انجازات تحقق منافع من الجانب الآخر .. »

وما تعمد أن يتجاهله المؤلف ..

**أولاً** : أن المعادلة كما هي مطروحة من الجانب الصهيوني هي .. استغلال

صهيوني ـ ومال عربي ـ وأيد عاملة عربية رخيصة . .

ثانياً : أن القدرات الصهيونية كانت موجودة في العالم العربي قبل ثورات التحرير . . ولم تترك خلفها الا ركاماً للتخلف . . ولم تقدم انجازات .

ثالثاً : أن العالم العربي لم يشاهد المصانع الثقيلة أو التطور التكنولوجي الا بعد طرد الاستعمار والصهيونية من أقطاره . . فاقيمت مجمعات الحديد . . ومصانع الالومنيوم . . والصناعات الثقيلة المتعددة في مصر والعراق وسوريا .

واقرت اتفاقيات « كامب ديفيد » في صفحاتها الأولى الدور الجديد للكيان الصهيوني . .

الحقيقة والخداع

تتحدث المقدمة في « الوثيقة الأولى » عن مواد ميثاق الأمم المتحدة والقوانين الدولية . .

فهل تقر القوانين الدولية احتلال أراضي الدول الاخرى بالقوة ؟

في الوثيقة الثانية الخاصة بمصر واسرائيل . . نقرأ « . . أن تتواجد في المنطقة في حدود ثلاثة كيلومترات شرق الحدود الدولية قوات عسكرية اسرائيلية ! »

فهل يتفق هذا مع ميثاق الأمم المتحدة أو القوانين الدولية ! . وتقر الوثيقة الثانية الاحتلال الصهيوني للأراضي المصرية . . فلا يتم الانسحاب إلا بعد توقيع اتفاقية سلام . . فماذا يحدث اذا لو لم توقع اتفاقية السلام ؟ هل يستمر الاحتلال ؟

وتقول الاتفاقيات . . « وافق الطرفان على الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دولياً بين مصر وفلسطين تحت الانتداب . . »

فهل تقييد حركة الجيش المصري . . وعدم السماح له بالعبور الا في حدود 50 كيلومتراً يسمى سيادة للحدود المعترف بها دولياً ؟ !

ان القراءة الهادئة لاتفاقيات « كامب ديفيد » توضح لنا مدى تحدي الشرعية الدولية . . والسخرية من القوانين الدولية .

فاذا انتقلنا من الأرض المصرية المحتلة الى الضفة الغربية وغزة ، نجد

الاتفاقيات تتجاهل كل القوانين الدولية ، وتقر مبدأ الاحتلال بالقوة لتستقر القوات الصهيونية لمدة خمس سنوات انتقالية ، تبدأ بعدها مفاوضات جديدة !

.. ان كل سطر من أسطر الاتفاقيات يتناقض مع القوانين الدولية وحق السيادة المعترف به دولياً .. بل نجد عنصر الالزام وفرض الامر الواقع واضحاً في نصوص الاتفاقيات ..

.. افترضت الاتفاقيات ان السادات هو الممثل الوحيد ، ليس لمصر فحسب بل للعالم العربي ..

اتفاقيات « كامب ديفيد » التي وقعها السادات لا تتناول الوضع في مصر أو سيناء .. أو فلسطين بل تتعداهما ونقرأ :

● «إن الاطراف اذ تضع هذه العوامل في الاعتبار مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة و « معمرة لصراع الشرق الاوسط» .. « **ويجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير .** »

● ان هذا الاطار مناسب ليشكل أساساً لسلام لا بين مصر و « اسرائيل » فحسب ، بل وكذلك بين « اسرائيل » وكل جيرانها الاخرين ..

ثم تتناول الاتفاقيات الضفة الغربية وغزة ، دون مراعاة للشعب الفلسطيني أو حكومة الاردن ..

لقد أصبح السادات حسب نصوص « اتفاقيات كامب ديفيد » التي وقعها وكيلاً عن الصهيونية ، والامبريالية الامريكية لفرض شروط الاستسلام ..

وتنص الوثيقة الأولى على أن نصوصها ينبغي أن تطبق أيضاً على « معاهدات السلام » بين اسرائيل وكل جيرانها العرب .. لبنان وسوريا والاردن وهذه سابقة خطيرة في العلاقات الدولية ، والقانون الدولي .. إذ يتفق الطرفان على إلزام أطراف أخرى لم تشترك في المفاوضات ولم توقعها على وجوب التقيد بنصوص وضعت دون علمها أو موافقتها ..

ولكن هذا يعطي مؤشراً الى ما سوف تؤول اليه الامور في المنطقة بزعامة « اسرائيل » تحت المظلة الأمريكية . ويقوم السادات بدور الوسيط أو السمسار !!

.. هل تحل اتفاقيات « كامب ديفيد » مشاكل مصر ؟ وهل ترفع عن كاهل الشعب أعباء حروب متصلة استنفدت الكثير من ثرواتها .. ومن دماء أبنائها ؟ وهل صحيح أن « مشكلة فلسطين » كانت عبئاً على مصر وتحملت فيه النصيب الاكبر .. وأن مصر اليوم في حاجة الى السلام ؟

منذ البداية .. لم تكن فلسطين أبداً هي الهدف .. ولكنها كانت دائمًا الطريق الى غزو مصر ..

.. والشعب العربي يعرف معنى الغزو ومعنى الاستعمار ، عاش عقوداً طويلة تحت القهر والنهب البريطاني والفرنسي ..

والاجيال التي لم تعان من الاحتلال البريطاني أو الاحتلال الفرنسي تشهد اليوم مأساة « الاستعمار الجديد » في تشيلي والسلفادور .. كما شهدته في ايران وجنوب شرق آسيا .. عمليات نهب بالقوة .. وفقر مدقع لملايين البشر وثراء فاحش لقلة من الافراد ، واستنزاف من الشركات الاحتكارية لثروات البلاد .. كل هذا يتم بغزو من الداخل .. وبالمؤمرات .. والجيوش المحترفة .. وأجهزة المخابرات .

- فماذا تعني اتفاقيات كامب ديفيد ؟

عرفت مصر خلال تاريخها الحديث نوعين من الاتفاقيات أو المعاهدات .

الاولى : كانت تنص صراحة على تحديد قوة مصر العسكرية كشرط أساسي من بنودها .. وتتمثل هذه المعاهدات في اتفاقية لندن التي فرضت على مصر أيام محمد علي وحددت عدد القوات المصرية وفتحت الأبواب أمام تدفق رأس المال الغربي .. كما تتمثل في معاهدة 1936 التي فرضت خضوع الجيش المصري للبعثة البريطانية ..

الثانية : معاهدات الصداقة بين طرفين متساويين في الارادة وتهدف الى تطوير العلاقات واستكمال العناصر الحضارية التي لا تتمكن مصر بقدراتها الذاتية من الحصول عليها .. وكانت معاهدة الصداقة المصرية - السوفييتية ، نموذجاً لهذه المعاهدات ..

فأين نضع اتفاقيات « كامب ديفيد » ؟

منذ بدأ السادات مفاوضاته مع الغرب الرأسمالي ، كان البنك الدولي أحد عناصر المفاوضات ، واشترط لتقديم القروض تخفيض عدد الجيش المصري وتخفيض مصاريف الدفاع . . هذا الشرط أرادوا إملاءه على عبد الناصر لتمويل السد العالي ، وطالبوا بوقف شراء مزيد من السلاح السوفييتي . . ولكنه رفض . .

وبعد عشرين عاماً حقق الغرب أهدافه . . وفي أعقاب توقيع اتفاقيات « كامب ديفيد » أعلن وزير دفاع السادات تحديد عدد القوات المسلحة . . كما أعلن أن الجيش المصري تحول من الحرب الى الدفاع . . أي أن الحكومة المصرية نفضت يدها من مسؤولية استرداد نصف سيناء المحتل بالقوات الصهيونية أو المنزوعة السلاح . . كما نفضت يدها من مسؤولياتها العربية . .

. . ونرى في هذه الشروط نفس القيود التي فرضت على مصر عام 1840 بعد هزيمة محمد علي أمام الجيوش الاوربية . . والتي حددت عدد الجيش وقلصت علاقة مصر بالعالم العربي . .

ونراها أيضاً في أعقاب الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882 ، عندما أصدر الخديوي مرسوماً بتجريد جميع الضباط الذين أيدوا « عرابي » من رتبهم . . وحدد عدد الجيش بستة الاف !

ان « اتفاقية كامب ديفيد » تحمل في مضمونها كل المعاني والشروط التي يمليها « الاستعمار » بعد الغزو أو القهر . .

لقد استطاع السادات أن ينهي وجود « الخبراء السوفييت » في مصر بالتليفون كما قال . . فهل استطاع أن يزيح جندي صهيوني واحد من أرض مصر بغير الدماء ؟ وهل استطاعت دولة واحدة من دول العالم الثالث التي وقعت في قبضة « الخبراء الامريكيين » أن تنهي وجودهم بغير بحور الدماء ؟

ان ما حدث في ايران ونيكارجوا . . وما حدث في فيتنام ، شاهد لن تنساه الاجيال . . ولن يغفره التاريخ . .

**الدولة الاولى بالرعاية !**

الاستعمار الجديد في مصر ليس امريكا فحسب . . بل ان نصوص اتفاقيات

« كامب ديفيد » تنص على منح الامتيازات للعدو الصهيوني .

وعلى الرغم من أن الجيوش الأمريكية او الصهيونية ، لم تحتل « القاهرة » كما حدث أيام الاحتلال البريطاني ، بل ردت على اعقابها . . وأدانها العالم أجمع . . فان السادات أعطى اسرائيل « حقوق الدولة الاولى بالرعاية » !

نقرأ في الوثيقة الأولى في باب « المبادىء المرتبطة » النقطة الرابعة .

رابعاً :« يجب إقامة لجان للدعاوى القضائية في الحسم المتبادل لجميع الدعاوى القضائية المالية » . .

إن هذا الشرط جرى العرف أن يدون في « البروتوكولات » أو الملاحق الخاصة بالمعاهدات الاقتصادية .

ولكن النص هنا شامل وعام . . ومعنى ذلك أنه يعطي امتيازاً استثنائياً « لاسرائيل » على بقية دول العالم .

ان الدعاوى القضائية والمالية بين مصر واسرائيل لن تعرض على القضاء العادي . . بل على لجان أشبه بالمحاكم للفصل في الخلافات ، وهكذا تعود « المحاكم المختلطة » بصورة جديدة . . يشترك في اصدار الاحكام فيها قضاة اسرائيليون . .

ومعنى ذلك أن « قضية هضبة الاهرام » . . و « فضيحة العامرية » وما شابهها من فضائح ورشاوى واختلاسات لن تعرض على القضاء المصري . . ولن يكون لمجلس الوزراء أو مجلس الشعب الحق في نقضها أو نقدها . بل أصبحت من اختصاصات « لجان الدعاوى » حسب نصوص اتفاقيات « كامب ديفيد » .

فهل توجد في نصوص مواثيق الجامعة العربية . . وهل تتمتع دولة عربية بمثل هذه الحقوق أو الامتيازات في مصر ؟ !

أن هذه اللجان الخاصة بالدعاوى القضائية ، بادرة خطيرة . . وهي كما يبدو هدف مبيت منذ العدوان الصهيوني ـ الأمريكي . انه قد يطلب من الدول العربية الأخرى التسليم بوجود هذه الامتيازات أو المحاكم الخاصة !

فهل تخضع اتفاقيات البترول في المستقبل لمثل هذه المحاكم ، ويكون لها وحدها

الحق في الفصل لجميع الدعاوى المالية ؟

**الدور الوظيفي**

إن اتفاقيات « كامب ديفيد » وضعت النقط على الحروف . . . وأكدت المخطط الامبريالي الصهيوني كما جاء في كتاب « بعد أن تسكت المدافع .»

يقول الكتاب :

**« ان النزاع العربي الاسرائيلي في صورته التي عاشتها المنطقة منذ ربع قرن ، أصبح عبئاً يعرض مصالح الاستعمار في المنطقة بأسرها لمخاطر جدية . ومن هنا بدأت تبدو حاجة في نظر دوائر استعمارية بعينها لأن تتقمص اسرائيل دور « بيت الخبرة » في المنطقة بدلاً من أن تواصل فقط دورها « كشرطي » لحسابها .»**

ان « بيت الخبرة » الذي بشر به المؤلف منذ ثلاث سنوات ( قبل عقد الاتفاقيات ) تحقق خلال « كامب ديفيد » فكما نقرأ في البند الأول من المقدمة نجد أن شروط السلام مرتبطة بتحويل موارد الأقليم البشرية والطبيعية الشاسعة .

أي ان تكون موارد الاقليم وقواه البشرية في خدمة « بيت الخبرة » أي خدمة « اسرائيل » !

ولم تمض أيام على توقيع الاتفاقيات حتى أعلنت « اسرائيل » فتح ابواب الهجرة من مصر الى الضفة الغربية للعمال المصريين .

العمال الذين اذلوا اسرائيل فوق خط بارليف ، يخلعون ملابس الجندية ، ويذهبون في « ذلة » للعمل في الحقول والمصانع الاسرائيلية . أما المصانع المصرية فتتكدس فيها السلع ويتعطل العمل وتغلق أبوابها !

هكذا بدأ « بيت الخبرة » عمله بعد اسبوعين من توقيع الاتفاقيات ، أما المثقفون الذين تخرجوا في الجامعات ، فيعملون في مطاعم اوروبا والدول البترولية . . . ويعيشون باعة متجولين في عواصم العالم ، ليحل مكانهم في البنوك والشركات عناصر يهودية ، كما كان الحال قبل ثورة 1952 .

ان « نصوص الاتفاقيات » ، وما أعقبها من تصريحات أجاب على كل منهج التسويات . وكشف ما فيه من خداع أو خيانة . وفضح حقيقة « بيت الخبرة » ففي

كتاب « بعد أن تسكت المدافع » نقرأ ما نصه « بعد الانتهاء من إيجاد التسوية في الشرق الأوسط ، أي بعد حلول السلام القائم على العدل الذي يزيل أسباب النزاع الاصلية ، هل في مقدور اسرائيل أن تنهض بدور وظيفي في إطار العالم العربي شبيه بذلك الذي سعت اليه حيال افريقيا ؟ وهل في مقدور الدول العربية ان تقبل هذا الدور « الوظيفي » وأن ترى فيه ما يفيد تطور تنميتها مستقبلاً لا العكس » ؟

هذا هو جوهر الاتفاقيات ، والذي طرحه الكتاب قبل توقيع الاتفاقيات بثلاث سنوات ! والغريب أن هذه التفسيرات أو التبريرات لمنهج التسوية ، نسيت أن التنمية » في أساسها عملية حضارية لا يمكن أن تنهض بها دولة تضرب مدارس الاطفال بقنابل « النابالم » وتدمر المصانع على عمالها بالصواريخ . .

ان مثل هذه الافكار عن دور الامبريالية في تطور أو تنمية الدول المتخلفة . أو الدور « الوظيفي » بالتعبير الحديث . . هذه الافكار ظهرت في بداية القرن الحالي ، ورد على هذه الترهات « لينين » بقوله :

**« الامبريالية هي عهد الرأسمال المالي والاحتكارات التي تحمل في كل مكان النزعة الى السيطرة ، لا الى الحرية . ونتائج هذه النزعة هي الرجعية على طول الخط » .**

**ولمست الدول العربية « الدور الوظيفي » لكل من انجلترا وفرنسا وايطاليا عندما قررت عصبة الامم مبدأ الانتداب لهذه الدول على الاقطار العربية .**

كما يتجاهل أصحاب فكرة « الدور الوظيفي » الصراع الدموي بين قوى التحرر العربي التي تنشد التطور واللحاق بمنجزات العصر ، والقوى المضادة التي تحاول الابقاء على التخلف في العالم العربي .

فكانت حرب 56 بعد تأميم القناة التي سلبت من مصر وانتزعوا دخلها لعشرات السنين . وعندما أممت القناة لبناء السد العالي ، اشتعلت الحرب . وكانت حرب 67 . . بعد القوانين الاشتراكية وتنفيذ خطة التنمية الاولى .

وكانت حرب 73 بعد تأميم البترول في العراق . . وبدء مرحلة التصنيع فهل يمكن أن تتحول « القاعدة العدوانية » الى اداة للتنمية ؟

على أي حال ، أجابت اتفاقيات « كامب ديفيد » على هذه التساؤلات ، كما

كشفت تصريحات كارتر وبيغن عن الاهداف . فلن يكون « الدور الوظيفي » لاسرائيل سوى الغزو من الداخل بعد أن فشل الغزو من الخارج . .

**الكم العربي . . الكيف الاسرائيلي .**

ان أبشع ما اسفرت عنه اتفاقيات كامب ديفيد انها أقرت المبدأ القائل بأن المواجهة العربية ـ الاسرائيلية » هي صراع بين « الكيف الاسرائيلي » و « الكم العربي » أي بين « العبقرية اليهودية » و « القطيع العربي » !

ففي الخطوة الاولى من مقدمة الوثيقة الاولى كما رأينا نجد النص على استثمار الموارد البشرية والطبيعية . . وكأنما هذه الموارد كانت في انتظار « العبقرية الصهيونية » لاستغلالها !

ثم نجد في نصوص الاتفاقيات ما ينص على أنها يجب أن تشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع . . . وأنها أساس لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين اسرائيل وجيرانها !

وكأنما هذا « القطيع العربي » مساق للخضوع لهذه الاتفاقيات دون إرادة أو رأي !

بل أننا نجد الاصرار والتأكيد على « العبقرية اليهودية » و « القطيع العربي » من مجمل نصوص الاتفاقيات التي سلمت « لاسرائيل » بكل مطالبها كما أعلنها بيغن ـ بينما استسلم السادات وتنازل عن كل المطالب العربية !

فهل هناك حقاً « عبقرية يهودية » و « قطيع عربي ؟ ! »

لقد كثر الحديث عن « العبقرية اليهودية » و « الكيف الاسرائيلي » و « قدرات اسرائيل التكنولوجية » وتكاد هذه الخدعة من كثرة ترديدها أن تفرض نفسها كحقيقة .

ولن نعود الى الماضي القديم ، لنتحدث عما قدم العالم العربي من حضارات . لا شك كانت ، نابعة من عقول وفكر وقدرات بشرية متميزة .

ولن نتحدث عن شخصيات عربية . . أو مساهمات عربية كانت جذوراً لحضارة العالم الحديث . .

ولكن نتساءل . .

● هل كانت « حرب اكتوبر » بين « كم عربي » و « كيف صهيوني » أم كانت في الحقيقة بين « كيف عربي » « وكم استعماري » ؟ !

● وهل العرب هم الذين فوجئوا بعبقرية بناء خط برليف أم أن اسرائيل « هي التي فوجئت بالصواريخ تمزق الدبابات وتهوي بالطائرات الصهيونية ؟ !

● وهل العرب هن الذين ذهلوا عندما غرقت « البارجة ايلات » بصاروخ أطلق من قارب بحري ؟

إن ما سمي بالعبقرية « الاسرائيلية » أوشكت أن تستسلم في الايام الأولى لحرب أكتوبر ، لولا الجسر الجوي الذي أمدها به كيسنجر ونيكسون . . والاحتكارات الامريكية .

وأوشكت الامبريالية الامريكية والصهيونية أن تستسلم بعد وصول الامدادات السوفييتية الى مصر وسوريا لولا تخاذل السادات !

إن المعركة لم تكن أبداً بين « الكيف الاسرائيلي » و « الكم العربي » ولكنها كانت دائماً بين حركة التحرر العربي . . والعدوان الصهيوني أو الغزو الامبريالي . .

وعندما تأتي اتفاقيات « كامب ديفيد » لتفرض علينا الاعتراف « بالكيف الصهيوني » إنما تحاول أن تفرض خدعة أو كذبة لا تقوم على أساس واهن ومصيرها الانهيار .

وما يقوم على باطل فهو باطل .

فالحديث عن التكامل بين « الكيف الصهيوني » و « الكم العربي » سينهار مهما نصت الاتفاقيات والمعاهدات . . فهو يقوم على أساس باطل من الخداع والكذب !

وكما سخر العالم من ادعاء « بيغن » بأن اجداده هم الذين بنوا أهرامات الجيزة . . فان صحف العالم . . بل الصحف الامريكية نفسها بدأت التشكيك في جدوى اتفاقيات « كامب ديفيد » ومجلة « تايم الامريكية » تقول :

« آمال السلام تحترق فوق الصحراء . . »

أما « واشنطن بوست » فقالت :

« وهذا ليس وقت التفاؤل الزائد لان الصعوبات المقبلة خطيرة .. »

**السلام المزعوم :**

هل جاءت اتفاقيات « كامب ديفيد » بالسلام ؟ وهل ستنعم مصر أو المنطقة بهذا السلام ؟

وتترك صحف العالم الغربي تتحدث . قالت « الفيجارو » الصحيفة الفرنسية :

**« كامب ديفيد » لم يعط السلام .. لكن أجل موعد الانفجار » .**

أما صحيفة « لو موند » الفرنسية ، فقالت :

**« .. الاتفاقية التي وقعها كل من الرئيس المصري انور السادات ورئيس الحكومة الاسرائيلية مناحم بيغن لن تسوي ما أتفق على تسمية مشكلة الشرق الاوسط » .**

أما وجهة نظر الصحافة البريطانية فتتمثل في أقوال صحيفة « التايمز » التي قالت « **كامب ديفيد تجاهلت جوهر الصراع** » .

وقالت « الاوبزرفر » : « **إن الاتفاقيات فرصة هشة للسلام** » .

ان الرأي العام العالمي بعد الصراع العربي الطويل ، أصبح يدرك ويرى حقيقة الصراع في المنطقة . ولهذا لم يصدق أن اتفاقيات « كامب ديفيد » تحقق أي سلام .

ولهذا تنبأت وكالة انباء « الا سوشيتد بريس » **في تحليل لها بانه سيطاح بالسادات إذا أصر على تنفيذ اتفاقيات«كامب ديفيد .»**

وقالت « الوكالة » **أن امريكا أرادت أن تنقل مبادرة السلام من « كامب ديفيد » الى العالم العربي . ولكن جاء وزير خارجية امريكا ليجد أن السادات يقف وحيداً مع اتفاقيته .**

تمخضت اتفاقيات « كامب ديفيد » عن حل يشعل المنطقة ولا يأتي بالسلام .

كان السادات يقسم ويعد الوطن العربي ومجلس الشعب في مصر بأنه « **لا حل منفرد !** »

فأحنث في وعده .. وفي قسمه ..

واذا كان السادات قد حاول إيهام الجماهير في مصر بان المبادرة كانت « حدثاً تاريخياً » فانه لا يستطيع الادعاء بانه لم يعقد حلاً منفرداً .

- لم توقع دولة عربية واحدة على الاتفاقيات .
- لم تعلن دولة عربية واحدة تأييدها للاتفاقيات .
- لم يشارك أي طرف عربي في المفاوضات .

وبعد فماذا يكون الحل المنفرد ، اذا لم تكن اتفاقيات « كامب ديفيد » حلاً منفرداً بل حل فردي .

« فرد واحد » أراد املاء ارادته على شعب مصر . وعلى الامة العربية بملايينها التي تجاوزت المائة مليون . خرج على اجماعها عندما حطم « اللاءات الثلاثة » التي أجمعت عليها الدول العربية في مؤتمرات الخرطوم . والرباط . والجزائر .

وقبل أن يذهب الى « كامب ديفيد » أعلن عن اقالة وزرائه وشكل حزباً جديداً هرول اليه أعضاء حزب الحكومة المنحلة . فلا مساندة عربية ولا تأييد مصري .

- 4 -

### وللمصريين كلمة

منذ أعلنت « المبادرة » المشؤومة ، هب الشعب المصري في غضبة واحدة ، صارخاً ضد هذه « الخطوة » .

وعندما أعلنت اتفاقية « كامب ديفيد » تصدت « مصر » بقياداتها السياسية من أقصى اليمين ، الى أقصى اليسار تندد بالاتفاقيات . داخل مجلس الشعب أو خارجه . رافضاً الانقياد للسياسة الامريكية الصهيونية .

أدان أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو في بيان وجهوه الى السادات اتفاقيات « كامب ديفيد » والزموه حائطاً عندما لخصوا أقواله وتعهداته . في المذكرة .

**« هناك فرق بين سلام صحيح فيه عدل وأمن ومحافظة على السيادة الوطنية ،**

يرجع الحق الى أصحابه ويوفر الأمن لهم ، وبين سلام خادع لا الحق فيه عاد ولا الامن استقر ، ولكن يضيع فيه كفاح الماضي وأمل المستقبل ، وحتى لا نتجنى على أنفسنا ولا على أحد فاننا نذكر انفسنا ونذكرك باقوالك وتصريحاتك ، بتعهداتك في مناسبة داخلية أو خارجية للمواطنين هنا في الاجتماعات العامة أو في مجلس الشعب أو في اللجنة المركزية أو مع قادة الامة العربية في مؤتمرات القمة أو في رسائلك اليها . أو في مباحثاتك معهم أو في المنظمات الدولية والافريقية والاوروبية أو في منظمة دول عدم الانحياز أو في الامم المتحدة . أو في مجلس الامن حيث اقتنع الجميع بصدق حقنا وعدالة قضيتنا .»

وتتلخص اقوالك وتعهداتك في الآتي :

1- عدم التفريط في أي شبر من الارض العربية التي احتلت في يونيو 1967 ووجوب الانسحاب الاسرائيلي من كافة هذه الاراضي وهي القدس والضفة الغربية ، غزة والجولان وسيناء .

2 ـ أنه لبلوغ السلام الدائم يجب أن تحل المشكلة الفلسطينية .

3 ـ أن تكوّن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

4 ـ انه لا يمكن توقيع اتفاق سلام منفرد مع اسرائيل لما يجره من ويلات على الامة العربية .

5 ـ إن الاساس الأول لمواجهة عدونا واستعادة حقوقنا الآن وفي المستقبل كله هو وحدة الصف العربي ، وأن الثغرة الرئيسية التي يمكن أن ينفذ منها العدو هي تمزيق هذه الوحدة .

ولقد اصابتنا اتفاقيات كامب ديفيد بمفاجأة شديدة لانها تتناقض مع كل ما سبق .

وأصدر « **التجمع الوطني التقدمي الوحدوي** » عدة بيانات تشجب الاتفاقيات . وكان الحزب قد أصدر بياناً حول « مؤتمر كامب ديفيد » قبل توقيع الاتفاقيات . أوضح فيه عدداً من الملاحظات .

**الملاحظة الاولى** أن رحلة القدس وما أعقبها من اتصالات ومفاوضات حملت

معنى التنازل من الجانب المصري في عدد من القضايا الاستراتيجية دون مقابل مثل الاعتراف الكامل باسرائيل وبمطالبها الامنية والعسكرية والسياسية وتطبيع العلاقات .

الملاحظة الثانية أن الجانب الامريكي ظل - وما يزال - يحث الجانبين نظرياً على ابداء مزيد من المرونة في مواقفهما . في حين أنه من الناحية العملية يدعم الموقف المتعنت الاسرائيلي بمزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية .

والملاحظة الثالثة . أن هذه الاتصالات والمفاوضات المباشرة قد انحصرت محلياً ودولياً في أطراف ثلاثة فقط هي مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، الأمر الذي يناقض طبيعة الصراع المتعدد الاطراف والابعاد وكتب « عمر التلمساني » في مجلة « الدعوة » الناطقة بلسان الاخوان المسلمين .

قائلاً :«أين الانسحاب الكامل اذا كنا لا نتمتع بحرية اقامة المطارات المدنية والعسكرية في سيناء كلها . وكيف لا تستطيع قواتنا حرية التصرف الا في حدود خمسين كيلومتراً شرقي القناة ، وحتى هذا الشرط لم تترك لنا فيه حرية التنقل والتصرف بل علينا الا نشغل هذه المساحة الا بفرقة واحدة واما باقي سيناء فقد ترك للقوات الدولية » .

واضاف : « ما كنا نظن أن يكون هذا حظنا في الاتفاق ، ونحسب أنه أمر لا يحوز رضا المسلمين » .

وقال بيان الحزب الشيوعي المصري ان « كامب ديفيد » خيانة لمصر قبل أن تكون خيانة لفلسطين والعرب وفي تحليله لنصوص الاتفاقيات قال :

أولاً : معاهدة سلام مقابل مجرد وعد على صك استسلام .

ثانياً : احتلال سياسي فوق الاحتلال العسكري .

ثالثاً : الانسحاب الموعود لا يضع سيناء تحت السيادة المصرية .

رابعاً : الخيانة لمصر قبل ان تكون لفلسطين والعرب .

خامساً : كل شيء تحت المظلة الامريكية وتحت الاشراف الامريكي .

الخلاصة المؤسفة : هي انتصار كامل لعدوان 67 الامبريالي الامريكي .

**معارضة شاملة :**

وشجب القادة السياسيون من جميع الاتجاهات « كامب ديفيد » ، واعتبروها طعنة للنضال الوطني وخيانة للمسيرة الوطنية . وارتفعت الاصوات في مجلس الشعب تندد بهذه الاتفاقيات ، واحيطت المناقشات بتكتم شديد ولم تنشرها الصحف رغم انها تمثل مختلف القوى والتيارات السياسية في مصر . . ولم تكن هذه الاصوات تعكس مجرد اراء افراد ، ولكنها عكست مواقف قوى سياسية لها وزنها في الشارع المصري . وكان في مقدمة هؤلاء المعارضين الشيخ صلاح ابو سماعيل الذي يمثل التيار الديني . . فاستشهد بالآيات الكريمة . وبالنضال الوطني والسيادة القومية فقال :

. .«إنني أسأل هؤلاء الاخوة الذين يحتجون بالقرآن الكريم أين هم من دم الشهداء الذين دفعنا بهم عبر الثلاثين عاماً فباعوا الله أنفسهم وأموالهم رخيصة وثمناً للسيادة ، يقول البعض دمرتنا الحروب ! ومن الذي قال أن طريق الحروب طريق مفروش بالورود ، ومن الذي قال أن طريق الحروب مفروش بالحرير ؟ ان الله الذي كتب علينا القتال هو الذي أخبرنا أن الجهاد سبيل مقرون بالظمأ والتعب والمجاعة . ثم قال : « فعدونا على صلف وبغي وما جنح للسلم وتاريخه طويل في نقض المعاهدات وخرق الاتفاقيات والاعتداء على الهدنة التي عقدت مرة بعد مرة وما اظن غده الا كيومه وكأمسه ولنكن دائمًا على حذر » .

واستطرد :« ان الاسلام فرض القتال دفاعاً عن النفس وقد سفكوا الدماء وقد قتلوا النساء والاطفال والشيوخ . . دفاعاً عن الاموال وقد انتهبوها . دفاعاً عن الديار وقد اخرجوا منها أهلها فالآية التي يتعين علينا أن نستضيء بها قول الله تعالى : »

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل » .

**وتحدث النائب ممتاز نصار المستشار السابق ورئيس نادي القضاة السابق فتحدث من الناحية القانونية واعتمد على التحليل القانوني لاتفاقيات « كامب ديفيد » مبيناً خطورتها ، بل ومخالفتها في الكثير من بنودها لقواعد العرف الدولي . وقال : « ان الاتفاقيتين تضمنتا كلاماً كثيراً عن تصورات تمس سيادتنا ، وأول هذه**

التصورات في المعاهدة الثانية المترجمة بصفة خاصة أننا التزمنا فيها بايجاد علاقة طبيعية، مع اسرائيل، فقد نصت على ما يأتي :

« وبعد توقيع اتفاقية السلام وبعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز أمام حرية السلع والاشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقاً للقانون .»

وقال محذراً :

**« لا يمكن أن أوفر النمو لاسرائيل بهذه الصورة ، ان هذا النص يسمح لاسرائيل بالنمو على حسابنا وعلى حساب مصر وهذا ما احذر منه بصورة قاطعة وملزمة .»**

وتحدث خالد محي الدين رئيس حزب التجمع الوطني ليؤكد أن شروط الاتفاقيات تمثل اخلالاً بالسيادة المصرية ، كما أنها تجعل الحدود السياسية لمصر عند « رفح » بينما تتوقف الحدود العسكرية عند قناة السويس ! وقال ان اتفاقيات « كامب ديفيد » ستؤدي الى نتائج سياسية خطيرة في مسار الحركة الوطنية المصرية والحركة القومية العربية ، وان مصر دخلت مع العرب في معركة مصيرية ، ولا ينبغي لها أن تخرج منها منفردة وقال :

« شركات اسرائيلية تدخل السوق المصري في اطار قانون استثمار رأس المال العربي والاجنبي وهذه كارثة .»

ورد النائب مصطفى كامل مراد الضابط السابق والذي خلع ملابسه العسكرية ليعمل وكيلاً للشركات الاجنبية ، فقال :

« هذه ليست كارثة ، ولكنها شيء عظيم » !

وأكمل خالد محي الدين كلامه ليكشف اسراراً وراء الاتفاقيات فقال : « انني أعلم أنه من المطالب التي تقدمت بها اسرائيل في مؤتمر القاهرة في 14 ديسمبر طلبين غريبين جداً رفضتهما مصر في ذلك الوقت ، ولكن هناك احتمال لعرضهما مرة أخرى .»

**الأمر الأول** : أن تنزل من برامج التعليم كل الكلمات التي بها عداء لاسرائيل .

**الأمر الثاني** : أن يحذف شرط من شروط المناقصات الحكومية ، فهناك شرط في شروط المناقصات الحكومية وهو أن من حق الحكومة رفض أي مناقصة دون ابداء الاسباب من أجل الامن واسرائيل طلبت إلغاء هذا الشرط .»

لذلك فانه يجب علينا أن نضع في الاعتبار أننا أمام عدو خطر وشرس .

وتحدث النائبان أحمد ناصر عن الناصريين ، وأحمد طه عن اليسار . وشجبا الاتفاقيات .

وامام هذا الاجماع . . حل السادات مجلس الشعب . ووقفت الولايات المتحدة تتفرج على العبث بالديموقراطية والحريات في مصر بل مضت تساند السادات وتدعم حكمه . دون أن يرتفع صوت في طول الولايات المتحدة وعرضها ليتكلم عن حقوق الانسان !

مع الاسف ، كانت الجماهير أكثر حساً وادراكاً بما يبيت لها ، عن قياداتها . فادركت منذ بداية ، عام 1977 أن مسيرة السادات الداخلية لا بد أن تقود الى هذا الموقف من الاستعمار الصهيوني الامبريالي . فكانت هبة أو انتفاضة 18 و 19 يناير التي انطلقت في غياب القيادات السياسية وعبرت عن نفسها بالدم والهتاف « بسقوط السادات » . واللعنات على حكم الطبقة الطفيلية الخائنة .

كانت الانتفاضة امتداداً لحركة الطلبة عام 1972 وانتفاضة 68 والحركة الشعبية عام 1950 والحركة الوطنية عام 1946 عندما أسقط الشعب معاهدة صدقي ـ بيفن ، وأرغم حزب الوفد على الغاء المعاهدة المصرية ـ الانجليزية . والتصدي لمسروع الدفاع المشترك الامريكي عام 1951 .

ثم عبر عبد الناصر عن ارادة الجماهير في التصدي للاحلاف . فكانت انتفاضة 18 و 19 يناير تعبيراً عن رأي الشعب « في سياسة السادات » واشترك في هذه الانتفاضة عمال القطاع العام في حلوان . وطلبة الجامعات . فكانوا الطليعة للجماهير الشعبية التي خرجت وانضمت الى المظاهرات . ونفس التحرك حدث في الاسكندرية . وامتدت الانتفاضة الى مدن القطر من أسوان الى بورسعيد

والاسكندرية . كما تجاوب معها الفلاحون في بنادر وقرى الريف .

كان اجماعاً شعبياً عبر عن نفسه سياسياً واجتماعياً واقتصادياً بالهتافات . فكانت الهتافات تدور حول سياسة الحكومة المعادية للجماهير الشعبية .

**ـ الصهيوني فوق ترابي ـ والمباحث على بابي .**

**ـ يا أمريكا لمي فلوسك . بكره الشعب العربي يدوسك .**

**ـ احنا الطلبة مع العمال . ضد تحالف رأس المال .**

**ـ يا حاكمنا من عابدين . باسم الحق وباسم الدين فين الحق وفين الدين ؟**

فكانت الجماهير في انتفاضة 18 و 19 سباقة الى ادراك مسيرة السادات ، وأن خطواته الداخلية هي تمهيد للسياسة الخارجية في الاستسلام ، وتسليم مصر الى أعدائها .

وعلى الرغم من هذا الاجماع الشعبي . قيادة وجماهيرياً . فان الولايات المتحدة تحدت الشعب المصري وهي تساند « السادات » لتوقيع اتفاقيات الخيانة في كامب ديفيد .

**اتفاقيات سرية :**

لم تكتف الولايات المتحدة بتوقيع « اتفاقيات الكامب » بل تمادت لتوقع اتفاقات سرية لم تعلن في وقتها ، وانما ارجىء نشرها الى وقت لاحق . وأعلن في « مدريد » نص 3 اتفاقيات سرية بين مصر واسرائيل وامريكا حول التعاون العسكري والسياسي .

وقالت صحيفة « بابيس » أن السادات التزم بموجب الاتفاقية الأولى التي وقعها مع مناحم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي بعدم اشتراك مصر في أي حرب يمكن أن تنشب بين اسرائيل ودولة عربية أو اكثر . وأشارت الى أن الرئيس المصري التزم أيضاً بموجب الاتفاقية ، **بمساعدة اسرائيل في الكشف عن قواعد المقاومة الفلسطينية ، وتبادل المعلومات الامنية بين المخابرات المصرية والاسرائيلية** . واتفق الجانبان كذلك ، كما ذكرت الجريدة على تبادل وجهات النظر السياسية والعسكرية

ومتابعة المفاوضات المباشرة حول قيام تعاون عسكري .

وقالت « الصحيفة » أن السادات أعطى تعهداً بعدم اعطاء أي دور للمقاومة الفلسطينية ، سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة ، وبايجاد قوة تابعة من عناصر فلسطينية في الاردن .

والاتفاقية السرية الثانية وقعت بين الرئيسين السادات وكارتر وتنص على ارسال خمسة آلاف فني ومستشار عسكري أمريكي الى مصر للعمل في قواتها المسلحة ، كما التزمت الولايات المتحدة بحماية حكم الرئيس المصري والعمل على خلق مشاكل بين الاقطار العربية لتخفيف الضغط عنه .

وقالت الصحيفة ان الاتفاقية الثانية تدعو الولايات المتحدة الى الضغط على الاقطار العربية التي توصف بالمعتدلة لحملها على دعم اتفاقيات « كامب ديفيد » بشكل مباشر أو غير مباشر .

واضافت الصحيفة انه وفقاً للاتفاقية الثالثة بين الولايات المتحدة واسرائيل ستقدم الولايات المتحدة الى تل ابيب قروضاً مالية واسلحة عسكرية متطورة خلال السنوات الخمس المقبلة . واتفق الطرفان أيضاً على متابعة مباحثات لتوقيع معاهدة دفاع مشترك .

وبعد أسبوعين من نشر هذه الاتفاقيات السرية . كشفت مجلة « نيوزويك » الامريكية الصادرة في 16 اكتوبر ( تشرين الاول ) عام . 1978 عن سلسلة من الاتفاقيات السرية وقعها انور السادات وجيمي كارتر ومناحم بيغن أثناء مباحثات كامب ديفيد .

وقالت « المجلة » نقلاً عن مصادر أمريكية موثوقة أن هذه الاتفاقيات ستؤدي الى زيادة الدور الامريكي في المنطقة بشكل حاسم .

وأضافت أن الاتفاقيات ، تضمنت النقاط التالية :

- اعادة انتشار القوات المدرعة المصرية الموجودة في سيناء ونقلها الى مكان آخر بعيداً عن « القوات الاسرائيلية »

- توسيع التعاون بين المخابرات المصرية والصهيونية لافشال أي تحرك شعبي محتمل في مصر .

ـ تخفيض الجيش المصري الى نصف حجمه الحالي واعادة بنائه بمساعدة الخبراء الامريكان ليكون جاهزاً لتنفيذ مهمات محددة في افريقيا .

واكدت المجلة أن كارتر اشترط بموجب هذه الاتفاقيات السرية ان يكون تسليم الاسلحة الثقيلة الى نظام السادات مرتبطاً بمدى تنفيذه لبنود اتفاقية « كامب ديفيد » وتوقيع اتفاق « السلام النهائي » مع الكيان الصهيوني .

وتعهد كارتر بأنه في حالة قطع المساعدات العربية عن نظام السادات ستقوم مجموعة من الدول الغربية بتعويض هذه المساعدات باشراف امريكا .

وبموجب هذه الاتفاقيات ستقوم الولايات المتحدة بتزويد الكيان الصهيوني بالتكنولوجيا الامريكية الحديثة التي تمكنه من صنع أسلحة متطورة اضافة الى تلبية جميع احتياجاته من الطائرات الامريكية النفاثة المقاتلة من طراز « ف 15 » و« ف ـ 16 » والتي سبق ان طلبتها حكومة العدو .

واكدت صحيفة « لو موند » هذه الانباء ، وقالت أن عدة اتفاقيات سرية وقعها المشاركون بمؤتمر « كامب ديفيد » لتسهيل الدور الذي ستلعبه الولايات المتحدة في المنطقة .

وأجرت مجلة « تايم » الامريكية لقاء مع مناحم بيغن بعد توقيع اتفاقيات « كامب ديفيد » . وكان السؤال الأول :

**«ـ من تنازل أكثر في مؤتمر كامب ديفيد ؟»**

**«ـ لم يتنازل أي شخص في مؤتمر كامب ديفيد عن مبادئه ، ولقد قدم الوفد الاسرائيلي خطة سلام وبقي الوفد الاسرائيلي مصراً عليها طيلة فترة المفاوضات»**

**«وتحققت على أي حال ، ونحن لم نطلب من أحد أن يتنازل عن أي مبدأ يؤمن به .»**

«ـ هل السادات تنازل عن مطلبه وهو إعادة جميع الاراضي العربية المحتلة ؟»

« ـ لا استطيع أن أتكلم عن السادات .»

ثم قال بيغن خلال الحديث :

**« إن اتفاقية كامب ديفيد تعد انقلاباً حقيقياً بل تعد ثورة في الشرق الاوسط » .**

ويكشف لنا الحديث ، أن اسرائيل لم تقدم تنازلاً واحداً من خطة العدوان التي قامت عليها والتي فرضت على العرب القتال . وفي نفس الوقت يرى بيغن أن السادات لم يتنازل عن مبدأ يؤمن به . فكل ما وقعه السادات كان نتيجة للتسلسل الطبيعي لافكاره كإرهابي ، وحليف للنازيين ، وعضو في الحرس الحديدي الملكي . أما ما آمن به الشعب في مصر والوطن العربي فهذا شيء آخر ، لم يؤمن به السادات !

وبالفعل ، كانت « كامب ديفيد » تمثل انقلاباً حقيقياً - كما قال بيغن - انقلاباً ضد الشعب المصري . وضد حركة التحرر العربي . وهي ثورة أيضاً ولكنها « ثورة مضادة » تحمل كل أبعاد الخيانة للنضال الوطني الطويل منذ هب الشعب المصري ضد الشركات الاجنبية وبنوك النهب الصهيونية عام 1875 .

# الفصل الخامس

## عودة روتشيلد

« أهل البنوكا والاطيان

صاروا على الأعيان أعيان

وابن البلد ماشي عريان

مْمَعَاه ولاحق الدخان»

« عبد الله النديم »
عام 1881

# عـودة روتشـيلد

في حركة « مسرحية » بعد عودته من زيارته المشؤومة للقدس وقف السادات في مجلس الشعب يخطب مبرراً الزيارة قائلاً :

**« ماذا أقول لشعبنا شعب مصر الشهداء ـ مصر التضحيات ماذا أقول لشعبي الذي تحمل عن الامة العربية من المحيط الى الخليج أثقل أعباء البذل والعطاء حتى التضحية بالقوت » .**

وقال :

**« لماذا ضحينا بأكبر نصيب من دخلنا القومي ، بل ضحينا بقوتنا اليومي ، ولا نزال نضحي لكي نشتري السلاح المتطور ونحن أحوج ما نكون لكل مورد مهما صغرت قيمته ؟»**

وقال :

**« كنت أريد للزوجة الا تترمل ، للطفل الا يتيتم وللآباء الا يفقدوا أبناءهم » .**

وكان السادات قد استهل خطابه بصرخات هستيرية يردد .. **« لن تنحني أبداً هذه القامة الا للشعب . ولن تركع أبداً هذه القامة الا لله ؟ »**

كانت الصحف العالمية قد انتزعت صورة السادات من بين المصلين ، ومن مراسم الصلاة في القدس . وأظهرته « راكعاً » ! واذا تغاضينا مؤقتاً عن قضية شراء السلاح. والتضحية بالقوت . التي أظهرت الايام خداعها . فشراء السلاح لم يتوقف وان كان قد تحول الى تجارة . واستمرت التضحيات بقوت الشعب حتى جاع .

أما التباكي من أجل الارامل واليتامى ، فظهرت الحقيقة بعد أن جعل السادات من الجيش الوطني ، مجموعات من المرتزقة تحارب في زائير . . وضد ليبيا . . وتشارك في ضرب الحركة الوطنية في عمان والسودان . وأعلن السادات أنه على استعداد لارسال القوات المصرية الى أي مكان في أفريقيا أو آسيا دفاعاً عن الشركات الاحتكارية . بل أرسل السلاح والرجال الى افغانستان لدعم عصابات الاقطاع والاستعمار . وأخطر من ذلك كله ، أنه وضع مصر كلها . . نساؤها واطفالها ورجالها في مرجل الصراع العالمي بعد أن سمح بالقواعد أو التسهيلات الامريكية في مصر .

ويبقى السؤال الهام .

- هل تحمل الشعب المصري التضحيات عن الامة العربية . أم دفاعاً عن نفسه . ومن أجل تحررها ؟

- وهل كان الصراع المصري - الاسرائيلي ، صراعاً عربياً تورطت مصر فيه دون أن يكون لها مصلحة في المعركة ؟

فهل مات من مات هباء ؟ وهل كل ما بذلنا ، راح وانتهى ؟ الدم . والمال والايام الحزينة ، والايام المجيدة ؟

الشهيد احمد عبد العزيز . . وعبد المنعم رياض . . وآلاف الشهداء والعلم المصري على « بارليف » وهل كان هذا كابوساً ثقيلاً . أم كان وهماً وخيالات مريضة ؟ وهل كان حقاً « عقدة نفسية » كما كان يقول السادات ؟

- وهل حقاً سيسود السلام مصر ؟

- وهل سيعم الرخاء مصر ؟ وهل سيجد الانسان في مصر كل ما يحلم به من مسكن ، ومواصلات ، ومعيشة لائقة ؟

- وهل كانت الحرب استنزافاً لثروة مصر . أم دفاعاً عن حياتها ؟

- هل كل ما قدمته مصر كان من أجل فلسطين . أو دفاعاً عن العروبة ؟ ثم ماذا نالت مصر ، بعد كل ما ضحت به من مال ودماء وشهداء ؟

**السؤال الأول :**

ـ هل كانت مصر تدافع عن فلسطين ؟

قبل الغزو الفرنسي لمصر في بداية القرن الماضي ، نشرت في فرنسا رسالة لاحد أعضاء الطائفة اليهودية . . جاء بها :

**« . . أنا أقترح احتلال بلد ـ باذن فرنسا ـ يشمل مصر السفلى وكذلك منطقة تمتد حدودها من عكا الى البحر الميت . ومن الطرف الجنوبي لهذه البحيرة الى البحر الاحمر » .**

ويحدد صاحب الرسالة أهداف هذا الاحتلال فيقول :

**« اذا شغلنا هذا الوضع الذي هو أنفع وضع في العالم ، نصبح بفضل الملاحة في البحر الأحمر ملوك التجارة في الهند والبلاد العربية وأفريقيا الجنوبية والشرقية والحبشة . أي هذه البلدان الفائقة الغنى » .**

ثم يأتي نابليون ، يغزو مصر ، ويقوم بأول محاولة جدية لاستعمار فلسطين باسكان اليهود فيها لتحقيق أهدافه الاستراتيجية .

وتفشل محاولة نابليون بعد فشل حملته على مصر . وتبدأ محاولات الاستعمار البريطاني . وفي عام 1840 يقترح « اللورد بالمرستون » إقامة مستوطنات يهودية في الارض المقدسة تعمل على مساندة الامبراطورية العثمانية التي كانت انجلترا تدعمها في صراعها ضد مصر وفرنسا .

وفي رسالة « بالمرستون » التي وجهها الى السفير الانجليزي في الاستانة نقرأ :

« يرى اليهود المبعثرون في شتى ارجاء اوروبا ان الوقت قد حان لعودتهم الى فلسطين تحت حماية السلطان ، واذا عاد هؤلاء الى فلسطين فسيصبح في امكانهم ان يساعدونا في القضاء على أطماع محمد علي باشا أو أطماع ورثته » .

ولم تكن رسالة « اللورد بالمرستون » مجرد امنيات ففي نفس العام نشرت صحيفة « التايمز » الانجليزية ، وفي مقال « افتتاحي » ، تنفيذ خطة لتوطين « اليهود » في أرض اجدادهم وأن يتم ضمان حقوق وامتيازات المستوطنات اليهودية باعلان حماية إحدى الدول الاوروبية الكبرى لها . وطبيعي أن تكون تلك الدولة . . بريطانيا العظمى .

كانت فكرة الغزو الاستعماري . والبحث عن الاسواق وموارد المواد الخام ، قد أصبحت سمة النظام الرأسمالي .

وهكذا بدأت قصة الصراع منذ أكثر من مائة وثمانين عاماً . كانت مصر هي الهدف دائمًا من اقامة وطن لليهود في فلسطين .

وكانت فلسطين منذ القدم هي الطريق الذي يزحف العدو عليه ليصل الى مصر . وكان الدفاع عن فلسطين دفاعاً عن مصر .

من فلسطين زحف الهكسوس . والتتار . والغزو العثماني . . . وكل قوة طاغية طمعت في مصر جاءت عن طريق فلسطين . وكان دفاع فلسطين دفاعاً عن مصر . وصداً للغزاة .

ولم تكن مصر وحدها هي الهدف التالي بعد احتلال فلسطين . بل نجد سوريا في نفس الموقف . ويصرح أحد عتاة الاستعمار . الجنرال « جورج غاولر » عام 1853 داخل البرلمان البريطاني :

**« إن العناية الالهية وضعت مصر وسوريا في طريق بريطانيا الى أهم مناطق تجارتها الخارجية الاستعمارية الى الهند والصين والأرخبيل الهندي واستراليا . ينبغي لبريطانيا أن تعدد سوريا بواسطة الشعب الوحيد الصالح لاداء هذه الرسالة ، والذي يمكن استخدامه بصورة دائمة وفعالة أي بواسطة أبناء هذه الارض الحقيقيين » أبناء اسرائيل .**

كانت العراق أيضاً في المخطط الاستعماري . وصرح تشرشل عام 1917 في دفاعه عن وعد بلفور .

**« هذا الوطن القومي لليهود الذي سيكون في حاجة الى الدفاع عن نفسه ضد الامتداد العربي الواسع سوف يبقى دائمًا في أحضان الغرب الذي يستطيع في أي وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أي تهديد للمصالح البريطانية في مصر من ناحية . أو في العراق من ناحية أخرى » .**

اما الهدف الصهيوني . فيعرضه « تيودور هيرتزل » في كتابه « الدولة اليهودية »

**« ان الدولة اليهودية في فلسطين ستكون جزءاً من الحصن الاوروبي لمواجهة القارة الاسيوية . وسنكون نحن رأس الحربة للحضارة ضد الهمجية » .**

ويؤكد هذه النظرة الصهيونية للعرب ، قول « بن غوريون » الذي ذكره الكاتب الاسرائيلي « أوبري هوررز » .

**« لم يكن بن غوريون يولي اهتماماً كبيراً للعرب . لقد كان يحتقر طريقة الحياة العربية ويحذر علناً من خطر أن تصبح اسرائيل دولة من دول المشرق كالعربية السعودية أو العراق » .**

لم تكن محاولات الصهيونية قاصرة على الامبراطوريتين الفرنسية والانجليزية . . بل لجأت الى المانيا ، فقابل « هيرتزل » مستشار الرايخ الالماني « بسمارك » . وفي عام 1895 كتب هيرتزل اليه :

**« اذا كان مشروعي سابقاً لأوانه فاني أضعه تحت تصرف الحكومة الالمانية وفي إمكانها استخدامه في الوقت الذي تراه ملائماً .** أي أن الصهيونية منذ بدايتها كانت تضع خدماتها تحت تصرف أي قوى عدوانية ضد العرب .

وعندما حاول هيرتزل أن يتحدث مع سلطان تركيا من أجل دولة مستقلة في فلسطين . كان رد السلطان :

**« انصحوه أن لا يتقدم خطوة أخرى في هذا المسعى . فانا لا استطيع أن أبيع شبراً واحداً من هذه الارض فهي ليست أرضي بل أرض الرعية . فليحتفظ اليهود بملايينهم . واذا تجزأت هذه الامبراطورية فسيصبح بمقدورهم الحصول على فلسطين مجاناً . ولن يمروا الا فوق جثتي » .**

فلم يكن الشعب الفلسطيني الا ضحية مسيرة الاستعمار إلى مصر . ولم تكن فلسطين الا مقدمة للزحف الامبريالي على العالم العربي .

الحرب . . . والسلام :

ـ هل كانت الحروب ضد الصهيونية استنزافاً لموارد مصر ؟ وهل الغلاء الفاحش والاقتصاد المنهار في مصر نتيجة استنزاف الحروب لمواردنا ؟

من الطبيعي أن الحروب تستنزف مالاً ودماً . وطوال الحروب الاربعة من عام 1948 حتى 1973، ، كان الشعب يدفع من عرقه ودم أبنائه . وكان يدرك أن هذه الحروب مفروضة عليه ، فكان يدفع بسخاء دفاعاً عن أرضه ومستقبل أبنائه .

كان الشعب يدرك ويشعر أنه ليس أقل من شعب فيتنام ، الذي دفع مليوني شهيد . . ودمار وخراب في كل المدن والقرى . وحياة أقرب الى المجاعة . . ومع ذلك صمد ولم يستسلم .

ولكن في عالمنا العربي ارتفعت أصوات الهزيمة والاستسلام . من فئة المترفين التي كانت تستمتع أثناء القتال بكل ما يقدمه شارع الهرم من ملذات وشهوات حقيرة . ولكن فئات المترفين تريد المزيد .

ومن المؤلم أن هذه الاصوات ارتفعت في عالمنا العربي بعد أن لمست ورأت هزيمة أمريكا أمام الشعب الفيتنامي . وتعترف بحقوقه وتسلم بسيادته .

ومع ذلك يبقى السؤال :

ـ هل يأتي السلام المزعوم أو الاستسلام بالرخاء ؟ عندما دخل نيكسون القاهرة غازياً بعد اتفاقية سيناء الأولى سرت الدعايات ودبجت المقالات بالعيش الرغد وامنيات الرخاء ! .

فماذا حدث ؟

بعد حربين . حرب 1956 وحرب 1967 الى نهاية عام 1970 ، وكانت مصر قد استعادت قوتها للحرب الثالثة . كانت الديون التي تتحملها مصر أربعة آلاف مليون دولار مدنية وعسكرية ، على أقساط طويلة وبسعر فائدة لا يتجاوز 2,5 في المائة :

أما الدين القصير الاجل فكان في حدود 104 مليون جنيه وبفائدة تتراوح ما بين 10 الى 14 في المائة .

هكذا قالت الارقام الرسمية للبنك المركزي المصري في تقرير صادر في يناير عام 1968 .

وكل هذه الديون لم تبلغ نصف الدين التركي ، عندما كانت تركيا تسير في ركاب أمريكا . وتلهث وراء الاقتصاد الحر .

فماذا حدث بعد الاستسلام ، وسياسة الانفتاح . ودخول نيكسون القاهرة في أعقاب حرب اكتوبر ؟

في مايو 1977 ، أعلن القيسوني أن جملة ديون مصر المدنية حتى 31 ديسمبر 1876 بلغت 12 الف مليون دولار ! .

أي ثلاثة أضعاف ما استدانته مصر بعد حربين ، وبعد بناء السد العالي ومجمع الحديد الصلب وعشرات المصانع الانتاجية .

كيف حدث هذا ؟

الارقام تقول أن الديون القصيرة الاجل لم تتجاوز 200 مليون دولار عام 1970 بلغت بليون دولار عام 1976 وكلها ديون للبنوك والموردين . وفائدتها ٢٠ في المائة !

ويدخل ضمنها شراء صفقة « البوينج » المشبوهة . وصفقة سيارات الاوتوبيس من ايران التي أثيرت فضيحتها في مجلس الشعب . وصفقة الحديد المسلح من ايسبانيا .

ويقول القيسوني في صراحة :

**« هذه الديون تكون قصيرة المدة ، تكون مرتفعة الفائدة ، بل إنها في بعض الاحيان تكون أكثر كلفة لان بعض الموردين ينتهز فرصة تمويله البضاعة أي يوردها فيرفع سعرها فنخسر مرتين . أولاً خسارة في سعر البضاعة . وثانياً نخسر بسبب إرتفاع سعر الفائدة » .**

اما الديون الطويلة الاجل فهي للحكومات . وكما قال القيسوني ، أصبحت أمريكا تقدم الف مليون دولار كل عام !

وفي ظل السياسة الجديدة تدفقت البنوك الاجنبية على مصر . وحتى مارس 1977 ، كانت البنوك التي لم يزد رأسمالها عن 36 مليون جنيه قد أودعت في فروعها بالخارج 160 مليون جنيه تم نهبها من دم وعرق الشعب المصري .

أما فضائح الشركات الاجنبية . والصفقات المريبة التي أثيرت في مجلس الشعب وعلى صفحات الصحف فلم يتم التحقيق في واحدة منها حتى الآن !

فضيحة شركة لوكهيد . وفضيحة الحديد المسلح . وهضبة الاهرام .

وعندما أثيرت في مجلس الشعب قصة « القطط السمان » لم يحاول أحد من المسؤولين أن يرد على النائب الدكتور احمد قطب ، عندما قال :

**« اريد أن اعرف من هم القطط السمان . إن قطط مصر السمان معروفون لكل الناس خارج مصر ولكن شعب مصر لا يعرفهم . « والقطط السمان » هم الخمسمائة مليونير الذين ظهروا في مصر مع بداية عصر الانفتاح .. وكذلك لم يحصل النائب زكريا البري على جواب عندما سأل : « هل الـ 2000 مليون جنيه عمولة من دم الشعب . قانونية أم غير قانونية » .**

إن طبقة جديدة من الطفيليين تتطلع الى عودة الصهيونية الى مصر لتعمل في خدمتها وتشاركها الارباح .

فكما كان صدقي « باشا » عدو الشعب . وعضو مجالس عشرات من الشركات الصهيونية يرفض أن تحارب مصر عام 1948 . يظهر الآن على سطح السفينة الغارقة « قطط سمان » يتطلعون الى عضوية الشركات الصهيونية وخدمتها .

**رخاء أم دمار ؟**

لماذا كانت الحروب . لماذا كانت التضحيات بالارواح والاموال ؟

كان نهب مصر هو الهدف منذ البداية . واشتركت الصهيونية والاستعمار البريطاني في عملية النهب البشع .

وكانت صفقة بيع أسهم قناة السويس عام 1875 أعظم صفقة عقدها اليهود لصالح بريطانيا .

كانت هذه بداية التسلط البريطاني على مصر ، ثم على العالم العربي . وعندما أممت مصر القنال ، التي كانت تدر ملايين الجنيهات للرأسمالية العالمية والصهيونية ، قامت اسرائيل بالوفاء بوعدها الذي أعلنه « وايزمان » عام 1914 ، وأعلن فيه أن اليهود اذا انشيء الوطن القومي ـ سيقومون بتشكيل حراسة فعالة للغاية لقناة السويس .

فلم تكن حرب 1956 سوى عدوان مدبر داخل الاطار المرسوم لدور اسرائيل في المنطقة ، فلم تكد مصر تعلن استرداد القناة واستعادة أموالها المنهوبة حتى قام « كلب الحراسة » بدوره في المخطط الاستعماري .

وكذلك كانت حرب 67 نتيجة تأميم الشركات والبنوك والمؤسسات التي كانت الصهيونية تملك أكثر من ثلثها . وكان الباقي موزعاً على الرأسمالية العالمية والرأسماليين الكبار في مصر .

كانت الحروب ضد الصهيونية . من أجل التصدي للنهب الاستعماري واسترداد حق الشعب في ثروته . كانت حروباً وطنية من أجل التحرر الاقتصادي والاستقلال الوطني .

وخلال هذه المرحلة الوطنية الشاقة ، تم وضع الاسس لانتقال مصر من مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع صناعي متطور . وخرج الآلاف من أبناء القرى الى المدن ليحصلوا على التعليم الجامعي الذي حرموا منه . وتحول الجيش المصري من جيش محترف للقتل يهاجم ويحاصر العمال والمصانع والقرى والمزارع . الى جيش وطني يدافع عن شعب مصر ، ويحمي تطوره ، ويذود عن أرضه وثروته .

وعندما ارتفع العلم المصري فوق خط « برليف » لم تدمع عين أم الشهيد . ولم يشرد أبن البطل . ولم يبك والد على ولده . بل ارتفعت الهامات كاروع ما تكون لحظات الخلود للشعوب .

- 2 -

كما يحدث في السينما . عندما يقوم المنتجون باعادة اخراج افلام الرعب والافلام البوليسية تحت عنوان « عودة دراكولا » او « عودة كينج كونج » شهدت القاهرة « عودة روتشيلد » و « عودة عدس » .

وقد يقال :

- هل هناك من جديد ؟ بعد دخول بيغن وموشي ديان الى القاهرة . أليس طبيعياً أن نشهد « عودة روتشيلد » ؟ .

إن عودة روتشيلد تعني استكمال الضلع الثالث في مثلث الرعب الصهيوني .

الضلع الأول تمثل في الحرب والعدوان . واحتلال فلسطين بالقوة . ثم التوسع .

الضلع الثاني تمثل في المفاوضات ، أي العمل السياسي وفرض شروط الانفتاح الاقتصادي . وفتح الحدود أمام القراصنة اليهود .

ويأتي الضلع الثالث ليطبق على العالم العربي في شكل الغزو الاقتصادي الذي يحمل رايته ، المليونير الصهيوني روتشيلد .

والمشكلة ، لم تعد مصر وحدها . . بل كل الشعب العربي . . ففي اللحظة التي تعاني القاهرة بعد اتفاقيات الكامب من غلاء الاسعار الفاحشة . ونهب الشركات الاجنبية وقضايا الرشوة والاختلاس . نجد الحديث في أكثر من عاصمة عربية عن « حلول سلمية جديدة » ومفاوضات واتفاقيات في الطريق .

« روتشيلد » لا يأتي لمصر وحدها . فمصر لا تشبع نهم أصحاب المليارات ولكن عودة روتشيلد تعني الغزو الاقتصادي الصهيوني لكل الشعب العربي . نعني نهب الشركات . وارتفاع أسعار العمولات . وتدمير الصناعات الوطنية . وفتح الابواب لتدمير الانسان العربي خلقياً ونفسياً واجتماعياً . وبعد ذلك ، كما قال روكفلر في رسالته الشهيرة :

**« بعد السيطرة الاقتصادية ، تأتي القواعد العسكرية » !**

**روتشيلد الاول :**

ما حدث من استقبال « السادات » لروتشيلد في القاهرة أي عودة روتشيلد ـ تعني أكثر من معنى ـ لا نستطيع أن نتبينها الا اذا تتبعنا قصة ال روتشيلد .

كان « ليونيل » روتشيلد . هو الغنصر الاساس في قصة أو مؤامرة « السرقة بالاكراه » ، االتي تم بها انتزاع « قناة السويس » من مصر . ومهدت للاحتلال البريطاني .

ففي عام 1895 علم دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا ، ان الخديوي اسماعيل يريد رهن حصته في اسهم « شركة قناة السويس » . وأرسلت بريطانيا الى الخديوي تهدده اذا ما فكر في البيع لغير انجلترا !

وتلقت لندن نتيجة مساعي مندوبها في القاهرة ، واستعداد الخديوي لبيع جميع أسهم مصر مقابل 100 مليون فرنك .

وأسرع « دزرائيلي » الى روتشيلد يطلب منه دفع 4 ملايين جنيه ثمن أسهم القناة .

ثم راح « دزرائيلي » الى الملكة يزف اليها البشرى . فقد أصبح للحكومة البريطانية 44 % من أسهم شركة القناة المصرية . وكان الثمن الحقيقي للاسهم أكثر من أربعة اضعاف المبلغ المدفوع .

قد عبر « جلادستون » زعيم حزب الأحرار البريطاني عن هذه الصفقة في هجومه على « دزرائيلي » بأنها إغتصاب لمصر ، وضمها الى ممتلكات بريطانيا . . وعاش دزرائيلي ، ومات وهو يحمل دعوة مفتوحة لحضور موائد روتشيلد مساء كل اربعاء .

روتشيلد الثاني

في لندن ، على يد « ليونيل » روتشيلد ، سرقت بريطانيا قناة السويس عام 1875 ، ومهدت بهذه السرقة لاحتلال مصر عام 1882 ، احتلال دام سبعين عاماً .

وفي باريس على يد « ادموند » روتشيلد تحولت قرى فلسطين الى مستعمرات يهودية .

في نفس العام الذي احتلت فيه بريطانيا مصر . قام « ادموند » بزيارة فلسطين . ولم تكن هذه الزيارة الأولى أو الاخيرة . فقد زارها من قبل سبع سنوات . ولكنه في هذه المرة تبرع بثلاثين الفاً من الفرنكات سجلها التاريخ باهتمام . لقد كانت اللبنة الأولى في إقامة « الوطن اليهودي » في فلسطين !

كان هذا المبلغ ثمن تهجير الدفعة الأولى من اليهود الى فلسطين . وبدأت عملية التهجير عام 1900 وتكلف انشاء المستعمرات اليهودية الأولى 70 الفاً من الفرنكات الذهبية !

كانت الصهيونية في صراع ومناقشات حول اختيار المكان الذي يصلح وطناً للصهيونية . اما ادموند « روتشيلد » فكان رجلاً عملياً . وترك المناقشات جانباً وبدأ في بناء هذا الوطن في فلسطين !

أصبحت مصر تحت نير الاحتلال البريطاني . وتحقق السند القوي للصهيونية وأصبح مكتب « ادمونـد » روتشيلد في شارع « لافيث » بباريس مركـز النشاط الصهيوني للمشروعات في فلسطين .

كانت الخطوة الأولى تهجير اليهود من اوروبا الى فلسطين . وبدأ بترحيل إحدى عشرة أسرة ، كانت هي النواة الأولى للمستعمرات . ثم انشاء مدرسة الزراعة التجريبية . ليخلق من هذه النواة الأولى فلاحين .

لم يبدأ بالتجارة أو الصناعة . بل الفلاحة اذ أن الارض تشد الفلاح اليها . وبالزراعة يرتبط المهاجرون بالارض التي يفلحونها . وظهرت المزارع الجماعية مزارع القمح البرتقال والعنب والخروع وأزهار الزينة . وزراعات لا تحتاج الى مساحات واسعة وتعطي محاصيل وفيرة .

وشرع في عملية شراء الاراضي من أصحابها العرب مهما كلفه الأمر بالرضى إن امكن في ظل حكومة الانتداب البريطاني !

ثم بدأت خطوات التصنيع بتحويل روافد الاردن الى مشروع « روتنبرج » لتوليد الكهرباء . واسهم فيه البارون « ادموند روتشيلد » بمائة الف جنيه .

وقامت صناعات الاسمنت والمنسوجات والروائح . وبدأت تجارب الاستخراج من البحر الميت .

وتلى ذلك التجارة . وفتح أسواق جديدة في آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية .

## الى مصر !

نال « روتشيلد » النصيب الأول من نهب مصر خلال القروض التي قدمتها الصهيونية الى خديوي مصر ، التي مهدت للاحتلال بعد اعلان افلاس الخزانة المصرية .

وتدفقت العناصر الصهيونية على مصر ، حتى بلغ تعداد الطائفة اليهودية حوالي 65639 نسمة عام 1947 ، أي ما يعادل 3% من السكان .

هذه الاقلية الصهيونية ، امتلكت ثلث الشركات المساهمة في مصر . استغل « اليهود » الامتيازات الاجنبية في مصر بالتجنس بالجنسيات المختلفة . فكان لكل

منهم ينتمي الى « حماية » إما انجليزية أو فرنسية أو اسبانية . وبذلك لا يخضعون للقوانين المصرية عند ارتكاب الجرائم ، وحتى يفروا من التزاماتهم !

كانوا يبدأون نشاطهم الاقتصادي من الصفر دائماً أو برأسمال قليل ، وبأساليبهم التجارية الخاصة سرعان ما يكونون ثروات ضخمة ، وأنشأوا مؤسسات مالية وصناعية وتجارية . وهدفها الأول نهب الشعب المصري وتحويل الارباح الى الخارج .

وأمتلكوا الاراضي الزراعية من الفلاحين عن طريق القروض التي كانت تتم بالربا الفاحش .

وظهرت عائلات يهودية باكملها تعمل في مجال المال وحده أو في مجال التجارة بالجملة ، وفي مجال السمسرة والوكالات التجارية . ومن هذه العائلات : عائلة « قطاوي » و « عدس » و « رولو » و « جاتينبو » و « مزارحي » و « شيكوريل » و « منشة » . . واستغلت الفلاحين المصريين في الاراضي الزراعية التي امتلكتها . فكانوا يقيمون « القصور » خارج القرى محاطة بأشجار الفاكهة ، بينما الفلاح لا يجد رداءه ولا قوته .

واستغلوا العمال في المصانع أبشع استغلال . فلا تحديد لساعات العمل ولا مراعاة لسن الاطفال . ولا أجور تتناسب مع تكاليف المعيشة .

وفي التجارة ، سيطروا على تجارة الجملة وتحكموا في الاسعار ونهبوا من الارباح .

كانت عائلة « موصيري » وحدها ـ كمثل ـ تمتلك بنكاً عرف باسمها . وكانت تملك عدة دور للسينما ، واحتكرت استيزاد الافلام الخام ، وطبع الترجمة على الافلام الاجنبية ، وقدرت أرباح هذه الاسرة بما لا يقل عن 300 الف جنيه سنوياً ( باسعار عام 1947 ) .

كان عدد الشركات المساهمة في مصر يبلغ 308 شركة . لليهود السيطرة والتوجيه على 103 شركات . أي نحو 30% من الشركات المساهمة في مصر !

وكان اليهود من أحذق السماسرة والمضاربين في سوق الاوراق المالية ، وجنوا الثروات الطائلة . بينما أفلس كبار الماليين المصريين أمام تكتل اليهود ومؤامراتهم .

. . حتى في التجارة ، اتفقوا مع المصانع الاوروبية من خلال الصهيونية العالمية على الاستئثار بتجارة الجملة . وتمكنوا من ضرب البيوت التجارية المصرية أمثال بيت الماوردي والجمال ومدكور ليحل مكانها محلات شيكوريل وأوروزدي باك وبنزايون . ثم أخذوا يسيطرون على جميع تجارة الوارد والصادر حتى أمكنهم أن يطوقوا عنق الحياة الاقتصادية في مصر .

**السيطرة الاقتصادية :**

عندما اعلن عبد الناصر :

**« يجب أن تكون المصارف في اطار الملكية العامة ، فان المال وظيفة لا تترك للمضاربة أو المغامرة ، كذلك فان شركات التأمين لا بد أن تكون في نفس اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضماناً لحسن توجيهها والحفاظ عليها » .**

كان عبد الناصر يعبر عن الارادة الوطنية . ففي ميدان النشاط المالي ساهم الرأسماليون اليهود في إنشاء وادارة توجيه البنوك وشركات التأمين . وكانوا يمولون بالارباح التي يبتزونها الحركة الصهيونية .

● البنك العقاري المصري ، أسسه ثلاثة من كبار البيوت اليهودية ، واستطاعت عن طريق ممارسة النشاط الربوي أن تحصل على ثروات ضخمة . وبلغت أرباحه عام 1910 أكثر من مليون ونصف مليون جنيه .

● البنك الاهلي المصري . يشترك في ادارته هراري وروبير روالو .

● البنك التجاري المصري . من أعضاء مجلس ادارته جاك سوارس .

● بنك موصيري . ويكاد يكون مملوكاً ملكية تامة لعائلتي كورييل وموصيري .

● بنك سوارس .

وكذلك :-

شركة الاسكندرية للتأمين وشركة الاسكندرية للتأمين على الحياة . وشركة التأمين الاهلية المصرية ويشترك في مجالس إدارتها خمسة أو ستة من اليهود .

أعاد السادات البنوك . كما أعـادت اتفاقيـات « كامب ديفيـد » اليهود الى النشاط الاقتصادي المصري ، ولعملية النهب الربوي ، والاستغلالي .

وتعود العناصر الصهيونيـة لممارسـة كل نشـاطها السـابق في نهب الشعب المصري

● ففي مجال الاستغلال الزراعي كان لليهود عدد من شركات الاراضي الزراعية التي تقوم بامتلاكها واستغلالها والمضاربة فيها .

● وفي ميدان استغلال أراضي البناء ، أقاموا وأداروا عدة شركات لتقسيم الاراضي ، وبيعها وشراء المباني واستغلالها ، واعادة بيعها .

● وفي النقل البري والبحري شارك اليهود في ادارة وتوجيه العديـد من الشركات .

● وساهم اليهود في الصناعات الزراعية .

● واشترك الرأسماليون اليهود في شركات صناعة البناء ، وانتاج مواد البناء ولوازمه .

● وفي مجال الصناعات الخفيفة . شاركوا في صناعة الطحين والملح والسجاير والثلج والنجارة والفنادق .

. . . وليست هذه سوى نماذج لمجالات النهب التي مارسوها !

ونلحظ أن مجالات النشاط الاقتصادي التي ظهرت بعد سياسة الانفتاح ـ هي نفس مجالات النشاط التي مارسها اليهود قبل ثورة 1952 . الفنادق . . والبنوك . . وشركات البناء . . تقسيم الاراضي والاستغلال الـزراعي . أي مجالات الـربح السريع . ونقل الارباح والاموال الى الخارج دون أن تترك وراءها أثراً للتنمية أو التطور .

السيادة !

تغلغل النفوذ الصهيوني في البورصات والغرف التجارية ، فكان أمين صندوق الغرفة التجارية بـالاسكندريـة اليهودي الصهيـوني حاييم دره . وكـان سلفاتـور شيكوريل عضواً بمجلس الغرفة التجارية المصرية منذ عام 1925 . وكان ادوين

جعار من أكبر المستوردين والمصدرين وكان رئيساً لجمعية التجار المصدرين بالاسكندرية ولجنة بذرة القطن .

بل لقد أحتل الصهيونيون مركز القيادة ، والتخطيط للصناعات المصرية . فكان يوسف قطاوي باشا عضواً في لجنة التجارة والصناعة التي ألفتها الحكومة في عام 1916 . وذلك لدراسة الاسس التي تشاد عليها الصناعة المصرية !

وكذلك ، رأس اتحاد الصناعات المصري هنري نوس بك . وكان سكرتير الاتحاد في نفس الوقت دكتور ج ليغي .

وعندما شكلت الحكومة البعثة الاقتصادية المصرية الى السودان والتي تشكلت من رشوان محفوظ باشا ، وفؤاد أباظة باشا ضمت اليها اليهودي الصهيوني شيكوريل .

وشارك الصهيونية في السيطرة على الاقتصاد المصري عدد من كبار الساسة المصريين الذين كانوا واسطة لليهود لتسهيل أعمالهم وليكونوا واجهة لهم . فكان اسماعيل صدقي عضواً في مجالس ادارة أكثر من ثماني شركات . واختير رئيساً لاتحاد الصناعات الذي كانت الغالبية فيه للاجانب واليهود .

واشتهر اسماعيل صدقي بلقب « ابو السباع » اذ حكم مصر بالحديد والنار عام 1930 . وحاول فرض معاهدة صدقي - بيغن عام 1947 وكان الصوت الوحيد الذي ارتفع ضد حرب 1948 بدعوى الرغبة في السلام !

وكان حسين سري « باشا » عضواً في أكثر من 6 شركات . وتولى رئاسة حكومات الملك أو الاقليات .

أما حافظ عفيفي العميل الانجليزي والذي رأس الديوان الملكي عام 1951 ، وقام بانقلاب 26 يناير 1952 ، فقد فاق الجميع في عضوية مجالس الشركات التي ضمت العناصر الصهيونية .

كما نال رشوة العضوية أحمد زيور « باشا » وعلي ماهر « باشا » و « حافظ رمضان باشا » من السياسيين . وأحمد عبود ومحمد فرغلي وعلي يحي من رجال الاقتصاد .

ان هذه الطبقة التي تجددت على يد عثمان احمد عثمان والقيسوني والسيدة جيهان السادات . تفتح ذراعيها من جديد لاستقبال « روتشيلد » و « عدس » .

- 3 -

في اعقاب « مؤامرة أونكسة 1967»، اجتمع روتشيلد المليونير الصهيوني مع عدد من كبار الرأسماليين اليهود لانشاء معهد لدراسة امكانيات الاستثمار في العالم العربي .

كانوا يتخيلون أن الامة قد ركعت ، واستسلمت وأن ابوابها فتحت للغزاة .

ورفع عبد الناصر شعار الصمود . وبدأت مصر مرحلة اعادة بناء الجيش . ثم حرب الاستنزاف . وماتت فكرة الصهيوني الكبير ، وانتهى عهده !

كان ذلك في أعقاب « هزيمة » . أما بعد الحرب البطولية التي خاضها الشعب في أكتوبر 1973 . تأتي نصوص اتفاقيات « كامب ديفيد » بعد ذلك وتنص :

**« يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التطور الاقتصادي في اتفاقيات السلام النهائية » .**

وتأتي السطور الاخيرة من الوثيقة الثانية لتنص على التالي :

**« وبعد توقيع اتفاقيات سلام ، وبعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية - وانهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز أمام حرية حركة السلع والاشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقاً للقانون » .**

وليس هذا فحسب ، بل تلزم اتفاقية « كامب ديفيد » بمنح اسرائيل امتيازات كالامتيازات التي فرضها الاحتلال البريطاني على مصر عندما أنشئت المحاكم المختلطة ، ويأتي النص في نهاية الوثيقة الأولى :

**« يجب اقامة لجان للدعاوى الثقافية في الحسم المتبادل لجميع الدعاوى المالية » .**

جاءت اتفاقية « كامب ديفيد » لتحقق احلام عائلة روتشيلد التي أراد أن يحققها في أعقاب نكسة 1967 .

فاذا عدنا الى الوراء قليلاً ، سنجد أن « روتشيلد » الحفيد لن يكون أفضل من روتشيلد الجد .

أجمعت الدوائر المالية عام 1876 حتى اليوم ، على أن اضخم صفقة نهب واحتيال حدثت في التاريخ ، عندما اشترى « روتشيلد » أسهم قناة السويس بـ 4 ملايين من الجنيهات لحساب انجلترا . وغطت أرباح الاسهم الثمن المدفوع خلال سنوات تعد على اصابع اليد . بينما استمرت ملكيتها حتى تأميمها عام 1956 .

لقد صدرت عشرات الكتب من تاريخ النهب الاستعماري لمصر . وكشفت كيف أبتز الافاقون الصهاينة ثروة مصر ، وأثقلوها بالديون ، وكان هـذا تمهيداً للاحتلال البريطاني .

ولعل كتاب « خراب مصر » الذي الفه روزنشتين وترجمه الدكتور العبادي ، أروع ما كتب عن هذه المرحلة التي سبقت الاحتلال ثم أعقبته . فكانت أموال وعرق الفلاحين تتدفق على البنوك الاجنبية وتحول الى الخارج ، بينما سادت المجاعة شعب مصر ، وكان الفلاحون ينبشون الارض بحثاً عما يسد الرمق . وصرحت ـ حتى الصحف البريطانية ـ من أن عملية ابتزاز المصريين لسد فوائد القروض تجري بطريقة لا انسانية ، فالفلاح المصري الذي أثقلته الضرائب يموت جوعاً . ليس حال الموظف المحدود الدخل أفضل من حال الفلاح ثم قالت :

**« انهم لا يحلبون البقرة حتى آخر نقطة من اللبن وحسب ، بل ويمتصون دمها » .**

فهل نحن أمام مرحلة احتلال جديد ؟

بعد الانفتاح ، وقبل اتفاقيات الكامب ، بدأت عملية غزو البنوك لمصر ، مصرفان دوليان ، 12 مصرفاً مشتركاً ، 14 فرعاً لبنوك أجنبية ، 22 مكتباً لتمثيل بنوك اجنبية . وكشفت الميزانيات المعلنة ، وكذلـك إعلان الاربـاح ، أن البنوك الاجنبية حققت أرباحاً هائلة بالنسبة لرأس المال . بلغت ارباح « المصرف العربي

الدولي » 24 مليونـاً من الدولارات . « وتشيس مـانهاتن الدولي » مليـوني دولار « ومصر الدولي » مليوني دولار .

وهذه الارباح غير قانونية . فرئيس بنك مصر يعلن أن الارباح المالية التي حققتها البنوك الأجنبية ، ترجع الى اشتغالها بعمليات تمويل التجارة الخارجية ، بينما ينص قانون البنوك الاجنبية في مادته 12 على أن هذه البنوك للاعمال والاستثمار وليس للتجارة . بل عمدت هذه البنوك الى رفع سعر الفائدة على الودائع وشهادات الاستثمار لاغراء المصريين على بيع أسهم الشركات والاتجاه الى الايداع .

وأدت هذه « الخدعة الاقتصادية » الى هبوط قيمـة أسهم شركـات راكتا » « الخزف الصيني » و « هيلتون » و « الاسمنت » الى ما دون النصف بل أحياناً الى ما يقل عن الثلث ، كما هو الحال الشركة القومية للأسمنت التي هبط سهمها من 11 جنيهاً الى 360 قرشاً . .

ويتقدم المستثمرون الأجانب الى شراء الاسهم التي تمثل القطاع العام الذي بناه الشعب أثناء نضاله بدمه وعرقه ، بأقل من أسعارها الحقيقية ، ثم تحول أرباحها الى الخارج .

ثم يأتي نهب مصر عن طريق فتحها كسـوق للبضائـع الاجنبية . وتكتب صحيفة « الجمهورية » تقول :

**« ثلاثي جنوب آسيا اليابان . هونج كونج . تايوان - هي مراكز للشركات المتعددة الجنسية - أغرقوا السوق المصري بأدوات المائدة الرخيصة . الادوات تعرض في كل مكان في محلات القطاع العام والخاص والبوتيكات والارصفة .»**

**«الاسعار رخيصة بالفعل ولهذا نجحت حالة الاغراق بدليل أن المنتج المصري انسحب من السوق وتوقف عن الانتاج ، بينما استعد وكلاء استيراد ثلاثي جنوب شـرق آسيا لـرفع الاسعــار بعد أن فـرضوا وجـودهم في السـوق وانسحب المنافسون » !**

وهكذا تغلق مصانع القطاع الخاص والعام الوطني أمام الغزو الاجنبي ، وفي ظل « الانفتاح» تدمر صناعات مصر بدعوى «الامن الغذائي » أو « الثورة الخضراء »

ولكي تعود مصر مرة ثانية الى « مزرعة » كما أرادها اللورد كرومر منذ مائة عام !

في خطاب 23 يوليو عام 1971 قال السادات عن منطقة حلوان :

« المنطقة التي كانت مشتى صغيراً أصبحت قاعدة للصناعات الثقيلة التي كانت متروكة للاسترخاء والكسل » .

وقال :

« حلوان أكبر قاعدة للصناعات الثقيلة في مصر . وفي العالم العربي وفي الشرق الاوسط وفي افريقيا » .

وبعد سبع سنوات من هذا الخطاب ، تنشر صحيفة « الجمهورية » القاهرية صرخة لأحد رجال مصنع الحديد والصلب يقول فيها أن المصنع تحول الى حديد خردة هجره المهندسون والفنيون وتركه العمال . وينفك قطعة قطعة !!

ثم تأتي محاولة بيع القطاع العام للدواء وتصدى له وزير الصحة السابق وأذاع فضيحة الرشوة التي قدمها تجار الخردة « لتحويل أرباح قطاع الدواء من خدمة الجماهير الى رصيد للمستثمرين في البنوك الاجنبية . »

كل هذا حدث . ولم تكن اتفاقيات « كامب ديفيد » وقعت أما بعد « الاتفاقيات » فالمصيبة أكبر !

**الغزو الصهيوني**

والسؤال :

ماذا تعني حرية حركة السلع والاشخاص التي نصت عليها الاتفاقيات ؟

هل تتسع اسرائيل لهجرة المصريين أو حركة السلع المصرية ؟ أم أن المقصود هو بيع جهد العامل المصري في سوق النخاسة الرأسمالية ؟ وانتقال الايدي العاملة المصرية الرخيصة الى المصانع الصهيونية ؟ وعودة اليهود الى مصر ليخلوا مكان المصريين في الشركات والبنوك الأجنبية ؟

لكي ندرك معنى السيطرة والغزو الاقتصادي الجديد للصهيونية ، لا بد من العودة الى الوراء قبل عام 1952 ، لنرى كيف سيطرت العناصر الصهيونية على

الحياة الاقتصادية والثقافية في مصر .

كتبت صحيفة « مصر الفتاة » التي كانت تصدر في مصر عام 1939 تقول :

**« اليهود سوس ينخر في جسم الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويهدد كياننا بأعظم الاخطار » .**

ومن الواضح أن الكاتب لم يقصد اليهود كأقلية دينية بل كعناصر صهيونية تنخر في الحياة الاقتصادية . وكما يقول مؤلف كتاب « صراع الطبقات في مصر » .

**« من المؤكد أن السبب في وصف اليهود كسوس لا يرجع الى حجم اليهود في مصر لان عددهم حسب تعداد عام 1937 ، لم يتجاوز 62 ألفاً مقابل 63 الفاً عام 1827 انما يرجع هذا النفوذ الى عاملين هامين :**

**الأول استغلال الامتيازات الاجنبية . الثاني ـ الاستعداد الموروث والخبرة باساليب العمل التجاري » .**

العنصر الأول وفرته لهم نصوص « الوثيقة الأولى » لكامب ديفيد .

والعنصر الثاني ، أي الاستعداد والخبرة أو ما يسمى « بالعبقرية اليهودية » ، فهذه تكشفها لنا أساليب العمل الصهيوني . فهي لا ترجع الى الوراثة أو الموهبة بل الى التناسق والترابط الذين تخلفهما العناصر الصهيونية بين اليهود داخلياً وعالمياً وسيطرتهم على كثير من المراكز الاقتصادية عالمية . والتجائهم الى الأساليب اللاأخلاقيةَ في تنفيذ أهدافهم .

فعندما أنشئت المحاكم المختلطة في مصر ، وكانت مختصة في الديون والمسائل المالية وضعت الصهيونية رجالها حراساً قضائيين على الحجوزات ، ونصبوهم وكلاء عن أصحاب الديون . واشتغلوا بالتصفية والبيع ، وخرجوا من هذا كله بأموال طائلة . وسيطرت العناصر الصهيونية على سوق الاوراق المالية والمستندات العقارية واستبدال النقود ، ودفع الديون عن المدنيين الموثوق بهم تحت شروط باهظة ثقيلة لا تطاق ، يكون من نتيجتها سلب المدين كل املاكه .

في مطلع القرن العشرين كانت هناك بيوت تجارية مصرية كبرى تعمل على أوسع نطاق . ولكن سماسرة الصهيونية ، عن طريق الاتفاق مع البيوت المالية الكبرى . . وكذلك عن طريق الاتفاق مع المصانع الاوروبية وأخذ الوساطة بين

المورد الاجنبي والمستورد المصري تمكنوا من ضرب هذه البيوت المصرية ، فاخذت في الافلاس لتحل محلها البيوت اليهودية .

ولم يقتصر التخريب الصهيوني على النواحي الاقتصادية والاجتماعية بل تسللوا في المنظمات السياسية ، وقاموا بدور تخريبي بشع . وتولى يوسف أصلان قطاوي وزارة المالية في وزارة الخائن أحمد زيور « باشا » كما سيطر يوسف درويش واحمد صادق ( يهودي ادعى الاسلام ) وريمون دويك على الطليعة الوفدية .

ولم يسلم بنك مصر من تسلل العناصر الصهيونية وسيطرتهم على توجيه سياسته . فعندما أراد طلعت حرب باشا إنشاء « بنك مصر - فلسطين » هددت العناصر الصهيونية بسحب ودائعها من بنك مصر . واضطر طلعت حرب الى التراجع وعدل عن تنفيذ فكرته .

وفي مجال الصناعة احتكرت عائلات « منشه ودره وجوزيف سلامة » صناعة الغزل والنسيج والحرير . واحتكرت عائلة « شَامرمان » تجارة الادوات الكهربائية والبطاريات ومنتجات البلاستيك . . ومن خلال مصر ، كانت هذه السلع تصدر الى بعض البلاد العربية كالعراق وسوريا ولبنان .

رأس الرمح :

وحققت الولايات المتحدة اهدافها من العدوان الصهيوني على مصر . لم تحققه « الهزيمة أو استعمال قنابل النابالم » أو الغارات على المدنيين . بل حققه « السادات » نازعاً نفسه من مصر ومن الوطن العربي مرتمياً في أحضان الصهيونية والامبريالية الامريكية .

يقول تقرير خاص عن الاقتصاد المصري نشرته الصحف العربية في أعقاب اتفاقيات « كامب ديفيد » .

**« ان الشركات الأمريكية العاملة في مصر باتت تقارب الشركات المصرية . وذلك أمر لا يخلو من الخطورة » .**

وتأتي لغة الارقام ، لتكشف لنا عن عملية غزو رهيب أشبه بغزو أسراب الجراد لارض خضراء ، جاء ليلتهم كل شيء .

بلغ عدد الشركات الامريكية العاملة في مصر حتى نهاية عام 1977 نحو 206 شركات منها 106 شركات أساسية يضاف اليها 46 فرعاً في محافظات مصر الرئيسية . الاسكندرية ، بورسعيد والسويس .

في رأس القائمة 25 شركة للبترول تغطي مختلف مجالات التنقيب والاستكشاف والاستخراج والتسويق والشحن . يلي ذلك شركات ومكاتب الاستشارات الهندسية وعددها 26 شركة . وتعمل في مصر الآن عشر شركات لتوزيع الادوية والمواد والتجهيزات الطبية و 9 شركات ومكاتب للمحاسبة و 7 للخدمات الانتاجية و 6 فنادق و 5 شركات لتوزيع الافلام السينمائية و 5 للملاحة و ٤ للصناعات . حتى الخدمات القانونية والطباعة والصيدلة والتجارة تولتها شركات امريكية . . روجرز ومساعدوه للخدمات القانونية . . ميد كوريدريشن للطباعة . . سكويب وأولاده للصيدلة .

فاذا القينا نظرة سريعة على أسماء الشركات الامريكية كمقدمة للزحف الاستعماري على مصر نلحظ التالي :

أولاً : جميع الشركات الأمريكية الوافدة على مصر ، هي شركات خدمات أو لزيادة الاستهلاك .

ثانياً : أن جميع هذه الشركات يوجد في مصر ما يماثلها سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص .

ثالثاً : ان هذه الشركات جاءت لتنافس جميع الفئات وطبقات الشعب ولتقضي عليها . سواء كانت هذه الفئات مهنية أو حرفية أو فنية أو تجارية . كما أنها تنافس القطاع العام وتنقل الأرباح من الشعب الى الخارج .

فهل جاء السلام الامريكي بالرخاء ؟ !

لقد كشف « نهرو » دور الولايات المتحدة لابنته أنديرا غاندي منذ أكثر من نصف قرن عندما كتب اليها رسائله من داخل السجن . وقال : **« فهي - أي الولايات المتحدة - تسعى جهدها الى وضع ثروات البلد تحت اشرافها وتنال حقها من ثرواته »** .

- 4 -

قبل توقيع اتفاقيات « الكامب » ، بدأ التمهيد بالحديث عن « الصقور والحمائم » . وكما بدأ « الاستسلام » بشعارات « تحييد أمريكا » والتخويف من « القنبلة الذرية » الصهيونية ، عاد الحديث من جديد بعد الاتفاقيات عن « الصقور والحمائم » . ولم يعد هذا الشعار يعني « المعارضة الاسرائيلية » أو « الاعتراف » بل أصبح يتضمن ما هو أبعد مدى وأخطر على حياتنا ومستقبلنا .

. . ولم تعد كلمة « الحمائم » تعني السلام أو نبذ الحروب ، بل أصبحت تعني « التطبيع » و « الخضوع » !

**عود على بدء**

قيل أن التاريخ عندما يعيد نفسه ، يكون في المرة الأولى مهزلة ، وفي المرة الثانية مأساة !

فعندما قررت بريطانيا غزو مصر عام 1882 ، وكان « حزب المحافظين » هو الحاكم هب أعضاء « حزب الاحرار » يندد ون بالوحشية . وبالغزو . . وما أن جاءوا الى الحكم حتى دعموا السيطرة البريطانية على مصر .

وخلال مفاوضات « سعد زغلول » مع الحكومة البريطانية ، وقف حزب العمال المعارض متعاطفاً مع سعد . ولكن ما أن جاء « العمال » الى الحكم حتى أظهروا تشدداً أكثر من المحافظين!

هي « لعبة » معروفة يتقاسمون فيها الادوار . وظلت هذه « اللعبة » مستمرة حتى عدوان 56 ، عندما عارض حزب العمال العدوان . ثم صفقوا عندما أعلن « ايدن » احتلال القوات البريطانية لمدينة بورسعيد !

فأين كان « الحمائم أو الصقور » خلال فترة الاحتلال التي استمرت في مصر أكثر من سبعين عاماً ؟ كانوا يتقاسمون « الكعكة » كانوا شركاء في النهب الاستعماري كانوا مساهمين أو أعضاء في مجالس ادارات الشركات التي إمتصت دماء المصريين .

وظل الاحتلال البريطاني مخيماً على مصر في ظل « الحمائم » « والصقور » ولم

ينته الا بالمواجهة التي استمدت قواها من قوى الثورة العالمية ، ومن وعي حركة التحرر الوطني التي نقلت المواجهة من يد الاقطاع والرأسمالية الى أيدي قوى تحالف الشعب .

وما حدث في وطننا العربي ، حدث في أوطان أخرى على يد الامبريالية الأمريكية . وتبادل الحزب الديمقراطي والجمهوري الحكم أكثر من مرة . ومع ذلك ظل العدوان الأمريكي على فيتنام مستمراً . ولم يوقف العدوان حمائم الديمقراطيين أو صقور الجمهوريين . ولكن الذي أوقفه هو صمود وتضحيات الشعب في فيتنام .

**اتجاهان :**

لا جدال أن الحركة « الصهيونية » تتنازعها عدة إتجاهات . . إتجاهات دينية . . واتجاهات اقتصادية . . واتجاهات سياسية فاشية . ولكنها تصب في مصب الحركة العنصرية التي جاءت لغزو الوطن العربي بأهداف محددة :

أولاً : حماية أوروبا من « البربرية » العربية . أي التصدي لحركة التحرر العربي !

ثانياً : خلق قاعدة صناعية صهيونية في وطن عربي متخلف قانع بالزراعة أو الرعي !

ثالثاً : أن تكون اسرائيل القاعدة العسكرية القائدة لحلقة من القواعد لحماية نهب الشركات الاحتكارية والدفاع عن المصالح الامبريالية في المنطقة .

إن هوية الصهيونية الاستعمارية . وطبيعتها العدوانية ليست في حاجة الى برهان . حتى هؤلاء الذين يحلمون باحلال « التعاون » محل « العداء المستحكم » لا يستطيعون إنكار دور الصهيونية ـ قبل انتزاع ارض فلسطين ـ في نهب ثروة الشعب في مصر ، واعلان افلاسها على يد الخديوي .

ولعل ما يحدث في مصر بعد سياسة الانفتاح ، وتدفق العناصر الاجنبية ، بما فيها العناصر الصهيونية ، وارتفاع ديون مصر الى 18 مليون دولاراً . وعمليات النهب التي تمارسها الشركات الأجنبية بما لها من ارتباطات صهيونية ، يؤكد أن الدور الذي بدأته الصهيونية في استنزاف ثروات الشعب العربي ما زال مستمراً .

اذن ما هي قصة « الحمائم والصقور » ؟ !

القصة ببساطة ، تنبع من اتجاهين داخل الحركة الصهيونية .

الأول : يحلم بامبراطورية صهيونية تمتد من النيل الى الفرات . وتضم كل هذه الارض الشاسعة .

الثاني : يرى الاكتفاء بما حصل عليه من أرض فلسطين لتكون قاعدة عسكرية واقتصادية وسياسة تمد نفوذها الى أعماق الارض العربية دون أن تحتلها .

أصحاب الاتجاه الأول : يؤكدون امكانية تحقيق أحلامهم باقامة المستوطنات المسلحة وسط الارض التي يحتلونها . . أي إقامة قواعد صناعية وعسكرية وسط الريف العربي وبذلك يمكنهم من ضم أوسع رقعة من الارض العربية الى امبراطوريتهم الموعودة .

اصحاب الاتجاه الثاني ، هدفهم الغزو الاقتصادي . ويرون في عملية التوسع في احتلال الأرض عائقاً أمام مشروعاتهم التي جاءوا من أجل تحقيقها في نهب ثروات الشعب العربي ، عن طريق التجارة أو السمسرة . ولهذا لا يمانعون في التخلي عن أجزاء من الأرض المحتلة مقابل فتح الحدود العربية أمام انتقال رأس المال والاشخاص .

وأصبح أصحاب الاتجاه الأول ، اتجاه التوسع ينعتون بالصقور ، بينما يطلق على « اصحاب الاتجاه الثاني اسم الحمائم » وكان الاجدر أن يطلق عليهم اسم « الثعالب » .

**الخلاف**

لعل بيغن أصدق من عبر عن منطق « الصقور » . جاء هذا اليهودي البولندي الى عالمنا العربي ، وعندما وصل الى شرق الاردن أول مرة . قال عنها :

**« ارثنا وتراثنا » !**

ويقول عنها ، أنها كانت في عهد الرومان مخزن غلال الشرق الاوسط . أما اليوم . فيراها بيغن « **أن المنطقة تكاد تكون خالية تماماً** » . ويتحدث في كتابه « التمرد » عن الدولة اليهودية . والدولة الكبرى . ويتغنى بكل أعمال الارهاب

وسفك الدماء التي مارسها مع عصابة « الاراجون » ضد الاطفال والنساء العرب .

وكما يقول مترجم الكتاب في المقدمة :

**« ليس هناك أصوب من العودة الى الأسس التي تقوم عليها العقيدة الصهيونية ، لكشف دعائمها الثلاث وهي :**

- **دعوى التفوق العرقي .**
- **التوسع لتحقيق اسرائيل الكبرى .**
- **اعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا الهدف .»**

وفلسفة هذا الجناح ، جناح الصقور يستند في تحقيق أهدافه الى فلسفة المانية فاشية يعبر عنها بيغن « في كتابة التمرد » .

**« أنتم الاسرائيليون يجب الا تأخذكم شفقة أو رحمة عندما تقتلون عدوكم . . يجب أن تقضوا عليه حتى ندمر ما يسمى بحضارة العرب ، التي سوف نشيد على انقاضها حضارتنا اليهودية » .**

إن هذا الجناح الفاشي في الحركة الصهيونية يتجاهل مسيرة التاريخ تماماً . ولذلك تركته الامبريالية الامريكية ليتلقى الدرس القاسي في حرب اكتوبر . ثم أسرعت تقيله من عثرته ، لتؤدبه وتعلمه أنه ليس « الدولة النازية الجديدة » ، ولكنه قاعدة تابعة للامبريالية العالمية في مرحلتها الجديدة . وفي ظروف عالم اليوم .

جناح « الثعالب » وهو ما يطلق عليه « الحمائم » يدركون تماماً ان عصر التوسع الاستعماري انتهى وهم يساومون على الانسحاب من الأرض المحتلة مقابل الاعتراف وفتح الحدود وتغلغل رأس المال الصهيوني في الوطن العربي .

وجناح « الثعالب » يجد في الوطن العربي ، من يدعمه بل يتعاون معه ويساهم معه ويتعاون في استنزاف الشعب والحصول على الربح .

إن هذا « الجناح » بالتعاون مع بعض العناصر العربية ، يريد أن ينهي حركة التحرر العربي ، باسقاط حجة تحرير الأرض ، وذلك بعودة الصهيونية في حدود 67 . وكأنما الغزو الاقتصادي ليس استعماراً !!

الخلاف بين « الصقور » و « الثعالب » لا يتعدى الشكل . ولكنه سرعان ما يصبح في وحدة عندما يبدأ التوسع الاقتصادي أو العسكري .

ووجد « الصقور » فرصتهم مع انقلاب 15 مايو ووصول « السادات » الى الحكم . وسواء كان « السادات » على اتصال سابق بالصهيونية أو الولايات المتحدة ، الا أن الذي لا شك فيه أن السادات التقى مع بيغن فكرياً ، فكلاهما فاشي الفكر ، إرهابي الاتجاه .

من خلال هذا اللقاء حققت الصهيونية أهدافاً لم تخطر على أكثر المتفائلين منهم ، عندما وقعت اتفاقيات « كامب ديفيد » .

**أهداف الثعالب »**

لعل اهداف «الثعالب» لم تتكشف من قبل، كما أوضحها كتاب «بعد أن تسكت المدافع».

يتحدث الكتاب عن دوافع الامن في المنطقة. ويقول أن ما يصح - أي التسوية - في قطاع من الأرض العربية يجوز أن يمتد فيما بعد الى دائرة أوسع من الأرض العربية.

أما ماذا بعد التسوية فيقول:

**«إن أبعاد التسوية مستقبلا تنطوي في النهاية على مرحلتين متميزتين: مرحلة أولى يستعين فيها الجانب العربي بالمجتمع الدولي لترويض اسرائيل، واستيعابها في المنطقة، ثم يستعين في مرحلة ثانيةً باسرائيل لتوظيف كفاءتها البشرية والتكنولوجية من أجل مقومات المجتمع العربي في وجه المجتمع الدولي».**

**هذه الكلمات لا تعبر عن فكر الثعالب الصهيونية وحدها، بل افكار «الثعالب العربية».**

**إن دورا « وظيفياً » للصهيونية في الوطن العربي، ليس حلم الصهيونية وحدها . فمنذ بدأ الغزو الصهيوني للوطن العربي، كانت الأنسبة بالتساوي بين الصهيونية والرجعية والاستعمار.**

**ففي إحصائيات عن الشركات الرأسمالية في مصر تبين أن الصهيونية كانت**

تمتلك 30% من الأسهم والعناصر الأجنبية غير اليهودية تمتلك 30%. ورضيت الرجعية المصرية بمشاركة لا تتجاوز 30%.

وبعد التأميم عام 1926 انتقلت كل هذه الاموال الى ملكية الشعب في مصر. وفي ظل سياسة «الانفتاح» تعود الصهيونية مع الافاقين الاجانب وتسترد سيطرتها على الاقتصاد المصري، وتقدم القروض والاستثمارات وتحصل على الفوائد والارباح.

وما يحدث في مصر، يجوز بل يجب - كما تنص اتفاقيات «الكامب» - أن يمتد الى دائرة أوسع من الأرض العربية! أن التكتل «الرجعي الصهيوني - الامبريالي» الذي بدأ عام 1956 بعد تأميم قناة السويس، كان يتسع كلما مضت حركة التحرر العربية خطوات الى الأمام. فمنذ قامت الطائرات البريطانية من مطار الحبانية لتشارك الصهيونية عدوانها عام 1956 . كانت القوى الرجعية تشتد عدوانا ضد الشعب العربي وساد الارهاب والمؤامرات والحرائق.

استبدال الأسياد

ان دعاة «التسوية»، بعد سقوط الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، يتحركون من منطق الانتقال من سيادة الى سيادة أو مع الأسف من اغلال عبودية الاستعمار القديم الى أغلال وعبودية الاستعمار الجديد.

انتهى عصر الاستعمار الاوروبي بمعناه القديم. ودخل الاستعمار مرحلة جديدة بقيادة الولايات المتحدة.

ولكن الولايات المتحدة، فقدت القناع الذي كانت تتخفى به، من أنها لم تكن من دول الاستعمار القديم، وأنها لم تشارك في غزو او احتلال أرض الغير!

فالعدوان المفضوح على فيتنام. ومساندة الانقلابات الرجعية. وتدعيم عصابات الحكم الفاشية، كشف أن الاستعمار الجديد لا يختلف عن الاستعمار القديم، شكلا ومضمونا. أسلوب العدوان قائم. وأسلوب النهب والسلب عن طريق القروض أو الشركات مستمر.

فما هو الحل؟

أصبحت الرغبة في اظهار اسرائيل كظاهرة ليست مرتبطة بالاستعمار. ولكنها

مشروع له اهدافه وخصائصه المتميزة، وبذلك يمكن تحييد الولايات المتحدة!

ثم نصل الى أن الوجود الاسرائيلي ليس ظاهرة صهيونية وبذلك يمكن التعامل معها وفتح الابواب أو الحدود لها.

أصحاب هذه الآراء يريدون وضع «غمامات» على عيون الشعب العربي، فلا يرى القواعد العسكرية الأمريكية في سيناء. ولا يرى السلاح الامريكي الذي يتدفق على الصهيونية. ولا يرى «الاهداف» الامريكيةوراء مخططات التسوية المطروحة بعد كامب ديفيد.

ان «الثعالب العربية» لا تختلف عن «الثعالب الصهيونية» فهي ترتدي ثياب «حمائم السلام»، وتحت أجنحة السلام » المزعوم يخفون سلاح العدوان والارهاب لتتسلل الاحتكارات الامريكية والصهيونية وينالون نصيبهم من عمليات نهب ما تبقى من قوت الشعب الذي عانى من الاستعمار القديم. ويريدون له أن يستبدل سيد بسيد. أو استعمار قديم باستعمار جديد أشد قبحا وعدوانا!

- 5 -

منح «السادات» اسرائيل امتيازات الدول الكبرى. فالقراءة الأولى لاتفاقيات «كامب ديفيد» تكشف الطابع الاستعماري. بل فرض الارادة الاستعمارية على مصر. والوطن العربي.

وكما كشفت اتفاقيات «الكامب» حقيقة الصراع بين مصر واسرائيل وحقيقة النوايا الأمريكية في المنطقة. فانها أكدت أن الحروب التي خاضتها مصر ضد الصهيونية لم تكن دفاعا عن فلسطين. أو تصديا القضايا عربية لا تمسها. بل أكدت الاتفاقيات، أن مصر هي الهدف. وهي المدخل للسيطرة الاستعمارية على الوطن العربي.

فما نصت عليه الاتفاقيات لا يذكر الا في نصوص معاهدات بين جيش قاهر وجيش مقهور وبين دولة غازية ودولة مهزومة.

أولاً : فقدان السيادة

ان الأرض المصرية التي تجلو عنها اسرائيل والتي تعود الى الوطن، لاتتجاوز

50 كيلو مترا، لا تملك مصر عليها حق السيادة، فلا تملك تحريك قواتها العسكرية على ارضها.

ثانيا : الامتيازات الاقتصادية

وتتمثل في رفع القضايا المالية الى لجان مشتركة. وليس الى القضاء المصري، ولا تخضع للقوانين المصرية.

ثالثا: تحديد الجيش

ان تركيز الاتفاقيات على االسلام، وما أعلنه وزير الحربية عن تحديد الجيش المصري. يؤكد أن هذا القرار جاء بناء على رضوخ للجانب الاسرائيلي والامريكي. ومما يؤكد ذلك محاولة امريكا عرقلة صفقة السلاح السوفييتي عام '1955' ، والعدوان الاسرائيلي ردا على هذه الصفقة.

ان ما نضمنه نصوص الاتفاقيات. هي تسليم بغزو استعماري. وخضوع لارادة عدو.

**حركة التحرر**

قفزت حرب اكتوبر «تشرين» بحركة التحرر الوطني الى آفاق جديدة. وأكدت صدق النتائج التي توصلت إليها الثورة من خلال عملية «الخطأ والصواب».

ففي حرب اكتوبر ظهر التضامن العربي في أروع صورة اختلط الدم العربي على ضفاف قناة السويس، ومرتفعات الجولان، وأكدت حرب أكتوبر فاعلية سلاح البترول العربي في المعركة.

وفي الداخل. ظهر من خلال المعارك معنى تحالف قوى الشعب. ففي أثر مؤامرة النكسة أبعدت عن الجيش القيادات الرجعية، وتولى القيادة ضباط من أبناء العمال والفلاحين والمثقفين. كما كشفت معارك «أكتوبر» دور القطاع العام التي بنته ثورة التحرير كأساس للاستقلال الاقتصادي. وكان هذا القطاع هو الدعامة للجبهة الداخلية وللجيش خلال المعركة. فكان السند الأساسي في مساندة الجيش سواء من حيث التموين الغذائي أو الامداد الطبي أو بناء قواعد الصواريخ.

وانتهت حرب أكتوبر، وديون مصر ومشاكلها محدودة. كان يساندها العالم

الاشتراكي. ودول العالم الثالث والوطن العربي. وتأكد خلال المعركة دور السوفييت في مساندة حركة التحرر.

وقال السادات

**«لقد صرحت، والمعارك قائمة، باننا عبرنا بالسلاح السوفييتي. وأكدت أكثر من مرة، اننا نقدر دور الاتحادالسوفييتي ومساعدته ومناصرته».**

وفي حركة غدر وقع السادات وثائق الاستسلام للصهيونية وارتفعت الاصوات كنعيق البوم تتحدث عن «الممكن وغير الممكن» أو ما البديل؟

فهل يمكن ان تكون اتفاقيات «الكامب» هي البديل الذي لا بديل عنه؟!

**الرايخ الصهيوني**

ان ما تريده اسرائيل. أو ما تنشده الصهيونية لم يعد سرا. أنهم يتكلمون بعد الاتفاقيات بصوت عال. وتنشر الصحف الصهيونية نصوص الحوار الدائر داخل اسرائيل. وبصلافة. ووقاحة يعلن العميد «بليد» أحد القادة العسكريين.

**«علينا أن نقرر ماذا سيكون حجم دولة (اسرائيل), ووفقا لذلك علينا أن نقرر حدودها وسنفرض هذه الحدود على العرب عن طريق حرب نبادر اليها. وسنرغم الدول العظمى على التسليم بارادتنا. وليس المهم كم من العرب سيكونون في هذه الدولة. وسنطرد أو نصفي كل من لا يسلم بسلطتنا، واليهود الذين يعارضون ذلك هم عملاء المخابرات السوفييتية»**

ويستطرد الصهيوني الوقح قائلا:

**«لكي يعيش احفادي واحفاد احفادي هنا في دولة مواطنوها من اليهود وغير اليهود. احتاج الى نهر الليطاني، الى مصادر المياه في أرض (اسرائيل) الغربية الى الأردن نزولا الى ايلات منطقة النوبية وشرم الشيخ. خط مباشر الى العريش هذا هو المنزل الذي أريده».**

خارطة واضحة، فالمجال الحيوي الذي يتحدث عنه العميد الصهيوني «بليد» يتضمن أراضي من لبنان ومصر بالاضافة الى كل المناطق الواقعة غرب الاردن.

ويرد يهودي آخر ساخرا، ولكنه يكشف أعماق الفكر الصهيوني فيقول:

**« في الوقت الحاضر يوجد لدينا أسلحة كافية من اجل انهاء الحرب المقبلة الحاسمة . سنحارب العرب في جميع الجهات وستنزل بهم ضربة قاضية وسنحتل ونضم الأراضي التي تقع ضمن مجالنا الحيوي .**

**وماذا بعد ذلك؟ بعد أن تحتل القاهرة ودمشق فلم لا نرسله أيضا الى الرياض وساحل الخليج.**

وقد يبدو هذا كله ضرباً من الخيال . ولكن التاريخ علمنا ان هذا الخيال المريض قد يصبح حقيقة» .

فعندما احتل « هتلر » الأرض المحرمة على الحدود بين المانيا وفرنسا ووقف العالم صامتاً مستسلمًا ، كانت الخطوة التالية المطالبة بأرض«السوديت » . وبعد ضم «السوديت » ، وبعد توقيع « اتفاقية ميونيخ » استمر الزحف النازي . و « هتلر » يوقع الاتفاقيات والمعاهدات ويمزقها في اليوم التالي ويزحف بجيوشه حتى احتل براغ . ووارسو وباريس وبلغراد وصوفيا . اسقط الملوك وطارد الرؤساء وأقام معسكرات الاعتقال وأفران الموت للشعوب . وفرض عملاء له على هذه الدول ينفذون إرادته .

ان ما تحلم به اسرائيل اليوم ، كان يبدو حلمًا من هوس مجنون . ولكن هتلر نفذ هذا الحلم ـ الرهيب . ولم يستيقظ العالم من هذا الكابوس إلا عندما اعلن تشرشل « انه يتحالف مع « الشيطان » في سبيل القضاء على النازية . وكان هذا الشيطان من وجهة نظره هو « الاتحاد السوفييتي » .

فهل نتعلم من التاريخ ؟

ظلت أوروبا رافضة التحالف مع الاتحاد السوفييتي ، رفضت تشيكوسلوفاكيا ورفضت بولندا . وبعد ان اصبح الخطر رهيباً قبلت انكلترا والولايات المتحدة هذا التحالف . ولكن ، بعد ان دفعت شعوب العالم 40 مليوناً من الشهداء والضحايا . وبعد ان ذاقت الشعوب ألواناً من التعذيب ، أبشع من الجحيم !

ولم تكن مجازر « دير ياسين » و « كفر قاسم » في فلسطين إلاا متداداً لهذا الجحيم الرهيب . وهو البداية للوحش الصهيوني ضد شعبنا العربي .

**الصهيونية والنازية**

هل يختلف الفكر النازي عن الفكر الصهيوني ؟

يحاولون التفرقة بين الفكر النازي والفكر الصهيوني بدعوى ان النازية كانت تضطهد اليهود . وانها قامت على أساس تفوق العنصر الجرماني .

وكانت هذه هي الأكذوبة التي روجت لها الصهيونية لتخفي حقيقة الوجه البشع للنازي . وبالتالي الوجه البشع للصهيونية .

قامت « النازية » أساساً على اساس تفوق العنصر الجرماني .

وتقوم « الصهيونية » على اساس تفوق العقل اليهودي . ومع الأسف ترتفع أصوات عربية تتحدث عن « العبقرية اليهودية » وتزاوجها مع رأس المال العربي ! وهي بذلك تؤكد النظرية الفاشية الصهيونية التي تعلن ان اليهود يمتلكون صفات لا تمتلك مثلها أية امة أخرى في العالم .

قامت « النازية » في اعقاب ازمات النظام الرأسمالي . وتقوم الصهيونية اليوم بنفس الدور بعد ان واجه الاستعمار حركات التحرر في العالم العربي وافريقيا وآسيا .

وقامت « النازية » لتتحدى القوانين والمعاهدات والمواثيق الدولية وتتحدى الصهيونية كل قرارات الأمم المتحدة والمواثيق الدولية .

فهل صحيح بعد هذا كله ان الصهيونية نقيض للنازية ؟ أم أننا أمام نفس الخطر ونفس المخاطر ؟

هل يمكن ان يكون هذا هو « البديل » لحركة التحرر العربي ؟

إن الصهيونية لم تتردد عن المشاركة في إبادة ملايين اليهود في سبيل اقامة اسرائيل . فهل تتردد عن إبادة ملايين العرب ؟

إن محاكمة الدكتور رودلف كاستنر أحد الزعماء البارزين في حزب الماباي ، كشفت ان الزعماء الصهيونيين في لندن والولايات المتحدة الامريكية ، كانوا على علم تام بالخطط التي وضعها النازي لابادة اليهود في المانيا وفي المناطق التي احتلتها . وقد وافق بن غوريون وموشي شاريت ووايزمان بذبح ملايين من ابناء جلدتهم في

معسكرات التعذيب النازية في سبيل ان يفلحوا في إقامة دولة صهيونية .

واقام الصهيونيون دولتهم على الارهاب . والغدر والتوسع والابادة ، هكذا كانت النازية وهكذا تتحرك اسرائيل .

الفصل السادس

# المأساة العربية

« إن الأستعمار كشف نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها معه ، وأصبح محتمًا على الشعوب ضربهما معاً ، وهزيمتهما معاً ، تأكيداً لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ، ودعمًا لحق الانسان العربي في حياة أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثوري . . »

**جمال عبد الناصر**

.. عندما بلغ « ايدن » رئيس وزراء بريطانيا ، أن عبد الناصر أعلن تأميم القناة ، فقد أعصابه وراح يصرخ غاضباً : كيف يستطيع أن يفعل ذلك ؟ .. كيف يستطيع ؟ ! .

كان أنطوني ايدن في اللحظة التي أعلن فيها عبد الناصر التأميم ، يقيم حفلة عشاء للملك فيصل عاهل العراق ، يصحبه نوري السعيد ..

وعلق نور السعيد على النبأ بقوله لايدن ..

« .. لم يبق أمامكم سوى سبيل واحد للعمل هو : أضربوا الآن وأضربوه بشدة .. والافسيفوت الأوان » ! .

ودبرت المؤامرات ضد عبد الناصر ، بواسطة ما سمي حركة مصر « الحرة » التي كان يمولها المليونير محمد ابو الفتح ويغذيها أفراد من عائلته .. ونشطت العناصر التي غادرت مصر من الاخوان المسلمين وأصحاب الاقطاعيات .. كما قامت وكالة المخابرات المركزية بتمهيد الطريق لتغيير النظام .. وبدأ الاعداد للعدوان الثلاثي ..

كان الملك حسين قد اجتمع بوزرائه وطالبهم بالموافقة على الانضمام الى حلف بغداد .. ولكن المظاهرات انطلقت وسقط شهداء .. وتراجع الملك ..

وفي 14 يوليو 1958، .. تم القضاء على العائلة المالكة في العراق .. واستولى الضباط الوطنيون على الحكم ..

والملك سعود ، الذي أفزعته الوحدة بين مصر وسوريا ، وتطور الاحداث في الوطن العربي ـ دفع مليوني جنيه لوضع قنبلة في طائرة عبد الناصر ..

واتجه الاسطول السادس الى شواطىء لبنان لانزال قوات من المشاة . . وأرسلت بريطانيا جنودها المظليين عبر أجواء اسرائيل لحماية عرش الأردن . .

ولم يهدأ العالم العربي . .

كانت الثورة قائمة . . والثورة المضادة تقاوم ، تريد استعادة الارض التي فقدتها . .

كانت الملايين المحرومة تتحرك شوقاً الى العدالة الاجتماعية . . بينما ملوك الارض والمال يتشبثون بما يملكون ويدعمون العدو الخارجي الذي ظل ينهب الشعب العربي طويلاً . .

**البداية . .**

أدرك عبد الناصر وجود الثورة المضادة . . وأعلن بعد نكسة 67 ، أن وجود الثورة يعني وجود ثورة مضادة . . كما أعلن في « الميثاق » أن الاستعمار يتخفى في قصور الرجعية . .

**« . . ان الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية . . »**

. . وأكد ارتباط الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية التي أفزعت الرجعية ، وجعلها ترتمي في أحضان الاستعمار وتسفر عن عدائهاللشعب . .

**« . . ان الاستعمار كشف نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها للتعاون معه ، وأصبح محتمًا على الشعوب ضربها معاً ، وهزيمتها معاً ، تأكيداً لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ، ودعمًا لحق الانسان العربي في حياة أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثوري . . »**

. . وبعد أن كانت « الوحدة العربية » مجرد شعارات . . دخلت دور الممارسة العملية سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . . وخرجت من خلال الممارسة بتجارب ووجهات نظر أثرت العمل العربي الوحدوي . . فكما جاء في ميثاق 62 . .

**« . . إن التقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد في كل مكان من**

**الارض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة في كل مكان من الارض العربية ، هو في حد ذاته دليل على الوحدة ، أكثر مما هو دليل على التفرقة . . »**

. . كانت هذه الحقائق التي توصل اليها عبد الناصر محصلة نضال شعبي طويل ، فلم يكن إتجاه ثورة يوليو الى الاتجاه العربي . . أو العمل العربي نزوة . . بل امتداداً لظهور الوعي القومي العربي في النضال ضد الاحتلال والاستغلال . .

وكان اللقاء الاول منبثقاً من أرض المعركة عندما خاض أحمد عرابي القتال ضد الغزو البريطاني . . ففي تلك الايام التي خاضت فيها مصر الحرب ضد قوات الغزو وضعت بذرة تضامن الشعوب العربية في نضالها الحديث . .

ففي الشام حمل الرجال السلاح ، وأعدوا كتائب المجاهدين . . ولكن الاستعمار التركي حال دونهم والوصول الى مصر . .

وفي تونس أخذت الصحافة العربية تشيد بعرابي وتلقبه بحامي العرب ، وهرع الناس الى المساجد ، وصلوا في مسجد القيروان يدعون الله أن ينصر أحمد عرابي ويخذل الانكليز . .

ويقول « برودلي » أحد شهود الثورة . .

« كان العربي في تونس يهمس في أذن الآخر ، لقد ظهر أخيراً منقذ العروبة من الاستعمار . . »

وسرت موجات الكراهية ضد الاوروبيين في كل البلاد العربية ، وأثار اعتداء الانكليز على مصر ، ذكرى العدوان الفرنسي على المغرب والجزائر . .

**مصر وفلسطين**

كان أول لقاء مصري فلسطيني في حوادث « البراق » عام 1929 ، عندما بادرت جمعية « الشبان المسلمين » بانتداب أحمد زكي ومحمد علي علوية للدفاع أمام لجنة البراق الدولية . . . الأردنية

وساهم محمد علي علوية في « اقامة المؤتمر العالمي بالقدس » عام 1930 . . وبدأت الاحزاب المصرية تتلمس الاتجاه العربي . . والحكومات تسعى الى اقامة

علاقات عربية ، مجاراة للرأي العام الشعبي المصري في نصرة فلسطين العربية . .

وفي عام 1937 ، بدأ العمل الشعبي الجاد بعد الاحساس بخطر ما يدبره الاستعمار والصهيونية لخلق الدولة اليهودية . . وتشكلت لجنة الدفاع عن فلسطين التي ساهم فيها لجنة السيدات المسلمات ، وجمعية الشبان وجمعية الرواد المسلمين واتحاد طلاب الجامعة واتحاد الازهر . .

وعبرت الصحافة المصرية عن الرأي العام الرسمي والشعبي ودعت الحكومة والشعب الى الاحتجاج والاستنكار وبينت خطورة خلق دولة غريبة على حدود مصر وطالبت بحق الفلسطينيين خوفاً على مركز مصر الاقتصادي ، لان ما يحدث بجارتها يعد خطراً على اقتصادها ومركزها الثقافي وأمنها القومي . .

وكتبت جريدة « السياسة الاسبوعية » عام 1937 تحذر من التهاون في حق فلسطين ، بقولها أن التهاون في حق فلسطين العربي يؤثر في اقتصاد مصر والدفاع عن أرضها .

وقامت مظاهرات طلبة الازهر ودار العلوم والمدارس الثانوية عام 1938' هاتفة بحياة فلسطين وسقوط الاستعمار البريطاني . . وعقد أول مؤتمر نسائي عربي دعا اليه الاتحاد النسائي المصري واشتركت فيه مندوبات من مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن وفلسطين واتخذت فيه قرارات تؤيد قضية فلسطين والكفاح المسلح . . ومعاونة الفلسطينيين مادياً وأدبياً . .

وشارك المصرين في مؤتمر بلودان الذي عقد عام 1937 . . وكان أهم اقتراحات اللجنة الاقتصادية مقاطعة البضائع الصهيونية . .

وعندما طلب الرئيس الامريكي ترومان الى رئيس وزراء بريطانيا فتح باب الهجرة الى فلسطين وقبول 100 الف يهودي ، قامت الهيئات الشعبية في غضبة ثائرة . .

واجتمعت الجامعة العربية ، وقررت تسليح الفلسطينيين وتدريبهم عسكرياً . . وأعترضت انكلترا في الوقت الذي سلحت فيه 100 الف يهودي وخلقت قوة عسكرية يهودية . .

وعندما وافقت الامم المتحدة على التقسيم عام 1947' ، أدرك الشعب

المصري خطر المؤامرة ، وعبر المثقفون في مصر عن هذا الخطر الذي يهدد مصر بالذات بحرياً وتجارياً ، وحذروا من أطماع الصهيونية في شبه جزيرة سيناء وأن أي تضحية ليست في سبيل فلسطين وحدها وانما من أجل مصر أيضاً . . وليست عاطفة بل اصبحت مصلحة وجود . .

وخرج عشرات الالوف من الطلبة والعمال في مظاهرات ضخمة تجوب شوارع العاصمة وتطوف بالسفارات والمفوضيات الاجنبية هاتفة بحياة فلسطين عربية الى الأبد . .

وقام الازهر بدوره ، وتقدم علماؤه المظاهرات ، ودعوا الى الجهاد لانقاذ فلسطين من خطر الصهيونية . . وجاء في ندائهم :

**« يا أبناء العروبة والاسلام خذوا حذركم فانفروا جميعاً ، واياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الاباة الاماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين . . »**

واندفع الفدائيون الفلسطينيون في قتال دفاعاً عن أرضهم ، وتطوع الشباب المصري . . واقيمت ساحات التدريب . . وتكونت الهيئات لجمع المساعدات المادية والمهمات الطبية . .

وجاءت الحرب

حرب 1948 . .

انبرت الحكومات العربية لتحمل عبء النضال الشعبي ضد الصهيونية . . وأخليت الساحة من المتطوعين والفدائيين وأصبحت الكلمة للملوك وقادة الجيوش ! .

دخلت الجيوش العربية الى فلسطين في 15 مايو عام 1948، . . وسرعان ما انعقدت الجامعة العربية في 25 مايو . . وأعلنوا الهدنة بعد أن هدد الملك عبد الله بالانسحاب من الحرب بحجة نقص الذخيرة . . كما هدد بالانسحاب من الجامعة العربية . . وأدركت الجامعة العربية أن العراق سيحذو حذو الاردن . .

كانت القوات العربية على بعد كيلو مترات من تل أبيب . . ومع ذلك أوقفوا القتال . . وأجمع المؤرخون والساسة أن الهدنة كانت بداية النكبة ! .

ففي الوقت الذي أعلنت فيه الهدنة بناء على طلب انكلترا وامريكا . . قامت الدولتان بمد اسرائيل بالمال والسلاح والخبراء العسكريين . . بينما وقفت الجيوش العربية صامتة عاجزة عن الحركة أمام استعدادات اسرائيل . .

وعندما استؤنفت الحرب في 9 يونيو 1948 . . تبين أن هناك مخططاً استعمارياً قامت بتنفيذه القوات الأردنية، وهو وقوف الجيش الاردني عند الحدود التي وضعها التقسيم والانسحاب من بعض المناطق . وعدم التحرك لمساندة الجيش المصري عند اندفاع اليهود الى الجبهة المصرية ، ومنع القوات العراقية والسورية من مساندته . . وتولى غلوب باشا تنفيذ الخطة عن طريق الملك عبد الله ، فأصدر أوامره الى القوات الاردنية والعراقية بالانسحاب من اللد والرملة ورأس العين ومرج بن عامر والجليل الغربي لوقف تقدم الجيوش العربية الأخرى . .

وفي خطاب 26 يونيو 1957 ، قال عبد الناصر . .

**« كلنا يعرف ما حدث في اللد والرملة وكيف تركت اسرائيل وفتح أمامها الطريق حتى تهجم على مصر وحتى يواجه الجيش المصري وحده قوات اسرائيل ، وكانت الجيوش العربية الأخرى في هذا الوقت طبعاً تتلقى أوامر من أخواننا الذين كانوا يتآمرون مع الاستعمار والاستعمار كان يحمي الصهيونية العالمية . . »**

بعد حرب 1948 التي أندلعت في مايو ( مايس ) تبين أن الملك عبد الله كان قد اجتمع في ( نيسان ) أي قبل الحرب بشهر واحد بموسى شاريت ، ثم اجتمع بجولدا ماير من 11 الى 12 مايو . . وانتهى الاجتماع الى موافقة اليهود على ضم القسم العربي من القدس للملك عبد الله . .

. . كان هناك اتجاهان . . اتجاه وطني ينشد التحرر من الاستعمار ويقاوم الصهيونية . . واتجاه خائن ارتمى في أحضان الاستعمار والصهيونية . .

**حروب عبد الناصر . .**

في عام 1955 . . أصبحت الدولة نفسها تقود الثورة عندما حطمت أغلال الاستعمار ورفعت قيود التسليح وأبرمت إتفاقية السلاح مع الدول الاشتراكية . .

وجاء « تأميم قناة السويس » ليوجه ضربة عنيفة الى الاستعمار والنظام الرأسمالي . . فأعاد الى الشعب في مصر ثروته المنهوبة . . فالقناة التي بناها

الفلاحون المصريون بعرقهم ودمائهم ، بيعت بـ 4 ملايين جنيه . . وكانت تدر لحظة تأميمها اكثرمن 35 مليوناً . .

كانت « هذه الضربة » في مضمونها ، لطمة قاصمة لحملة الاسهم الكسالى الذين يجلسون في قصورهم يقطعون « كوبونات الارباح » ويجنون الاموال دون أن يؤدوا عملاً . .

وكما أشار « سلوين لويد » أن الحكومة البريطانية عندما كانت تعد للعدوان الثلاثي حذرت الوزراء من التلميح بأن العدوان بسبب تأميم القناة او استعادة السيطرة المالية على القناة ! .

عادت الأموال الى أصحابها ، وتحولت من جيوب المترفين في الخارج الى الارض المصرية لتشيد السد العالي . .

وأدرك كلاب الرأسمالية من ثراة العرب والغرب ، أن ما ينهبونه من الشعوب أصبح مهدداً بالانتزاع من قبل شعوبهم . .

وحدث العدوان الثلاثي . . وكانت اسرائيل رأس الرمح . .

ولاول مرة في تاريخ اسرائيل تضطر القوات الصهيونية الى الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها بمساعدة القوات الفرنسية والانكليزية أمام الانذار السوفيتي .

ومهما قيل عن دور الانذار السوفيتي في وقت العدوان . . فان الذعر الذي أصاب أوروبا أثر الانذار . . وسقوط الامبراطوريتين القديمتين ـ انكلترا وفرنسا ـ وتراجع اسرائيل الى حدودها . . أبرز دور الاتحاد السوفييتي في مساندة حركات التحرر . .

وهب الشعب العربي في كل مكان يساند مصر ويندد بالعدوان . ففي الكويت قامت المظاهرات وطالبت لجنة أندية الكويت بوقف تصدير البترول الى المعتدين وسحب الأموال العربية من البنك البريطاني وايداعها في البنك الوطني ، ومقاطعة البضائع البريطانية والفرنسية . . وفي البحرين أشعلت المظاهرات النيران في الشركات البريطانية . .

وفي سوريا .. نسف الشعب أنابيب البترول .. وقطعت الحكومة علاقاتها الدبلوماسية بفرنسا وانكلترا .. وأرسلت بعثة طبية الى مصر ..

وفي ليبيا قامت المظاهرات وفجرت قنبلة زمنية بنك بركليز في طرابلس .. ونسفت بعض المنشئآت البريطانية .

وفي السودان .. وتونس .. والمغرب .. واليمن .. ولبنان إجتاحت المظاهرات كل المدن ..

وانتقلت فكرة « القومية العربية » من مجرد شعارات الى واقع ملموس تصنعه جماهير الشعب العربي ..

.. بينما التيار المعادي ، وقف مذعوراً أو متربصاً .. ففي العراق اكتفت الحكومة بالاحتجاج ولكنها سمحت للطائرات البريطانية بالتموين من مطار الحبانية بالوقود والذخيرة .. وهب الشعب يطالب بالخروج من حلف بغداد ، وأضرب الطلبة وقاومتهم الحكومة بالعنف ..

وفي الاردن .. ما أن مرت الازمة بسلام ، حتى عصف الملك بالجبهة الوطنية وأقال حكومة النابلسي التي ساندت مصر في المعركة .

وأخذت الثورة والثورة المضادة أشكالاً متعددة في العالم العربي .. ففي سوريا التي توحدت مع مصر ، بدأت المؤامرات ضد الوحدة ..

وفي العراق سقط نوري السعيد .. وازدادات الثورة الجزائرية اشتعالاً .. واخذ عنف الثورة المضادة أشكالاً متعددة .. من العصف بالحريات الى التعذيب الوحشي .. الى المعتقلات والسجون .. وبدأت تظهر أساليب جديدة للقمع لم يكن يعرفها الشعب العربي من قبل ..

ولكن القومية العربية ، قامت خلال ذلك كله ، تمارس دورها .. وتخوض التجربة نحو الوحدة ..

اشتعلت الثورة في الوطن العربي ... من الجزائر والمغرب في المغرب الى العراق وعُمان في الخليج ... ومن عدن في الجنوب الى سوريا في الشمال ...

.. وسقطت عروش . اهتزت ممالك .. فأطيح باسرة محمد علي التي مكنت

الانكليز من احتلال مصر ، وانتزعت أراضي الفلاحين عنوة وقسراً وحولتها الى ملكية خاصة . . . وكدست الأموال المنهوبة من الفقراء وحولتها الى الخارج . . . وسقطت الاسرة الهاشمية في العراق وهي الاسرة التي اقامها الانكليز على الحكم بعد الحرب العالمية الأولى . . . وسقط حكم « الأمامية » في اليمن الذي حكم بالشعوذة والسحر . وأطيح بنظام « الأدريسي » المتلفع بثياب الدين في ليبيا . . . ونجحت ثورة الجزائر في طرد الفرنسيين . . . وتحقق جلاء الانكليز عن عدن . . .

ولكن الثورة العربية لم تكن في مستوى واحد نتيجة الظروف الاجتماعية المتباينة . . . فبينما كانت هناك أقطار تعيش في ظروف ما قبل التاريخ . . . كانت هناك أقطار تصارع من اجل اللحاق بالمدنية الحديثة . . وتدخل مرحلة الرأسمالية وتطرق أبواب الاشتراكية . . .

وكانت قيادة الثورة متمثلة في أغلب الاقطار من عناصر المثقفين ، الممزقين بين ما شاهدوه من حضارة وتقدم في العالم المتقدم . . . أو ما نالوه من ثقافة . . . وبين واقعهم المليء بالحرمان والطغيان وفقدان أبسط حقوق الانسان .

كانت الحكومات الرجعية ، تزداد عنفاً كلما شاهدت العروش تتهاوى حولها . . . وكانت وهي تتشبث بما تملك تدافع عن نفسها ضد يقظة الشعب . . . بالسجون والمعتقلات . . وأستوردت أدوات التعذيب النازية . . . وتفننت في ملاحقة المثقفين الثائرين . . .

ولجأ الشعب المتعطش الى العدالة الاجتماعية الى كل أساليب المقاومة . . . سواء كانت سرية أم علنية . . أو كانت سلمية أم مسلحة . . .

وأخذت المعركة أبعاداً جديدة بعد وصول الأسلحة السوفييتية الى كل من مصر وسوريا ثم العراق . . . وبعد ان رفعت الثورة في الدول الثلاث شعار الاشتراكية . . .

وازداد ضغط الاستعمار من الخارج . . . كما نشطت الحكومات الرجعية . . واشتد الصراع الداخلي في كل قطر عربي . . . وأصبح كل طرف يبحث عن حليف يسانده في المقاومة . . .

ففي اللحظة التي وجه الاتحاد السوفييتي انذاره ضد دول العدوان الثلاثي ،

أرسل الملك سعود يشكر ايزنهاور على موقفه من العدوان . . . ولم يكن موقف ايزنهاور أو امريكا يختلف عن موقف الدول المعتدية . . . فقد جمدت امريكا أرصدة مصر . . . كما وقف الاسطول السادس يحيي ويبارك القوات المعتدية . . .

**الوحدة المصرية السورية**

في بداية عام 1957 ، صرح عبد الناصر ، أنه لا يمكن تحقيق الوحدة إلا اذا تحققت مقوماتها الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية . . .

ولكن عبد الناصر ، تحت الضغط السوري رحب بالاتحاد قبل نهاية العام . . . وتم التمهيد للوحدة بعودة الرقابة على الصحافة في مصر ! . . .

كان واضحاً ان الثورة الاجتماعية في سوريا وصلت الى نقطة حرجة فكان انتخاب خالد بكداش نائباً عن دمشق . . . ووجود عفيف البزري على قيادة الجيش مثيراً للرأسمالية السورية التي كانت ترتعب من ذكر كلمة « الشيوعية » .

وعلى الرغم من التقارير المصرية التي قالت :

« الفروق كبيرة ، والواقع مختلف ، وقبول الوحدة محفوف بالخطر والنصيحة هي التأجيل . . . » .

إلا ان اتجاهاً آخر أدى الى تأييد الوحدة الشاملة . . . وقال عبد اللطيف بغدادي :

**«اضطررنا للاستجابة تفادياً لنفوذ الشيوعيين المتزايد في سوريا . . . » .**

. . . وهكذا بدأت الوحدة بالصراع بين القوى الوطنية ، بدلاً من ان تكون دعمًا لتحالف القوى الشعبية . . .

فهل كان الشيوعيون ضد الوحدة ؟

اجاب خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري قائلاً :

**« . . . لقد أبدى حزبنا منذ زمن طويل رأيه بأن شعار الوحدة العربية ليس وليد نشاط أو دعاية حزب من الاحزاب . . . بل هو منبثق من الواقع الموضوعي للبلدان العربية . . . فتحليل الوضع في العالم العربي على أساس الماركسية اللينينية**

يؤدي حتمًا الى اعتناق شعار الوحدة العربية . . . فهو اذن شعار تمليه علينا مبادئنا نفسها » .

ثم قال . . .

« . . . وعلى كل حال يجب التمهيد للوحدة العربية بإقامة علاقات اجتماعية اخوية بين البلدان العربية المتحررة تخلق جواً من الثقة المتبادلة التي يجب ان تتعاظم خلال التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي . . . » .

ولكن الوحدة قامت . كانت وحدة العناصر الرأسمالية . فوجدت الرأسمالية السورية في الوحدة فرصة للنشاط في سوق كبير . غزت أسواق القاهرة لجمع المال . وسافر من القاهرة الى دمشق رئيس مجلس ادارة بنك مصر لغزو أسواق دمشق .

وخلال فترة الوحدة هاجرت رؤوس أموال سورية كثيرة لتستثمر في مصر وأنشئت شركات ومصانع خاصة .

ووجدضباط الجيش فرصة في الوحدة لتحقيق تطلعاتهم . فكانت العربات الرسمية تنقل كل شيء مطلوب وغير مطلوب من بيروت . والطائرات الحربية تحمل شاحنات خاصة من الثلاجات والسخانات .

وعمد الضباط الى تصفية الاحزاب . وبدأوا بمهادنة البعث للقضاء على الحزب الشيوعي . ثم بدأت تصفية حزب البعث .

وتلاقت تصرفات القيادات الوطنية مع اتجاهات الولايات المتحدة ففي دمشق كان السفير الامريكي قد أبلغ عبد الحميد السراج أن الولايات المتحدة « زهقت » من الاحزاب !

وفي نفس الوقت كان يوسف يس مستشار الملك سعود قد اتصل بالرئيس القوتلي يعرض عليه حلف اسلامي ، ليبتعد عن الوحدة والاتحاد السوفييتي !

وبدأ الملك سعود يستخدم أموال النفط في تدبير المؤامرات ضد الوحدة ، واثارة الشكوك حول وجود الضباط المصريين في سوريا ، وصوروه كأنه نوع من الاحتلال . كما صوروا وجود الضباط السوريين في مصر على انه ابعاد لهم عن سوريا .

**الوحدة الشعبية**

وقفت الجماهير ذاهلة في سوريا وهي تشهد « الوحدة » ذلك الحلم الجماهيري ينهار بيد من بنوها . بينما الجماهير في مصر متفرجة ، « شاهد ما شافش حاجة » تمت الوحدة من فوق . . وحدث الانفصال من فوق أيضاً !

وعلى الرغم من ذلك فان انفصام الوحدة الرسمية لم يمنع الجماهير من ممارسة دورها الوحدوي . هذه الوحدة التي كانت قد تجلت بأسمى معانيها خلال معركة 56 . عندما قرر الاتحاد الدولي للعمال العرب ، حرمان المعتدين من البترول العربي وتعطيل القواعد والسفن والطائرات المعادية حتى لا تستخدم ضد مصر ، وجاء في بيانه :

**« إن هذه ليست معركة مصر أو معركة القناة إنها معركة الاستعمار والصهيونية للفتك بالأمة العربية واحتلال أراضيها والسيادة عليها ، سنموت قبل أن يحدث ذلك » .**

كما عقد الطلاب العرب مؤتمراً عاماً في القاهرة . وطالبوا الدول الغربية بقطع علاقاتها مع كل من بريطانيا وفرنسا . وطالبوا العراق بالانسحاب من حلف بغداد ، وتصفية جميع القواعد العسكرية في الوطن العربي .

كانت « الوحدة العربية » تنمو بجناحيها العسكري والاقتصادي . ففي الوقت الذي وجدت فيه الحليف الذي يمدها بالسلاح والعون العسكري للدفاع عن كيانها ضد الغزو الامبريالي والصهيوني . كانت التنمية الاقتصادية تأخذ طريقها لتحقيق التطور الصناعي والانتقال من مرحلة الرعي والزراعة الى مرحلة التصنيع .

وأحرزت مصر نجاحاً في كلا المجالين . الصناعي والزراعي ، فبلغ معدل النمو في الانتاج الصناعي 3,9% سنوياً بين عامي 1957 ـ 1967 . وزاد الدخل الحقيقي بأكثر من 3% سنوياً بين عامي 56 ـ 1967 ، بعد ركود طويل لفترة تقرب من 50 عاماً .

وخلال هذه الفترة زادت واردات مصر من سوريا بمقدار مرتين ونصف كما زادت واردات سوريا من مصر بأكثر من خمسة أمثالها .

وابرمت مصر عدداً كبيراً من اتفاقيات التجارة والدفع مع معظم البلاد العربية

قضت بتخفيض أو الغاء الرسوم الجمركية على عدد كبير من السلع . وشهدت نفس الفترة ابرام اتفاقيات هامة بين عدد من الدول العربية . وأنشىء مجلس الوحدة الاقتصادية . وصدر قرار بانشاء « السوق العربية المشتركة » في عام 1964 ، التي قضت بالغاء كل القيود التجارية والرسوم الجمركية بين الدول الأطراف وهي مصر وسوريا والعراق والأردن والكويت .

وفي هذه الفترة كما يقول الدكتور جلال أمين في كتابه « المشرق العربي والغرب » . « بدأ شعور بالكبرياء الوطني يحل ببطء محل الشعور المتراكم عبر القرون بتفوق الأجنبي ، واضطرت الطبقات الوسطى الى استهلاك المصنوعات المصرية حتى بدا يزول بالتدريج الاعتقاد بضرورة تفوق السلع الاجنبية على السلع الوطنية ، فارتدى افرادها النسيج المصري بدلاً من الاقمشة البريطانية وشربوا المشروبات الوطنية بدلاً من الكوكاكولا التي اختفت من السوق . وزاد اشتراك المرأة المصرية في الحياة السياسية والاجتماعية ، وتكونت طبقة عاملة صناعية كبيرة ذات آمال بعيدة في الاستهلاك والتعليم ، وتطلع أفرادها ان يحصل أبناؤهم وبناتهم على شهادات جامعية ، وفتحت لهم اماكن كانت مغلقة عليهم » .

وما يحدث في مصر ينعكس بدوره على الوطن العربي ، فكان الانسان العربي في كل مكان يفضل المصنوعات المصرية والعربية . ويفخر باقتناء سيارة « نصر » ويفضلها على السيارة « المرسيدس » أو « البويك » .

وأمام هذا التطور الصناعي والاجتماعي في الاقطار المتحررة ، اضطرت الحكومات العربية الأخرى الى القيام باصلاحات عاجلة في محاولة لصد تيار الحركة الوطنية ، وتهدئة شعوبها . فتولى الملك فيصل الحكم للقيام باصلاحات عاجلة وطردت حكومة الاردن القيادة البريطانية للجيش الأردني ، وطلبت حكومة ليبيا من بريطانيا والولايات المتحدة إجلاء القواعد الحربية عن أراضيها .

وكان التطور الصناعي في الدول العربية ، يؤدي الى زيادة التبادل التجاري فيما بينها ، بينما يتقلص هذا التبادل مع الدول الامبريالية . .

**القوانين الاشتراكية**

صدرت قوانين التأميم في مصر . وكان صدورها نتيجة الثراء الفاحش الذي ظهر في مصر عقب الثورة . وكان ثراءاً طفيلياً لم يسهم في التصنيع الا بصورة

ضئيلة . ومع ذلك ـ كما يروي احمد حمروش عن عبد الناصر . **« أنا كان عندي 10 أو 12 مليونيراً ، اصبحوا حوالي 30 الى 400 مليونير والبرجوازية في مصر اتسعت قاعدتها »** .

رفضت هذه الرأسمالية أن تتقدم الى ميادين التنمية ، فضلت أن تحبس أموالها في صورة ودائع في البنوك أو تخرج بحثاً عن أي استثمار سهل ، سريع الربح ، مضمون العائد مثل المباني والتجارة والمقاولات . وعلق البنك الاهلي في عام 1953 على رغبة الثورة في التصنيع بقوله :

**« بدلاً من الدعوة الى التصنيع لايجاد عمل للفائض من الايدي العاملة الزراعية ، يجدر بنا أن نتناول المسألة من جانبها الاخر ، بمعنى أنه يجب البدء بتنمية الزراعة »** .

وبدأت الرأسمالية في الاعيبها . وسحبت الأموال من القطاع العام الوليد عن طريق عقود الاستيراد والتصدير والمقاولات . بل لجأت الى تهريب الاموال الى خارج البلاد على نطاق واسع ، مستفيدة من تجارة الاستيراد والتصدير وبخاصة تجارة الدواء .

وكشفت الرأسمالية نوعيتها ، فلا هي تقوم بالتصنيع ولا تريد من الدولة أن تقوم به ، فهي كما سميت « رأسمالية رثة » قنعت بأن تكون ذيلاً للاستعمار ، تعمل تابعة له مستظلة بحمايته . وفي سبيل المحافظة على الوضع الاستعماري ، قامت بالتخريب عن طريق التهريب . أو العقود والرشاوي .

واستقر رأي عبد الناصر على اصدار القوانين الاشتراكية .

واعترض وزراء « الوحدة » السوريون على إصدار هذه القوانين على الرغم من أن التأميم لم يصب سوى ثلاث شركات : الخماسية ، وشركة الاخشاب الأسمية ، وشركة الحرير في حلب .

واعترض الرأسماليون على قرارات حظر خروج النقد من سوريا ، وحظر الاستيراد الا بشرط .

وخطب عبد الناصر في اللاذقية وقال انه يستهدف مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ، وأنه لن يتوقف عن تنفيذ ذلك .

« أما المضاربون والمهربون فلا دعوة لنا بهم » .

ولكن الرأسمالية السورية التي كانت تعيش من التجارة ، لم يكن يهمها زيادة الدخل القومي بقدر إهتمامها بارباحها وثرائها .

واحدثت قوانين التأميم ذعراً في قصور الرجعية العربية ، وأنبرى امام اليمن يتصدى لها بقصيدة من الشعر . وتحركت السعودية واستعملت المال للمؤامرات في سوريا .

ولم ترض الرجعية عن توزيع الاراضي على الفلاحين ، غضبت الرأسمالية والاحتكارات العالمية من التأميم ، وتحالفت القوى الرجعية في العالم العربي مع الاستعمار لضرب الوحدة المصرية ـ السورية . . وحدث الانفصال .

نكسة الوحدة

كانت الوحدة المصرية ـ السورية هي التجربة الاولى . وتلتها تجارب متعددة . وكلها تبدأ لتعود الى الانفصال . وكما أعلن عبد الناصر في احتفال الوحدة عام 1967 .

« مين اللي صنع الوحدة سنة 1958 الشعب السوري والشعب المصري . . من هم الذين انقضوا على الوحدة عام 1961 . أعداء الوحدة هم أطراف تحالف الاستعمار والرجعية » .

أكدت تجربة الوحدة المصرية السورية ، ومحاولات الوحدة التالية ، أن « الوحدة » لا يمكن أن تكون مجرد شعار يأخذ شكلاً رسمياً . بل لا يمكن . كما قال عبد الناصر تحقيق الوحدة الا اذا تحققت مقوماتها الثقافية والاقتصادية والعسكرية .

واذا كانت القوميات الغربية قد قامت من أجل السوق فان القومية العربية لن تحقق وحدتها الا بالسوق .

وكما تبين من خلال التجارب . . ليس هناك فوارق تفصل بين الاشتراكية والحرية والوحدة .

ولكن الحرية لن تحقق الا بالتحرر الاقتصادي . كما ثبت ان التحرر

الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق الا بحمايته من العدوان . وأثر وفاة عبد الناصر عام 1970 كتب « مالكولم كير» استاذ العلوم السياسية الامريكي .

« لم يعد هناك مفر أمام أكثر الرومانسيين امعاناً في الوهم من أن يطرحوا جانباً لأجل غير محدود ، آمالهم في تحقيق أو بعث الوحدة العربية . وبكلمة واحدة : لقد بددت أسطورة بروسيا العربية ، اذ بينت حرب الأيام الستة بوضوح أن مصر ليست بروسيا ، وجاءت وفاة عبد الناصر فازالت بدورها « بسمارك العرب » . وتبين بعد ثلاث سنوات من وفاة ناصر أن الوحدة لم تكن وهماً واكدت وجودها خلال معركة اكتوبر . وظهر أن « الوهم » بالتفوق الصهيوني كان اكذوبة . وأن الذي تبدد هو « العبقرية اليهودية » !

ولكن الرجعية العربية التي فتحت أبواب مصر للغزو الصهيوني الأمريكي . جعلت « فاتكيونيس » استاذ العلوم السياسية في بريطانيا يعلن عام 1977 : « **لقد نجحت مصر والمملكة السعودية في أن يطرحا جانباً ذلك الأسلوب البالي والمليء بالادعاءات الى القومية العربية ذات الطراز الثوري ! ! »**

وكتب « مالكولم كير» الاستاذ الامريكي :

**« اننا نأمل أن يؤدي زوال الخرافة الناصرية عن الوحدة العربية الى أن تتبنى كل من الحكومات العربية أفكاراً اكثر تواضعاً وواقعية . وأن تشعر النظم المحافظة ، كالسعودية والاردن التي دأبت في الماضي على الشعور بالخوف من عبد الناصر وشركائه ، أن تشعر بالراحة والاطمئنان »** .

قفزت الرجعية العربية على انتصارات حرب اكتوبر ، وبعد أن وأدتها ، حولت الدماء العربية الى سبائك ذهبية لتجعل منها قيوداً للشعب العربي .

ان الرجعية العربية التي أفزعتها انتصارات الشعب العربي في معركة اكتوبر أسرعت الى مباركة السادات في خطوات التسليم والاستسلام . وتحول شعار « لا صوت يعلو صوت المعركة » الى شعار « لا صوت بعد المعركة » .

وألغت الكويت الحياة النيابية . كما قام السادات بمباركة من السعودية بالغاء معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفيتية وتصفية الاتحاد الاشتراكي والقطاع العام .

وتحقق ما قال عبد الناصر بعد النكسة .

« الهدف هو ضرب المكاسب الشعبية . والقضاء على التحولات الاشتراكية . والانجازات الاجتماعية التي تحققت » .

وكما أعقب انتهاء حكم محمد علي سير حثيث من جانب خلفائه الى الارتماء في أحضان الاستعمار وتحويل مصر الى سوق للبضائع الأجنبية . والقضاء على الصناعة الوطنية . اعقب انتهاء عهد جمال عبد الناصر نفس المصير . وأوضح ذلك الاقتصادي المصري جلال امين . بقوله :

« . . « . . أعقب انتهاء عهد جمال عبد الناصر في عام 1970 فتح باب الاقتصاد على مصراعيه للسلع والاستثمارات الاجنبية واقامة المناطق الحرة ومنحت الاستثمارات الاجنبية الاعفاءات من ضرائب الدخل ، ووارداتها من الرسوم الجمركية ، وأرباحها من قيود التحويل الى الخارج ، وملكيتها من المصادرة أو التأميم ، وادارتها من مشاركة العمال . وبدأ بالتدريج اتجاه نحو التخلي عن الملكية العامة في الصناعة وعن تدخل الدولة في الاقتصاد ، وعن الحماية الممنوحة للصناعة المحلية . وبدأت دول عربية اخرى السير في الاتجاه نفسه .

وكما تدفقت السلع الصناعية البريطانية على البلاد العربية إبتداء من منتصف القرن الماضي لتحل محل منتجات الصناعة المحلية ، تدفقت السلع الأمريكية على البلاد العربية في بداية السبعينات ، وعلى الاخص ابتداء من 1973 ، فزادت الصادرات الامريكية الى مصر بنسبة 78% في عامين (74 - 1976) والى السودان بنسبة 66% ، والى الاردن بنسبة 122% والى اليمن الشمالي بنسبة 150% ، والى سوريا بنسبة 597% » .

وقامت الطبقة التي أثرت من القطاع العام ، بفتح مكاتب توكيلات تجارية للبيوت الاجنبية . وزاد الثراء الطفيلي من العمولات والرشاوي .

وكما أثرى أصحاب الملايين العرب من استخراج البترول دون جهد انتاجي . قامت « الطبقة الجديدة » في مصر بتكديس الثروات من الوساطة التجارية دون انتاج حقيقي . وكانت الاموال تجمع من المصريين الذين انحدروا الى حالات من الفقر المدقع ولجأوا الى سكنى القبور ليثري الطفيليون .

وتحولت « مصر » الى مشتى لاصحاب الملايين والاوروبيين . والى مصيف لأغنياء العرب .

وأقيمت الفنادق الفخمة بدلاً من المصانع . وانتشر السكن الفاخر بدل المساكن الشعبية . وانتشرت السلع الترفيهية بدل الغذاء للشعب .

وما حدث في مصر تكرر في أكثر من قطر عربي . وأصبح العرب مشردين خارج أقطارهم . بعد أن تدفق الافاقون الاجانب من كل جنس ولون .

في عام 1980 كانت التهمة الموجهة لرئيس الوزراء مصطفى خليل أن له مكتباً استشارياً أشرف على الدراسات المتعلقة بتحويل وتنفيذ مشروعات هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية . وتقاضى عمولة خمسة ملايين جنيه . وأن عدنان الخاشقجي كان الوسيط بعمولة .

وأصدر مجلس الشعب في مصر قراراً يبرىء رئيس الوزراء وعدنان الخاشقجي من أخذ العمولات .

ونشرت مجلة « الوطن العربي » تحقيقاً صحفياً عن عالم المال والشهرة جاء فيه .

**« اتهمت الحكومة الامريكية شركتي لوكهيد ونورتروب بدفع عمولات لعدنان الخاشقجي للقيام بتمرير عمليات وصفقات وعقود لحسابها في بعض دول الشرق الاوسط . »**

**وقالت شركة نورتروب ، أنه طلب عمولة قدرها 450 ألف دولار ليدفعها الى ضابطين كبيرين من ضباط سلاح الجو في إحدى دول العالم الثالث .**

**اما شركة لوكهيد فتدعى انه تقاضى منها 105 ملايين دولار كعمولات لترويج طائرتها المنكودة الخط ل ـ 1011 وذلك في الفترة من عام 1970 حتى عام 1975 .**

**ومع أن السيد الخاشقجي لم يؤكد أو ينفي الاتهامات ، الا انه أوضح أن تقاضي العمولة لترويج منتجات معينة ، أمر مشروع وجائز ومعروف في عالم التجارة والمال » .**

ان خيانة « السادات » بدأت بوساطة « كمال ادهم » من السعودية . وفي السعودية تفجر النفط ، وخرج من باطن الارض . وظهرت الثورة وأصبحت في يد قلة لم تبذل جهداً من العمل .

وكان النفط بداية ظهور الطبقة « الرأسمالية الطفيلية » في الوطن العربي ، والتي امتدت اذرعها الى كل قطر عربي . وارتبطت مصالحها بالرأسمالية العالمية والشركات الاحتكارية . وليس خافياً أن الصهيونية تساهم بقدر كبير في هذه الشركات والبنوك العالمية .

وما دام العرب . أو قادة العرب بمعنى أصح . يتعاملون مع الصهيونية من خلال الشركات والبنوك رغم قرارات المقاطعة فلماذا لا يكون هذا التعامل جهاراً نهاراً ، كما صرح بطرس غالي .

**« نحن في حاجة الى نوع من سوق مشتركة خاصة بالشرق الأوسط ، حيث تكون اسرائيل عضواً في هذه المجموعة الجديدة التي تقبل تكاملها الاقتصادي » .**

كان نشاط روتشيلد الأول في مجال الانتاج والتكرير . ففي نفس الفترة التي اشترت عائلة روتشيلد 40% من أسهم قناة السويس ، كانت العائلة قد حصلت على حق تسويق الكيروسين من روسيا .

ولكن روتشيلد اليهودي بحاسته أدرك أن الثورة الاشتراكية على أبواب روسيا فباع نصيبه من حقول باكو الى شركة شل عام 1910.

وفي نفس الوقت ، عام 1883 ، أثيرت في الولايات المتحدة قضية هنري باين » . التي نشرتها صحيفة « نيويورك صن » ، وقالت تحت عنوان « هل أشترى انتخاب مستربابن » .

**« من المعتقد الآن ، كما اعتقد انا شخصياً ، ان شركة ستاندرد للبترول قد اشترت بأموالها أخيراً مركز عضوية مجلس الشيوخ لولاية اهايو لمستر « هنري باين » . ثم حملت الصحيفة على الفساد والانحلال . ثم قالت : لا يوجد هناك خطر يهدد المؤسسات الحرة مثل بيع او شراء السلطة السياسية » .**

ومع ظهور البترول في الوطن العربي ، انتقل اليه النشاط الصهيوني . كما انتقل الفساد والانحلال . أو شراء السلطة السياسية .

**الوطن . أم المال ؟**

كان من بين الزوار « المرغوب فيهم » للقاهرة بعد توقيع اتفاقية « كامب ديفيد » المبارون اليهودي روتشيلد وديفيد روكفلر رئيس مجلس ادارة بنك « تشيز

مانهاتن » . و « ريتشارد هيلمز » مدير المخابرات المركزية ومدير شـركة امـريكية للعلاقات العامة .

ولم يكن « فتح القاهرة » أمام الصهيونية والاحتكارات الامريكية الا امتداداً لمسيرة الدول العربية النفطية .

ففي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تمد اسرائيل بقنابل النابالم والقنابل التلفزيونية التي استعملت في حرب أكتوبر ضد الجيوش العربية ، كانت الأموال النفطية العربية تتدفق على بنوك العالم التي تساهم أو تسيطر عليها الصهيونية . .

ففي الخمسينات كانت مجمل عائدات « الاوبيك » وعلى مدى 10 سنوات 6 مليارات دولاراً، لم تسجل أية فوائض .

في الستينيات تلقت الدول المنتجة للنفط وعلى مدى عشر سنوات 10 مليارات دولاراً كعائدات ، بقي منها مليار دولاراً كفائض .

في السبعينات اختلف الوضع جذرياً . ففي عام 1973، تحولت حرب اكتوبر الى ثورة في اسعار البترول .

أسرعت الدول العربية تؤيد السادات في وقف اطلاق النار . وعقد اتفاقية سيناء الأولى .

وبدل أن يكون حصاد الدماء التي أستنزفت في الحرب تحرير الارض . أسرع ملوك البترول الى جمع المليارات .

ففي عام 1973، بلغت العائدات النفطية لدول « اوبيك » 39 مليار دولاراً، فتكون فائض مالي قدره 9 مليارات دولاراً

في عام 1974، بلغت العائدات 122 مليار دولاراً والفائض 40 مليار دولاراً .

في عام 1978 كانت العائدات 141 مليار دولاراً والفائض 9 مليارات فقط ! لقد استطاعت الدول الرأسمالية تصدير التضخم الى البلاد العربيـة ، وامتصت سريعاً عن طريق رفع الاسعار ما حققته الاقطار العربية من ارباح .

وبلغت فوائض « الاوبيك » منذ عام 1974 وحتى نهاية عام 1979 في حدود 251,1، مليار دولار . ينقص منها 96,9 مليار للتحويـلات الرسميـة ومساهمـة

« الاوبك » بالمنظمة الدولية واستثمارات وتسهيلات ثنائية خاصة ليصبح الباقي 154,2 مليار . هذه الأموال كما يقول بنك انكلترا موزعة بالشكل التالي :

**« 51,2 مليار دولار - أي ما نسبته 33% من مجمل صافي الفوائد بالدولار الامريكي ، 7 مليارات أي 4% - بالجنيه الاسترليني ، 42,4 ملياراً - أي ما نسبة 27% - موظفة في بريطانيا وانما بعملات أجنبية ، 53,5 مليار موظفة في مناطق نقدية وجغرافية أخرى » .**

ومن المتوقع أن تزداد الفوائض في الثمانينات ، غير أنه من المتوقع ايضاً ان تنقص قوتها الشرائية فالتضخم مستمر .

وهكذا بينما امتزج الدم العربي على أرض فلسطين . تزاوج المال العربي والصهيوني في بنوك العالم . وفي الصفقات !

### الفوائض ومصر

في عام 1979 نشرت جريدة الرياض التي تصدر في السعودية . ان المملكة السعودية قدمت لمصر خلال الأعوام الماضية - أي بعد حرب تشرين - مساعدات ومعونات بلغت 7 مليارات دولاراً .

وقالت جريدة « الرياض » أن الرقم لا يشمل الدعم السعودي الذي قدم لمصر قبل 1973 أو استثمارات القطاع الخاص السعودي في الشركات والمشاريع المصرية كما أنه من المحتمل الا يشمل تبرعات وقروضاً صغيرة تدفع الى هيئات حكومية أو عامة في مصر .

وأضافت الصحيفة :

**« ان الدعم السعودي قدم بستة أشكال مختلفة بعضها غير قابل للاسترداد . » وكانت اشكال الدعم على النحو التالي :**

**1 - مساعدات نقدية تدفع فوراً للحكومة بدون التزام بالرد .**

**2 - تمويلات نقدية تفتح لها خطابات اعتماد مصرفية لصالح جهات تتفق معها مصر على شراء سلاح ومعدات .**

3 ـ قروض نقدية أو ودائع بموجب اتفاقيات تحدد مدة القرض أو الوديعة ، وموعد استردادها . وجمع هذه القروض على آجال طويلة .

4 ـ قروض تقدم من مؤسسات عربية اشتركت السعودية في تأسيسها مع دول عربية أخرى مثل قروض هيئة الخليج التي أسست خصيصاً لدعم التنمية في مصر واشتركت فيها الى جانب المملكة كل من الكويت وقطر والامارات العربية .

5 ـ أسست المملكة عدة شركات مع حكومة مصر هدفها الاصلي العمل في مجال معين .

6 ـ قروض قدمتها المملكة عن طريق الصندوق السعودي للتنمية .

وقالت الصحيفة انه منذ عام 1973 وحتى عام 1979 تم بين السعودية ومصر ترتيب 35 اتفاقاً كل منها يمثل عملية دعم يتخذ شكلاً من الاشكال السابقة .

وقال رئيس مجلس إدارة هيئة الخليج للتنمية ، في مصر السيد عبد العزيز الدخيل في 21 / 6 / 1978 أن الهيئة قدمت مبلغ 1700 مليون دولاراً خلال عامي 1977 و 1978 الى مصر لدعم ميزان مدفوعاتها .

وذكر السيد الدخيل أن مهمة الهيئة مساعدة الاقتصاد المصري ، والهيئة تتعاون مع كافة الهيئات والمؤسسات الدولية بما فيها صندوق النقد الدولي الذي يهتم بالاقتصاد المصري !!

وكان من أبرز ثمار التعاون المصري ـ السعودي توقيع عقد تأسيس الشركة المصرية السعودية للفنادق ! . وكان ميلاد أول مشروعاتها فندق « رامادا » وتصل تكاليفه الى 45 مليون دولاراً . واشترك في تصميمه مجموعة من الشركات العالمية . وتم التعاقد مع شركة « رامادا » الامريكية لادارة الفندق ! والمتوقع أن يكون الفندق ملتقى للوفود السياحية ولرجال الاعمال ! .

والسؤال :

اولاً : كم دفعت الدول العربية لعبد الناصر أثناء كفاحه ؟ . . وهل توازي ما دفعته الدول العربية للسادات مع ما كان يقدم لمصر خلال نضالها ؟

ثانياً : ألم تكن هذه المعونات للسادات دعماً لموقفه الاستسلامي ؟ الم تكن القروض والمساعدات دفعاً له للذهاب الى القدس ؟

ثالثاً : ألم يكن أسلوب المساعدات العربية متمشياً مع سياسة البنك الدولي وسياسة الولايات المتحدة في التخلي عن النهج الاقتصادي التحرري ، والعودة للارتماء في أحضان الشركات الاحتكارية والامبريالية العالمية ؟

**الفوائض وأمريكا**

في الدراسة العلمية التي قدمها الدكتور جلال امين . عن تطور العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والولايات المتحدة بعد عام 1973 . في كتابه « المشرق العربي والغرب » . ما يؤكد ارتباط الرجعية العربية باتفاقيات الاستسلام . فكما انفتحت « مصر » على أمريكا ، زادت العلاقات الاقتصادية . . أو النهب الاستعماري للاقطار العربية . يقول الاقتصادي المصري في كتابه :

**« بينما زاد انفاق الولايات المتحدة على استيراد النفط في عام 1974 بالمقارنة بسنة 1973 بمقدار 17,8 ألف مليون دولاراً نتيجة ارتفاع اسعار النفط ، عادت الولايات المتحدة فاستردت منها في العام نفسه 11 ألف مليون دولاراً في صورة ودائع وقروض واستثمارات من الدول الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للنفط .**

**على أن مبلغ 11 ألف مليون سابق الذكر ، لا يشمل ما انفقته دول النفط على استيراد سلع أمريكية . ففي عام 1974 صدرت الولايات المتحدة الى الدول العربية التسع المصدرة للنفط ما قيمته 2,1 ألف مليون دولاراً ، وفي عام 1976 ارتفعت قيمة الصادرات الى 5,2 ألف مليون دولاراً أي بزيادة قدرها 148% خلال سنتين ، بالمقارنة بزيادة قدرها 16,4% في مجموع الصادرات الامريكية الى العالم ككل خلال الفترة نفسها . وقد إحتلت المملكة العربية السعودية مكان الصدارة من بين دول النفط العربية ، كمستقبل للصادرات الأمريكية ، فقد استوردت وحدها في عام 1974 سلعاً أمريكية قيمتها 828 مليون دولاراً زادت في عام 1976 الى 1743 مليون بزيادة قدرها 230% خلال هذين العامين » .**

ويستمر الكاتب الاقتصادي في فضح عملية النهب الامريكي للوطن العربي . فيقول : « وهكذا شهدت السنوات التالية ، لازمة النفط » رواجاً لم يسبق له مثيل

لتجارة الاستيراد في دول الخليج ، واكتظت موانئها بالسفن التي تنتظر التفريغ ، وتدفق على فنادقها ممثلو الشركات والبنوك ومكاتب الخبراء والاستشارات الاجنبية ـ تماماً كما حدث في مصر بعد الردة . واشترك رجال السفارات الغربية ، الذين تحولوا في الواقع الى وكلاء أعمال للشركات والبنوك ، في التسابق على اكتساب أكبر قدر من الغنائم قبل أن يقتنصها ممثلو دول أخرى منافسة . وتلقوا تعليمات من دولهم تخطرهم فيها بان تقويم كفاءة كل منهم سوف يكون أساس مدى نجاحه في تسهيل مهمة ممثلي شركاته . وأصدرت الصحف الغربية ملاحق خاصة تكيل الثناء لامراء النفط . ومعلومات عن فرص الاستثمار » .

وكتبت صحيفة « الفا ينانشال تايمز » البريطانية تقول بأنه :

**« من المستحيل على أي مترد يمتلك قدراً يسيراً من الذكاء والتجربة أن يفشل في ظل ظروف نمو وازدهار كهذه » !!**

وكتبت مجلة « بيزنيس ويك » الامريكية .

**« إن منطقة الشرق الاوسط هي احدى المناطق القليلة من العالم التي عاد فيها النشاط الفردي الى سابق ازدهاره » .**

وفي اثناء زيارة نيكسون للوطن العربي عام 1974 ، القى وزير التجارة الامريكي حديثاً أشار فيه الى أن ايرادات النفط .

**« تمثل بالنسبة للاقتصاد الامريكي فرصاً مذهلة لزيادة التسويق ، وتمتد هذه الفرص لتشمل كل شيء من السلع الاستهلاكية ، الى المصانع الكاملة ، الى مشروعات البنية الاساسية الضخمة » .**

**المحصلة القاتلة**

عادت الارض العربية سوقاً للغرب الرأسمالي . تماماً كما حدث خلال الغزو البريطاني . وكما عادت مصر الى الوراء 100 عام عندما جاء الاحتلال البريطاني وقضى على الصناعات المصرية وحول مصر الى مزرعة قطن لتغذية مصانع لانكشير الانكليزية ، وجعلت مصر سوقاً لصناعاتها . . أصبح الوطن العربي كله نهباً للغزو الامريكي ، والشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية . فكما انفتحت الابواب في مصر للغزو الصهيوني تلتها الابواب العربية .

وتدفقت على الوطن العربي كل أنواع الترف الاستهلاكي من امريكا واليابان وفرنسا وانكلترا والمانيا . . وحتى من كوريا الجنوبية وتايوان . وبعد أن كان المواطن العربي يفخر بركوب سيارات نصر ، أصبحت « المرسيدس » «التيوتا» « وفولفو » و « الكاديلاك » في شوارع المدن العربية . بل تحولت المدن العربية الى « جراجات » لهذا السيل من السيارات .

وتدفقت الادوات الكهربائية . من الفيديو الى الغسالات . والثلاجات وما تتخيله وما لا تتخيله من السلع الاستهلاكية !

ولم يكتف الاستعمار الجديد بما اعتاد في الماضي أن يصدره بل دخل منافساً للفلاحين الصغار وأصحاب المصانع الصغيرة . فظهرت في الاسواق أنواع الجبن المستوردة التي كان ينتجها الفلاح في الماضي وتدفقت المصنوعات التقليدية التي كان يصنعها العامل المصري بجهده الذاتي . كالاحذية والملابس الجاهزة . أو المنتجات التي اعتاد الوطن العربي انتاجها كالمشروبات الغازية ، والزجاج ، والاثاث المنزلي .

وأخذت الشركات الاجنبية تبتكر أساليباً للاستهلاك . وصل الى مستوى تغليف « المكسرات » في علب . وأصبحت الكمية التي كانت تباع بخمسة أو عشرة فلوس تباع بدينار . وقامت شركة « انفتاح أجنبي » بتعبئة مياه النيل في زجاجات وبيعها على أنها مياه صحية .

وبعد أن اختفت المصنوعات المحلية أو العربية ، بدأت السلع الاجنبية في رفع أسعارها ليصل ثمن الحذاء الى 30 و 40 ديناراً بعد ان كان يباع في القاهرة أو يستورد من مصر بدينارين أو ثلاثة . . .

وتدفق الأجانب بمشروعات وهمية أو مشروعات « أبهة » مثل إقامة القصور واللوكاندات . . وارتفعت المآذن الحديدية لتشييد « عمارات » لمواقف السيارات . كما زحفت « البلدوزرات » لتمهيد الطرق بعد أن كان يشقها العرب بأنفسهم . وأقيمت الكباري العلوية وانفاق بالتكنولوجيا !

وكما قالت صحفية « الاهالي » المصرية ، إن عائلات بأكملها تخصصت في عمليات التوكيلات والاستيراد من الخارج . وتدفقت الارباح والرشاوي الى جيوب المستثمرين الاجانب والخونة العرب .

ولم يقتصر الأمر على السلع الاستهلاكية ، بل ظهرت مشروعات تقوم على استيراد معظم المواد الاولية من الخارج . فقامت صناعات تستورد معظم عناصرها من الخارج على أساس تصريف منتجاتها في الخارج أيضاً . وتستغل الايدي العاملة العربية الرخيصة ، وتصبح هذه الصناعات مجرد « صناعة عابرة » لا تترك أثراً في تطور الانسان العربي أو تنمية موارده .

ففي السعودية أقيم مشروع صناعة الصلب ، ويقوم على أساس استيراد الحديد من البرازيل ، واستخدام الغاز الطبيعي المتوفر في السعودية ، وتشرف عليه شركة « ماركون الامريكية » وتساهم فيه شركة « بترومين » . وفي البحرين أقيمت صناعة الالومنيوم على أساس استيراد مادة الالومنيوم الخام من استراليا وتصنيعه باستخدام الغاز الطبيعي ، ثم تصدير الناتج .

وعندما ينتهي عمر النفط في البلاد العربية ـ يقدر بـ 30 عاماً ـ تنتهي هذه الصناعات !

وكان هذا الاسلوب مستخدماً في ظل الاستعمار القديم الذي أقام مشروعات شركات المواصلات ، والكهرباء والمياه . وغيرها ، وحدد مدة الامتياز بـ 99 عاماً ، وهي المدة التي قدرها لبقائه . وبالفعل عندما جاءت نهاية الاستعمار القديم ، لم تجد المستعمرات الا ركاماً من الحديد الخردة والأسلاك الممزقة . وواجهت الدول المتحررة مشاكل المواصلات والكهرباء والتليفونات والمياه !

.. ولم تكن هذه هي مجاري التبذير وحدها . بل جاءت تجارة السلاح لتستنزف بل تبتلع ثروات الشعب العربي .

وعلى الرغم من التجربة القاسية التي مرت على ايران ، بشراء السلاح وتكديسه دون أن يستوعبه الجيش الايراني . وتم شراؤه باثمان مرتفعة تفوق أسعاره الحقيقية . فان الدول العربية اندفعت الى نفس الطريق .

والعمولات في تجارة السلاح تتجاوز الآن الملايين . وتتدرج في اللائحة السرية للعملاء والوسطاء عشرات الأسماء اللامعة في المجال السياسي والعسكري والاقتصادي .

ويمكن تقدير فداحة العمولات التي يتقاضاها تجار السلاح ووسطاؤه اذا ما عرفنا

أن انفاق العالم على السلاح في العام الاخير 500 مليار دولاراً.

ونشرت الصحافة الأمريكية فضيحة زوجة السناتور الصهيوني « جاكوب جافيتس » عندما قدمت الحكومة الايرانية وثائق تثبت أنها تقاضت من شاه ايران المخلوع عمولات لتمرير صفقات سلاح .

وتبين خلال الحرب الايرانية ـ العراقية ، أن صفقات السلاح الامريكي هي امتداد لصفقات الأسلحة الفاسدة التي استوردها تجار السلاح في الوطن العربي خلال حرب 48 .

انفقت السعودية على السلاح خلال 76 ، '1977' نصف اجمالي الانفاق الحكومي بدلاً من نسبة الثلث المخصصة له . وزاد انفاقها على السلاح من 274 مليون دولاراً عام '1973' الى 534 مليون عام 1974 . الى '7,5' ألف مليون في عام 1976 ثم الى '9,3' ألف مليون عام 1977 . وقدرت تكاليف مدينة خالد العسكرية بين 9 و 12 ألف مليون دولاراً.

ومن خلال الصفقات والمؤسسات تلاقت المصالح المالية لاثرياء العرب مع الصهيونية ، وتعلقت بأذيالهم الرجعية والرأسمالية الطفيلية في مصر . وأشتروا ناطحات سحاب . وقصوراً في لندن وأمريكا وفرنسا ، وبنوا العمارات في العواصم الاوروبية .

وبينما هذه القلة العربية تتمزغ في الثراء . كانت مدن الصفيح والأكواخ تزداد حول العواصم العربية . وتنهار البيوت على ساكنيها ، وتزداد وفيات الاطفال ، وترتفع الأسعار . ويتضور الشعب جوعاً .

وأصبح من المألوف أن تجد أعلاماً خاصة ترتفع فوق مباني الشركات الأجنبية في العواصم والمدن العربية . ويسكن موظفو هذه الشركات في قصور ويركبون السيارات الفارهة في خيلاء . وخرج الشباب من المثقفين والعمال العرب من بلادهم مشردين يبحثون عن العمل أو لقمة العيش خارج بلادهم .

**هذا الثراء**

عندما تسير في حواري وأزقة وقرى البلاد العربية ، لا تصدق أن هذا الشعب يملك هذه الثروة الضخمة التي تتحدث عنها الصحف الغربية . وعندما تمر بمدينة

فيينا ـ اذا جاءتك الفرصة ـ وتشاهد طلبة الجامعة وخريجي الجامعات العربية فوق ظهورهم لافتات تعلن أنهم باعة صحف . وعندما تتأكد أن الـذين يغسلون الصحون أو يمسحون الارض في لندن وباريس هم من حملة الشهادات العالية . ثم تقرأ ما تكتبه الصحف الغربية من ثراء واسراف وسفه فئات عربية على موائد القمار : تتساءل على الفور

ـ هل ما تفعله اسرائيل أو الصهيونية بالشعب الفلسطيني يختلف عما يفعله أمراء وثراة العرب بالشعب العربي ؟

في ليلة واحدة ، وفي سهرة طويلة بين موائد القمار الخضراء منح أحد امراء الخليج موظفي ومضيفات الكازينو الفرنسي ، ما يقرب من ثلاثة ملايين فرنك كبقشيش ! .

وفي زيارة خاطفة لاحد بيوت الازياء الباريسية أعجبت أميرة عربية بثوب زفاف . واشترته بنحو 30 الف فرنك .

وفي الدور السادس ، باحدى عمارات شارع « فوش » بباريس ، تسلم أحد أمراء الخليج شقته الجديدة من مهندس ديكور شاب إسمه ميشيل ويلموت ، بعد أن انتهى من خلق جنة صغيرة في الشقة الفاخرة ، تكلفت ديكوراتها فقط ما يقرب من 17 مليون فرنك !

هذه نماذج لما نشرته مجلة « لوبوان » الفرنسية ، ونشرتها في عددها الصادر في 8 ديسمبر 1980 .

قالت الصحيفة الفرنسية :

**« منذ حرب أكتوبر عام 1973 ، كنتيجة مباشرة لتلك الحرب ، والاموال تتدفق على دول البترول في الخليج ، وبشكل لم يكن في خيال أكثر الاقتصاديين تفاؤلاً .**

**ففي صباح كل يوم ـ ومنذ شهور عديدة ماضية . يحمل البترول دخلاً جديداً الى السعودية يصل الى 300 مليون دولاراً، 60 مليون دولاراً للكويت ، و 65 مليون دولاراً لقطر ، وبمعنى آخر فان التقديرات النهائية لدخل دول البترول العربية عن عام 1980 يتراوح ما بين 110 و 130 ألف مليون دولاراً! »**

هذا المبلغ الخيالي غالباً ما يقتسمه بعض أسر الامراء في تلك الدول .

ففي قطر مثلاً . يمنح القصر لكل أمير راتباً يومياً يبلغ «20,000» فرنك وفي السعودية يزيد ما يمنحه الملك سنوياً للامراء وحاشيتهم عن 2 مليار فرنك !

ويوجد في العالم العربي ما يقرب من 200 شخص تتعدى ثروة كل منهم 500 مليون دولاراً !

وهناك على الاقل 2000 شخص غيرهم تتعدى ثروة كل منهم 500 مليون دولاراً !

وهناك على الاقل 2000 غيرهم يملك كل منهم ما يزيد عن 100 مليون دولاراً أي أنه في العالم العربي 2500 مليونير بترولي !

فأين تذهب هذه الأموال التي يطلق عليها الغربيون . دولارات البترول أو البترو دولار ؟

إن الاموال التي تدفقت على الخليج ، كانت من آثار حرب تشرين . فالدماء لم ترو المعركة ولم تحرر الارض بل تحولت الى سبائك ذهب في يدقلة . فاذا كانت دماء الكويتيين والمغاربة والسودانيين . قد هانت على حكامهم . فلماذا لا يحدث نفس الشيء في مصر ؟

وفي سرعة رهيبة ، بعد أن قفز المقاولون الى الحكم ، ظهر اصحاب الملايين في مصر . واصبح في مصر ايضاً 500 مليونيراً !!

وظهرت مشاريع مشتركة ، ويصرح أحد افراد عائلة أكرم عجة وعدنان خاشتجي بعد اشتراكهم في مشاريع تجارية موحدة « نحن شركة عائلية تماماً كشركة روتشيلد . أولويس درينوس » !

اعترفوا اخيراً ، أن لا فرق بينهم وبين الصهاينة !!

ولم تعد الارض العربية أرضهم . ولا الشعب العربي شعبهم إنهم يشترون الفيلات والاراضي والعقارات في باريس ولندن ونيويورك . وبالمثل فعل « السادات » فاشترى ضيعة في الولايات المتحدة . ودخل إبنه « جمال » في سلك أصحاب الملايين .

وتتدفق الاموال العربية » على البنوك الامريكية والانكليزية والفرنسية ، وكما أعلن الامريكيون أنفسهم ، إن الارصدة السعودية تدعم الاقتصاد الامريكي ! .

وأمريكا لا تخفي دعمها للصهيونية .

وليحترق الشعب العربي .

من «ذكريات عن معركة ايلول» في الأردن عام 1970 نقرأ في مؤتمر صحفي عقده الملك حسين ، سألت الصحيفة :

«- هل كان للمقاومة خلال نشاطها في الاردن نية الاستيلاء على الحكم ؟ »

فأجاب :

«- استطعنا أن نتصدى لما حدث بحزم وقوة . وأننا سنضرب بالحديد والنار لاننا لن نسمح لأي كان أن يمس « السلطة » والنظام». وتروي المناضلة « جهاد حتر » في كتابها . كيف ضرب الملك حسين بالنار والحديد ؟ وكيف حارب ضد الفلسطينيين دفاعاً عن السلطة والنظام ؟ تقول :

« أحرقوا الجثث . واقتلعوا عيونهم وقطعوا أطرافهم . والثوار يتصدون للهجمات الوحشية بعنف وقوة ليلة 10 سبتمبر . وشنت السلطة أعنف هجوم لها على الجماهير في عمان ، فقصفوا بالمدفعية الثقيلة ومدفعية الدبابات والاسلحة المختلفة بشكل لم يسبق له مثيل في أي من المؤامرات التي نفذتها « السلطة » ضد شعبنا . فقضى الشعب ليلة رهيبة في الملاجىء .

قصف عنيف كانت تهتز معه جدران المستشفى . يختلط صوت الموت مع صرخات الجرحى من الاطفال والنساء » .

وقنابل النابالم . والقنابل الفسفورية الأمريكية الصنع تحرق وتحصد الشباب والأطفال والنساء !

**هذه السلطة**

ان مشكلة الوطن العربي تكمن في هذه « السلطة» التي تحكم في كل قطر . ولعل الملك عبد العزيز ال سعود خير . أو أسوأ من عبر عن هذه « السلطة » بقوله « أخذناها بالسيف ونحكمها بالسيف » ! فانظمة الحكم الجائرة لا تدري كيف تفسر

سلطتها . فهي تارة « اسلامية » وتـارة « ديمقراطيـة » . وتارة « شعبيـة » وهو في الحقيقة « حكم العائلة » !

ولم يكن « السادات » نشاذاً عندما أعلن نفسه « كبير العائلة » . وأعطى لنفسه حق التصرف في مصير الشعب . ومستقبله وثرواته . ولكي تؤدي العائلة وظيفتها . تزوج ابن عثمان احمد عثمان بكريمة السادات . كما ترابطت أسرة سيد مـرعي والسادات . وأصبح بحق « رب الاسرة » . أسرة المقاولين والوسطاء والاقطاعيين . تكاملت الانظمة العربية . وتطورت « السلطة » في الأقطار العربية المتقدمة لتسير الى الوراء وتلحق بالانظمة المتخلفة .

وبينما كانت مصر عام 1800 قد وضعت وثيقة تلزم الحاكم بعدم فرض ضريبة الا بموافقة الشيوخ والاعيان . ثم حصلت على دستورها ، ومجلس نواب له حق بحث الميزانية عام 1879 . أصبحت مصر عام 1970 وكل ما فيها ملك للحاكم يتصرف في ميزانيتها وكأنها ثروة خاصة . ويعقد الاتفاقيات والمعاهدات بمفرده ! كان مبدأ الفصل بين السلطات قد تقرر في الوطن العربي منذ مائة عام . ولولا الاحتلال البريطاني لمصر لتطور النظام النيابي وأخذ مجراه الطبيعي كما هو حادث في الدول الكبرى . ولاضطرت الاقطار العربية الى مجاراة مصر .

وجاء السادات ليحكم مصر كما تحكم الاقطار العربية لا فاصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية . الكل في واحد . الملك أو الأمير أو الزعيم !

وأصبحت حياة الناس وأموالهم رهن إشارة الحاكم الاوحد . يستمد سلطانه من أجهزة القمع ومساندة القوى الخارجية . وشاهد الوطن العربي عمليات التعذيب والارهاب التي لم تكن تقل وحشية عما ترتكبه اسرائيل ضـد الشعب العربي في فلسطين .

**الارهاب والتعذيب**

في الأربعينات ، عادت البعثة العسكرية من العراق . واستقبلهم الامام يحي وهو جالس القرفصاء على الارض يتعاطى القات . ودخل الشبـان العسكريـون بملابسهم العسكرية . وأدوا التحية .

نظر اليهم الامام واستنكر ملابسهم العسكرية . فامر بخلعها . وزج بهم في السجون . وكان هذا مصير كل مثقف في اليمن ! ان سجن « حجة » في اليمن ، كان رمزاً لابشع صور التعذيب . يقع في جوف قمة جبل . ولا يرى السجناء النور حتى يخرجوا أمـواتاً أو، نصف أحياء . وكان قطع الرؤوس بالسيف سمة نظام الامام الوحشي .

ان هذا الاسلوب الرجعي والوحشي ، ظل ممتداً خلال مرحلة التحرر العربي الوطني ، والصراع ضد اسرائيل . ولم يعد الانسان العربي يدري . هل هو يصارع ضد العدو الاجنبي أم ضد العدو الرابض في الداخل ؟

ففي مصر . قيد أساتذة الجامعات والكتّاب والصحفيون والقادة النقابيون ، في سلاسل حديدية واقتيدوا الى سجن الواحات ليمثلوا أمام اللواء « همت باشا » . وجردوا من ملابسهم . . وقفوا عرايا كما ولدتهم أمهاتهم يتلقون الضرب بالسياط والشوم .

وسقط الدكتور فريد حدادي وشهدي عطية ، شهداء من عنف الضربات والقسوة والوحشية ، كانت كل جريمتهم أنهم طالبوا للفقير بحقه في الحياة .

كما قام عبد الحميد السراج في سوريا باذابة جسد فرج الله الحلو المناضل اللبناني بعد قتله في حامض كيميائي . وشاهدت العراق بحار الدماء في الصراع بين القوى الوطنية . وتحولت الحركة الوطنية الى مجزرة وحشية ، وكانت كل جماعة تقفز الى الحكم ، تعلق المشانق لأطراف الجبهة الوطنية . وما أن مات عبد الناصر حتى انطلق الوحش الكامن في الرجعية العربية ، وبعد ان كان التعذيب والإرهاب يجري في ظلمات السجون والأقبية ، أصبحت المذابح تحدث علنية ونهاراً .

. . . تولى السادات الحكم بعد انقلاب 15 مايو. وشاهد السودان ردة يوليو عام 1971 . وقام النميري بشنق الزعيم الوطني عبد الخالق محجوب والزعيم النقابي العمالي الشفيع أحمد الشيخ.

وفي تونس، ألقي القبض على القادة النقابيين العمال وزج بهم في السجون. وفي السعودية.

. . تعرت الانظمة العربية، وكشفت كل عوراتها في أحداث السعودية. ففي

هذه المملكة التي تحكمها قوانين القرون الوسطى. هب الشعب في انتفاضة عام 1979. إشترك فيها سعوديون ومصريون ويمنيون وعراقيون وسودانيون وكويتيون. وعجزت الدولة بأجهزتها البوليسية والعسكرية على التغلب على الانتفاضة. لم يكن رجال الحرس الوطني أو رجال الجيش الا ابناء الشعب.

ولجأت الدولة الى حلفائها. وعلى أثر وقوع الحادث بادرت الحكومة الى حليفتها الولايات المتحدة، تطلب ارسال قوات خاصة من الكوماندوس. وقالت وكالة تاس:

«تم نقل أفراد هذه القوات الخاصة المحمولة جواً الى قاعدة الظهران في المملكة العربية السعودية، على متن عدة طائرات نقل تابعة للسلاح الجوي الاميركي وكان أفرادها يرتدون الزي المدني واحيطوا بتكتم وعناية، حيث قدموا على انهم مدنيون تابعون لشركة ارامكو».

وكشفت مجلة «لوبوان» الفرنسية في تاريخ 28/1/1980.

«ان الملك خالد طلب شخصياً من الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان المساعدة في سرية تامة بعد أن عجزت القوات السعودية على القضاء على الجيوب الأخيرة التي لجأت الى الطابق الاسفل من المسجد، وجاء هذا الطلب خصوصاً بعد أن لوحظ تردد بعض الضباط السعوديين في الاستمرار في الهجوم على المتمردين»!.

وقوة ثالثة بعد امريكا وفرنسا.. جاء دور المملكة الهاشمية الاردنية. نسبت وكالة أنباء المانيا الغربية الى مصادر دبلوماسية في القاهرة قولها:

«إن السعودية استعانت بقوات مظلية أردنية وأن وحدات من هذه القوات، وصلت الى السعودية فعلاً».

ونشرت صحيفة «السفير» اللبنانية:

«ان القوة الاردنية التي أرسلت كنجدات لتدعيم القوات السعودية في قتال المسلحين المعتصمين بالحرم المكي، هي كتيبة الصاعقة «91» والتي يبلغ عدد افرادها «300» رجل بقيادة الضابط «تحسين سقم» الشركسي الاصل.»

**حلفاء!**

وصلت الانتفاضة الشعبية في مصر الى أسوان. كان ذلك قبل انتفاضة

الشعب في السعودية. وحاصرت الجماهير المصرية «السادات» وجلاديه. فصرخت حرم وزير الخارجية.

**«فين الامريكان؟ هه فين الامريكان؟!»**

كانت صحيفة «الفاينشال تايمز» قد نشرت في 7/12/1979،

«ومنذ أصبح الامير فهد ولياً للعهد في نهاية حكم الملك فيصل، اتبعت العربية السعودية سياسة مبنية على علاقات اقتصادية متينة مع الغرب وتمتعت بتفاهم مع الولايات المتحدة حول أمن البلاد».

إن هذه الانظمة العربية التي تعيش في عزلة عن شعوبها، تبحث عن الامان في حماية القوات الاجنبية. سواء كانت هذه القوات أمريكية أو فرنسية أو صهيونية.

فالتكوين العضوي لهذه الانظمة. ومنحاها الاقتصادي. وانفرادها بتبذير ثروات شعوبها جعلها في عزلة، دفعها الى البحث عن الامن.

وفي هذا تقول مجلة «نيوزويك» الامريكية تحت عنوان «المملكة العربية السعودية: ركيزة أمن الولايات المتحدة المتزعزعة».

**«أن أعظم خطر يهدد العائلة المالكه ما يزال الخطر الذي يمكن أن يأتي من بين صفوفها بالذات، إن انفجار المواد النفطية قد جعل من حوالي 800 أميراً سعودياً مليونيراً كبيراً.**

**وفي مصر ظهر اكثر من 500 مليونيراً. فكما يحدث في السعودية يحدث في مصر. تأليف شركة أعضاؤها مجموعة من أولاد بعض الوزراء، والطريف كما تقول جريدة «أم القرى» السعودية - ان بعضهم لم يتجاوز التاسعة من عمره. ونشرت صحيفة «الاهالي في مصر أسماء الشركات التي تحتكرها أسر بكاملها !! . وما يحدث في السعودية أو مصر يتكرر في الدول العربية الاخرى.**

**وإذا كانت السعودية ودول البترول تستنزف ما في بطن الأرض . فإن الدول العربية الأخرى تستنزف دم شعوبها . ولا بد من حماية لهذه الأسر التي تستأثر بكل شيء وتترك شعوبها جائعة عارية . يعلن السادات هذه الحقيقة في تعقيب له على تصريحات الامير فهد . فيقول « مفيش واحد في إمارات الخليج بما فيها السعودية الا ويعلم أن حاميته هي أمريكا ونحن لا نلومهم على هذا ، بل أنا أعلنت اذا ما**

تعرض أي بلد عربي في الخليج لأي تهديد أجنبي وطلب من أمريكا أن تصل اليه لتنجده فساعطي أمريكا التسهيلات قبل أن تطلب أمريكا هـذا ، ومن غير أن يطلب هؤلاء الجهال والاقزام » .

ثم يمضي السادات قائلاً:

« يخرج الزعيم الجـديد ( الأمـير فهد ) يقـول ، بعد انـا ما أعلنت ، ان السعودية لا تعطي تسهيلات ولا تعطي قواعد ولا تعطي شيء . عيب ، عيب ، لأن السعودية طلبت الطائرات ( ف ـ 15 ) من أمريكا لكي تقـوم بتظاهـرة في السعودية » ( خطاب 28 يناير 1980 ) .

ولم يكن التهديد أجنبياً . بل من الداخل . ونشرت جريدة النهار تحت عنوان بارز ( أكبر عملية اعدام في تاريخ السعودية ) وتحت عنوان « قطع الرؤوس » قالت مجلة « نيوزويك» في 21 يناير 1980 :

« في فجر أحد أيام الأسبوع الماضي رفع جلادون ملكيون في ثمان مدن سعودية سيوفهم الفولاذية المزخرفة وقطعوا رؤوس 63 رجلاً وكان ذلك أكبر اعدام جماعي في تاريخ البلاد . . . » .

ولم يكن ما حدث في السعودية فريداً . ففي عُمان ، كانت القوات الايرانية في عهد الشاه المخلوع تقوم بقصف المدن والقرى وقتل الرجال والنساء والأطفال حماية لعرش قابوس !

وما يحدث في مصر هو امتداد لهذا الارهاب والمذابح في الوطن العربي . فبعد أن أطلق السادات الرصاص على الشعب ، اخذ يبحث عن الحليف مع الرئيس جعفر نميري . ونشرت مجلة « الدستور » .

« تستطيع « الدستور » ان تؤكد ان اجتماعاً سرياً تم في أسوان بين السادات وجعفر نميري ، وأنـه تم في هذا الاجتمـاع تنسيق الأدوار فيما يتعلق بـالنواحي العسكرية ذات الصلة الأكيدة بالتواجد الامريكي العسكري في المنطقة .

الجهل

في عام 1973 صدر مرسوم ملكي في السعودية ، يقر أن الأرض « كروية » ،

بعد ان كان الانسان قد دار حول الأرض بالسفن والطائرات والسفن الفضائية . لم تكن هناك حاجة الى براهين تثبت نظرية « كروية الأرض » بعد أن شاهدها الانسان بعينيه كرة معلقة في الفضاء .

وعندما صعد الانسان الى القمر ، وقف شيخ على منبر جامع في المغرب يعلن للناس أن ما يسمعونه كذب ، وافتراء . ووجه اليهم السؤال :«هل رأى احد منكم هذه المركبة التي ادعوا انها هبطت على القمر ؟ » .

ولم تقف « المأساة » عند هذه الحدود . فعندما أراد « السادات » أن يثبت تحضره ، ويخلق مبرراً لشراء السلاح من الغرب أعلن أنه « يريد ان يمسك كل من ابنائنا الجنود « الكترونا » في يده ! »

إن ما أصاب « الوطن العربي » في ظل انظمة الحكم الرجعية القائمة من فقر ، وجهل وارهاب القى بثقله على حركة التحرر . وكانت النتيجة أن 40% من خريجي الجامعات المصرية تركوا مصر . وتقول احصائيات الامم المتحدة أن نسبة الوفيات بين الاطفال زادت وخرج العمال والفلاحون من مصر يبحثون عن لقمة العيش .

وما حدث في مصر حدث في كل من الأنظمة المتحررة . وظهرت الطبقات الطفيلية لتكون رصيداً وسنداً للرجعية القديمة . وكانت الطبقة الجديدة أشد جهلاً . وتكونت من المقاولين والوسطاء والضباط الذين استغلوا الثورة لجمع الثروة . واجتمع المال والجهل ليسيطرا على الشعب .

ونحيت الكفاءات بل أطيح برؤوسها بحد السيف . وفرضت الاحكام العرفية ، والرقابة على الصحف والكتب . وصدرت قوائم الفصل للصحفيين وأساتذة الجامعات .

وعاد الشعب العربي ليعيش في ظلمات الجهل من جديد . فمن ناحية ، تطارده اسرائيل وتغتال كل من ينبغ فيه . ومن ناحية اخرى تطارده الأنظمة القائمة وتلقي به في غيابات السجون أو الى المجهول .

وأصبحت اجهزة الاعلام بوقاً لصاحب السلطة . تردد ما يريد . وتخفي ما يهم الشعب من أحداث .

وعاد العالم الاشتراكي الى الظل ، بعد ان كانت البعثات ترسل اليه ويتلقى ابناء الشعب الفقير التعليم العالي مجاناً .

وحرم استيراد الكتب والافلام والثقافة من الدول الاشتراكية في الوقت الذي تخصص فيه الجامعات الاوروبية والامريكية دراسات عامة وخاصة عن هذا العالم .

وما زالت « السعودية » حتى اليوم لا تعترف بالاتحاد السوفييتي كما فعلت أمس بعدم اعترافها « بكروية الأرض » .

**المأساة**

تقدمت امرأة مسنة من الرئيس اللبناني الحص ، وأمسكت بثيابه وهي تصرخ :

ـ ما بدناشي . ما بدناشي . ورجعونا على الجنوب بس !

وكما قالت الصحف . بدا الرئيس الحص متأثراً وقال لها :

ـ عن قريب . عن قريب انشاء الله .

250 ألف نازح من الجنوب . قرى بأكملها نزحت الى بيروت ، ولم يبق في الجنوب إلا من عجز عن الهرب . إنهم اللبنانيون ليس الفلسطينيون ، وحدهم ، أو سكان ضفة القنال ، أو قرى الجولان .

وتقول وكالة « رويتر » ان من بين المناطق التي يحلق الطيران الاسرائيلي فوقها قاعدة « تبوك » الجوية في شمال غرب السعودية .

ونشرت صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية ان السلاح الجوي الاسرائيلي يتدرب على القيام بغارات على « تبوك » .

ان ما حدث في جنوب لبنان مخطط له من النيل الى الفرات . وامتد مع آبار البترول الى الكويت والسعودية ودول الخليج .

**زحف جديد**

في كل يوم كان عشرون ألف ينزحون الى بيروت وعلى وجوههم صورة المأساة وعلائم البؤس والتعاسة ومعهم هول الكارثة .

ووقفت الدول العربية محايدة وهي تشهد ألفي فدائي في مواجهة 30 الف جندي اسرائيلي وستون طائرة تقصف المخيمات . وتدمر ميناء صور بالقنابل الثقيلة .

وقام أحد اصحاب البنايات الجديدة في بيروت بسد باب عمارته ببناء مسلح حتى لا يسكنه المساكين النازحون . وبعض الميسورين استأجروا مسلحين من أصحاب « الدكاكين » العسكرية الخاصة لحمايتهم من التجاء المهاجرين !

وفي القاهرة ، التجأ الشعب الى المقابر يبحثون عن سكن وسط الأموات بينما الاغنياء يقيمون العمارات للسكن الفاخر . **ولمزيد من الاستعلامات يمكنك الاتصال بشركة « دالمان » للاسكان والفنادق 6 شارع عدلي بالقاهرة . وشقق فاخرة 6 غرف وصالتين و 3 حمامات ملونة ، ومطابخ استانيل استيل » .**

**الشقة على مساحة 250 متر مربع مقدم الحجز 50 الف جنيه للوحدة الواحدة أو 73 ألف دولار أو ما يعادلها بالعملات الصعبة . والأولوية للحاجزين بالعملات الحرة . وفتح باب الحجز في البرج الأول من ابراج ماسبيرو .**

وفي تقرير لوكالة الانباء الفرنسية ان عدد المساكن الآيلة للسقوط في القاهرة ، يقدر بنحو 50 ألف مسكن . ويقول التقرير ، في الشهر الماضي إنهارت عمارة من 5 طوابق وكانت الخسائر 11 قتيلاً . وهذه الخسائر تعد متواضعة اذا قورنت بالخسائر في الأرواح التي ترتبت على انهيارات العام الذي سبقه . مثل حادث الظاهر 29 قتيلاً . والسيدة زينب 78 قتيلاً .

وتنمو العناصر الطفيلية مع الشركات الامريكية في الوطن العربي . وبعد أقل من خمس سنوات من ضرب مدينة السويس بالقنابل الأمريكية الصنع نقرأ الاعلان التالي :

**انطلاقاً من تأكيدات الرئيس انور السادات بضرورة تحقيق الأمن الغذائي ، قام « بلبوشي وشركاه » ببناء أكبر مجمع تبريد من نوعه بالمنطقة الحرة بالسويس . وضماناً لنجاح المشروع تعاقد مع شركة « دانهام بوش » و « جنرال الكتريك » الامريكيتين . وهذا المجمع التبريدي عبارة عن ثلاجات لحوم مجمدة » .**

وتتجسم مشكلة الشعب العربي في هذا الغزو الامريكي الذي فتحت له

الرجعية العربية ذراعيها .

وفي ظل هذا الغزو الجديد انحدرت طبقات بأكملها الى هوة الفقر المدقع ، بينما صعدت قلة الى قمة الهرم الاجتماعي تتعاون مع الغزاة الجدد وتحكم في حماية القوات الاجنبية ، وتسيطر بالسيف والارهاب . وتقف في عداء صريح للشعب العربي .

# الفصل السابع

## العالم الثالث

«أينما ذهبت
وحيثما كنت يا نيكسون
فكر بالله تغفر
وستظل فيتنام وكوبا
مثالينا في مواجهة
اعتداءات زماننا هذا
وستدافع شيلي مدعومة بأخواتها
شأنها شأن هذين الشعبين الجسورين
عن كرامتها الثورية الحقيقية»
**«الشاعر بابلو نيرودا»**
**من ديوان آخر الاشعار**

# العالم الثالث

لم تكن وفاة « عبد الناصر » بداية المأساة . كانت مصر في نفس الطريق الذي اطاح بـ . . . « سوكارنو » ـ«لومومبا»ـ«نكروما » .

العالم الذي خرج من براثن الاستعمار القديم ، سرعان ما واجه غزو الامبريالية الامريكية .

كان غزواً وحشياً دموياً . جاء في مرحلة فقر مدقع للجماهير . وضيق في السوق الرأسمالي . وتشبث من الطبقات المالكة في الاحتفاظ بما تملك ! فكان الصراع قاسياً ومريراً .

ولم يأت الغزو من الخارج ، كما كان يفعل الاستعمار القديم . بل جاء من الداخل ، عندما فتحت العناصر «الخائنة » الابواب ليدخل الاستعمار الجديد . وكان هذا مضمون سياسة الانفتاح التي تبناها « السادات » .

تساقطت حركات التحرر الوطنية الواحدة تلو الأخرى . واندفعت الانظمة الرجعية بشراسة الى جانب الغرب تكيل الضربات الى انظمة الحكم التقدمية . وكان هذا تأكيداً لتهديدات وزير الخارجية الامريكي « دالاس » الذي توعد دول « عدم الانحياز » ووصف سياستها بأنها «لا أخلاقية » !

**السياسة الاخلاقية !**

تبين للجنة التحقيق الخاصة التي شكلها مجلس الشيوخ الامريكي وأشرف عليها السيناتور « تشرش » لبحث تجاوزات جرائم وكالة المخابرات الامريكية .

أولاً : أن هذه الوكالة كانت وراء اغتيال « لومومبا » في الكونغو واغتيال

« اليندي » في شيلي . وأنها حاولت اغتيال « كاسترو » و « مكاريوس » .

ثانياً : ان هذه الوكالة نجحت في تدبير الانقلابات ضد « سوكارنو » في اندونيسيا .« ونكروما » في غانا .

ثالثاً : ان هذه الوكالة حاولت اكثر من مرة ، اغتيال عبد الناصر ولم تنجح .

وكانت العناصر المنفذة للعمليات ، من الداخل وليست جيوشاً غازية ففي غانا اعترف الجنرال « انكرا » بعد ثلاث سنوات من الانقلاب الذي اطاح بالزعيم الوطني « نكروما » انه تلقى الأموال من الشركات الخاصة لأغراض سياسية . وقدم استقالته عام 1969 . « ومرة ثانية في عام 1972 بعد فوز الدكتور « كوفي بوذيا » رئيس الحزب التقدمي ، في الانتخابات بـ 102 مقعداً من أصل 140 مقعد ، بدأ يتخذ خطوات نكروما . قامت الشركات التي مولت الانقلاب ضد نكروما بتدبير الانقلاب ضد « بوذيا » .

استحوذت شركة « فايرستون كوربوريشن » الامريكية على جميع مزارع المطاط في غانا .

كما سيطرت شركة « انترناشيونال هوليكز كوربوريشن » الامريكية على كافة الفنادق . وانفردت الولايات المتحدة بصناعة تكرير البترول . وكتبت مجلة « افريقيا » والعالم البريطانية أن غانا تحولت الى جنة للاحتكارات الاجنبية ، وبالاخص للاستغلال الاقتصادي الامريكي .

واحتفظت الاحتكارات الاجنبية بسعر « الكاكاو » الذي تنتجه « غانا » بينما زادت اسعار البضائع المستوردة خمسة اضعاف . وأغلقت المصانع التي كانت قد أقيمت في مرحلة « نكروما » وتحولت الآلات الى قطع من الحديد الخردة . وعادت « غانا » سوقاً للنهب الاستعماري ومورداً للمواد الخام .

وعاد الشعب في غانا الى سيرته الاولى في ظل الاستعمار القديم . تحكمه القوة ويعصف به الفقر ويسيطر عليه الارهاب .

**الاغلاق والشركات .**

وفي اندونيسيا أطيح بالزعيم « سوكارنو » الذي قاد الشعب في معركة التحرير

ضد الاستعمار الهولندي ، وتصدى للاستعمار الجديد . قفز « سوهارتو » والعصابة العسكرية الى الحكم بعد ان حولوا شوارع المدن الى بحور من الدماء . وزجوا بالآلاف في السجون . ويشهد سجن « ساليبا » في جاكارتا مئات النسوة اللواتي يقفن في صف طويل لزيارة ازواجهن وتقديم طرود الملابس والأغطية .

وفي معتقل جزيرة « بوردو » الوحشي يتم دفن السجناء السياسيين الاندونيسيين أحياء منذ تولي « سوهارتو » الحكم . وفي هذا المعتقل اكثر من 10 آلاف معتقل لم يقدموا الى المحاكمة ، لسبب بسيط هو ان السلطة لا تملك أن تدينهم قانونياً !

ومن بين المعتقلين 65 أستاذاً جامعياً ، 13 إقتصادي ، 12 استاذ تربية ، '343' من خريجي الجامعات ، . وبين المعتقلين الشاعر ريني أبيه والروائي البارز انانتانور والبروفسور سوبرايتو .

وأبيد آلاف المواطنين بتهمة الشيوعية . وغرقت اندونيسيا في الدم . والنتيجة :

● اطلق الحكم العسكري مستشاري البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي بحرية في البلاد .

● ارتفعت نسبة رأس المال الامريكي الى 33% من مجموع الرأسمال الأجنبي في البلاد .

● في تشريع 67 اعاد كافة المشاريع والشركات الصناعية والمزارع الكبيرة التي كانت أممت ، أو وضعت تحت سيطرة الدولة الى المستغلين القدامى . وعادت الشركات الأجنبية الى اللصوص الاجانب .

- صدور قانون لاستثمار رؤوس الأموال الاجنبية ، بشروط أفضل لرأس المال الاجنبي . وللمستثمر الحق في ان يخرج فوائده سنوياً بالعملة الاجنبية . وأن يخرج المال نفسه بعد خمس سنوات من بدء استثماره ، وتلتزم الحكومة بألا توقع أي تأميم على المشاريع الأجنبية .

- حصلت اندونيسيا على قروض ضخمة استهلكت في شراء بضائع استهلاكية من الدول الغربية .

وما زال سوهارتو يحكم رغم بحار الدماء ، ورغم تبديد ثروة الشعب . ولم يرتفع صوت من العالم الرأسمالي ينـدد باهدار « حقوق الانسان » أو ابتزاز ثورة الشعب !

**العائلة الحاكمة**

عندما سئل « السادات » عن ممارسة السيـدة « جيهان » زوجتـه ، لأعمال الاستثمارات قال : ان السيدة خريجة الجامعة ، وزوجة النبي كانت تمارس التجارة !

أما الرئيس « سـوهارتـو » فلم يكن في حاجـة الى تبريـر . انه اذكى من السادات . فأصدر بياناً رسمياً قال فيه :

**« لم ولن اقدم اية تسهيلات خاصة الى زوجتي أو افراد عائلتي أو الذين يدعون انني نسيبهم » .**

وولم يصـدر هذا « البيـان الـرسمي » إلا بعـد ان نـالت زوجـة الـرئيس « سوهارتو » لقب **« سيدة العشرة بالمائة »** . مع الاحتفاظ بلقب **«سيدة اندونيسيا الأولى »** .

ونترك الصحافة تحدثنا عن عملية النهب التي تقوم بها اسرة سوهارتو . تقول مجلة « الأسبوع الدولي » في عددها 182 .

**« ثمة اجماع على أهمية الدور التجاري الذي تلعبه زوجة الرئيس التي تلقب بـ « مدام تن بير سانت » أي«سيدة العشرة في المائة » .**

**ويقال أنها تمتلك حصصاً ثـابتة في المؤسسـات الفندقيـة ومطاحن الـدقيق وصناعة الأسمنت ، وقد أكدت نشرة سرية وزعت مؤخراً في جاكرتا أن السيدة الأولى تمتلك 131 شركة تجارية وقد أوكلت الى وسطاء صينيين عملية تـرتيب الصفقات .**

**ويسابق شقيق الرئيس الأصغر « سود كاتمونو » زوجة اخيه في استغلال نفوذ العائلة وجني الأرباح ، فقد تبين انه من كبار المساهمين في شركة عقارية تدعى « متربولیتان کتکوتا » أقدمت على طرد 20 عائلة فقيرة من بيوتها قبل ان تقتلعها الجرارات . وقد جرى استملاك قطعة الأرض بالقوة لبناء مجموعة سكنية فخمة .**

ويقال أن اولاد الرئيس قد اعجبوا بمهنة التجارة وبدأوا يتدربون على « قضم » العمولات .

ان جولة قصيرة في « حزام » الفقر المحيط بالعاصمة جاكرتا يؤكد سوء الأوضاع المعيشية للسواد الأعظم من الشعب . فبينما تقام الفنادق الفخمة واستراحات رجال الأعمال ، يعيش الناس في بيوت من الصفيح وأكواخ من القش . وسعدل الدخل السنوي للفرد لا يزيد عن 300 دولار في السنة . ويعيش 60% من السكان دون الحد الادنى للمعيشة . والمعارضة تزداد . واضطر « سوهارتو » الى القاء خطاب في القوات المسلحة هاجم فيه التيارات الماركسية والشيوعية والاشتراكية والوطنية والدينية . وبعد ثلاثة اسابيع اخرى القى خطاباً ، شن فيه الهجوم على ربات البيوت وضد الطلبة . وكان الخطاب الاخير رداً على الشائعات التي انتشرت عن عقيلة سوهارتو بأنها تتلقى الرشاوي من المناقصات . وأن سوهارتو اتخذ ممثلة جميلة عشيقة له !

## كوريا الجنوبية

ما يحدث في « اندونسيا » بعد الانقلاب الذي أطاح بالرئيس سوكارنو . ليس سوى صورة متكررة لما يحدث في بلدان العالم الثالث التي سيطرت عليها الولايات المتحدة سواء عن طريق القوات المسلحة . أو تغلغل الشركات أو السيطرة على السوق .

ففي التقرير الذي وضع عام 1979 ، وقدم لمجلس الشيوخ الامريكي . . يفسر خبراء الكونجرس الامريكي الاهداف السياسية للوجود العسكري الامريكي.

« القواعد والقوات الامريكية تقدم فائدة كبرى للولايات المتحدة في مجمل علاقاتها مع القوى السياسية المهيمنة في بلدان آسيا الشرقية » .

ففي كوريا الجنوبية 31 ألف جندي امريكي من قوات المشاة و 8 آلاف في القوات الجوية .

فماذا تحمي هذه القوات الامريكية ؟

تقول صحيفة « القبس » في رسالة لها من «سيول » عاصمة كوريا الجنوبية .

« إن سلطة الحكومة أصبحت تحت سيطرة الجنرالات الـذين عرف عنهم الفساد السياسي والرشوة » .

وبعد قيام ديكتاتور عسكري جديد في كوريا الجنوبية . تم طرد 232 من كبار الرسميين منهم وزير الصناعة والتجارة وخمسة نواب وزراء ورؤساء دوائر حكومية . كما قدم آخرون استقالاتهم من ادارات الجمارك ومن وزارة الداخلية . و 100 من فاحصي الحسابات . وفي 15 يوليو 1980 أعلنت الحكومة أنها طردت 4760 موظفاً للفساد وعدم الكفاءة والاهلية .

ويخرج المطرودون بعـد أن جمعوا ثـروات ضخمة ليعملوا بهـا في القطاع الخاص . ويحل مكانهم فاسدون جدد !

وقد استعملت الصحافة ومحطة التلفزيون والاذاعة بمثابة درع سياسي لحماية رجال الاعمال . كما تبين أن عـدداً من الصحفيين كشفـوا أنفسهم ، واصبحوا مشتركين في تهمة الضلوع مع بعض السياسيين والفاسدين .

ومن خلال حملات التطهير ضد الفساد . يتم تطهير كوريا من المعارضين لنظام الحكم والولايات المتحدة وشركاتها .

**هذه الانظمة**

أكثر من أربعين انقلاباً عسكرياً أو محاولة انقلاب عسكرية حدثت في افريقيا وحدها خلال ست سنوات . ويقول المعلقون السياسيون عن افريقيا أنها « تسلك طريق امريكا اللاتينية » طريق الانقلابات العسكرية والحكومات العميلة والتغيرات المستمرة للانظمة .

ولم يكن الامر قاصراً على « افريقيا » وحدها . . . بل نشاهـده في الشرق الاوسط ، وفي آسيا .

فما سبب هذا الوضع ؟ ونترك الكاتب الانجليزي «جـاك وودس » يتحدث :

«تعد أهداف الامبريالية أول عمل رئيسي ينبغي أخذه في الاعتبار ، فكل من الدول القديمة صاحبة المستعمرات في افريقيا ـ بريطانيا ، فرنسا ، البرتغال ، بلجيكا وكذلك الدول الحديثة المتنافسة على السلطة والنفوذ في افريقيا ـ الولايات المتحدة ، المانيا الغربية ومنذ عهد قريب اليابان ـ كانت في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية

تهدف الى تحويل أفريقيا الى مصدر لارباح اضافية جديدة لنفسها . وذلك في مساعيها للاستفادة من نفس انهيار النظام الاستعماري القديم » .

الاستعمار الجديد في محاولته للاحلال مكان الاستعمار القديم ، يقوم « بتقليب » الارض في المستعمرات ، ليقضي على الاوضاع الاجتماعية القديمة وليخلق ظروفاً جديدة مواتية لعملية النهب والسلب الاستعماري الجديد .

إن الطبقات القديمة في المستعمرات ، لم تعد قادرة على الحكم . انكشفت خيانتها للقضية الوطنية . وظهر تفسخها ، وانحلالها . وكان لا بد من تجديد دمائها . وظهر مبدأ تحديد الملكية ليوسع من طبقة الملاك . وقضى على « مبدأ الارض لمن يزرعها » . ليحل مكانه مبدأ « الارض لمن يشتريها » . وظهرت فئة « الرأسمالية الطفيلية » لتحل محل « الرأسمالية الوطنية » . وفي كلا الحالين الارض والتجارة . وجد الضباط وحوارييهم الفرصة للاثراء . وتربع الضباط على الحكم فهم أقدر هذه الفئات الجديدة على مواجهة الجماهير وكبت ثوراتهم . وكبت المثقفين .

وكما قال « جوبلز » الداعية للنازي القديم .

« عندما اسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي » .

وتقوم الفئات الحاكمة الجديدة في المستعمرات ، بنفس دور « النازية » . في خدمة الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسية . ولكنها مع الاسف « فاشية » ذليلة فهي ذيلية ، في خدمة المستعمر الإجنبي . وعلى الرغم مما تملك هذه الجيوش من سلاح فهي عاجزة عن مواجهة الجماهير . وتلجأ الى حليفها الاستعمار . وكما قال لينين .

**« لا نحسب أن ثمة دليلاً يظهر بوضوح مدهش البرجوازية الاوروبية كما يظهره تأييدها للرجعية في آسيا ، هذا التأييد الناجم عن جشع الماليين والرأسماليين المحتالين » .**

إن هذه الكلمات التي قيلت عام 1913 ، تظهر اليوم بوضوح تأييد البرجوازية العالمية للنظم العسكرية والرجعية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وأصبحت المذابح تجري نهاراً في شوارع المدن ضد القوى الوطنية .. في طهران

والقاهرة وجاكرتا وفرموزا . وفي عمان وجنوب لبنان .

**« أي «وحوش» يصبح رجال » السياسة ، عندما تبلغ الامور مبلغ استيقاظ الجماهير ضد رأس المال » .**

- 2 -

### الحرية المحرمة

بدأت الهجمة الشرسة للاستعمار الجديد في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وكان الهدف كما هو دائمًا في اعقاب كل حرب تخوضها الدول الرأسمالية . إعادة توزيع الشعوب والاسواق .

كانت أولى الضحايا ، دولة صغيرة في امريكا اللاتينية ، محصورة بين فنزويلا في الغرب والبرازيل في الجنوب . ويكاد تعدادها يتجاوز نصف المليون ـ ساعة وقوع الاحداث . أجريت انتخابات في ظل الاحتلال البريطاني . وفاز حزب الدكتور « شبري جاجان » . حاول هو وزملاؤه ان ينفذوا وعودهم الانتخابية .

ولكن هذه الاصلاحات أزعجت الامريكيين وأقلقت رجال المال في لندن ممن يسيطرون على حياة غيانا البريطانية ويستغلون شعبها . فارسلت القوات المسلحة وعطل الدستور .

وكما هي العادة . أصدرت حكومة صاحبة الجلالة الملكة في بريطانيا ، بياناً يقرر تعطيل الدستور . وكالعادة أيضاً تحدث البيان عن مؤامرة شيوعية ! وأعفي رئيس الوزراء المنتخب وزملاؤه من مناصبهم وأجلت اجتماعات مجلس النواب !

تحركت الملكة . والاسطول البريطاني . والصحافة الصفراء . دفاعاً عن غيانا التي أوشكت ان تقع في يد الشيوعيين !

فما هي الشيوعية التي كانت تهدد جمهورية « غيانا البريطانية ؟ !

يروي الدكتور « شيدي جاجان » رئيس الوزراء الذي نحي من مركزه في كتابه « الحرية المحرمة » .

وتقوم الآن شركات أجنبية عديدة ، أكثرها شركات امريكية بابحاث استكشافية واسعة للتنقيب عن المنجنيز والبترول والمعادن . وللامريكيين مصالح

واسعة في غيانا البريطانية ، فهناك شركة ديميرارا للبوكسيت مع شقيقتها شركة سبرو ستونز ليمتد ، وكلاهما فرع لشركة الالومينوم الكندية التي ترتبط هي نفسها بعملية الاحتكار المشترك التي تقوم به شركة الالومنيوم الامريكية ، التي يمولها « ميللون » احد كبار الماليين الامريكيين » .

وفي « كتابه » فضح الدكتور شيدي جاجان دور الشركات البريطانية في استغلال غيانا . ثلاث شركات تمتلك مزارع السكر . فثلث الاراضي المزروعة في غيانا مخصصة لهذا المحصول . والشركات الثلاث مسجلة في بريطانية ومعظم أصحاب مزارع السكر ، رجال اعمال بريطانيون يقيمون في الخارج !

فلم تكد غيانا تخطو خطوة للتحرر من سيطرة بريطانيا ، حتى جاء رجال الاعمال الامريكيين بحثاً عن الثروة .

كان « لينين » يصف رجال المال « بالعهر » . وهذا ما أكدته احداث « غيانا » فما كاد الحزب التقدمي يفوز في الانتخابات . حتى قامت بلاد « الحريات » ولم تقعد . وأخذ « مومسات » الصحافة يكشفون عن عهر الرأسمالية . **فصحيفة « واشنطن بوست » وهي تسلم بأن انتصار جزب الشعب التقدمي في الانتخابات سبب القلق في الولايات المتحدة ، طالبت بحرمان الشعب من حقوقه المحدودة ، واقترحت العودة الى تخويل الحاكم العام سلطات حقيقية مطلقة !!**

وقالت صحيفة نيويورك هيرالد تريسيون .

**إن مسألة غيانا البريطانية ذات أهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة بسبب موقعها الاستراتيجي ، اذاً فنزويلا هي الكلمة المرادفة لمادتين في غاية الاهمية بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة . البترول والحديد الخام » .**

وأكدت صحيفة « تشيوش تيمس » هذا المعنى بقولها :

**« إن مناجم الحديد الخام مساحتها 75 ميلاً مربعاً قد اكتشفت في فنزويلا قرب حدود غيانا البريطانية ، كما اكتشفت أيضاً مناجم للحديد الخام على حدود غيانا البريطانية المتآخمة لفنزويلا . ويقال أنها أكبر مناجم من نوعها في العالم » .**

أما الشيوعية التي يتحدثون عنها ، فهي محاولات الخروج من حزام الفقر الذي ضرب حول الشعوب . ويصف « بول لانشارد » وهو أحد رجال وزارة

الخارجية الامريكية الذين استيقظ فيهم الضمير، فيقول في كتابه « الديمقراطية والامبراطورية في « بحر الكاريبي» .

**« أن الشعب الكادح في كل المنطقة تقريباً يعيش في مستوى دون المستوى اللائق بالانسان . اذ تنتشر مظاهر الفقر في منطقة الكاريبي . فمن الملابس البالية الى الاقدام الحافية ، الى الاطفال ذوي الكروش المنتفخة ، الى الاكواخ المصنوعة من الصفائح القديم الى طوابير العمال العاطلين التي تنتظر أمام بوابات مغلقة .** فليست « الديمقراطية الرأسمالية » سوى ديمقراطية أصحاب الشركات ورجال الاعمال « وحقهم » في النهب والاحتيال . أما اذا انتقلت الديمقراطية الى الشعب وأراد أن يمارس حقوقه . فهنا يرتفع الصراخ محذراً « الشيوعية » !

- 3 -

## المأساة الايرانية

كانت اول « علاقات حميمة » للسادات مع شاه ايران . وكانت أول استثمارات تدخل مصر في عهد الانفتاح من ايران . وكانت اول فضيحة للعقود التي ابرمها السادات . فضيحة « سيارات الباص » .

كانت « ايران » هي « النموذج » الذي يحلم به « السادات » منذ تولي الحكم . طغمة من « الاوباش » تضع فوق رؤوسها التيجان الذهبية . وتلمع صدرها بالاوسمة « الكاذبة » وترتدي أفخر الثياب وأغلاها . وتعيش في قصور نائية عن الشعب . وتطل على الجماهير من عل . ووراء هذا الستار المزركش الكاذب المحاط بالدروع ، والمدرعات ، والدبابات والغازات وكل أنواع السلاح ، ترتكب أحط المخازي البشرية بل الحيوانية !

## والقصة الطويلة

وتبدأ منذ دخل رجال المال البريطانيون الى ايران عام 1872 حتى يوم طرد المحتالين الامريكيين عام 1979 . . وأكثر من مائة عام تتحول فيه ثروة الشعب الايراني الى بريطانيا والولايات المتحدة لبناء ناطحات السحب ، والقصور الفخمة . والحياة الرغدة بينما يعيش الشعب صاحب الثروة في فقر مدقع .

ففي عام 1872 منح « شاه فارس » امتيازاً للورد « جوليوس دي رويتر »

مدته 70 عاماً . ويعلق لورد كيوزون على هذه الصفقة قائلاً :

**« كانت أتم وأعجب عملية تسليم لجميع الموارد الصناعية في مملكة من الممالك الى أيدي الأجانب مما قد لا يخطر في الاحلام على الاطلاق ، فما بالك أن تحدث وتصبح حقيقة واقعة » .**

كان الامتياز يشمل جميع بلاد « فارس » وجميع الموارد المعدنية فيما عدا الذهب والفضة والاحجار الكريمة !

وفي 28 مايو عام 1801 منح الشاه امتيازاً للبحث عن البترول الى « شركة دارسي » مدته 60 عاماً ، وحصل الشاه على اسهم قيمتها 30 الف جنيه بينما نال رئيس الوزراء وإثنان آخران 20 الف جنيه في صورة اسهم .

وحاولت شركات أمريكية في سنوات 1921 ، 1923 ، 1944 الحصول على امتيازات بترولية في ايران ، بلا طائل . ولكن في اعقاب الحرب ظلت الولايات المتحدة مثابرة على أهدافها حتى حصلت على ما تريد !

**المخابرات . والخونة**

أجاب « الن دالاس » مرة على سؤال أحد الصحفيين ، ما اذا كان منصبه كمدير لوكالة المخابرات المركزية c . i . a يتضمن التحريض على الثورة قائلاً :

« سيكون من العبث الا نتعاون مع أصدقائنا في الخارج لمساعدتهم في عمل كل ما يمكن عمله لاستكشاف ومقاومة الحركات الشيوعية الهدامة » !

وكان التدخل الامريكي في ايران عام 1953 لازاحة رئيس وزرائها الدكتور محمد مصدق أول محاولة ناجحة لفترة ما بعد الحرب لتقويض الحكومات ذات الاتجاه الوطني .

وبديهي أن تتهم الولايات المتحدة حكومة مصدق أنها واقعة تحت تأثير الشيوعيين، بعد أن اعلن مصدق تأميم شركة النفط واعلن . « . . بأن ايران تأخذ حقها في الثروة التي يرقد فوقها تنين » . كانت ايران قد حصلت من ايرادات البترول على ما قيمته 316 مليون دولاراً بينما حصلت الحكومة البريطانية على 700 مليون دولاراً فيما بين عامي 1911 حتى عام 1951 . وفي السنة السابقة للتأميم أي

عام 1950 ـ قبضت ايران 45 مليون دولاراً ، ووزارة المالية البريطانية 140 مليون دولاراً .

وكما تعودنا ، بدأت الصحافة الصفراء . والتصريحات الرسمية تعلن أن وراء « التأميم يدأ شيوعية تموِلها موسكو يحرض عليها الكرملين !

ووصل الى ايران « كلمنت روزفلت » رئيس العمليات في وكالة المخابرات الامريكية ، ووضع روزفلت مع خمسة من العملاء الامريكيين وسبعة من مسؤولي المخابرات الايرانية خطة الانقلاب في إحدى الشقق الارضية في طهران .

وبينما كان الن دالاس يجتمع بالشاه ( الذي كان قد عزل ) في روما ، كان كلمنت روزفلت يجند أشقياء طهران ويوزع الاموال على العناصر الفاسدة لتأجيج الغوغاء ضد مصدق .

ولعبت بعثة المساعدات العسكرية الامريكية في ايران دوراً نشيطاً في العملية . وقال رئيس المساعدات العسكرية الجنرال جورج ستيوارت ، أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الامريكي . ما يلي :

**« عندما جاءت الازمة وبدا كأن الامور على وشك الانهيار تجاوزنا طرقنا العادية وقمنا ، من ضمن ما قمنا به ، بتجهيز الجيش مباشرة وبشكل عاجل بالبطانيات والاحذية والبدل ومولدات الكهرباء والادوية . بحيث خلقت الظروف الملائمة لان يسندوا الشاه . إن السلاح الذي كان في أيديهم والسيارات التي كانوا يتنقلون فيها ، والمدرعات التي مكنتهم من السيطرة على الاوضاع ، قد جهزت من قبل برنامج المساعدة العسكرية . ولو أن ذلك البرنامج لم يوضع موضع التنفيذ لكان ثمة الآن في ايران حكومة معادية للولايات المتحدة . »**

ونصب « زاهدي » الرجل المعروف بأنه « نازي » رئيساً للوزراء . وعاد الشاه . وتقاسمت امريكا وانجلترا وفرنسا بترول إيران . . امريكا 40% وانجلترا 40% وفرنسا 6% . تم اقتسامها بين الشركات . وعادت الارباح تتدفق على رجال الاعمال المحتالين في الغرب الرأسمالي . وعلى طغمة الشاه وعائلته .

ومرت الايام ثقيلة على الشعب الايراني . والولايات المتحدة تدرك ذلك . فقد جاء في تقرير رابطة السياسة الخارجية .

**« ان فئات الطبقة المتوسطة والمثقلين والعمال ، قد تبددت أوهامهم الخاصة بالانحياز للغرب » .**

واعلن الشاه « ثورته الخضراء » ! وارغم على الغاء الانتخابات التي أجراها والتي نـال انصاره 99% من الاصـوات ! واضطر الى تعليق لافتـة « ديمقـراطيـة جديدة » .

نفس أسلوب « السادات » !

**الزلزال**

كان أصدق وصف لشورة الشعب الايراني ، أنها « زلـزال » هزت النـظام الرأسمالي . وشققت الارض من تحته . وأخرجت ما في باطن هذا النظام من عفق وقاذورات تقشعر النفس الانسانية من سماعه أو رؤ يته .

سقطت الاقنعة الزائفة للنظام . . وكشفت ما فيه من إحتيال وسرقة ودعارة وعهر ووحشية رهيبة .

وكانت الولايات المتحدة تبارك كل هذا . . بل تعمل على دعمه . فلم يكن ما يحدث في ايران الا امتداداً لما يحدث في أمريكا نفسها . مع فارق بسيط ، أن ايران دولة تابعة . . بينما الولايات المتحدة سيدة لهذا النـظام . فكانت الجـرائم الوحشية ترتكب بعلم ومباركة امريكية . بل كانت الولايات المتحدة عن طريق المخابرات المركزية « سيئة السمعة » تنظم هذه العمليات وتدرب « الكلاب » من رجال البوليس على اقترافها وتطلقهم لتعقب العناصر الوطنية .

وفي تقرير اللجنة الدولية للصليب الاحمر التي قامت باللقاء مع 3086، سجيناً في 18 سجناً من سجون ايران في عهد الشاه . نجد أساليب التعذيب التالية :

1 ـ الضرب المبرح باليد المجردة أو بالرفس : وقد حدث ذلك لنسبة تتراوح من 90 الى 95% من السجناء .

2 ـ الضرب باستخدام الاسلاك الكهربائية أو العصي وحدث ذلك بالنسبة لـ 80% من السجناء .

3 ـ الحرق بالسجاير المشتعلة لنسبة تتراوح ما بين 50 الى 65 من السجناء .

4 ـ الحرق بواسطة السوائل المشتعلة ( الشمع ) والمحروقات ، وقد حدث لنسبة تتراوح ما بين 30 الى 40 بالمائة من السجناء .

5 ـ ايقاف وتثبيت السجين دون حراك وبمختلف الحالات المرهقة وعلى أنواع خاصة من الطاولات والكراسي ( وطبقاً لقول السجناء ماكينـة ابولـو ) ـ وتعليق السجين واستخدام السلاسل الحديدية والضغط عليه بوسائل الاثقال .

6 ـ الاستفادة من التماس أو الشوك الكهربائي بدرجاته المختلفة والتأثيرات الاشعاعية بالنسبة 30% بالمائة من السجناء .

7 ـ الضغط الشديد وخلع الاظافر في حق 50% من السجناء .

8 ـ بث الموجات الصوتية العالية واذاعة الصيحات المزعجة باصوات مؤذية لنسبة 5% من السجناء .

9 ـ تثبيت الـرأس وتقطيـره بقطرات متبـاعدة حـدث بالنسبـة لـ 5% من السجناء .

10 ـ منع وتحريم النوم على السجين بالنسبة لـ 80% من السجناء .

11 ـ هتك العرض والاعتداءات الجنسية الشنيعة في حق ( النساء والرجال ) والتجاوزات والحوادث الجنسية الاخرى مثل ( الاعتداء السافر بوسيلة الزجاجات ، والعصي والبيض المحمى وادخال الاسلاك الكهربائية في الرحم ) والمعاملات غير الانسانية وخاصة في سجن القصر وسجن أفين وفي سجون طهران وأصفهان .

12 ـ التهديد بالاساءة لافراد الأسرة لعدد 80% من السجناء .

13 ـ نقل السجناء الاصحاء عقلياً الى مستشفى الامراض العقلية . وطبقاً لتصريحات أقوال السجناء فان الاساءات والاعمال الوحشية المذكورة كانت سبباً في وفاة بعض السجناء ، كما أن عمليات التعذيب الشنيعة كانت سبباً في الاختلالات العقلية والجسمية .

فأين كانت الولايات المتحدة ، رافعة راية الدفاع عن حقوق الانسان . عندما ارتكب الشاه وزبانيته جرائمهم ؟

ملك أم مجرم ؟

قالت مجلة « تايم » الامريكية أنه يوجد دليل مباشر على اشتراك « الشاه » في جرائم الاعدام والقتل أيضاً ، إذ اعترف عملاء السافاك أمام محاكم الثورة الايرانية أن الشاه أعطى بوليسه السري أمراً شفهياً موجزاً عام 1975 ، عندما تصاعدت موجة الاحتجاجات الدولية على كثرة المعتقلين السياسيين وأعمال التعذيب في ايران . قال لهم فيه :

**« لا تأخذوا أي سجناء . . وأقتلوهم » .**

لم تكن هذه وحدها جرائم « السفاح » الايراني . فان ما تتضمنه قائمة الاتهامات التي كانت موجهة الى الشاه .

● تهمة الخيانة بتحويل ايران لوكر للتجسس لصالح الولايات المتحدة والصهيونية وباع ايران للولايات المتحدة .

● الانحراف عن القيم باغراق البلاد بالنوادي الليلية وبيوت الدعارة وكازينوهات القمار .

وأخذت الصحف الامريكية ، بعد سقوط الشاه ، في نشر فضائح الشاه وأسرته حتى تبرىء الولايات المتحدة نفسها من تهمة عودة الشاه بعد عزله عام 1953 . ولكي تغطي بهذه الفضائح حقيقة عملية النهب والاحتيال الامريكي لثروة الشعب في ايران .

قالت مجلة « تايم » الامريكية :

**« أياً كان حجم ثروة الشاه الخاصة ، فقد كان على رأس نظام حكم فاسد من البداية حتى النهاية . إذ كان على الشركات الاجنبية أن تدفع « عمولات » الى مسؤولين في الحكومة أو الى أعضاء في عائلة الشاه كي تحصل على عقد في ايران .**

وفي الوقت الذي كان فيه معظم الشعب الايراني يعاني من الفقر والقهر والعوز ، كان الشاه المخلوع يعيش حياة رفاهية مبالغ فيها » .

ويعتبر الشاه أو ورثته ، واقاربه خاصة شقيقته التوأم الأميرة السابقة اشرف من اغنى اغنياء العالم بفعل ما سرقوه وهربوه من أموال الدولة وهو ما قدر بعشرين مليون دولاراً .

وعلى الرغم من استنكار الصحف الامريكية لسلوك الشاه . الا أن امريكا اقامت ( السادات ) ، ودعمت حكمه بعد سقوط الشاه . وتلاقى السادات والشاه .

ففي صحيفة « الاخبار » القاهرية في عدد 16 /12 /1975 نقرأ :

**« 2000 مليون جنيه عمولات دخلت « الجيوب » والحسابات السرية في السنوات العشرة الاخيرة . وضاعت على الدولة » .**

**في عام 1971 استوردنا ما قيمته 445 مليون جنيه . وستصل استيراداتنا خلال 75 الى 1800 مليون جنيه وبذلك قد تصل العمولات ، فقط خلال هذا العام ( 1975 ) الى 90 مليون جنيه !**

ونقرأ في الصحف العربية . . صحيفة « السياسة » في عددها الصادر في 22 / 7 / 1978 تحقيق صحفي يقول :

**« اندية القمار في القاهرة عالم يضج بالاسرار الغريبة » .**

ثم يتحدث التحقيق الصحفي .

**« فندق شيراتون بالقاهرة واحد من هذه الاماكن ذات النكهة الخاصة . غالباً ما تتكرر فيه مشاهد من نوعية متقاربة ، فالنساء الجميلات المتحولقات هنا وهناك حول موائد القمار يشبعن الزبائن ذوي الجيوب المنتفخة بنظرات الاعجاب الواعدة والزائفة لتشجيعهم على مواصلة اللعب . ومشهد يتكرر ليلياً ، والاسماء الكبيرة وأبناء الذوات والاسر الكبيرة من الداخل والخارج تتواجد بشكل ليلي في هذا المكان ، وقاسمها المشترك البحث عن الخسارة فوق موائد القمار والخسارة من الحجوم الكبيرة ، بالطبع دون أن ترمش لهم عين أو تبدر عنهم إيماءة حزن أو أسف » .**

في حديث للدكتور اسماعيل صبري وزير التخطيط السابق نشر في صحيفة السياسة الكويتية . وقال :

**« بدل أن تأتي الاموال الاجنبية لتمويل المشاريع المصرية ، خرجت رؤوس الأموال المصرية الى أنحاء العالم » .**

وفي تحقيق آخر نشرته الصحيفة ، جعلت عنوانه :

**« 206 شركة أمريكية لانقاذ الاقتصاد المصري . الشركات الأمريكية تغطي مختلف مجالات النشاط الاقتصادي والخدمات الانتاجية » .**

وهكذا يتكرر في مصر ما حدث في ايران .

**اللقاء**

قالت مجلة « تايم » الأمريكية أن الشاه المخلوع أو المرحوم ، كان يبدو غاضباً في لحظات التأمل . وقال للسادات عندما توقف في مصر عقب طرده من ايران ، أن «مستشاريه أقاموا جداراً بينه وبين الشعب». ثم قال :«وعندما أفقت كنت قد فقدت كل شيء». ثم تقول المجلة :

**« لكن ذلك الجدار لم يكن مستشاروه هم الذين شيدوه ، بل الشاه هو الذي شيده » .**

وهكذا تحاول الولايات المتحدة التنصل من جريمتها . بعد أن استنزفت بترول ايران ، وثرواته .

بجانب تجميد الأرصدة التي حلت حلًا جزئياً بعد الافراج عن الرهائن . فان ايران دفعت 18 مليون دولاراً ثمناً لاسلحة ثبت فسادها في حرب العراق ـ ايران .

وتكشف صحيفة « واشنطن بوست » حقيقة الجدار الذي اقامه الشاه حول نفسه وساندته الولايات المتحدة في إقامته .

قال « دان مورغان » المحرر من واشنطن بوست » :

**« تمتلك مؤسسة بهلوي التي تديرها أسرة شاه ايران السابق شركة لانتاج الافلام . .**

**ويشترك شاه ايران محمد رضا بهلوي واقرباؤه في أعمال تجارية أكبر ويجنون أرباحاً طائلة من هذه الاعمال مثل التعدين وحفظ اللحوم وانتاج الصلب والالومنيوم والمنسوجات والسيارات .**

**وبالاضافة الى ذلك اشترك أفراد الاسرة في مشروعات صناعية كبرى . بل**

**إنهم شركاء دوليون في جنرال موتورز وفيات وهوندا وجون ديري .**

**أما أخت الشاه التوأم . الاميرة اشرف ـ فقد كانت تمارس سيطرتها على وكالة خدمات اجتماعية رأسمالها عدد كبير من ملايين الدولارات ويتم تحويلها بواسطة أعمال القمار الدولية » .**

ويقول الصحفي الامريكي :

**« ففي بعض دول الشرق الاوسط وغيرها من الدول النامية نجد أن الاستراتيجية الامريكية الاقتصادية والسياسية ترتبط بأسر حاكمة محلية تسيطر على أنظمة تشبه ما كان قائماً في ايران » .**

ولم تقف « المهزلة » عند هذه الحدود بل بدأت عناصر حكم الشاه في نشر « الغسيل القذر » وتتحدث عن حفلات الجنس وندوات الخمر والمخدرات التي كان يتعاطاها الاميرات والامراء وقادة الجيش . وروى صديق ايطالي « للاميرة أشرف صوراً لهذه الحفلات تنأى عنها أحط المومسات . كما اعترفت إحدى عشيقات الشاه بأن الذي قادها الى القصر الخاص للشاه ، كان أحد كبار القادة العسكريين !

وما حدث في ايران ، ما زال يحدث في أنظمة الحكم التي نصبتها الولايات المتحدة في كثير من بلدان العالم الثالث .

**ايران . واسرائيل**

لم يكن لقاء السادات مع الصهيونية خلال زيارته للقدس . بل تقرر اللقاء منذ مد يد الصداقة الى الشاه .

فالعلاقات الوطيدة بين اسرائيل ، والدولة الايرانية ، كانت الجسر الذي عبر عليه السادات الى القدس .

وترجع علاقات ايران ( الشاه ) باسرائيل منذ كانت شركة البناء ( سوليل بدينه ) التابعة للهستدروت يقومون بتنفيذ مشاريع عمرانية في مدينة عبدان التي توجد فيها مصافي النفط . وبعد قيام اسرائيل عام 1948 ، كانت ايران أول دولة اسلامية تعترف باسرائيل وتحتفظ بمفوضين لها في تل ابيب . وظلت هذه العلاقات تتطور حتى قيام حركة مصدق وما اعقبتها من عملية تأميم للنفط . ووقفت اسرائيل

في مجلس الامن تدين عملية التأميم . وعادت العلاقات الى سابق عهدها بعد عودة الشاه الى السلطة وسقوط حكومة مصدق الوطنية .

وفي اطار العلاقات الجديدة ، في ظل الشاه فتحت ايران أبوابها لمئات الاسرائيليين لتنفيذ مشاريع تم التعاقد عليها في مجالات البناء والري والزراعة ، وشق الطرق واستصلاح الاراضي الزراعية .

ووقفت اسرائيل مؤيدة للشاه ضد الثورة الشعبية دون تحفظ أو تردد .

وتردد أن اسرائيل ارسلت الى ايران وحدات خاصة لحماية الشاه والتصدي للمظاهرات ، بعد أن ظهرت ميول الجيش في التعاطف مع الثورة .

وهرع اليهود الى مغادرة ايران مع بدء الاحداث . حاملين معهم السجاد الايراني الفاخر . والحقائب المليئة بالاوراق النقدية .

وفي مطار اللد حيث حطت بهم الطائرات فتح رجال الجمارك الحقائب والصناديق . وتبين أنها تحوي كميات كبيرة من الذهب والمجوهرات والاوراق النقدية بالاضافة الى السجاد العجمي الفاخر . ويقدر عدد السجاجيد التي دخلت الى اسرائيل بحوالي 25 ألف سجادة عجمية وقد وجدت إحدى السجاجيد مرصعة بالذهب والاحجار الكريمة وقدر ثمنها بحوالي 30 مليون دولار . ووضع أكثر القادمين الى تل ابيب اموالهم في البنوك الاسرائيلية . وذكر أحد البنوك الاسرائيلية أنه تم وضع مبلغ 72 مليون دولاراً في البنك من فئة الالف دولار !

وكان هذا بعض نتائج « تطبيع العلاقات » بين ايران واسرائيل . وتتكرر مأساة التطبيع في مصر !

- 4 -

فضحت احداث ايران طبيعة الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في عالم اليوم ضد شعوب العالم الثالث ، بصورة بشعة . لا يقل بشاعة عن دورها في حرب فيتنام . . أسقطت الحكومة الوطنية برئاسة مصدق ، وزجت به في السجن ، ونصبت عائلة الشاه غير المقدسة على رأس الشعب .

وليست المشكلة حول أخلاقية أو لاأخلاقية الدولة الرأسمالية الكبرى التي

وصلت الى مرحلة الاحتكار . بل مواجهة هذه الطبيعة الطبقية الاقتصادية للامبريالية وسياستها .

فمنذ نهاية الهيمنة للامبراطوريات القديمة بعد الحرب العالمية الثانية ، تواجه شعوب العالم الثالث عدوان الامبريالية الامريكية الذي يتخذ أساليب متعددة لتخريب حركات التحرر الوطني سواء بالردع العسكري أو الابتزاز العسكري ، أو الاعتماد على التفاوض المرن واستيعاب البرجوازية المحلية . أو الاعتماد على وكالة المخابرات لتفرض نفسها كمركز بوليسي يحكم قبضته على رقبة شعوب العالم الثالث .

« ان تراكم ألفساد والبؤس ، والشقاء الذي خلفه الاستعمار القديم لم يترك مجالاً للشعوب سوى الثورة ضد الاوضاع الظالمة . وهنا برزت الولايات المتحدة وأسفرت عن وجهها الاستعماري البشع . وأصبحت السمة البارزة في عالم اليوم ، هي فرض الانقلابات العسكرية أو فرض حكم الاقلية الفاسدة التي تنصبها أو تساندها امريكا لكبت الشعوب . وصدر مبدأ ترومان . . »

وقالت جريدة « نيويورك تايمز » .

**« ان عصر الانعزال والتدخلات العابرة قد انتهى ، ويحل محله الآن عهد المسؤولية الامريكية » .**

اما التايمس فقد وضعت الفكرة بشكل أوضح :

**« إنها سياسة خارجية جديدة وايجابية ، هي اعتناق مسؤولية الحفاظ على السلم والنظام في كل أنحاء العالم » .**

**التجربة الكبرى**

كانت الصين من أوائل شعوب العالم الثالث في الثورة ضد الامبريالية . وكانت ثورة 1911 بداية ثورتها الجديدة التي ابرزت الطابع الاجتماعي لثورات التحرير . ونقرأ في احد كتب الثورة الصينية الذي نشر عام 1949 تحت عنوان **« الديمقراطية الجديدة »** ما يأتي :

**« ومع ذلك ، فقد طرأ تبدل على الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين بعد انفجار الحرب الامبريالية العالمية الأولى عام 1914 وتأسيس الدولة الاشتراكية**

**على سدس الكرة الارضية نتيجة لثورة اكتوبر الروسية عام 1917' » .**

ورأت الصين أن « الثورة الديمقراطية البرجوازية » أي « ثورة التحرير » ، قد تبدلت طبيعتها . فلم تعد تنتسب الى الثورة الديمقراطية البرجوازية التي إجتاحت اوروبا منذ الثورة الفرنسية عام 1879 ، بل انتقلت من وجهة النظر الثورية لتصبح جزءاً من الثورة الاشتراكية .

ونقرأ في كتاب « حول الديمقراطية الجديدة » .

**« هكذا فان هذه الثورة من ناحية اخرى تقوم ، على وجه التحديد بتمهيد طريق أوسع وارحب من اجل الاشتراكية ، وهي ستمر خلال مسيرتها بعدة مراحل بسبب التبدلات الطارئة على معسكر العدو وعلى صفوف الحلفاء ، بيد أن طبيعتها الأساسية ستبقى كما هي دون تبدل .**

**بما أن مثل هذه الثورة تضرب الامبريالية بلا هوادة فان الامبريالية لا تتقبلها بل تناهضها . ولكن الاشتراكية تتقبلها ، فهي تلاقي التأييد والمساعدة من قبل الدول الاشتراكية والبروليتاريا العالمية الاشتراكية » .**

كانت هذه الحقيقة التي أدركتها الثورة الصينية ، وأغفلتها الثورة العربية أو الثورات الوطنية في الوطن العربي هي التي أدت الى عرقلة المسيرة الثورية حتى أدركها عبد الناصر وأعلنها في ميثاق 1962 .

**« كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين » .**

واستطاعت الثورة الصينية ، وبعدها الثورة العربية تحقيق انتصاراتها على العدو بالتأييد والمساندة من قبل الدول الاشتراكية .

وعندما بدأت مرحلة التحرر الاقتصادي قامت الجهات السياسية بغرض إغراء وتضليل العناصر المتذبذبة وتمزيق الجبهة الوطنية في نسف التعاون مع القوى الاشتراكية .

وكانت الثورة الصينية قد تنبهت الى هذه الاخطار من الناحية النظرية واعلنت :

**« ان كلمة « المواطنين » يجوز استخدامها ، ولكن لا ينبغي الا تشمل على المعادين للثورة والخونة » .**

ثم حذرت من الاغراء الاقتصادي الذي تقوم به الامبريالية ، فيما يسمى بـ « الادارة المشتركة للمؤسسات الاقتصادية»، فيسمح الغزاة الامبرياليون للرأسماليين بمساهمة قدرها 51% من رأسمال مثل هذه المؤسسات ، حيث يكون رأس المال الاجنبي 49% ، أو العكس أي يسمحون لرأس المال الاجنبي بمساهمة قدرها 51% ولرأس المال الوطني بـ 49% .

إن بعض الرأسماليين العديمي الضمائر الذين أغرتهم الارباح ينسون كل المبادىء الاخلاقية متلهفين الى الدخول في التجربة . كما تندفع وراءهم فئات أخرى متخفية في معسكر الثورة . ويبيعون جميع مصالح الامة للعدو مقابل 49% او 51%

وخرجت الصين خلال نضالها المسلح بنتائج هامة ضمنتها أربع مجلدات وجاء فيها :

**●الفترة الحالية هي فترة تبذل فيها الامبريالية محاولاتها الاخيرة ، وهي تعالج سكرات الموت ، إذ أن « الامبريالية هي الرأسمالية المحتضرة » . ولهذا السبب بالضبط تعتمد الامبريالية أكثر من أي وقت مضى على المستعمرات وشبه المستعمرات من أجل البقاء ، ولن تسمح لاية مستعمرة أو شبه مستعمرة بأن تقيم أي مجتمع رأسمالي .**

**● ان الدول الامبريالية في العالم جميعها اعداؤنا ، اذا كانت الصين تريد استقلالها فانها لا تستطيع بتاتاً الاستغناء عن مساعدة الدول الاشتراكية . وهذا يعني انها لا تستطيع الاستغناء عن مساعدة الاتحاد السوفييتي .**

**● ورغم أن جماهير المثقفين الثوريين الواسعة في الصين يمكن أن يلعبوا في الثورة دور الطليعة والجسر ، الا انه لا يمكن ان يسيروا جميعاً في طريق الثورة حتى النهاية . إن بعضهم سوف يهجر صفوف الثورة ويقف منها موقفاً سلبياً متى وصلت الى اللحظة الحرجة ، وأن عدداً قليلاً منهم سوف يصبح من أعداء الثورة .**

إن هذه الحقائق التي استخلصت من تجربة الثورة الصينية ، لم تجنبها الهوة التي سقطت فيه ثورتها عام 1927 ، فما كادت الثورة تحرز الانتصار بفضل دماء

وجهود العمال والفلاحين حتى ركلت الرأسمالية الصينية بزعامة البرجوازية الكبرى هذه الجماهير الشعبية جانباً واستأثرت بثمار الثورة وشكلت حلفاً مضاداً للثورة مع الامبريالية .

وما أن ظهر هذا التحالف الرجعي وسيطر على « الحزب » في الصين ، حتى أغلقت المصانع بدعوى أنها تكبد الصين خسائر ، وأصبح اكثر من 25 مليوناً عاملاً عاطلاً .

**الثورة ـ الثورة**

إن النكسات التي حدثت في العالم الثالث . لم تؤثر في سيرة حركة التحرر الوطني ، وان كانت قد عرقلت الخطوات في بعض اجزائها . ففي امريكا اللاتينية ، استمرت الثورة في كوبا متحدية عنجهية القوة الامريكية . وانتصرت نيكاراغوا على السفاح والعميل الامريكي سموزا وفي آسيا تحررت فيتنام وكامبوديا ولاوس . كما قضي على الاستعمار والقطاع في افغانستان . وقضت اليمن الجنوبية على كل الوان التبعية السياسية والاقتصادية .

وفي افريقيا انتصرت انجولا وموزامبيق . وسقط حكم هيلا سلاسي وبدأت أثيوبيا مسيرتها نحو الاشتراكية .

لقد أعطت هذه الثورات لحركة التحرر دفعاً جديداً أمام الهجمة الشرسة للامبريالية كما أوضحت طريق الانتصار .

ففي كوبا أعلن كاسترو في 15 ابريل ( نيسان ) عام 1959 .

**« لسنا شيوعيين ، نعم ، لقد قلت ذلك بصورة قاطعة . إن ثورتنا تستلهم المبدأ الديمقراطي . فلا ديكتاتورية لفرد ، ولا ديكتاتورية لطبقة ، ولا دكتاتورية لاصناف معينة من الناس ، بل حرية مع الخبز دون رعب . تلك هي الانسانية » .**

وفي مايو 1959 يعلن كاسترو أول اصلاح زراعي . ويبدأ ملاك الارض بتسليح الثورة المضادة وتنحاز اليهم الولايات المتحدة وتهدد بتخفيض مشترياتها من السكر . ويهدد اصحاب البنوك الوطنية بحجب الاعتمادات عن المزارعين . ويتقدم الاتحاد السوفييتي لتمويل كوبا بالبترول . وترفض الشركات الامريكية تصفية البترول السوفييتي . ويرد كاسترو بالاستيلاء على شركات « استندارد اويل وشل » . ويصوت

مجلس الشيوخ الأمريكي على قانون يوقف استيراد السكر الكوبي . . وكاسترو لا يتخاذل ، فيصادر في اليوم التالي كل الممتلكات الامريكية . وفي 7 اغسطس ( آب ) 1960 تؤمم كوبا كل المشاريع الامريكية القائمة في الجزيرة .

ويبدأ المعادون للثورة ، تساعدهم الولايات المتحدة في القيام بسلسلة من العدوان . وتتابع أعمال التخريب ، وتحرق بعض مزارع القصب . غير أن الشعب مصمم على حماية ثورته ، فينزل الى الشارع ويطالب باقامة محاكم ثورية .

وجاء نجاح المعركة ضد الامية عام 1961، ليزيد من قيمة الثورة الكوبية ويكذب هجمات الامبريالية .

وفي 17 تشرين الاول ( اكتوبر ) عام 1961 يعلن كاسترو في التلفزيون .

**أن الثورة أتمت مرحلتها الأولى لتدخل في مرحلة جديدة .**

**« ان الاساليب التي استخدمت في المرحلة الاولى يجب أن تكون بالضرورة مختلفة عن تلك التي يجب تبنيها في الثانية . لقد كان علينا أن نستخدم أساليب عنيفة . ولم يكن بالامكان أن نعيش بانسجام مع الامتيازات الاجنبية ، ومع كبار الملاكين . وكان ينبغي تصفيتهم . وكان علينا فوق ذلك أن نصفي سلطة أقلية كانت قد استطاعت الهيمنة على الحركة الاقتصادية والسياسية واستخدامها لكي تسرق وتظلم . إن سلطة الامتيازات الكبيرة في كوبا قد انتهت الى غير رجعة . وقد صفيت أقلية من الممتازين على الصعيد الاقتصادي وكذلك على الصعيد السياسي » .**

غير أن الامبريالية والثورة المضادة ، لم تصمت . فقامت الطائرات « من جهة مجهولة » بالغارات على مطارات كوبا . وحدث الهجوم الامبريالي الكبير على خليج الخنازير بوساطة المرتزقة وتم دحره . وكما قيل « اكتسبت الثورة مزيداً من التألق » .

وكتب هـ . اليج في كتابه « كوبا الظافرة » :

**« . . ولكن ردود فعل الولايات المتحدة كانت هي نفسها تثيرها الصورة الجذرية التي كانت تتخذها الثورة بدافع من الطبقة العاملة ، وطبقة الفلاحين . ومن الممكن أن يكون كثيرون من الثوريين لم يشعروا شعوراً واضحاً جداً بان الطريق المتبع كانت تؤدي الى الاشتراكية . ولكن اولئك وهؤلاء ، حتى ولو لم**

يكونوا يعرفون هم أنفسهم النظرية ، ولا بد أنهم أدركوا أن التجربة التي كانوا يعيشونها ، والتي كانوا هم صناعها ، كانت تؤكد صحة نظريات الاشتراكية العلمية » .

وكانت هذه هي النتيجة التي توصل اليها عبد الناصر في نفس الوقت تقريباً ، وأعلنها في الميثاق عام 1962 في حتمية الحل الاشتراكي » . فاعلن :

« ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » .

وتحدث « كاسترو » عن هذا المنهج . وكيف توصل الى هذه الافكار التي أدت الى إنتصار الثورة الكوبية التي لا يتجاوز تعداد شعبها ستة ملايين ولا تبعد عن قلعة الامبريالية الا بضع عشرات من الاميال ؛ فقال :

« ان الافكار الاشتراكية ، التي هي الافكار الثورية للمرحلة التاريخية الحاضرة ، قامت بالنسبة الى قسم كبير من شعبنا ـ ولنقل بصراحة مطلقة بل بالنسبة الى قسم كبير من العمال ، كانت تخيف باسمها وحدة . إن الدعاية التقليدية الضخمة ، والاستبدادية التي كنا ضحاياها بل إن مؤامرة الكذب الكبيرة التي نمتها الامبريالية في بلادنا ، كانت تجمد الناس ، وحتى أولئك الذين لم يكن لديهم ما يفقدونه في ثورة ذات طبيعة اشتراكية بل على العكس كان لديهم فيها ربح . كانوا على شيء من الخوف وكثير من الحذر تجاه الكلمة ، تجاه الوصف ، تجاه اللفظة ، لاتجاه الواقع . وهكذا جرت الأمور في كوبا ، فلقد أممت الصناعات الرئيسية والمصارف .

وتم حصر التجارة الخارجية في يد الدولة ، أي ان القسم الاكبر من اقتصادنا الصناعي ، ومصارفنا ، وتجارتنا الخارجية ، دخل في القطاع الاشتراكي وكان الشعب والطبقة العاملة يؤيدان تأييداً تاماً هذا التحول في اقتصادنا . لقد تضامن الشعب مع هذا التغيير . وفي ذات يوم ، اكتشف ، أو اتضح له ـ أن ما صفق له ، وما يدعمه ، وما كان نصراً تاريخياً كبيراً للشعب الكوبي ، أي هذه الثورة التي جاءت بمثل هذه التغييرات . كانت ثورة اشتراكية » .

### الثورة والجريمة

هناك ثورة لا تقل روعة عن ثورة « كوبا » هي « الثورة الفيتنامية » . إن هذه

الثورة التي لازمت الثورة العربية في نضالها ضد الاستعمار القديم . ولاقت ما لقيه الشعب العربي من الاستعمار الجديد . تكشف لنا كيف يكون الانتصار . وكيف تكون المواجهة مع الخونة في الداخل والامبريالية العفنة في الخارج .

فكما حدث في « ثورة مصر » عام 1919 ، عندما قام الوفد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى يطالب بالاستقلال . ظهر فيتنامي يسمى « نجوين أي كووك » وهو الاسم الذي اتخذه « هوشي منه » . . يطالب بحق تقرير المصير لفيتنام .

ويصف أحد رفاقة الغرفة التي كان يعيش فيها في باريس .

**« وسرت خلفه الى غرفة . كانت شقة لشخص واحد ، مؤسسة بطريقة غاية في التواضع . وفي ركن من الغرفة منضدة تختفي تحت أكوام من الكتب والصحف والمجلات . وبالقرب منها سرير من الحديد ، ودولاب صغير ، ولا شيء غير هذا . ولكنها نظيفة ومريحة . » .**

هكذا كانت بداية النضال . وهكذا مضت حياة « هوشي منه » حتى عندما وصلت شهرته الى كل بقاع العالم . ظل بسيطاً لا يعرف كلفة . عاش ومات كالانبياء من اجل رسالته « تحرير فيتنام » لم يعرف القصور . ولم يتذوق البذخ .

في عام 1962 أصدر كتابه « الطريق الثوري » . وتحدث عن القوى الثورية في فيتنام فيقول :

« ان الضغط يولد الثورة ، ولهذا كلما اشتد الضغط على الانسان ، ازدادت روحه الثورية قوة ، وازداد تصميمه الثوري صلابة لقد كان الاقطاع يضغط في الماضي على الرأسمالية ولهذا السبب حدثت ثورة ، والآن تضغط الرأسمالية على العمال والفلاحين ، والنتيجة هي أنهم اصبحوا القوى الحقيقية للثورة » .

وفي عام 1930 اعلن « هوشي منه » انشاء « الحزب الشيوعي الفيتنامي » . واعلن مبادئه :

- **اسقاط الامبرياليين ، والاقطاعيين ، وأعداء الثورة البرجوازيين في فيتنام وكفالة الاستقلال التام للهند الصينية .**

- **انشاء حكومة يشترك فيها العمال والفلاحون والجنود .**

● **مصادرة البنوك وغيرها من المرافق التي يملكها الامبرياليون واخضاعها لاشراف حكومة العمال والفلاحين والجنود .**

● مصادرة كل المزارع والملكيات التي يملكها الامبرياليون وأعداء الثورة من الفيتناميين البورجوازيين ، وذلك لتوزيعها على الفقراء .

● كفالة الحرية في كل صورها للجماهير .

● العمل ثماني ساعات في اليوم .

وفي عام 1945 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وجه « هوشي منه » نداء ، الى الشعب ناشده فيه القيام بالتمرد العام قائلاً :

**« لقد دقت الساعة الحاسمة في مصير الامة . أيها المواطنون في كل أرجاء البلاد . . لنهب جميعاً بكل قوتنا كي نحرر أنفسنا » .**

واستجاب الشعب بأسره للنداء وكان أشبه بفيضان عارم يحطم كل ما يصادفه من جسور . وثار الاهالي في كل مكان . وفي الشمال ، والجنوب ، في المدن والقرى في السهول والمناطق الجبلية .

وأعلن استقلال « فيتنام » ولكن ما حدث في مصر عام 1946 ، سبق وحدث في فيتنام عام 1956 فحاولت القوات الفرنسية إعادة احتلال فيتنام .

وبدأت « حرب المقاومة » . فقام الامريكيون بامداد الفرنسيين بكل ما يحتاجون اليه .

وقام الفرنسيون بتنفيذ الخطة الامبريالية الامريكية . وفي « **ديان بيان فو** » أروع معارك التاريخ ، كانت نهاية الاحتلال الفرنسي وهزيمة الامبريالية الامريكية في فيتنام .

وجاء قرار التقسيم ليفصل فيتنام الى قسمين . شمالي وجنوبي . وأرادت الولايات المتحدة أن تحتفظ بالقسم الجنوبي . وبدأت معارك جديدة . ولجأت الولايات المتحدة ـ بشهادة أبنائها ـ الى أبشع الجرائم لتحافظ على مصالحها ! أي على استغلال شركاتها لشعب فيتنام الجنوبية ونهب ثرواته .

وتقرأ في كتاب « جرائم الحرب الامريكية »، الذي وضعه الفيلسوف

الانجليزي « برتراند رسل » نبذأ من هذه الجرائم إقتبس نصوصها من الصحف :

« انها حرب قذرة ، حرب وحشية ، بنفس قذارة ونفس وحشية الحرب التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر » .

« ذي نبشون 19 /1/ 1963

«من المؤكد أن النابالم الذي استخدمه السلاح الجوي في فيتنام قد أدى الى موت أشخاص أبرياء في كل الحروب » .

« نيويورك تايمز » 8/4/ 1963

وننتقل مع « رسل » من الحرب الى معسكرات الاعتقال والتعذيب . ويقدم لنا قصة مدام « نجوين في تهو » التي قبضوا عليها في أوتوبيس لانها تكلمت مع الركاب : « كانوا يضعون ثعابين سامة في فروج النساء ، فيفقدن الحياة بعد آلام فظيعة . كانوا يدخلون الزجاج المكسور في فروج المسجونات ، فيفقدن الوعي وينتهين بشكل عام الى الموت . وكان الحراس يغرسون المسامير الحديدية تحت الاظافر ولا يتركون ظفراً واحداً ، ثم يربطون الاصابع ويغمسونها بالبنزين ويشعلون فيها النار » .

ثم يقدم الفيلسوف الانجليزي ، قصة ضرب الطائرات الامريكية لمدرسة « هونج فوك » التي تكررت في مصر بالغارة الجوية على مدرسة « بحر البقر » . فقالت مدرسة اسمها « تاي فان تام » .

« كانت أشلاء الملابس والكتب والادراج تطير عالية جداً في الهواء ، لدرجة أن كل العالم في الاماكن المجاورة عرف أن المدرسة ضربت بالقنابل ، وهناك تلاميذ تمزقوا قطعاً نتيجة الانفجارات ، وأطفال عديدون هبطوا داخل الارض ، وجدت نفسي بين عدد من دفنوا أحياء وأخرجوني فيها بعد ، وأعادوني الى وعيي .

كانت اشلاء من الاطفال تبرز من الارض ، وكنا نعثر على رؤوسهم على مسافة 20 متراً من هنا ، وأحشاؤهم مبعثرة في كل جهة ، ورأيت اثنين من أطفالي معلقين في نخلة ، كان الانفجار قد قذفهما عليها ، وأطفالاً آخرين التصقت جثتهم بحواجز الخنادق وامتلأت هذه الخنادق بالدم . كان الاطفال يمسكون بكتبهم فيضغطونها بقوة على قلوبهم . واختلطت الكتب بالدم الى جانب الحبر ، وكنا

**نستخرج من الركام اطفالاً ينطق بعضهم بعدة كلمات قبل أن يتدفق الدم من أفواههم . واستطاع أحد الاطفال الذين دفنوا أن يستعيد شعوره لحظة بعد اخراجه ، فسأل عن عدد أصحابه الذين ماتوا ، ثم لم يلبث أن سقط بسبب الدم الذي ينزفه . »**

هذا هو النظام العالمي للاستعمار . والذي يمثل استثماراً عملاقاً مخصصاً للاستغلال والسيطرة . ويستخدم هذا النظام أيضاً جيشاً سرياً هو وكالة المخابرات المركزية ، التي قامت بفرض عصابات من الجنرالات الرجعيين الخونة حكاماً ، وخلال سنوات عديدة قدمت الولايات المتحدة الاسلحة والتأييد الى سموزا في نيكارجوا وتروخيللو في الدومينكان وهما أمثلة لما وصل اليه الحكام من اتباع امريكا ، الى أبشع درجات الهمجية والشراسة في العصور الحديثة .

ويقول برتراند رسل في كتابه . .

« ولننظر الى نوع الحكومات التي تعتمد في وجودها على قوة الجيش الامريكي : إنها دائمًا حكومات تدعم الاغنياء والملاك العقاريين وكبار الرأسماليين . هذا هو الحال في البرازيل ، وفي بيرو وفي فنزويلا ، وفي سيام ، وفي اليابان ، وفي كوريا الجنوبية وهذا هو الحال في العالم أجمع » .

أي نوع من الحكومات هذه التي تدعمها الولايات المتحدة ؟ يكشف الحزب الفيتنامي الديمقراطي في سبتمبر ( ايلول ) عام 1963 عن حكومة فيتنام الجنوبية التي كانت قائمة فتقرأ في تقرير :

**« أميط اللثام عن شبكة واسعة للتهريب ، من أبرز شخصياتها مدام ترانكان وهي زوجة جنرال معروف . »**

وذكرت صحيفة « نيويورك هيرالد تريبون » في فبراير 1964 :

**« تباهى الجنرال خانة بانه يملك عشرة ملايين دولاراً وانه يستطيع أن يهرب من البلاد ليحيا حياة مرفهة إذا أراد . »**

ولعل أوضح مقال هو الذي صدر في مجلة « افيشن ويك » في 6 ابريل عام 1964 .

**« هناك شركة نقل بالطائرات هي « اير امريكا » المسجلة في ديلا وير ، وهي**

**حالياً الاداة الرئيسية لتوسيع الحرب في لاوس وكمبوديا وفيتنام الشمالية . هذه الشركة تستخدم حوالي مائتي طائرة ، وتحمل القوات الفيتنامية الجنوبية الخاصة الى مختلف الجهات ، وفي رحلة العودة تحمل شحنة من الافيون لنقلها بعد ذلك الى أسواق الولايات المتحدة ، في طائرات ضخمة من طراز بوينج . وهذه الطائرات تعمل تحت قيادة الجنرال الامريكي هاركتر ، وطياروها عسكريون أمريكيون سابقون » .**

وكانت اسرة « نجو دينه ديم » وكذلك أسرة زوجته « نهو » اللذين دافع عنهما الامريكيون من الاسر الثرية الذين فروا من فيتنام الشمالية ، ونصبت لتحكم فيتنام الجنوبية . وكانوا يمثلون مجموعة من الملاك العقاريين والفئات الكهنوتية والكاثوليكية التي اتخذت الدين تجارة .

وعلى الرغم من ذلك كله ، انتصرت فيتنام . وحققت التحرر الكامل الاقتصادي والسياسي . وأصبح الشعب سيداً لثروة أرضه كما حدث في كوبا من قبل .

**الى أين ؟**

والسؤال الذي يتبادر .. العالم الثالث .. الى أين ؟ أو بمعنى أدق العالم العربي الى أين ؟

في رده على سؤال خلال انعقاد المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي عام 1968. كان السؤال .

« هل ما زالت سياسة عدم الانحياز هي السياسة المثلى بالنسبة لنا ؟»

وجاءت اجابة عبد الناصر محددة .

**« لا زالت هذه السياسة هي السياسة المثلى لنا لعدة أسباب أن إحنا بالنسبة للعالم الثالث الدول غير المنحازة كلها أو اغلبها تؤيدنا وفي نفس الوقت الكتلة الشرقية . والاتحاد السوفييتي لم يقصر أنه في يدينا كل المطالب اللي احنا عايزينها سواء بالنسبة للنواحي العسكرية أو حتى بالنسبة للنواحي الاقتصادية .**

**سياسة عدم الانحياز يعني إيه ؟ اذا كانت امريكا تقف ضدنا مش معناها إن**

**أنا باقول ان سياستي عدم الانحياز ان انا ما اتعرضش لمريكا . لا اللي بيقف ضدي با اتعرض له وأهاجمه وأقول رأيي فيه بصراحة وأقول انه عدوي وان الولايات المتحدة تساند اسرائيل . وهي تعادي العرب . كوني أقول هذا الكلام ده برضه لا يؤثر مطلقاً على سياستي في عدم الانحياز لأن هذا العمل من ناحية الولايات المتحدة الامريكية هو بمثل عدوان سواء سياسي أو في أي مجال من المجالات الاخرى » .**

ولم يتوقف عدوان الولايات المتحدة ضد مصر . وظل يتصاعد لضرب حركة التحرر فيها ، ودعم عصابة السادات ، والمقاولين العرب حتى تم لها ضم مصر تحت مظلتها .

وتم توقيع « معاهدة الاستسلام » في كامب ديفيد ، وتدفق الافاقون الاجانب والصهيونيون بعد أن فتح لهم « الخونة » الابواب .

فهل معنى ذلك أن العالم الثالث ، وصل الى نقطة الاختيار التي حددتها الثورة الصينية أثناء نضالها ضد الامبريالية . والذي جاء في مقال « حول الديمقراطية الجديدة » الذي كتب عام 1940 .

**« ازاء الوضع الراهن ، فان جميع الابطال في المستعمرات وشبه المستعمرات إما أن يقفوا الى الجبهة المناهضة للامبريالية ويصبحوا جزءاً من القوى المضادة للثورة في العالم ، واما أن يقفوا الى الجبهة المناهضة للامبريالية ويصبحوا جزءاً من القوى الثورية في العالم . ولا بد لهم أن يختاروا بين هذين الطريقين ، وليس ثمة طريق ثالث » .**

إن مسيرة الاحداث بالنسبة للعالم الثالث أصبحت تحدد طريقه . . ففي « انجولا » استعانت حركة التحرير بدول المعسكر الاشتراكي لمواجهة عدوان النظام العنصري في جنوب أفريقيا والمرتزقة العاملين مع المجموعات الرجعية .

وذكر الرئيس نيريري أن«الدول الاشتراكية هي التي ساعدت بحركات التحرر الافريقية طوال نضالها ضد القوى الاستعمارية ، وكنا جميعاً ندعمها لمساعدة هذه الحركات » .

وفي اليمن الجنوبية أوشكت الولايات المتحدة ان تحقق انقلاباً لمصلحة أمريكا

لولا تدخل القوات الاشتراكية ومساندتها للقوات الثورية .

وفي افغانستان قام الخائن « حفظ الله امين » بقتل رفيقه « تراكي » وملأ السجون بالاحرار ولم يتحرك صوت ضده . وعندما لقي الخائن جزاءه هاجت الدول الرأسمالية ، وأخذت تمول الاقطاعيين وتمدهم بالمرتزقة والسلاح .

وارتفعت الاصوات تدافع عن الشعب الافغاني . فهل يمكن لشعب ان يرفض أرضه من الاقطاعيين . او ثروته من أيدي اللصوص !

ووقف العالم الرأسمالي يتفرج على ضياء الحق الرئيس الباكستاني وهو يعذب ويعدم ذو الفقار علي بوتو .

وما زال ضياء الحق يتصدر اجتماعات « المجموعة الاسلامية » ويلقي التأييد من الولايات المتحدة . ولا يرتفع صوت واحد من أجل حقوق الانسان . ففي باكستان ثلاثة عشر زعيمًا من زعماء الاحزاب في السجون وما زال البوليس يطارد الاخرين . واعتقلت أرملة علي بوتو وابنته . واغلقت الصحف وشرد الصحفيون وما زالت باكستان كما قيل « لا تنتمي الى القرن الذي تعيش فيه بل هي تنتمي الى العصور الوسطى » .

ولم تكن افغانستان تقل تخلفاً عن باكستان . ولهذا أصبح التطور في افغانستان يثير قلق باكستان . وارتفع شعار « الدفاع عن الاسلام » . وكأن الاسلام يحمي الفقر والتخلف والارهاب !

إن الولايات المتحدة التي فقدت السيطرة في جنوب شرق آسيا . نقلت ثقلها الى الشرق الاوسط وأفريقيا . وتحاول ان تعوض خسائرها في فيتنام وكوبا وغيرهما من ثروات الشعب العربي .

ففي الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار المعيشة في مصر ، وكانت مصر قد قررت خفض انفاقها العسكري ، عقدت قرضاً أمريكياً لتحديث قوة مصر العسكرية يتراوح قيمته بين 3 ـ 6 مليارات دولاراً.

وما زالت الاسلحة تتدفق على كل اقطار الوطن العربي . وتستنزف ثرواته . . وتتدفق في أعقابها الشركات المتعددة الجنسية .

وكان نتيجة ذلك أن بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . 400 مليون

انسان في حالة يصفها البنك الدولي بـ « الفقر المدقع » . والذين يستفيدون من جوع هذه الملايين ، وما اكثرهم يسعون لتجميد الوضع على حاله ، لابقاء الفوارق قائمة بين العالم الرأسمالي والعالم الفقير . فان شعب الولايات المتحدة الذي لا يمثل اكثر من 6% من سكان العالم يستهلك 35% من خيرات الارض .

وتقول دراسة نشرت في أحدى الصحف العربية .

« إن انتاج بعض دول العالم الثالث زادت بنسبة 30% خلال السنوات العشرين الماضية ، بينما لم تزد قيمة المدخول الحقيقي لهذه البلدان بأكثر من 4% . والامثلة كثيرة في هذا المجال . ففي تنزانيا مثلاً أعلنت الحكومة أنه في عام 1963 كان الفلاح في حاجة لانتاج 5 أطنان من الليف يستطيع شراء جرار زراعي . أما في عام 1970 فأصبح على الفلاح أن ينتج 10 اطنان من الليف لشراء نفس الجرار » .

وهكذا ، بالنسبة للكاكاو في غانا . أو القطن في السودان . والحلقة المفرغة مستمرة ، فالشركات المتعددة الجنسية تقوم باستغلال دول العالم الثالث من خلال المزارع والمصانع التي تنشئها في هذه الدول ، حيث توجد الاراضي الخصبة والايدي العاملة الرخيصة . ومنتجات هذه المزارع يجري تصديرها نحو البلدان المتطورة لتحويلها الى منتجات استهلاكية يعاد بيعها في اسواق الدول التي انتجتها في البداية .

فلاحو العالم الثالث ليسوا « كسولين » أو « لا يحبون العمل » ، إنما مشكلتهم أنهم لا يملكون وسائل الانتاج . وهذا يعني أن نمط الملكية العقارية هي المتخلفة وهي التي تمنع الانتاجية في العالم الثالث .

وأصبح شكل الحكم الذي تريده الولايات المتحدة ، هو الذي بقيمة اصحاب انماط الملكيات العقارية تدعمه العصابات العسكرية . وتنسف المصانع أو تغلق أو تسد الطريق امام مصادرها .

وتشاهد في الدول العربية اليوم ، المآذن الحديدية ترتفع لاقامة العمارات الشاهقة أو الفنادق الفخمة أو الطرق العلوية . ولا تجد إتجاهاً نحو التصنيع الحقيقي .

الفصل الثامن

# خيانة الحليف!

«لا تأخذوا أي سجناء... أقتلوهم!»
شاه ايران
رضا بهلوي

# خيانة الحليف!

بدأت مرحلة « الردة»، او مرحلة « الخيانة » بعد انتهاء حرب 67 مباشرة . فشلت أمريكا في تحقيق أهداف المؤامرة التي أعدها شمس بدران وجماعة العسكريين ، فبعد أن سلموا السلاح الى العدو في سيناء ، أسرعوا بالعودة الى القاهرة لتنفيذ الانقلاب . ولكن « مؤامرة الانقلاب » ، فشلت ولم يسقط عبد الناصر كما سقط نكروما . وكما سقط سوكارنو من قبل .

وبدأت حرب الاشاعات والتشكيك في الجيش المصري والقاء اللوم على السلاح السوفييتي . والطعن في القطاع العام .

وتحقق ما قاله عبد الناصر .

**« فيه حزب رجعي موجود في البلد وأن هذا الحزب الرجعي موجود ومنظم مستعد في أي وقت أن ينقض على هذه الثورة حتى يستعيد ما أخذته هذه الثورة » .**

وأعلن عبد الناصر أن الهدف من العدوان الاسرائيلي هو القضاء على الثورة الاجتماعية . الثورة الاشتراكية التي تصدوا لها بكل الوسائل . . بمحاولات الاغتيال . وبالمؤمرات وبقطع المعونات ولم يكن أمامهم الا اسرائيل . وقال ناصر :

**« لم يكن احتلال الأرض هو الهدف الاصيل للعدوان الاستعماري الصهيوني ، إنما احتلال الارض هدف جزئي يسعى به الى تحقيق الهدف الاصيل وهو تصفية الثورة العربية عامة » .**

**التمهيد للخيانة**

في اعقاب النكسة ، وأمام المؤتمر العام للعمال . قال عبد الناصر :

**«في مثل هذه الأوقات التي تمر بها تظهر قوى انتهازية كبيرة، ناس كانت بتشتغل بوش وتشوفها النهاردة بتشتغل بوشين، سن شيء غريب أوي أن إحنا نشوف النهاردة الناس بتشتغل بوشين، ما هو بيقول لك أنا أمسك العصايا من الوسط هو أنا عارف حا يحصل إيه؟ ما هو الاستعمار قوى الاستعمار، قادر وبقول لك امريكا قادرة تعمل وأمريكا قادرة تغير أمريكا مش حاتسيبنا. طبعاً ده يبقى يمثل الانتهازيين».**

والحقيقة، لم يكن الانتهازيون وحدهم الذين ظهروا في الصورة بعد النكسة، بل قامت العناصر الرجعية الاقطاعية، والذين أثروا من الثورة، والعملاء القدامى بدورهم. أدركوا أن نكسة 67 إشارة لهم بالحركة. وأرادوا أن يحققوا ما لم تحققه النكسة. وبدأوا بالتحضير الفكري أو تهيئة الرأي العام. إن هؤلاء الخونة، نادوا وهم يتلفعون برداء الناصرية، بشعار «المعركة الوطنية قبل المعركة الاجتماعية» ثم شعار «تحييد امريكا»، ثم التشكيك في دور «الوفاق الدولي» وجعلوا منه نظرية لتقسيم العالم. ووصلوا الى غايتهم بشعار «القوتين العظميين»!

وأصبح الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في موقف واحد بالنسبة للقضية العربية، وكان ذلك تمهيداً للخطوة التالية، وهي استبدال الحليف بالعدو.

كان كبير مراسلي «نيوزويك» الامريكية، قد وصل الى القاهرة واجتمع بعدد من الصحفيين المصريين بعد النكسة، وطلب منهم صراحة العمل من أجل إخراج السوفييت من مصر. قائلاً:

«أنا لا أطلب منكم وقف الهجوم على امريكا. بل استمروا. ولكن إعملوا على إخراج السوفييت»!

وكان عبد الناصر يرد على هذه الاتجاهات. فقال في لقاء مع الضباط والجنود في إحدى القواعد العسكرية:

**«الاصدقاء في الاتحاد السوفييتي وقفوا معانا في جانبنا في وقت الشدة، ولولا هذا ما كناش نقدر نقعد النهاردة في هذه القاعدة ونشعر بالاطمئنان».**

**وقال أيضاً:**

**«صداقة الاصدقاء أدت دورها، صداقة الاصدقاء تؤدي دورها في نواحي**

مختلفة، بالنسبة للدول الغير منحازة. وقفت معانا في الأمم المتحدة، في العمل السياسي بالنسبة للدول الآسيوية والافريقية وقفت معانا».

فهل كان ذلك يدخل في نطاق «الوفاق الدولي».

كانت «نظرية الوفاق» تطويراً لمفهوم التعايش السلمي الذي نادى به الاتحاد السوفييتي منذ قيامه. وطالب بتعايش النظامين الرأسمالي والاشتراكي... وعلى الرغم من مطالبته بهذا التعايش، لم يتوقف عن تأييد حركة التحرر الوطني، ومد الثورة التركية بزعامة كمال أتاتورك بالمعونات. وأيد وساند افغانستان في نضالها لطرد المستعمرين. وبعد الحرب العالمية الثانية استمر الاتحاد السوفييتي في سياسته المؤيدة لشعوب المستعمرات. ولم يوقفه التعايش السلمي أو الوفاق الدولي عن مساندة مصر عام 1956، أو 73. ولم يتردد عن تزويد فيتنام بكل ما تطلبه من سلاح أو تموين وهبت الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي لنجدة مصر بعد النكسة عام 1967. وفي ظل الوفاق الدولي حققت كثير من الدول الآسيوية والافريقية استقلالها.

ولكن الذين أرادوا التشكيك في «الوفاق الدولي»، كانوا يهدفون الى أبعد من ذلك.

**قوتان... أم اتجاهان**

ارتفع شعار «القوتين الأعظم» وكان تمهيداً لسياسة «التفرد الامريكي». ولعبت فكرة قوة الولايات المتحدة دورها. وتحدثوا عن القوة العسكرية التي لا تقهر وجبروت الولايات المتحدة العسكري. وشبهوا النضال ضد الامبريالية الامريكية «بمناطحة الثور للجبل»!

وأنبرى اليسار الزائف، وأكد بالفعل أنه أشبه «بالفجل الأحمر» أبيض من الداخل وأحمر من الخارج. وأخذ يفلسف للمدرسة الساداتية كبديل للمدرسة الناصرية.

وبدأ التشكيك في الانجازات التي حققتها مرحلة «التحرر الوطني» وظهرت المقالات عن مشاكل النيل والسد العالي... وخسائر القطاع العام... وفشل التصنيع... وتأكد ما قاله لينين:

**«إن أخطر شيء بهذا الخصوص أولئك الناس الذين لا يرغبون في إدراك واقع أن النضال ضد الامبريالية هو عبارة زائفة جوفاء اذا لم يرتبط ارتباطاً لا ينفصم مع النضال ضد الانتهازية».**

«خرجت الانتهازية من تحت رداء الناصرية، لتبشر بالمرحلة الجديدة، مرحلة «سيادة القانون» و «الانفتاح». وكان شعارها «إكذب وأصرخ وأخلق ضجيجاً وكرر الكذب، فإن شيئاً من ذلك كله يبقى». وكان الهدف عزل مصر والوطن العربي عن الاتحاد السوفييتي. وعاد العداء للدول الاشتراكيه.»

فهل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، قوتان، أم إتجاهان؟.

تجاهل أصحاب هذه النظرية... أي نظرية **«القوتين الأعظم»**، الأختلافات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وبالتالي العسكرية، لكل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

وظهرت من جديد كلمة «روسيا» كبديل لاسم «الاتحاد السوفييتي، حتى يعودوا الى عصر ما قبل ثورة 1917 . ويتساوى بذلك النظامان من وجهة نظرهم في وضعهما الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. فلا فرق بين نظام إشتراكي ونظام رأسمالي! ولا فرق بين الملكية العامة لوسائل الانتاج، والملكية الخاصة التي يستأثر بها أفراد أنانيون. ولا فرق بين نظام يقبع على قمته حكومة تمثل أصحاب الملايين ونظام تحكمه حكومة تمثل العمال والفلاحين.

وكان هذا تمهيداً لشق الحركة الوطنية في مصر عن الحركة الثورية العالمية، وبذلك تحقق ما أرادته الامبريالية الامريكية، من فرض نظرية «التفرد الامريكي» الذي تفرضه الولايات المتحدة على شعوب العالم.

واستند أصحاب نظرية «القوتان الأعظم» أو «مبدأ التفرد» الى جملة من الملابسات الفعلية، كالقدرة الاقتصادية، والمستوى المرتفع لتطور الانتاج الصناعي، والتطور التكنولوجي و مستوى المعيشة. وتجاهلوا الطبيعة الامبريالية للاحتكارات الامريكية. ودورها في نهب الشعوب. وممارستها لدور «الشرطي» لحماية النظام الرأسمالي وضرب حركات التحرر. أو مواقفها في دعم الكيان الصهيوني.

أن أصحاب نظرية «القوتين الأعظم» انتقلوا بعد ذلك الى نظرية «الواقعية

السياسية»، وسرقوا من الماركسية شعاراتها، وتحدثوا عن «فن الممكن» ومراعاة واقع الأمور.

وقـام هؤلاء الانتهازيـون بـ «التحضـير الفكـري» أو تهيئـة الـرأي العـام للاستسلام.

ففي الوقت الذي بدأ «هيكل» نشر مقالاته عن «اللاحرب واللاسلم» ويهاجم الاتحاد السوفييتي على أنه أحد المستفيدين من حالة «اللاحرب واللاسلم»، كان الفريق صادق يؤجج العداء للسوفييت بين الضباط. ففي الوقت الذي كانت مصر تلح على الاتحاد السوفييتي في تزويدها بالسلاح. وأرسل الاتحاد السوفييتي رسالة الى السادات قال فيها:

**«لعلكم تذكرون، يا سيادة الرئيس، ان القيادة في كل من بلدينا قد اتفقت على ضرورة الحاجة الى تقوية زحفكم الى الأمام وتدعيمه، وزحف كل القوى التقدمية في الشرق الأوسط. ونشعر بأن من حقنا أن نذكركم بهذا لانكم انتم انفسكم قد تحدثتم الينا عن النشاطات المتزايدة للقوى الرجعية داخل مصر وعن الجهود التي تبذلها العناصر اليمينية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالتحالف مع الاستعمار، لوقف زحف مصر على الطريق التقدمي والعودة به الى الوراء فإلى اين تتجه مصر؟ الى اين تساق بأيدي قوى من داخلها وخارج حدودها؟ وما الذي ستكـون العلاقـات بيننا في المستقبـل؟ هذه هي الأسئلة التي تثـير القلق لـدى أصدقائكم وتقدم التشجيع لأعدائكم».**

ولكن السادات نفسه، كان من العناصر اليمينية، كان على اتصال بالعدو الامريكي، وتلقى رسالة سرية من واشنطن. تقول:

**«تستطيع الآن أن تهدأ، وأن تفعل ما تشاء، ولكن عليك أن تذكر دائمًا ان مفتاح الحل هنا».**

وصدر القرار بسحب الخبراء السوفييت من مصر. وكانت هذه هي الخطوة العمليـة الثانيـة، بعد خـطوة «15 مايـو» التي مهدت لضـرب الخط الناصـري التحرري.

ان الخط الرجعي العدائي للاتحاد السوفييتي، جاء من رغبة العودة الى سيطرة

الملكية الخاصة و «النشاط الحر » لأصحاب رؤوس الأموال . واتجاه الـرجعية العربية الى التحالف مع الغرب الرأسمالي في نهب مصر. فيقول هيكل أحد منظري «هذه الحقبة».

هل كانت مجرد صدفة أن الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي كان في زيارة لواشنطن قبل ان يصدر الرئيس قراره بسحب الخبراء مباشرة، كذلك، فإن كمال أدهم كان في ذلك الوقت في زيارة القاهرة».

وتحقق تنبوء عبد الناصر الذي جاء في الميثاق:

**«ان الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة، وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية».**

**الغاء المعاهدة**

توج «السادات» موقفه من «الاتحاد السوفييتي» بـ «الغاء معاهـدة الصداقـة المصرية- السوفييتية».

وكما مهد هيكل بمقالاته الى سحب الخبراء السوفييت، قام جيل آخر من المرتزقة بالتمهيد لألغاء المعاهدة. وبدأت «الأخبار» تتحدث عن المخطط السوفييتي. وتحدثت عن وصاية الاتحاد السوفييتي لجبهة الرفض.

وكان لقرار الغاء المعاهـدة صدى في جميـع انحاء العـالم. ولم تنس اذاعة «كولونيا» ان تذكر السادات بماضيه الفاشي. فقالت:

**«على حد تعبير السادات ان هذه المعاهدة لم تكن سوى قصاصة من ورق».**

وقالت «الصنداي تايمز»:

**«مصر أدارت ظهرها للاتحاد السوفييتي ولم تستفد من انفتاحها على امريكا».**

**«مصر تقطع كل الجسور مع الاتحاد السوفييتي ولكنها لن تحصل على تعويض كافٍ من الغرب».**

ونشرت صحيفة «الغارديان» البريطانية، تعليقاً على الغاء المعاهدة. جاء فيه:

**«السادات ما زال بحاجة لدعم الاتحاد السوفييتي، والغاء المعاهدة المصرية ـ السوفييتية لا يخدم مساعي السلام في الشرق الأوسط»**

وهللت الصحف الامريكية لقرار السادات فقالت صحيفة «دينفر بوست»

**«يمثل قرار السادات نصراً هاماً للولايات المتحدة»** وقالت «بالتيمور صن»:

**«فليس هناك من ينكر أن ابتعاد الرئيس السادات عن الاتحاد السوفييتي خلال السنوات الأربع الماضية، ورفضه الاعتماد على موسكو قد جاء لمصلحة الولايات المتحدة»**.

أما صحف العالم الثالث. والصحف العربية والصحف الوطنية. فقد فضحت الاتجاهات الجديدة للسادات. وأوضحت ان الغاء المعاهدة جاء نكسة لحركة التحرر في مصر، واستسلام للعدو. فقالت صحيفة «أتا» الصادرة في سيريلانكا: .

**«جرت خلال الآونة الاخيرة في مصر أعمال كثيرة للقضاء على النهج التقدمي الذي اتبعه الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر»**.

وقالت الصحيفة:

**«ان النظام المصري يجهد لتطوير القطاع الخاص، واضعاً المكاسب التي حصل عليها الشعب المصري تحت طائلة الخطر»**.

وأثار الغاء المعاهدة المصرية ـ السوفييتية، موجة من المرارة والامتعاض في الوطن العربي بين العناصر التقدمية والحرة. فقالت اذاعة «صوت فلسطين».

**«ان الصداقة السوفييتية العربية تعد عائقاً رئيسياً يعترض تنفيذ مخططات الامبريالية الامريكية في الشرق الأوسط. فالاتحاد السوفييتي يبرز على كل المستويات كقوة فعالة تساند مساندة كاملة قضية العرب العادلة»**.

وقالت صحيفة «الفجر الجديد» الليبية:

«ان حكام مصر ساروا في سياستهم الخارجية نحو التواطؤ السافر مع قوى الامبريالية الامريكية في الشرق الأوسط والصهيونية والرجعية العربية. والقوا بالشعب المصري الى هاوية الفاقة والظلم بعد ان فرطوا بالكثير من المكاسب التقدمية التي حققتها الثورة المصرية، وتناسوا تماماً التعاليم الاشتراكية التي اوصى

**بها الرئيس جمال عبد الناصر».**

وتواصل جريدة «العراق» فتقول:

**«ان قرار الرئيس السادات لا يمكن النظر اليه بمعزل عن التصرفات التي تدل على ركوع القيادة المصرية امام اعداء الشعب.»**

ومن العالم الثالث. قالت جريدة «هاراغفي» القبرصية.

**«ان السادات حين وصلت به الأمور الى حد فسخ معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي انما يوجه ضربة معينة لمصالح الشعب المصري».**

- 2 -

لم يكن إلغاء المعاهدة المصرية- السوفييتية ضربة قاصمة للناصرية، بل كان طعنة لكفاح ونضال الشعب المصري. فلم تكن العلاقات المصرية- السوفيتية وليدة «الناصرية».

كانت «روسيا» من الدول التي بينها وبين مصر علاقات دبلوماسية وقنصلية، وعندما قامت ثورة اكتوبر، كانت مصر تحت الحماية البريطانية، وكانت وزارة الخارجية المصرية ملغاة. وعندما اعلنت بريطانيا استقلال مصر بتصريح 28 فبراير / شباط عام 1921 . اتخذت حكومة جلالة الملك فؤاد قراراً بانهاء العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتي! وتبع ذلك العلاقات الاقتصادية بين البلدين!، مما كان له صدى في البرلمان، وتكرر طلب تصحيح ذلك الوضع لمصلحة مصر. كذلك طالبت الصحف بفتح الأسواق السوفييتية أمام القطن المصري وفي جلسة مجلس النواب (12/5/1927 ) قام أحد النواب يسأل وزير الخارجية عن مدى صحة ما نشر من أن سفارة الاتحاد السوفييتي في لندن، كتبت لوزير مصر المفوض هناك «انها تجد صعوبة شديدة في حصولها على القطن المصري. وأن السلطات المصرية تحول دون هذا الحصول، واستوضح النائب وزير الخارجية عن خطة الحكومة فيما يتعلق بمستقبل العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الاتحاد السوفييتي، خصوصاً اذا راعينا أن المقدار الذي يحرم من الطلب السوفييتي يمثل سبع المحصول لمصر».

وقدم نائب آخر سؤالاً لوزير الخارجية أوضح فيه مدى أهمية التعامل التجاري

مع الاتحاد السوفييتي في توسيع نطاق تجارة القطن المصرية، وما يترتب على ذلك من تحسين الاسعار التي يئن منها المنتجون. وقال أن اكثر الدول الأوروبية أقامت لها علاقات سياسية مع الاتحاد السوفييتي فلا أقل من أن يكون لمصر صلات تجارية.

وقال النائب حسن يسن:

**«ان قنصل مصر في باريس قال في تصريح له بأنه اذا لم تعجل مصر بازالة العقبات عن طريق القطن المصري المصدر الى الاتحاد السوفييتي، فإن السبيل سيسد في وجه القطن المصري»**.

وتبين من الاحصاءات ان الاتحاد السوفييتي اشترى في السنوات من 1924 الى 1927 من القطن المصري ما يبلغ متوسطه السنوي 504,000 قنطاراً، لكنها لم تشتر منه من السوق المصري إلا 21,000 قنطاراً والباقي وقدره 483,000 قنطاراً في العام، اشترته من الاسواق الأجنبية ولا سيما سوق ليفربول.

أي ان قطع العلاقات في مصلحة الرأسماليين البريطانيين الذين يشترون القطن بالثمن البخس ويبيعونه بالثمن المربح لهم.

ويسجل الاقتصادي المصري يوسف نحاس أرقاماً للتدليل على أن القطن الامريكي الذي كان أقل رتبة من القطن المصري كان يباع في ديسمبر 1926 بسعر يفوق كثيراً سعر القطن المصري.

وظلت تجارة مصر مع الاتحاد السوفييتي محدودة حتى عام 1933، فتوقفت الصادرات المصرية الى الاتحاد السوفييتي على الرغم من استمرار ورود البضائع السوفييتية الى مصر. وكانت معظم صادرات الاتحاد السوفييتي الى مصر من الأخشاب والكيوسين وورق التبغ والوقود السائل.

ثم قام صدقي باشا أكثر الرجعيين استسلاماً للعدو ببيع قطن الحكومة الى السوفييت على يد إثنين من المصدرين في الاسكندرية بمقادير هائلة، على الرغم من عدم وجود علاقات سياسية بين مصر والاتحاد السوفييتي.

**العلاقات الدبلوماسية.**

في عام 1934 طرح في جلسة مجلس الشيوخ سؤال عن سبب عدم اقامة

علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي ، فقال الياس عوض عضو الشيوخ :

**«لقد كنت أتمنى أن تجيئنا الحكومة في هذا العام بنبأ حسن وهو أن الحكومة شارعة في تجديد العلاقة مع الأمة السوفييتية من الوجهتين التجارية والسياسية، لأنه لا معنى أن تكون الأمة المصرية، الأمة الوحيدة المستمرة في جفاء مع الأمة السوفييتية على حين أن الدولة الانكليزية هي الدولة التي تعمل على أن تكون سياستنا الخارجية متفقة وسياستها».**

وقدم النائب سليمان غنام سؤالاً الى رئيس الوزراء، في عام 1938 ، يتساءل عن سبب عدم عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفييتي بعد ان اعترفت دول العالم بهذه الدولة وفي مقدمتها انكلترا التي عقدت مع الاتحاد السوفييتي معاهدة تجارية.

ثم عاد النائب ، وتساءل في جلسة مجلس النواب 39/2/28، عن المانع الذي يقف في طريق الاعتراف بحكومة السوفييت، في وقت تسارع فيه الحكومة المصرية الى الاعتراف بحكومة فرانكو الفاشستي في اسبانيا.

ووجه النائب عزيز مرهم في جلسة مجلس الشيوخ عام 1939 استجواباً:

**«عن أسباب تباطؤ وزارة الخارجية، في الاعتراف بحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية تلك الحكومة الممثلة لشعب اصبح اليوم من أقوى الشعوب وأرقاها وتطمع الدول الكبرى ومنها المتحالفة معنا في خطب وده والتعاقد معه».**

وقررت الحكومة المصرية بناء على طلب وزارة التجارة والصناعة اعادة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتي تصحيحاً للميزان التجاري. وفي عام 1939 وافق مجلس الوزراء على الاعتراف بالاتحاد السوفييتي.

ومع ذلك لم ينفذ هذا القرار، إلا عندما أصبح الاتحاد السوفييتي حليفاً لبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية. فوافق مجلس الوزراء عام 1943 على الاعتراف باتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

وكان السفير البريطاني في القاهرة غير مرتاح لاقامة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتي. وكان القصر الملكي غير موافق من البداية، وقد ظل الملك في موقف الرفض حتى بعد إقامة هذه العلاقات. وحاول الملك أكثر من مرة بواسطة

احمد حسنين باشا ان يستميل البريطانيين الى جانبه. وفي النهاية رضخ الملك للأمر بعد ان يئس من وقوف البريطانيين في صفه. وخوفاً من أن يثير النحاس الموضوع في البرلمان واظهار الملك بأنه عائق يحول بين مصر والاتحاد السوفييتي.

وعينّ كامل عبد الرحيم أول وزير مفوض لمصر في موسكو وكتب الى وزارة الخارجية المصرية يطلب عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتي. وصرح الوزير المفوض بأنه مغتبط لتعيينه في موسكو اشد الاغتباط وأنه سيعمل على توثيق العلاقات السياسية بين البلدين وعلى تعرف عظمة الاتحاد السوفييتي وقوته من هاتين الناحيتين. وقال في تصريح لصحيفة الاهرام:

**«وفي الميدان الصناعي نواحٍ كثيرة جديرة باهتمامنا فبرامج السنوات الخمس التي نجحت في الاتحاد السوفييتي نجاحاً منقطع النظير علنا نصل الى تطبيق نظام يتفق مع حالتنا لكي نبغي نهضة صناعية، صحية إجتماعية شاملة تدفعها ارادة قوية كتلك الأرادة التي دفعت بالأمة الروسية نحو تنفيذ هذه البرامج فأتت بأحسن الثمار».**

**مشكلة التحرر:**

ولم يكن إهتمام الاتحاد السوفييتي بحركة التحرر نابعاً من قوته. أو من وجوده كقوة عالمية ، أو تفوقه العسكري.

فقد أبدى لينين اهتماماً ببلدان الشرق وبنضال التحرر الوطني، قبل ان يستولي الحزب الشيوعي على الحكم. واستنكر العدوان على ليبيا عام 1911 . وفي سنوات الحرب العالمية الأولى صدر كتابه **«الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية»**. ففضح طبيعة النظام الاستعماري. والأسس الاقتصادية والطبقية التي يقوم عليها، كشف أساليب النهب الاستعماري وخصائص السياسة الاستعمارية الامبريالية. وأوضح ان تراكم الرأسمال المالي، وتشكيل الاحتكارات، وإثراء الدول الكبرى جاء نتيجة الاستغلال الذي لا رحمة فيه لملايين العبيد في المستعمرات.

«وكتب «روتشتين» المؤرخ السوفييتي، كتابه «خراب مصر» الذي فضح فيه السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر، وأوضح في الكتاب وسائل النهب البريطاني للفلاحين المصريين. وانعكاس الاحتلال البريطاني على الاقتصاد المصري.

وعندما انتصرت الثورة في روسيا. كان أول شيء أعلنته «مرسوم السلام» الذي طالب بتحرير المستعمرات.

وكان لانتصار «الثورة السوفييتية» صداها. وأثرها في معركة التحرر الوطني. وفي مؤتمر لوزان الدولي الذي عقد في نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1922، نشر الوفد السوفييتي مذكرة أيد فيها مطالب الشعب العربي. كما قام وفد من «حزب الوفد» المصري بمقابلة رئيس الوفد السوفييتي وقدم اليه عدة وثائق عن السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر، بما في ذلك «الكتاب الاسود» عن الأعمال الوحشية التي اقترفها الانكليز في مصر.

وعندما استأنفت مصر نضالها ضد الاحتلال البريطاني، اعلن الاتحاد السوفييتي تأييده لمطالب الشعب المصري في استعادة سيادته واستقلال بلاده.

وفي مقابلة بين سفير مصر في موسكو ووزير الخارجية السوفييتي، قال الوزير السوفييتي، ان زمن الاستعمار قد انتهى وان الاتحاد السوفييتي يود أن يرى الدول العربية من بين الدول الحرة التي تساهم في حفظ السلام في العالم.

وفي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في باريس في يونيو 1946 ندد مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي، باستمرار بقاء القوات البريطانية في مصر.

وأثناء منا قشة القضية المصرية امام مجلس الأمن، لم يقف بجانب مصر سوى ثلاثة أعضاء هم الاتحاد السوفييتي وبولندا وسوريا. والقى غروميكو رئيس الوفد السوفييتي خطاباً امام مجلس الأمن، فقال:

**«ان الاتحاد السوفييتي يكن تفهمًا وتعاطفاً مع الاماني الوطنية لمصر وشعبها في الوجود المستقل على أساس المساواة في السيادة مع الأمم والشعوب الأخرى».**

وحاول مندوب بريطانيا شطب القضية من جدول أعمال مجلس الأمن فعارضه المندوب السوفييتي.

وكتب أحمد حسين في صحيفة «مصر الفتاة».

**«أما وقد وقف الاتحاد السوفييتي منا ذلك الموقف، فقد اصبح واجباً علينا نحو انفسنا ان نزيد في علاقاتنا معها وان نرد التحية بمثلها بل ونتخذ من صلاتنا**

**مع روسيا سلاحاً نشهره في وجه العدوان البريطاني ومن يلوذ به أو يؤيده».**

وكان لتأييد الاتحاد السوفييتي وبولندا لمصر في مجلس الأمن أثره في ان تدرك الجماهير من هم حلفاء حركة التحرر ومن هم اعداؤها.

وعندما ألغت الحكومة المصرية، المعاهدة المصرية- الانكليزية، صرح «دين اتشيسون» وزير خارجية الولايات المتحدة في مؤتمر صحفي، قائلاً:

**«ان الولايات المتحدة تؤيد بقاء القوات البريطانية في منطقة قناة السويس اذ ان لبريطانيا الحق في ذلك من الناحية القانونية بموجب معاهدة 1936، ولبريطانيا ان تتمسك بحقوقها المنصوص عليها في هذه المعاهدة!».**

وكتبت صحيفة «مصر الفتاة»:

**«لقد دعونا من قبل الى ضرورة إبرام معاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتي، وقد حانت الساعة لتطالب الحكومة ان تبادر بالدخول في مفاوضات مع روسيا لعقد هذه المعاهدة في أقرب وقت».**

وكانت مصر قد رفضت في الأمم المتحدة، الوقوف الى جانب الدول الغربية ضد الكتلة الاشتراكية في مشكلة كوريا.

وبينما كانت مصر تناضل من أجل طرد القوات البريطانية، ابرمت السعودية إتفاقية مع الولايات المتحدة، أتاحت لها قاعدة الظهران الجوية!

واثيرت في ذلك الوقت مسألة قيادة الشرق الأوسط التي تقدمت امريكا وانكلترا وفرنسا وتركيا ورفضتها مصر. وسلمت الحكومة السوفييتية مذكرة الى السفير المصري جاء فيها:

**«ان المقترحات الرباعية ليس لها أي صلة بالسلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط، وأن انشاء هذه القيادة معناه توسيع القواعد القائمة في مصر بإقامة قواعد عسكرية جديدة».**

### ناصر.. والاتحاد السوفييتي

كان اتجاه عبد الناصر، امتداداً للحركة الوطنية المصرية بكل أبعادها.

ورغم انه لم يسلم في البداية بما توصلت اليه الحركة الوطنية ، إلا انه جعل التجربة العلمية دليلاً لمساره. وانطلق شرقاً وغرباً. وأرسل الوفود بحثاً عن حلول للمشاكل الاقتصادية والعسكرية التي تواجهها مصر.

وذهب علي صبري الى الولايات المتحدة من اجل السلاح. وقام احمد فؤاد بزيارة الاتحاد السوفييتي يبحث المشاكل الاقتصادية. وأنبرى اليمين داخل قيادة الثورة معترضاً على التعاون مع الاتحاد السوفييتي. وأبعد من مجلس قيادة الثورة العناصر الوطنية اليسارية.

ويروي أحمد فؤاد، ان الاتحاد السوفييتي أبـدى استعداده المـطلق للتعاون الاقتصادي، وقيل للبعثة المصرية:

**«اذا كان لديكم تراب يفيدنا، فنحن مستعدون لقبوله في مقابل اي شيء تطلبونه».**

وظلت ثورة 23 يوليو / تموز في تردد حتى حسمها العدو. فدفع باسرائيل للعدوان على غزة. في الوقت الذي لم تحصل فيه مصر على سلاح للدفاع عن نفسها. ثم سحب قرض السد العالي بمبادرة من الولايات المتحدة.

وأخيراً.. العدوان الثلاثي.

وحطمت مصر احتكار السلاح. وفتحت أبوابها للتعاون الاقتصادي مع الكتلة الشرقية دون ان تغلق الابواب في وجه الغرب.

وبدأت مصر مسيرتها التحررية. فحصلت على الاستقلال السياسي أثر فشل عدوان 1956 ، وبدأت الخطوات نحو التحرر الاقتصادي.

وانطلقت مصر في سياسة «عدم الانحياز» فمدت ذراعيها الى دول العـالم الثالث. وخرجت من القيد الاستعماري اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً. ولكن الرجعية المصرية والعربية، والدول الاستعمارية لم تقبل خروج مصر من قبضتها فبدأت مؤامرات الاغتيال، وتكرر العدوان . ومحاولات عرقلة التصنيع، وتخريب القطاع العام، وتهريب النقد الأجنبي.

**لماذا الاتحاد السوفييتي؟**

عمدت الدول الاستعمارية الى فرض ستار حديدي حول الاتحاد السوفييتي بعد قيام ثورة 1917 .

ان الحرب العالمية الأولى- التي قامت من أجل اعادة تقسيم الاسواق بين الدول الاستعمارية، فوجئت بقيام نظام دولي جديد، يلغي دور ووظيفة الرأسمالي. ويؤمم الاحتكارات والشركات، وينقل ملكيتها الى الشعب. ويعلن معاداته للاستعمار، وتأييده لحركات التحرر. ويكشف المعاهدات السرية التي أبرمتها الدول الامبريالية للسيطرة على الشعوب.

وحاولت الرأسمالية القضاء على هذه الدولة، وسيرت جيوشاً من أربعة عشر دولة. ولكنها عجزت. فقامت بحصارها. وفرضت الجدار الحديدي لعزلها عن العالم.

وظل الصراع قائماً بين هذه الدولة الفتية وبين الدول الرأسمالية، حتى قامت «النازية» وأشعلت الحرب العالمية الثانية. وانتهت الحرب بعد أن فقدت الرأسمالية مواقع جديدة في شرق اوروبا. كما بدأت حركة التحرر في إحراز نجاحات ضد الامبراطوريات المنهارة.

وهنا كشفت الولايات المتحدة عن وجهها الاستعماري البشع، فساندت هولندا في محاولاتها لاسترداد اندونيسيا، كما ساندت فرنسا، في حرب الجزائر، وفي حرب فيتنام. وعملت على اغتيال لومومبا في انغولا لدعم الاستعمار البلجيكي وحماية الاحتكارات.

ورغم ذلك تضعضع موقع انكلترا وفرنسا. فأعلنت الولايات المتحدة عن نظرية «ملء الفراغ». وانطلقت في العالم لدعم «مصالح الاحتكارات الامريكية». وتحصل الاحتكارات الرأسمالية على نحو 10 مليارات دولاراً كربح سنوي من تصدير رأس المال الى البلاد النامية. ويمثل ربحها من تصدير السلع نحو 12 ـ 13 مليار دولاراً.

ويقول مؤلف «الاقتصاد السياسي والبلدان النامية»:

**«وعلى سبيل المثال حصلت كافة الاتحادات الاحتكارية للولايات المتحدة الامريكية في عام 1971 على ربح قدره 78,6 مليار دولاراً في عام 1971 . وفي نفس العام كان ربحها من استثماراتها المباشرة في الخارج وحدها 12,6 مليار دولاراً».**

وفي مقابل هذا الثراء الفاحش، تنتشر مناطق «الجوع» في القارات الثلاث افريقيا وامريكا الجنوبية وآسيا. وفي السبعينيات توصل كثير من المتخصصين الى استنتاج بأنه يوجد 700 مليون إنسان مهددون بالجوع في 32 بلداً. وفي الوقت الراهن يموت 30 الف شخص يومياً بسبب الجوع وسوء التغذية. فالموت جوعاً هو خطر حقيقي يتهدد ملايين البشر.

وهكذا يواجه الشعب العربي نفس المأساة. فالولايات المتحدة تصر على حماية المصالح الامريكية التي هي مصالح الاحتكارات. وتهدد بالعصا الغليظة. وبفرق الانزال السريع. وانتشار الأسلحة الذرية.

**العدو الواحد**

واجهت ثورة 23 يوليو رغبة الولايات المتحدة في « ملء الفراغ » الذي تركه جلاء القوات الانكليزية عن مصر ، أي حماية المصالح الامبريالية . أو بمعنى أوضح حماية نهب الاحتكارات للشعب المصري .

ولم تنفصل اسرائيل عن الامبريالية منذ وجودها . فتلاقت معها في النهب المالي للشعوب .

وفي تشرين الأول ( اكتوبر ) 1967 ، بعد مؤامرة « النكسة » عقد في احدى دور روتشيلد في سويسرا لقاء سري لمجموعة من رجال المال بحث امكانيات استغلال الأراضي الجديدة التي اغتصبتها اسرائيل .

واخذت الاحتكارات ، والكتل الاحتكارية الامريكية في ربط اسرائيل بعجلة الاحتكارات الامريكية .

وقبل ذلك في مايو/ أيار عام 1954 ، عقدت مؤتمرات « بيلدلبرغ » التي

ضمت كبار أثرياء العالم . ورأى هؤلاء في اسرائيل سنداً مضموناً في صراعهم لوضع أيديهم على ثروات الشرق الأوسط والاحتفاظ بسيطرتهم في هذه المنطقة التي تمتاز بأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية الهامة . وكان للرأسماليين الصهاينة باعتبارهم المشاركين الاساسيين في هذه المؤتمرات « القول الفصل » عند اتخاذ القرارات .

وتعمل في اسرائيل عدة احتكارات بريطانية ضخمة مثل « شركة النفط البريطانية » ومصارف روتشيلد ، وبنك بركليز والشركة المصرفية « صاموئيل وشركاه » . وغيرها .

ولم يكن الارتباط الاقتصادي وحده الذي وثق العلاقات بين اسرائيل والامبريالية العالمية . بل تلاقوا في العداء للاشتراكية التي حرمتهم أسلوب ووسائل النهب . وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت اسرائيل رأس حربة ضد الاشتراكية وحركة التحرر الوطني .

وكتب المعلق الامريكي جون كروسبي :

**«ان العداء للشيوعية هو آخر ملجأ للخائبين . وهو لا يلم تحت رايته المهلهلة سوى مجموعة ناشزة من اللصوص وقطاع الطرق والوشاة والمفترين والحمقى والحاقدين على كل البشر » .**

في تلك « الباقة » كان الصهاينة أينع « زهرة » ، وفي عام 1959 ، تشكلت في القسم اليهودي التابع لدائرة المخابرات المركزية الامريكية مجموعة خاصة للاتصال العملي بدائرة المخابرات الاسرائيلية وتبادل المعلومات معها .

وارتبطت أحداث بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا التي بدأت عام 1968 بالعدوان الاسرائيلي الامريكي ضد مصر عام 1967 .

وتبين ان الغالبية العظمى لمدبري ومنظمي الاحداث من اليهود الذين تسربوا الى المناصب الهامة في أجهزة امن الدولة والصحافة والأوساط الثقافية والاقتصادية لضرب الاشتراكية .

وكان غولد شتوكر اليهودي مسيطراً على اذاعة براغ ، وارتفع صوته خلال الأحداث مطالباً تشيكوسلوفاكيا بتبديل سياستها ضد اسرائيل .

وأصبحت الحركة الاشتراكية . وحركة التحرر الوطني هدفاً مشتركاً للعدوان الامبريالي الصهيوني .

وكان المفروض ان تكون النتيجة الحتمية معاهدات الصداقة بين الدول العربية والاتحاد السوفييتي .

**ارض واحدة**

على هذه الأرض الواحدة التي يعيشها البشر . وأثبت العلم ان استغلال الانسان للانسان لم يكن موجوداً . وظهر هذا الاستغلال منذ نحو 7 آلاف عام . كان الانسان في الفترة البدائية ينتج اقل قدر من المنتوجات لعدم قدرة القوى المنتجة غير المتطورة على تغطية سوى حاجاته الضرورية . فكان صيد الحيوان والاسماك يقسم بالتساوي بين الناس لا فرق بين انسان وانسان .

وعندما بدأ الانتاج في الزيادة ، ظهرت الملكية . وظهرت الفوارق بين الناس . وظهر استغلال الانسان للانسان .

وبدأت الحروب بين البشر من أجل نهب ثروات الغير . واستعباد البشر . فكان العبد يكبل بالسلاسل الى الطواحين أو السفن ويضرب بالسوط للعمل من أجل ثراء انسان آخر . وفي النظام الاقطاعي كان الفلاحون مضطرين الى اعطاء محصولاتهم الى سيدهم ! .

أما في النظام الرأسمالي فالعامل مقيد بسلاسل غير مرئية . فهو مضطر الى العمل للحصول على الأجر ، مهما كان هذا الأجر قليلاً . بينما يثري رجل الأعمال الرأسمالي دون ان يبذل جهداً حقيقياً .

ومع التطور ظهرت الاحتكارات وبدأ الاستعمار بشكله المعروف ، ثم تطور الى الغزو المالي .

وخلال هذه المراحل التاريخية ، شاهدنا تجار الرقيق . وخطف الاباء من أسرهم وانتزاع الابناء من ذويهم . . وانتزاع الاطفال من أمهاتهم . فكانت المزارع في الولايات المتحدة تقوم على اكتاف العبيد . واقيمت الصناعة في أوروبا بنفس الصورة . وهكذا ، تولدت الدول الغنية ، والدول الفقيرة .

ورغم التقدم الحضاري الذي بلغه الانسان ، ما زال هناك سادة يقطنون القصور وينعمون بخيرات الحياة . بينما يعمل آخرون عبيداً أو كالعبيد ولا يجدون قوت يومهم .

وأصبح الصراع في عالم اليوم بين هؤلاء الذين لا يعملون ويكدسون الثروات . والذين يعملون ولا يجدون ما يكفيهم .

وترددت أصوات الكادحين في كلمات الشعراء . فقال بيرم التونسي :

« ليش امشي حافي . وانا منيت مراكبكم
ليه انام عريان . وانا ناسج مراتبكم »
وتساءل الشاعر العراقي « اين حقي ؟ » .

ولكن الكلمات لم تعد تكفي . وهب الفقراء ونجحت ثورتهم في روسيا ، وانتزعوا حقهم من الاغنياء .

وانفصل سدس الكرة الأرضية عام 1917 عن النظام الاستغلالي الرأسمالي . ولم تكد تنتهي الحرب العالمية الثانية حتى انفصلت أجزاء جديدة من الأرض عن هذا النظام .

وأصبحت رقعة الاستغلال أمام الرأسمالية ضيقة . وبدأ النظام الرأسمالي يواجه منافسة حادة .

انتقل الاتحاد السوفييتي من المرتبة الخامسة في الصناعة بالنسبة للعالم عام 1913 الى المرتبة الثانية عام 1974 . وكان في المرتبة الرابعة بالنسبة لأوروبا عام 1913 فأصبح في المرتبة الأولى .

وكان في المرتبة الثامنة في الكهرباء بالنسبة للعالم وانتقل الى المرتبة الثانية ، وبالنسبة لأوروبا من المرتبة السادسة الى المرتبة الأولى . وفي الحديد ، والصلب والفحم ، من المرتبة السادسة أو الخامسة الى المرتبة الأولى في العالم . وكذلك في الأسمنت والأخشاب ، ومصانع القطن . ومصانع نسج الصوف ؛ وأصبح في المرتبة الأولى .

وهكذا وجدت الرأسمالية أو الاستعمار انه لم يفقد ارضاً للاستغلال فحسب ، بل أصبح يواجه منافساً في الانتاج . ولم يعد هذا الانتاج من أجل الربح

بل من اجل سعادة البشر .

وخرجت الدول النامية ، من قبضة السيطرة الاقتصادية الرأسمالية الامبريالية ، ووجدت اسساً جديدة للتعامل الاقتصادي الدولي مع الدول الاشتراكية .

## غريزة البقاء

عندما طالت مدة الشقاء في الجبال الثلجية ، وافتقدت الذئاب غذاءها . قامت جحافل منها بالهجوم على القرى المجاورة . وكان الفلاحون يحصدونها ببنادقهم صفاً وراء صف . ولكنها تتقدم .

انها غريزة البقاء .

فعندما سعت الامبريالية المحمومة الى استعادة سيطرتها بعد الحرب العالمية الثانية ، وأرادت تكريس نهبها واستغلالها للموارد الاقتصادية المادية والبشرية . وفرض اتجاهات معينة للتطور الاقتصادي والاجتماعي . وتسليط النظم السياسية الرجعية والعميلة والزامها باقامة علاقات اقتصادية محصورة بالدول الامبريالية ، وذات طبيعة غير متكافئة تخدم المصالح الاقتصادية الرأسمالية . هبت الشعوب كالذئاب . يحصدونها صفاً وراء صف .. ولكنها تتقدم . في كوريا . . . ثم فيتنام . . . وفي الجزائر . وفي مصر ( 3 حروب ) وفي نيكاراغوا وسلفادور . . . وفي جنوب افريقيا . في كل مكان يحصدون . من اجل الابقاء على حالة التبعية . واستمرار التخلف .

# الفصل التاسع

## الصّديق اللّدود

« ستتسلط كما علمتنا أمنا انكلترا ، سنغطي صفحة المحيط بأسطولنا التجاري . سنبني أسطولنا يتمشى مع عظمتنا ، وحول مراكز تجارتنا ستنمو مستعمرات عظيمة تحكم نفسها بنفسها وترفع علمنا وتتاجر معنا . . . » !

( السناتور بيفردج )

عام 1898.

# الصّديق اللّدود

في كتابه « تاريخ الحضارة » كتب «ويل ديورانت» يصف لنا لحظات انهيار الحضارة البابلية . والأيام التي سبقت احتضارها . فكتب يقول :

**« كان الشباب يصبغون شعرهم ، ويعقصونة . ويعطرون أجسامهم ويحمرون خدودهم ، يزينون أنفسهم بالعقود والاسوار . والاقراط والقلائد . ولما فتح الفرس بلادهم وقضوا بذلك على عزتهم النفسية ، تحرروا أيضاً من جميع القيود الاخلاقية ، وسرت عادات العاهرات الى جميع الاوساط . وأضحت نساء الاسر الكبيرة يرين أن أظهار محاسنهن أياً كانت ليستمتع بها أكبر عدد مستطاع ، اصبحن لا يرين في هذا شيئاً اكثر من مجاملة عادية».**

ونقرأ أيضاً .

**« ليس أغرب من اخلاق المدينة بابل . فلسنا نجد في مكان آخر ما نجده فيها من تهيئة كل شيء لاشباع اللذات الجنسية . لقد فسدت الاخلاق ، وانحلت حين اثرت الهياكل وانهمك أهل بابل في ملذاتهم ، فرضوا ان تخضع مدينتهم للكاشيين والاشوريين ، والفرس ، واليونان».**

ونقرأ في نفس الكتاب عن روما «في فترات ثورات العبيد ، ضد ملاك الرق وضد المجتمع العبودي». يقول المؤرخون :

**«اخذ الاشراف والاثرياء ، يتنافسون في مظاهر الترف والنعيم على حين كان وميض نار الثورة يلوح في الولايات المفلسة . والناس يموتون جوعاً في اكواخهم القذرة الحقيرة ، وكان الشيوخ لا يستيقظون من نومهم الاوقت الظهيرة وقلما كانوا يحضرون جلسات المجلس (مجلس الشيوخ) وكان بعض أبنائهم يتزينون بأزياء**

**العاهرات ويختالون في الطرقات ، على اجسامهم ثياب مطرزة مزركشة ، وفي ارجلهم صنادل كصنادل النساء ، متعطرين متحلين بالجواهر ، لا يقبلون على الزواج ، واذا تزوجوا عملوا على الا يكون لهم ابناء ، ينافسون شباب اليونان في التخنث». .**

لو تأملنا هذه الظواهر التاريخية ، لادركنا انها صاحبت بعض المجتمعات في لحظات انحدار حضارتها وبدء إنحلالها وتفسخها أمام قوى جديدة صاعدة . .

ففي روما تفسخت طبقة ملاك العبيد امام ضربات الثوار . ولا يعود روما كيانها الا بعد أن يقوم النظام الاقطاعي مكان النظام العبودي .

حضارت تنهار . في التفتت والتحلل والتفسخ . بينها تولد حضارة جديدة بقيم جديدة . وأساليب جديدة للحياة .

وعندما تموت حضارة أو تنتهي طبقة من دورها التاريخي ، فهي لا تدفن تحت التراب ولكنها تتحلل وسط المجتمعات وتنشر عفنها ورائحتها الكريهة .

فما هي الحضارة التي تنهار؟ وما هي الحضارة التي تولد ؟

- 1 -

عالم الرشوة

انحاز السادات الى الغرب الرأسمالي . وسلم القيادة الى الولايات المتحدة . وفي اعقاب الاتجاه الجديد ظهرت فضائح رشاد عثمان وعصمت السادات وصفقات لوكهيد والاتجار في السلاح .

وحاول عثمان أحمد عثمان . أن يبرىء نفسه فصرخ في مجلس الشعب « المتهم بريء حتى تثبت ادانته » . ومن سوء حظه ، أن فضائح الرشاوى انفجرت في العالم الرأسمالي في نفس الوقت الذي انكشفت فيه فضائح رشاوى المسؤولين في مصر .

احتار « السادات » لحظة او فترة الانهيار الرأسمالي « ليجر مصر الى مصير هذا النظام».

ففي عام 1975. بدأت فضائح شركة لوكهيد الامريكية لصناعة الطائرات

وكانت لجنة الشيوخ الفرعية للشركات المتعددة الجنسيات قد نشرت عام 1967 وثائق تفيد بأن 1,7 مليون دولاراً، دفعت كرشاوى في اليابان ، ومليونين في ايطاليا وأكثر من مليون الى شخصية هولندية كبيرة ومبالغ اخرى في كل من المانيا الغربية وتركيا والسويد ودول اخرى .

هكذا بدأت فضائح « لوكهيد » الا انها لم تؤخذ مأخذ الجد في حينه حتى جاء عام 1975 لتعترف الشركة ذات الصلة الوثيقة بالبنتاغون الامريكي بدفع اكثر من 22 مليون دولاراً الى شخصيات سياسية وعسكرية في الخارج لزيادة مبيعاتها .

وبدأ نشر أسماء المرتشين . تصدرها أسم رئيس وزراء اليابان تاناكا الذي اعتقل للتحقيق معه ، كما أنهم اثنان من أعضاء الحكومة ومجموعة من رجال الاعمال والمسؤولين .

وكان في القائمة اسم الامير بنارد المفتش العام للقوات المسلحة الهولندية وزوج ملكة هولندا ، الذي استقال من جميع مناصبه .

وكذلك ظهر ضمن كشف المرتشين جوزيف شتراوس زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي وأحد اقطاب اليمين في المانيا الغربية . اضافة الى ظهور اسماء من السويد وبريطانيا وايطاليا وتركيا وكولومبيا وأسبانيا وجنوب افريقيا ونايجيريا .

ولم تكد تخفت فضيحة لوكهيد حتى انفجرت فضيحة رشاوى جديدة في أمريكا ، ابطالها أعضاء في الكونجرس ونواب ورجال أعمال . واذاعت وكالة الانباء الفرنسية أنباء من واشنطن . وذكرت أن الفساد امتد الى الكونجرس وتم استجواب موظفين وسياسيين ورجال اعمال أمريكيين .

وقامت ادارة الامن بتصوير بعض الصفقات عن طريق الفيديو .

ولم تكن الرشاوى قاصرة على الولايات المتحدة ، ففي بريطانيا أتهم 12 مسوءولا بوزارة الطاقة من بينهم وكيل وزارة . وكانت التهمة التلاعب والحصول على 52 مليون جنيه بوسائل غير قانونية .

كانت الرشاوى تصل الى أعلى القمم . ففي فرنسا نشرت جريدة « كنار انشانية» الفرنسية ان ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية ، لم يكن يذهب الى افريقيا

الوسطى لصيد الحيوانات فحسب بل ولصيد الماس أيضا في بلد هو من أفقر بلاد العالم .

وكان «السفاح بوكاسا» سخي اليد ليس فقط مع الرئيس ديستان بل ومع العديد من أفراد العائلة والوزراء الفرنسيين !

وفي الولايات المتحدة قالت السيدة ثريا مطلقة رجل الاعمال عدنان خاشقجي ان رجل الاعمال قدم الى ابنة الرئيس نيكسون هدية،عقدا ثمنه 60 الف دولار .

ولم تنتقل حمى الرشاوى الى الشرق الاوسط من خلال خاشقجي «فحسب بل لعل رشوة خاشقجي» لنكسون تافهة»!

فان العمولة التي جرى التحقيق بشأنها في لبنان بلغت 12 مليون ليرة في صفقة البوينج . وكذلك صفقة البوينج في القاهرة التي أتهم فيها نائب رئيس وزراء وهدد بنشر أسماء المشتركين ، فحفظ التحقيق !

تحلل النظام

لم يكن انفجار فضائح « الرشاوي » إلا مظهراً من مظاهر الانحلال والتفسخ الذي انحدر اليهما النظام الرأسمالي .

ففي تحقيق صحفي نشرته « أخبار اليوم » الصحيفة الامريكية التي تصدر باللغة العربية في القاهرة . وكان صاحب التحقيق أحد التلاميذ الأوفياء للولايات المتحدة . قال :

**« هناك 10. ملايين أمريكي يدمنون الخمر . كما أن واحداً من كل 5 من طلبة المدارس الثانوية يشرب الخمر أيضاً من وراء ظهر الاسرة . جاء ذلك في تقرير مقدم للكونغرس من وزارة الصحة الامريكية . وهناك أكثر من 3 ملايين شاب أمريكي تتراوح أعمارهم بين 14 و 19 سنة لهم مشاكل مع الخمر وبعضهم يعالج من الادمان .**

**واعترفت بيتي فورد زوجة الرئيس السابق جيرالد فورد في مذكراتها ان اسرتها أرغمتها على الذهاب الى المستشفى لتعالج نفسها من ادمان الخمر والاقراص المهدئة والمنومة » .**

ونشرت صحيفة « العرب » التي تصدر في لندن تحقيقاً صحفياً عن « الدعارة في لندن » ووصفتها بأنها صناعة البليون جنيه . وقالت هل تصدق ان ارباح منطقةواحدة من مناطق الدعارة تصل الى عشرين مليون جنيه سنوياً . وتساءلت الصحيفة : « هل حدثك أحد من قبل عما يجري خلف الواجهات البراقة لحياة الليل في لندن»؟ وأجابت الصحيفة في تحقيقها على السؤال !

ويبدو ايضاً ان الحياة العاطفية لرجال السياسة في بريطانيا مليئة بالمفاجآت . فبعد فضيحة وزير الدفاع البريطاني السابق جون بروفيومو الذي كان يرتبط بعلاقة غرامية مع فتاة بريطانية تدعى كريستين كيلر . وبعد ان تكشفت اخيراً فضيحة الشذوذ الجنسي الذي تورط فيها زعيم الحزب الليبرالي البريطاني « جريس ثورب » ظهرت فضيحة ونستون تشرشل ـ حفيد تشرشل الكبير ـ لتضيف فصلاً جديداً ومثيراً لمسلسل فضائح الساسة البريطانيين . فقد ظهر أن حفيد تشرشل وهو رب عائلة وأب لاربعة اطفال يرتبط سراً بعلاقة غرامية مع ثريا الخاشقجي .

ان هذا التحلل في كيان المجتمع الرأسمالي يذكرنا بانحلال الحياة في روما قبل سقوط الامبراطورية الرومانية .

**أمريكا الضاحكة**

في الكتاب الذي ترجم تحت عنوان « فضيحة في الكونغرس » من تأليف « ماريون كلارك » ، وردي ماكسا » . جاءت قصة فتاة اسمها « ليز راي » التي تعرفت بعضو الكونغرس الامريكي « كين غراي » . وألحقها بجهاز موظفيه في مكتبه بالكونغرس .

وفي البداية كان « غراي » يعين لها أنواع الثياب التي يترتب عليها ان تلبسها في الحفلات التي يقيمها والتي كان يدعو اليها أصحابه وأصدقاءه وآخرين ممن له مصلحة شخصية عندهم . وكان يوعز اليها بأن تغازلهم وتعمل على إثارتهم . وكانت تسلك سلوكاً مثيراً مع معظم العاملين في الكونغرس ممن هم في سن السبعين !

في عام 1930 كتب « هـ . ل . سينكن » عن اعضاء الكونغرس قائلاً :

**« اذا أمكن تطبيق ضغط عليهم بشكل صحيح فانهم سيؤيدون بكل سرور**

ان يكون لهم أكثر من زوجة ، وسيؤيدون التنجيم وأكل لحوم البشر » .

ونشر صحفيان يعملان في صحيفة « واشنطن بوست » الهبات التي قدمها رجل الأعمال « تونغسون بارك » من كوريا الجنوبية الى أحد زعماء الأغلبية في الكونغرس الامريكي !

واذا تركنا رجال السلطة ،واتجهنا الى الشعب الامريكي ، نجد انه في حالة الحصار المضروب عليه من رجال الاحتكارات ، قد فقد الاتجاه . أكثر من 900 أمريكي انتحروا بارادتهم واختيارهم . تجمعوا في حالة غريبة من الهوس الديني والهستيريا المجنونة وأسسوا جماعة سموها « معبد الشمس » ، لقوا مصرعهم جميعاً مع أبنائهم وأحفادهم ، بعد أن أصيبوا بالتخدير الكامل . وتساقطوا جميعاً امام الأب الروحي القس « جيم جونز » زعيم طائفة معبد الشمس !

ونعود الى « الكونغرس » لنقرأ ما نشرته الصحف في أوائل عام 1981 عن ضبط حالات من الشذوذ الجنسي أرتكبت داخل مبنى الكونغرس لاعضاء من الهيئة التشريعية .

ومن قبل ، صدر في انكلترا قانون يبيح الشذوذ الجنسي ! لم يعد ينقصهم إلا التحلي بأزياء النساء ، كما حدث لرجال مجلس الشيوخ في روما القديمة .

**نظام ينتحر**

هـذه الظواهـر . . . جرائم الـرشوة ، والسـرقـة والمخـدرات . . . والجنس تصاحب تعمق الأزمة الاقتصادية .

إن مدينة نيويورك ، أكبر مدن الولايات المتحدة الامريكية تعاني أوضاعاً متردية بلغت حداً مروعاً من التدهور . . . فالطرقات التي تظهر فيها الحفر ولا تصلح للسير تبقى على حالها ، دون تصليح أو صيانة ، والمنتزهات ، مهملة بصورة بائسة . . . المحاكم والسجون في فوضى . . . في الوقت الذي تزداد الجرائم بصورة هائلة ، وأصبحت الشوارع غير آمنة .

وتبين من أحدى الاحصائيات أنه في الوقت الذي ترتفع نسبة الجرائم في هذه الأزمة الاقتصادية الخانقة تقل نسبة الانتحار ، في حين ان الازمات الاقتصـادية

السابقة كانت تتميز بانخفاض نسبة الجرائم وارتفاع نسبة الانتحار . . . ماذا يعني ذلك ؟

إن الانتحار عملية تعكس تغلب اليأس على الانسان في لقاء تبعة فشله أو إصابته بنكبة اقتصادية على نفسه . وهو اذ ينتحر ، فإنه ينتقم من نفسه ، أما الجريمة فإنها على العكس من ذلك ، تعكس حقد الانسان على النظام القائم وعلى العلاقات الاقتصادية التي تخلق الأزمة وتنشر البطالة والجوع والعوز .

فالظاهرة الجديدة في الأزمة الاقتصادية التي تنسحب على البلدان الرأسمالية عموماً ، وهي تصاعد نسبة الجرائم ، وخاصة جرائم السرقة والسطو والسلب وما يرافقها من عنف وقتل ، تدل دلالة واضحة على ان البشر الذين تطحنهم الأزمة الاقتصادية أصبحوا يعون السبب الحقيقي للوضع الاجتماعي والمعيشي السيء الذي يعانون منه .

فالنظام هو الذي ينتحر . ويهوي متفسخاً متحللاً .

ولم يكن سقوط الشاه في إيران أو بوكاسا وسوموزا وبول بوت وحفيظ الله امين . إلا دلالات على انهيار النظام . فسقطت التوابع رغم كل ما أحاطها من الارهاب والعنف وإبادة وتهجير جماعي . فكشفت عن تهرؤ النظام كله ، وما ينخر فيه من سرقات ورشاوى وإباحية وتحلل إجتماعي .

– 2 –

في عام 1916، كتب لينين :

« إن الامبريالية ، بوصفها المرحلة العليا من رأسمالية امريكا ، وأوروبا ، ثم آسيا ، قد تشكلت نهائياً حوالي 1898، - 1914، فالحرب الاسبانية - الامريكية ( 1898 ) ، والحرب الانكليزية - البويرية ( 1899 - 1902 ) . الحرب الروسية - اليابانية (1904 - 1905 ) والأزمة الاقتصادية عام 1900 في اوروبا هي المراحل التاريخية الرئيسية في العهد الجديد من تاريخ العالم .

ان تكون الامبريالية رأسمالية طفيلية أو متعفنة ، ذلك ما يبدو قبل كل شيء في الميل الى التفسخ والتعفن ، الذي يميز كل احتكار في ظل نظام الملكية الخاصة لوسائل الانتاج » .

إن الاستعمار الامريكي . والياباني كان معروفاً منذ بداية القرن . والتنبؤ بتفسخ هذا الاستعمار وتعفنه حدث قبل أن يستشري فساده الحالي وقبل ان ينتشر عفنه ورائحته الكريهة التي تملأ أجواء عالم اليوم .

وتداخل الاستعمار القديم ، مع الاستعمار الجديد . ورغم التنافس والتناقضات ، إلا أنه لا خلاف بينهم على أمتصاص دماء الشعوب .

وليس الجهل أو التجهيل والتفاهة التي تتسم به ثقافة العالم الثالث ، سوى رغبة الاستعمار والحكام في حجب الحقيقة عن الشعوب .

فمنذ نهاية القرن الماضي ، وبداية القرن الحالي ظهرت الدراسات العلمية المدعمة بالأرقام لكشف طبيعة الاستعمار الحالي ، ومكوناته وظواهره . فكتب لينين .

**● «ان تعفن الرأسمالية يتجلى بتكون فئة واسعة من أصحاب الريع ، من رأسماليين يعيشون من « جز القسائم » . ففي أربعة بلدان امبريالية متقدمة انكلترا وامريكا الشمالية ، وفرنسا ، والمانيا يتراوح الرأسمال المتكون من أسهم وسندات بين 100 و 150 مليار فرنكاً . أي ما يوفر لكل من هذه البلدان دخلاً سنوياً يتراوح بين 5 و8 مليارات فرنكاً على الأقل .**

**● ان تصدير رأس المال إنما هو ضرب مريع من الطفيلية .**

**● إن الرأسمال المالي يهدف الى السيطرة ، لا الى الحرية . ان الرجعية السياسية على طول الخط هي من مميزات الامبريالية . بيع الضمائر . . . فساد بنسب هائلة ، شتى انواع الفضائح .**

**● إن استثمار الامم المظلومة ، وبخاصة استثمار المستعمرات ، من قبل حفنة من الدول الكبرى ، يحول العالم « المتمدن » ، أكثر فأكثر الى طفيلي يعيش من داء الشعوب».**

**الأزمة . . . الأزمة**

إتجه « السادات » الى العالم الرأسمالي في لحظة ، تعاني فيها الرأسمالية أبشع أزماتها .

ففي الولايات المتحدة كان عدد العاطلين في عام 1973 قرابة 4,3 مليون عاطلاً، ثم إرتفع الرقم في عام 1975 الى 8,032 مليون عاطلاً وفي عام 1976 بلغ عدد العاطلين في أمريكا 9,8 مليون عاطلاً.

وفي المانيا الاتحادية كان عدد العاطلين في عام 1973 قرابة 274 ألف عاطل وفي سنة 1975 بلغ عددهم 1,22 مليون عاطل . وفي عام 1976 ازداد عدد العاطلين الالمان فأصبح 1,44 مليون عاطلاً .

وأما اليابان ، فإن عدد العاطلين فيها عام 1977 كان 664 ألف عاطل ثم أصبحوا 1,063 مليون عاطلاً . وفي السنة الماضية أصبحوا 1,09 مليون عاطلاً .

ومن جهة اخرى سجلت الشركات الاحتكارية في الولايات المتحدة أرباحاً خلال عام 1976 بزيادة 35% بالمقارنة مع سنة 1975 .

وفي بريطانيا اتضح من تقرير تناول أعمال 78 مؤسسة احتكارية بأنها حققت خلال النصف الأول من عام 1965 زيادة بنسبة 50 % بالمقارنة مع نفس الفترة عام 1975 .

وفي المانيا الاتحادية ازدادت ارباح المؤسسات الكبرى ، بناء على معلومات نشرها « بندس بنك » بمعدل 30% خلال النصف الأول من عام 1966 .

وفي تحقيق نشرته صحيفة « الجمهورية » في القاهرة عام 1976 . جاء ما يلي :

**« تعاني الدول الصناعية في العالم الغربي أو ما أصطلح على تسميته بالعالم الحر أسوأ أزمة بطالة منذ الحرب العالمية الثانية ، وينتظر أن تزداد هذه الأزمة تفاقمًا .**

**وعلى امتداد المنطقة التي تغطي مساحتها 24 دولة من الدول الأعضاء في منطقة التعاون الاقتصادي والتنمية شعوب تشكو من ازمة البطالة الطاحنة إذ ان عدد العمال العاطلين في هذه الدول يبلغ أكثر من 16 مليون عاطل».**

كما نشرت صحيفة أخبار اليوم في عددها بتاريخ 12 / 10 / 1974 تقول :

**« في كل مكان الآن باوروبا وامريكا هنا حديث جاد عن « خريف من**

الخوف » يهدد الدول الصناعية المتقدمة ومن خلفها العالم كله . وان الشبح الذي اصبح المجتمع يخشونه حالياً هو الغلاء . ان الرجل الانكليزي الذي كان يحمل في يده عشرة جنيهات منذ سنتين . إكتشف الآن انها تساوي فقط سبعة جنيهات ، وبعد سنتين سوف تساوي ثلاثة جنيهات ونصف ! إنها مشكلة التضخم كما يصفها الاقتصاديون . المشكلة التي تهدد بكساد اقتصادي عالمي ، كالذي شهده العالم في سنة 1929 وما بعدها » .

وفي عام « الردة » سنة 1974 ارتفعت اسعار المواد الغذائية في الولايات المتحدة بنسبة 20% . وفي اليابان ، وكندا ارتفعت الاسعار بنسبة 15% وفي بريطانيا 13% . وتشير الحقائق الى زيادة لا حد لها لعملية التضخم وعجز الحكومات من السيطرة عليها .

وعلق الاقتصادي الامريكي فيكتور برلو على الأزمة قائلاً :

**« الأزمات مستمرة ومتصاعدة وعميقة الجذور وبدون شك متبلورة بدرجة كبيرة في أغلب بلدان العالم الرأسمالي . ورغم وجود بعض الاختلافات غير الجوهرية بين الجمهوريين والديمقراطيين ولكنهم أساساً متفقون على سياسة تخدم الرأسماليين لأنهم يمثلون الرأسمالية في الحكومة لهذا فهم يعمدون الى تقليص كل ما يفيد الشعب لكنهم أبداً لن يبادروا الى تقليص المصروفات الحربية . وهم متفقون في شن حملة على البلدان النامية بهدف نهب مواردها » .**

**جذور الأزمة**

بدأت مرحلة الاستعمار الجديدة في اعقاب الدورات المتلاحقة لأزمات النظام الرأسمالي في منتصف القرن الماضي . ومع ظهور الامبريالية وتحول النظام الرأسمالي . . . أو الطبقة الرأسمالية من طبقة منتجة الى طبقة طفيلية تعيش على تصدير رأس المال والحصول على الأرباح من « قص الكوبونات » بدأت المرحلة الجديدة ، التي شاهدت صراعاً دموياً في حربين متتاليتين ذبح فيها عشرات الملايين من البشر من أجل حفنة من اللصوص الرأسماليين .

ورغم الهزائم والانتصارات ، كان النظام الرأسمالي ككل ، يخسر أرضاً جديدة في اعقاب كل حرب .

ففي الحرب العالمية الأولى تقلص السوق الرأسمالي العـالمي بعد ان فقـد الاحتكاريون الاجانب والروس رأس مالهم ، والأرباح الطائلة بعد تأميم المؤسسات الصناعية والبنوك . فقدوا بذلك مصادر الخامـات الرخيصـة والمنتجات الـزراعية البخسة والأسواق الهائلة لتصريف البضائع الصناعية .

ونتيجة ضيق ميدان الاستغلال الامبريالي وسيطرة الامبريالية اشتد الصراع بين الاحتكارات والدول الامبريالية من أجل اقتسام العالم من جديد .

وبعد الحرب العالمية الثانية تفاقمت أزمة النظام الرأسمالي بعد ان ضاقت ميادين الاستغلال الرأسمالي . فلم يؤد انفصال عدد من بلدان وسط وجنوب شرقي أوروبا الى فقدان الامبريالية الأراضي الشاسعة والموارد البشرية فحسب ، بل فقدت الاسواق لتصريف منتجاتها ، ومصادر الخامات ، وميادين توظيف الرأسمال الهائلة .

ففي بولونيا ، قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت حصة الرأسمال الاجنبي تعادل 63% من مجموع الرأسمال الأساسي ، وفي المجر34% وفي رومانيا 50% ، وامتصت الاحتكارات الاجنبية من بولونيا وحدها عام 1937 أكثر من 400 مليون بولـوني . وخـلال سبـع سنـوات فقط من 1922 حتى عـام 1929 - نقلت الاحتكارات الاجنبية من رومانيا أرباحاً فاحشة تزيد كثيـراً على المبلغ الاجمـالي لواردات ميزانية الدولة في رومانيا لعام 1929 .

وأصبحت مهمة النظام الرأسمالي الامبريالي العالمي الاحتفاظ بما تبقى في دائرة الرأسمالية العالمية ، وحماية النظام الرأسمالي من الخسائر الجديدة . بل العمل على جذب الدول ذات الاتجاه الاشتراكي الى دائرته .

وقامت الولايات المتحدة بدور الحصن الرئيسي للامبريالية العالمية والرجعية ، ونصبت نفسهـا « شرطي الحـراسة » للـنظام الرأسمـالي . واستحقت لقب عـدو الشعوب فقد نشرت صحيفة « نيويورك بوست » مقالاً عن مقتل الزعيم الامريكي « لومومبا» جاء فيه :

**« إن مدبر جريمة القتل النكراء ، هو هذا الامريكي الهادىء ، كان في حينه ممثل الولايات المتحدة في هذا القسم من افريقيا ومعروف عنه في الصالونات أنه اختصاصي بافريقيا . واقترح هذا الحل العملي وهو التخلص من لومومبا ، ونحن**

ثرنا سخطاً ، كما هو اللازم حتى ان البلجيكيون افصحوا جهاراً عن استيائهم ولو أنهم كانوا في أعماقهم مبتهجين كم من النفاق يمكن ان يكون لدينا نحن الناس المتمدنين إن صيد الجماجم أصبح شكلاً لنا في السياسة » .

### من يدفع الثمن

على الرغم من تقلص السوق ، وانسلاخ اجزاء كبيرة من العالم من قبضة الامبريالية ، إلا أن أرباح الاحتكارات العالمية تزيد . وكذلك أرباح تصدير السلع . وتحصل أضخم الاحتكارات الرأسمالية على نحو 10 مليارات دولاراً كربح سنوي من تصدير رأس المال الى البلدان النامية . ويمثل ربحها من تصدير السلع نحو 13 مليار دولار .

ومن واقع بعض التقديرات ان الدول الاستعمارية الامبريالية قد امتصت من السنغال أرباحاً في مدى عشر سنوات تزيد قيمتها الاجمالية عن ثلاثة امثال ما يسمى « بالمعونة » التي قدمتها الدول الامبريالية لهذه الدولة .

إن الأرباح السنوية العائدة للدول الامبريالية من البلدان النامية تبلغ 20 ملياراً تقريباً . واذا اخذنا رأس المال الخاص نجد أن أرباحه التي حولت الى خارج البلدان النامية في الفترة ما بين 1966 ـ 1970 تزيد على الأصول بـ 5,3 أو 8,6 مرات . وقد حولت الاحتكارات الامريكية من بلدان امريكا اللاتينية في الفترة 1961 - 1971 أكثر من 23,6 مليار دولاراً من الأرباح .

وتتغلغل الولايات المتحدة في انحاء العالم بواسطة الاحتكارات الدولية متعددة الجنسيات . ففي هذه الاحتكارات يكون الرأسمال امريكا المقام الأول .

وأصبحنا نشاهد في الوطن العربي ، في جميع أقطار الدول النامية التي تدور في الفلك الامريكي شركات يابانية والمانية وانكليزية وفرنسية . وكلها تعمل لحساب رأس المال الامريكي المشترك مع دول أخرى . ويحدث التنافس بين الدول الاستعمارية لتدعيم احتكاراتها .

وما يحدث في الوطن العربي ليس إلا صورة لهذا الصراع . . . إن الاستعمار القديم ما زال يرى ان الشعب العربي هو منطقة نفوذه . والولايات المتحدة ترى أنها صاحبة هذا الحق . في نفس الوقت الذي يصارع الشعب العربي من أجل حقه .

ان الوطن العربي الذي كان مخزن الغلال للعالم . . والذي كان يعيش في اكتفاء ذاتي من ناحية الغذاء . يسير بسرعة نحو مناطق « الجوع » . هذه المناطق التي تشمل قارات مثل جنوب شرق آسيا وامريكا الجنوبية وافريقيا .

وفي مقابل البذخ والثراء الفاحشين اللذين تشاهدهما في قمم النظام الرأسمالية أو قمم التوابع . نجد الاحصائيات التي تتحدث عن 700 مليون فرد مهددون بالجوع في 32 بلداً . وحالياً يموت 30 الف شخص يومياً بسبب الجوع وسوء التغذية والامراض .

وفي احصائيات الأمم المتحدة نجد ان عدد وفيات الأطفال في مصر يرتفع يوماً بعد يوم . بينما زادت ثروة السادات وأسرته من الصفر الى 750 مليون دولار . ووصلت ثروة عثمان أحمد عثمان الى رقم المليارات . لقد نال السادات الثمن ، كما ناله كل العسكريين الذين قاموا بانقلابات ضد شعوبهم وأوطانهم .

فكما حدث في شيلي . حدث في مصر « لا تأميم » . . كانت احتكارات النحاس الأمريكية تحصل مقابل كل دولار مستثمر في صناعة النحاس على أكثر من 6 دولارات ربحاً صافياً . وحدث التأميم الذي قاده الزعيم الوطني « اللندي » . وقتلوا « اللندي » وأعيدت منشآت استخراج النحاس المؤممة في شيلي الى القتلة منذ 70 عاماً .

في عام 1910 قام تيودور روزفلت بزيارة أفريقيا بعد أن انتهت مدة رئاسته للجمهورية الامريكية عام 1909 .

وفي خلال رحلته مر بالقاهرة . وفي الجامعة المصرية ( جامعة القاهرة الآن ) تكلم روزفلت في إجتماع حضره عدد من كبار الشخصيات السياسية ورجال الجامعة والصحفيين . فقال :

**« لا يمكن اعداد أمة للحكم الذاتي باعطائها دستور أ مسطراً على الورق . أن تربية أمة لتصير أهلاً لحكم نفسها ليست مسألة عشر سنين أو عشرين سنة بل مسألة أجيال متعاقبة . على أن قوماً يقودهم الجهل الى الاعتقاد بأن « منح دستور مسطر على الورق ، لا سيما اذا كان مفتقاً بعبارات فخمة ، هو بنفسه يمنح قوة الحكم الذاتي للامم ، ذلك غير صحيح إطلاقاً » .**

وكان مطلب « الدستور » في ذلك الوقت في مقدمة المطالب الوطنية من أجل الاستقلال . وطالبت به كل القوى الوطنية . ولذا ارتفعت الاصوات ضد تصريحات الرئيس الامريكي بالاحتجاج والتنديد . ونشرت صحيفة « مصر الفتاة » مقالاً بعنوان » فزعة غاب . . جمح روزفلت فأكبحوه ! » .

وكشفت صحيفة « المؤيد » أن ما قاله الرئيس الامريكي لا يختلف عن إتجاهات السياسة البريطانية التي تحكم مصر .

وتراوحت مظاهر الاحتجاج لأقوال الرئيس الامريكي بين المقال الصحفي والخطبة السياسية ومظاهرات الاحتجاج .

كان ذلك منذ 70 عاما . ومن جديد تكرر الموقف ، عندما جاء دالاس وزير خارجية أمريكا الى مصر . وكانت مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية فجاء دالاس ليطالب عبد الناصر بالانضمام الى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط . وأنقل هذا الحوار الذي جرى بين عبد الناصر ودالاس .

« سأله عبد الناصر ، لماذا يجب أن تنضم مصر الى هذه المنظمة ؟ ضد من ستدافع هذه المنظمة »؟

فرد دالاس : ـ«ضد الاتحاد السوفييتي»

ودهش عبد الناصر ، وقال متسائلاً :

ـ«ولماذا ؟ إن الاتحاد السوفييتي يبعد عنا خمسة آلاف ميل ولم تقم قط مشاكل معه كما أنه لم يهاجمنا أبداً . . ولم يحتل أرضنا إطلاقاً . لم يكن له قط قاعدة في مصر ، بينما لا تزال بريطانيا في مصر تقم إحتلالاً عسكرياً استعمارياً منذ سبعين عاماً».

فقال دالاس :

ـ ـ«لا بأس ، لكن الانكليزا الذين سيبقون هنا في ظل هذا الحلف سيبقون

في القاعدة تابعين للحلف ولن يسمح لهم برفع العلم البريطاني إنما سيكونون في ظل الحلف » .

ورد ناصر :

«إنني اذا أخبرت الشعب أن وضع البريطانيين هنا سيتبدل وأنهم سيتحولون من محتلين الى شركاء بمجرد تغيير العلم فانهم سيضحكون علي».

وما رفضه الشعب في مصر عام 1910 ، ورفضه عبد الناصر عام 1953 . قبله السادات ورضي بكلمة « شريك » بدل الاحتلال . ورضي بالتسهيلات بديلاً للقواعد .

- 3 -

بشر السادات بعام 1980 ، كعام للرخاء . وربط مصير الشعب المصري بعجلة الاحتكارات الأمريكية والعالمية .

وجاءت الريح بما لا يشتهي السادات . أو بما يجهل . إن خيبة الحسابات لم تنحصر في تحديد الزمن أو عمق الازمة . ففي البداية كان الزحف البطيء للاقتصاد الامريكي خلال الازمة الاقتصادية الدورية قد تجاوز ما سمته مجلة « بيزنس ويك » ، الهبوط الحر الى هاوية مرعبة حسب أرقام وزارة التجارة الامريكية .

خلال عام 1980 بلغ مستوى البطالة 7,5٪ - 8,7 بالمائة من القوى العاملة الامريكية .

ولم ينج المزارعون من عواقب الازمة . فذكرت صحيفة « فلاديلفيا انكوارير » أن حالة الزراعة الامريكية تشير الى هبوط في الانتاج الزراعي بلغ حداً صار يتعرض فيه سنوياً أكثر من 25 الف مزارع الى الافلاس وهي حالة لم تحصل الا في فترة الكساد الكبير في الثلاثينات من هذا القرن .

وحسب شهادة الاقتصاديين البريطانيين على صفحات الصحف والمجلات ، فان الركود الاقتصادي الذي ألم بجزيرة الاسد العجوز ليس أطول مدة وأبعد عمقاً من أزمة عام 1974 - 1975 الاقتصادية فحسب بل وحتى من سنوات الكساد الكبير في الثلاثينات . وحتى نهاية عام 1980 بلغ عدد العاطلين عن العمل حسب

الاحصاءات الرسمية مليونين وثلاثين ألف شخص . وتزداد صعوبة الحصول على عمل في ارلندا الشمالية واسكتلندا، والمناطق الشمالية الغربية من انكلترا .

ولم يختلف الوضع في ألمانيا الغربية . فحتى نهاية سبتمبر ( ايلول ) عام 1980 أفلست 6750 شركة . وزاد عدد العاطلين الى مليون عامل .

وعانت فرنسا هي الاخرى من ارتفاع نسبة البطالة ومستوى التضخم . وتشغل ايطاليا المرتبة الأولى من حيث مستوى التضخم والبطالة .

ولم يكن شعار « شد الأحزمة » الذي أطلقه السادات ، الاشعاراً مستورداً من الغرب الذي تنادي فيه حكومات أصحاب الملايين العمال والفلاحين بشد الاحزمة . فالكادحون في البلدان الرأسمالية ، هم الخاسرون في المباراة بين أسعار المواد الاستهلاكية وبين الاجور .

فكان عام 1980 هو العام الذي شن فيه الرأسماليون العالميون هجوماً شديداً على مصالح الكادحين في العالم . القى على قارعة الطريق بعشرات الملايين من العمال العاطلين عن العمل . قاموا بسرقة جيوب السكان عن طريق لعبة التضخم النقدي . وتقديم المدافع للناس بدلا من الطعام . .

### سياسة الجهل

في عام 1964 صرح دوجلاس هيوم رئيس وزراء انكلترا في ذلك الوقت قائلا :

**« لا مكان للاستعمار الجديد في القاموس السياسي لانكلترا ونحن لا نعرف المقصود بذلك . يجب أن نستأصل هذا الافتراء من زوايا ادراكنا المظلمة » .**

ورد المراسل البرلماني لصحيفة « التايمس » قائلا :

**« طالما أن السيد « اليك » لا يعرف ما هو الاستعمار الجديد فيجب أن نشرحه له . لا يعني الاستعمار الجديد شيئاً آخر غير إحلال السيطرة الاقتصادية محل السيطرة السياسية والعسكرية » .**

ويبدو أن المراسل البرلماني ، كان طيب القلب أو يتجاهل أن السيطرة الاقتصادية لا يمكن أن تتم الا بالسيطرة السياسية والعسكرية .

ولم يكن في قدرة بريطانيا أو فرنسا أو هولندا الاحتفاظ بهذه السيطرة بعد الحرب العالمية الثانية . فتقدمت الولايات المتحدة لتتبوأ القيادة . كان قدرها ، كما عبر سياسيوها بأن تتولى السيادة على العالم . فدعمت هولندا في محاولة إعادة السيطرة على اندونيسيا . ودعمت فرنسا في فيتنام . ثم بدأت تنفرد بالسيطرة وتشكيل الاحلاف العسكرية وفرضها على الشعوب لضمان السيطرة الاقتصادية .

فهل كان « السادات » يجهل هذه الحقائق ؟

أم يقول كما قال سلطان باشا ، الخائن الذي فتح أبواب مصر للانجليز . « ادعو الله أن يسامحني الشعب ، والا ينتقل اسمي الى الاحفاد موسوماً بالخيانة » .

كان « السلطان باشا » يبرر خيانته ، بأن الانكليز وعدوه بالحياة النيابية لمصر .

فهل وعد الامريكيون السادات بالرخاء لمصر . أم الرخاء له ولعائلته ؟ ! .

على أي حال . لم يكن الإستعمار الأمريكي خافياً . ولم يكن أسلوبه ، ولم تكن أهدافه تختلف عن الاستعمار القديم .

فكما كشف جوزيف تشمبرلن أهداف السياسة الاستعمارية البريطانية قائلا« **في الاستعمار فقط ، فيه الحل الوحيد لازمتنا الاجتماعية ، ذلك أن السلام والبطالة لا يلتئمان ، وليس في بريطانيا فرصة للقضاء على البطالة ، وإني لأراها في تنمية أسواقنا القديمة والاستيلاء على أسواق جديدة** » .

وأكد هذا المعنى إستعماري امريكي . مهد للولايات المتحدة الامريكية دورها في غزو العالم . وقف السناتور بيفردج يخطب في بوسطن عام 1898 ، فقال :

« **ستتسلط . كما علمتنا أمنا انكلترا . سنغطي صفحة المحيط بأسطولنا التجاري . سنبني أسطولا حربياً يتمشى مع عظمتنا ، وحول مراكز تجارتنا ، ستنمو مستعمرات عظيمة تحكم نفسها بنفسها وترفع علمنا وتتجر معنا** » .

فهل كان ربط السادات مصير مصر بالولايات المتحدة ، عن جهل أم تحقيقاً لرغبة قلة من الطفيليين اللصوص والخونة ، باعوا وطنهم من أجل حفنة من الدولارات كما فعل توفيق وسلطان وحفنة الأقطاعيين من قبل .

تجارب سابقة .

لم تكد دول أمريكا اللاتينية تتخلص من الاستعمار الاسباني حتى واجهت الاستعمار الامريكي . وبدل أن تتمتع بثمار الانتصار على الاستعمار القديم وجدت نفسها تواجه أطماعاً جديدة من جانب الامبرياليين في أمريكا الشمالية .

وفي الوقت الذي قامت الولايات المتحدة بجريمتها البشعة ضد شيلي وأغتالت الرئيس الليندي . كان السادات يمد جسوره الى الدولة القاتلة . . . ويصافح العميل الامريكي بيونشيه القائد العسكري الذي خان شرفه العسكري ونفذ الجريمة ضد الزعيم الوطني .

ورغم إغتيال الليندي ، لم تهدا شعوب أمريكا اللاتينية ، فقام الشعب في نيكاراجوا . الشعب الذي لم يتجاوز مليونين وقهر العصابة التي كانت تحكم بأوامر من الولايات المتحدة .

ففي نيكاراجوا يزرع البن والقطن وقصب السكر والغلال . وفيها مناجم الذهب والفضة .

واستغلت الولايات المتحدة الحرب الاهلية التي نشبت في البلاد عام 1912' فأرسلت قواتها المسلحة ، وساندت أحد عملائها ونصبته رئيساً . كما أقامت قواعد بحرية لها على سواحل البلاد وأخذت شركاتها الاحتكارية تستخرج الذهب الذي عثر عليه هناك . كما سيطرت شركة الفواكة المتحدة على المحصول الزراعي .

وسقط شباب مناضل من خيرة أبناء الشعب صرعى رصاص القوات الأمريكية أو أجهزة القمع المحلية . وكانت الاوضاع المتردية المخيفة التي سادت البلاد قد أدت الى قيام هجرة واسعة شملت ما يقرب من ثلث سكان البلاد ، طلباً للقمة العيش في أقطار أخرى أو هروباً من ملاحقة أجهزة القمع .

وعلى الرغم من الاوضاع الشاذة الرهيبة التي فرضتها الامبريالية الأمريكية ، فان الشعب في نيكاراجوا لم يرضخ أو يستكين . بل قاوم المناضلون ، وكما اغتالوا سموزا الأول . . استمروا في نضالهم حتى تخلصوا من سموزا الاخير .

سقط سموزا رغم مساندة القوات الأمريكية . ورغم الفانتوم ورصاص

النابالم . ورغم السجن الرهيب الذي أطبقه على الشعب .

والمعارك لم تنته في كل دول أمريكا اللاتينية ضد الولايات المتحدة . كما احتدمت من قبل في جنوب شرق آسيا ، وما زالت . .

عبد الناصر وامريكا

إن كل ما رفضه عبد الناصر . رضخ له السادات واستسلم له . فمنذ بداية ثورة يوليو ، حاول عبد الناصر أن يجادل أمريكا من موقع السيادة . . فعندما طلب البنك الدولي حق الاشراف على ديون مصر الخارجية ، في مقابل تمويل مشروع السد العالي ، إعترض عبد الناصر بأن ذلك يشكل قيداً سياسياً .

وأثناء مقابلة سفير مصر في أمريكا مساعد وزير الخارجية الامريكية الذي كان ينوب عن دالاس . أصر على طلب شيئين .

أولها : أن تعلن مصر في بيان رسمي ، إمتناعها عن عقد المزيد من صفقات السلاح مع الاتحاد السوفييتي .

ثانيهما : أن يمارس عبد الناصر نفوذه وزعامته في الشرق الاوسط ليعقد صلحاً بين العرب واسرائيل .

ورفض عبد الناصر كل مطالب الولايات المتحدة . وأدرك أنه أمام استعمار جديد يريد أن يحل مكان الاستعمار البريطاني .

وكما هي العادة لجأ الاستعمار الأمريكي الى الاكاذيب . فقال دالاس « انه ليس في وسع الشعب المصري أن يتحمل عبء تنفيذ مثل هذا المشروع الضخم ( السد العالي ) كما أن السوفييت لا يملكون المصادر الكافية للمشروع » .

وأقيم السد العالي . وبدأت المعارك . ولم تكن اسرائيل الا أداة الاستعمار الامريكي .

وصمد الشعب المصري ضد الامبريالية التي أرادت ان تمتص دمه باستغلال لا يقل عن الاستغلال القديم عنفاً .

فكان صراع عبد الناصر والشعب المصري ضد محاولة الرأسمالية العالمية والصهيونية التغلغل في الاقتصاد المصري . وتحميل الشعب في مصر أعباء أزمة

النظام الرأسمالي . وتبين ذلك لعبد الناصر من الشروط التي أراد البنك الدولي فرضها في مقابل قرض السد العالي .

ولم يكن استسلام السادات الا تسليمًا للعدو . . وتسليم الشعب المصري . . وثروته . . وحياته . . ومستقبله .

ففي أعقابه حصلت اسرائيل من مصر على 2 مليون طن بترول باسعار أقل من سعر السوق . وكان معنى ذلك أن تشتري مصر من اسرائيل مقابل البترول بضائع . ورغم أن السادات قبل أن يبيع البترول بسعر أقل . فان مصر تشتري من اسرائيل بالسعر الذي تحدده . أي خسارة في البيع . . وخسارة في الشراء . . ثم أي بضائع أشترت مصر ؟ بيض وموز وبيرة !! وكنا نستبدل البترول بمصانع منتجة .

وعبر السادات عن افكاره عندما خطب يؤكد أن النظام الرأسمالي باق وأن الرأسمالية باقية . ويجب أن تبقى !

ومن سوء حظه أن فلاسفة العالم الرأسمالي ليسوا من رأيه . ففي كتابه « ديناميكية القرن العشرين » يقول د . موجان . **« ان التناقض الرئيسي في الرأسمالية يعبر عنه الظلم الاجتماعي الهائل الذي يمارسه النظام الرأسمالي . فالملايين من الناس الذين يسهمون في إنتاج الخيرات المادية لا يتمتعون الا بالتوافه منها بينما حصة الاسد من نصيب الاقلية ، تلك الاقلية التي لا تعمل شيئاً يذكر لصالح المجتمع »** .

واصبح الحديث عن حتمية التاريخ هو الشغل الشاغل للسياسيين في الغرب . ويحاولون مواجهته بكل الوسائل بالاكاذيب والخداع . . وحتى دمار العالم . فكما قال الرئيس كندي في إحدى خطبه .

**« بصفتي رئيس الولايات المتحدة ، أراني عازماً على الابقاء على نظامنا وتيسير نجاحه ، مهما يكن الثمن ، والخطر داهماً ! »**

ولهذا ، كان من أهداف حركة التحرر مقاومة الاحلاف . فان الخطر الداهم يواجه شعوب العالم الثالث . فكما عرفنا عن انكلترا . **« الدفاع عن الامبراطورية حتى آخر جندي هندي »** . فان شعار الولايات المتحدة لن يكون سوى **« الدفاع**

عن امبراطوريتها حتى آخر جندي من التوابع » .

وخرجت القوات المصرية من مصر . وتركت حدودها مفتوحة للعدو . ولكي تدافع عن مناجم النحاس في زئير . وتحمي نظام السلطان قابوس والنميري .

- 4 -

كانت « معركة الاحلاف » من أعنف المعارك التي خاضها الشعب العربي في مصر والعراق ولبنان .

وبدأت المعارك قبل ثورة يوليو . عندما أسقط الشعب في مصر معاهدة صدقي - بيغن - وأسقط الشعب في العراق معاهدة جبر بيغن .

ولم تكن فكرة الاحلاف في حقيقتها الا امتداداً للاحتلال . فاذا أدركنا أن الغزو أو الاحتلال صاحب السيطرة السياسية والاقتصادية يمكننا أن ندرك الاهداف الحقيقية للتسهيلات أو القواعد .

ولم يكن وجود القوات الاجنبية في مصر أو الوطن العربي قاصراً على نهب ثرواته أو كبت شعوبه . بل خرجت من مصر قوات مصرية بريطانية لضرب ثورة السودان . وقامت القوات البريطانية من بغداد لضرب ثورة مصر .

ثم ظهر هدف ثالث بعد قيام الثورة الاشتراكية العالمية المعادية للرأسمالية فأصبح هدف القواعد ، محاصرة هذه الثورة ومحاولة ضربها .

وفي مواجهة ثورة التحرر العالمية . أصبح تأسيس الكتل والاحلاف والقواعد التي تتيح فرصة التدخل في الشؤون الداخلية لعدو من البلدان النامية ، يشغل مكاناً هاماً في السياسة الاستعمارية .

وأسس حلف جنوب شرق آسيا بصورة رئيسية بجهود الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا كرد على نهوض حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا والشرق الاقصى في فترة ما بعد الحرب .

وسجل الحلف في عاصمة الفلبين عام 1954 . وأعلنوا أن أحد أهدافه هو النضال ضد « نشاط الشيوعيين الهدام » . وهو الاسم الذي اطلقوه على حركة التحرر الوطني . فاتهموا ناصر وسوكارنو ونهرو ولومومبا بالانتماء الى الشيوعية .

وتحت هذه الذريعة نصت المادة الرابعة من الحلف **« تستطيع الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا بموجب جماعي اتخاذ أية اجراءات حيال أية دولة أو أي أقليم في هذه المنطقة »** .

ومعنى ذلك ببساطة فرض الابقاء على الاوضاع المتخلفة التي تركتها سنين الاستعمار السابقة .

ولعل من الطريف أن نذكر ما جاء في التقرير السنوي الثاني المتعلق بنشاط حلف جنوب شرق آسيا . ينص التقرير :

**« ان الاتفاقيات مع البلدان الشيوعية بصدد تقديم المساعدة التكنيكية تحتوي على خطر آخر ، لان هذه الاتفاقيات تتيح الفرصة لدخول الخبراء الى البلاد التي تحصل على هذه المساعدة . »**

فكما يقول المثل العامي في مصر «لامنها ولا كفاية شرها» فلا هي صنعت الدول التي كانت تحت سيطرتها ولا تريد لها التصنيع من دول اخرى !

ولهذا كانت مقاومة الشعب في مصر والعالم العربي لسياسة الأحلاف أو القواعد العسكرية . أو ما يطلق عليه التسهيلات .

**البداية**

أمام ضغط القوى الوطنية في مصر . وحصيلة النضال المتصل والمستمر من عام 1882 حتى عام 1946 . شكل صدقي ( باشا ) وفد المفوضات من أجل جلاء القوات البريطانية .

واصدرت الحكومة البريطانية بياناً أعلنت فيه عرضها لسحب جميع قواتها البرية والبحرية والجوية من مصر ثم تركزت على ثلاث نقاط كان اهمها :

**« الاتفاق على ما يتخذ بين الحكومتين من التدابير لتحقيق التعاون في حالة الحرب أو خطر حرب وشيك الوقوع »** .

وعلق صدقي ( باشا ) المعروف بمواقفه الخيانية والعدائية للشعب في مصر . والذي أقام المذابح في مدن مصر . بقوله :

**« لا شك عندي أن الجلاء التام والمحالفة الصادقة في حدود ميثاق سان**

فرانسيسكو نعمة بعيدة المدى ! »

وقابل الشعب المصري البيان البريطاني وتصريحات صدقي بموجة من الهياج والثورة . وأصدرت الاحزاب والهيئات السياسية المختلفة بيانات نددت بموقف بريطانيا وصدقي . ووقعت اضرابات ومظاهرات . وانطلق المصلون في مظاهرة من جامع الازهر ، أصيب فيها ثلاثون من المتظاهرين بالرصاص . وطالبت صحيفة « المانشسترجارديان » بحكومة مصرية على قدر كبير من الحزم والشجاعة للوصول الى اتفاق على المسائل الخطيرة .

واستمرت المفاوضات بين الجانبين المصري والبريطاني . ووصل الطرفان الى تشكيل « لجنة الدفاع المشترك » إذ اقترح البريطانيون أن تشكل لجنة عسكرية من الطرفين يكون مهمتها التشاور واسداء النصح للحكومتين بما تقومان به من العمل المناسب « في كل الحالات التي تهدد سلامة الشرق الأوسط بما في ذلك كافة الاراضي المتآخمة لمصر » .

واشتعلت مصر . . وخرجت المظاهرات الشعبية . وأصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بياناً طالبت فيه بقطع المفاوضات . واتفقت كل القوى الوطنية على أن يكون يوم 11 يوليو ( ذكرى ضرب الانكليز للاسكندرية في عام 1882 ) يوم الحداد العام وتجديد الجهاد الوطني.

ومن جديد أسال الخائن صدقي دماء الشعب في شوارع المدن . وأغلق جامعتي القاهرة والاسكندرية . ورغم كل ذلك ، سقطت وزارته وتحطم مشروع صدقي - بيفن ، مشروع ربط مصر بمعاهدة من معاهدات التحالف مع الاستعمار .

وجاءت حكومة النقراشي . ولجأ الى مجلس الامن فلم يؤيد مصر سوى المندوب السوري والمندوب السوفييتي ، والمندوب البولوني .

وعبرت صحيفة « نيويورك تايمز » عن موقف الولايات المتحدة ، بقولها أن الولايات المتحدة الامريكية :

« ليست مستعدة لتأييد مطالب مصر أو جلاء الانكليز عنها ولا الى التصويت ضدها ، وأن مصلحتها في تأجيل البت في النزاع » .

وفي مارس 1947 صدرت صحيفة « الطليعة الوفدية » وركزت هجومها على

السياسة الاستعمارية وعلى الاستعمار الامريكي ذي المطامع الجديدة في العالم العربي بالسيطرة على البترول وإقامة القواعد العسكرية ، وهاجمت سياسة « سد الفراغ » للحلول محل الاستعمار البريطاني باسم معاداة الشيوعية .

وهنا نذكر أن الخائن صدقي الذي أراد ربط مصر بالاحلاف العسكرية هو نفسه الذي عمل على تأجيل مشروع تنظيم الشركات الذي كان ينص على الا يقل رأس المال المصري عن 51% والا تقل نسبة الموظفين عن 75% والعمال عن 90% وألا تقل نسبة المرتبات عن 65% للموظفين و 80% للعمال وأبدى صدقي معارضته للمشروع في التقرير الذي قدمه ـ وهو رئيس للوزراء ـ عن الحالة الاقتصادية الى مجلس النواب . وقال فيه :

« أو أن أكرر أن مصر الحديثة لا تفرق ولن تفرق بين رؤوس الاموال المصرية ورؤوس الاموال الاجنبية وأنها لن تسير على خط التمييز بين المصريين وغير المصريين » .

وتحدث الى صحيفة « الريفورم » قائلاً :

« إن الحكومة تعطف على مصالح الاجانب التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمصالح البلاد»!! كان صدقي عاهراً صريحاً . سفك دماء المصريين في المصانع والقرى ، والشوارع . . وأيد وجود إسرائيل والصهيونية . وعارض خطوات تأميم الشركات أو تمصيرها . وأخيراً أراد لمصر الارتباط بالاحلاف العسكرية .

وكان صدقي خائناً فاجراً . . يدوس مصالح الشعب في مصر لمصلحة الاستعماريين . فكما عارض صدقي مشروع تنظيم الشركات هبت دوائر وزارة الخارجية في لندن وواشنطن تبديان قلقهما من هذا المشروع .

ولم تكن الاحلاف العسكرية الا لمواجهة مثل هذه الخطوات الوطنية في العالم الثالث . .

وأكد سقوط حكومة صدقي انتصار ارادة وكفاح الشعب المصري من أجل استقلاله ، ورفضه التبعية .

قبل المعركة

كانت بريطانيا بحكم نفوذها التقليدي هي التي نشطت لتنفيذ سياسة

الاحلاف العسكرية في* الشرق الاوسط لصالحها وصالح الولايات المتحدة . وعندما ألغت الحكومة الوفدية معاهدة 1936، استنكر الانكليز والامريكان الغاءها من طرف واحد . وأعلن وزير الخارجية البريطانية أن بلاده متمسكة بالمعاهدة وأنها ستقابل القوة بالقوة إبقاء على قواتها بمنطقة القنال ، وأن الدول الغربية ستتولى الدفاع عن مصر رغمًا عن أنفها .

كما أعلنت فرنسا معارضتها لهذه الخطوة . وأعلن اتشيسون وزير الخارجية الامريكية بأن مصر لم تعط الالتزامات الدولية إحترامها اللائق ، ووجه اللوم لها لالغائها المعاهدة !

كانت الولايات المتحدة تحاول الاستفادة من الحركة الثورية الـوطنية ، في اقتلاع جذور الاستعمار البريطاني أو الفرنسي القديم ثم الحلول محل الاستعمار المطرود باسم معاداة الشيوعية .

وفي سبتمبر 1951 قبل إلغاء المعاهدة أثير مع الحكومة المصرية اقتراح بانشاء قيادة للبحر الابيض تضم مصر وتنضم الى حلف الاطلنطي . فلما ألغيت المعاهدة تقدمت الدول الاربع بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا باقتراح تقبل به مصر الدفاع المشترك مع الدول الاربع ، وأن تحمي قناة السويس قوات دولية فيها هذه الدول مع مصر واستراليا ونيوزيلند وجنوب افريقيا .

كان التحايل على ربط مصر بالاحلاف يتم بصورة متعددة .

ولكن مصر رفضت كل صـور التحايـل . ورفضت قبول أي قـوات على أراضيها .

وكانت مقترحات الدول الاربع بانشاء حلف البحر الابيض المتوسط تشمل سوريا ولبنان . فعمت المظاهرات كل من البلدين ، وارغم الشعب السوري وزارته على الاستقالة عندما أظهرت موافقتها على هذه المقترحات . وسارت المظاهرات أياماً في سوريا تهتف بسقـوط الحلف . وقامت المـظاهرات في الاردن تنـادي بسقوط المعاهدة المصرية البريطانية . وأعلن شباب العراق التطوع للكفـاح المسلح ضد القوات البريطانية في القناة .

ولم تكن معركة الاحلاف ، معركة مصر وحدها .. بل كانت معركة العرب

جميعاً بل معركة العالم الثالث الرافض لاستبدال استعمار باستعمار .

**معركة الاحلاف**

قامت ثورة 23 يوليو ، بصورة انقلاب عسكري ، مما أوحى الى كل من بريطانيا والولايات المتحدة بأن الحكومة العسكرية قادرة عن طريق القبضة العسكرية أن تكبل الشعب وتفرض عليه سياسة الاحلاف .

وحاولت امريكا وبريطانيا تغيير الاسم وحذفت كلمة الحلف . وبدل اسم « منظمة حلف الشرق الاوسط » تغير الى ما سمي « منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط » ثم طرحت واشنطن عقد حلف اسلامي يضم تركيا وباكستان ومصر .

ولكن مصر أصرت على رفض كل أنواع الاحلاف . وعندما تم توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر مع الاستعمار البريطاني ، حاولت بريطانيا وامريكا اقناع الحكام العسكريين الارتباط بحلف الدفاع للشرق الاوسط . وعندما فشلوا ، سعوا الى ضم دول عربية الى هذا الحلف .

ولم تفقد الحكومة الامريكية الامل في ربط مصر بحلف دفاعي لتبقى قناة السويس قاعدة صالحة له . ولكن عبد الناصر رفض التورط في أي ارتباط عسكري أو حلف مع امريكا او انكلترا استجابة للرأي العام في مصر والوطن العربي .

وبدأت المعركة . .

الاستعمار يصر على توقيع الحلف . ومصر تقاوم وتهاجم الدول العربية التي قبلت الانضمام الى الاحلاف .

ويرتفع صوت الرجعية في مصر ويصرح علي ماهر ( باشا ) لصحيفة « الاخبار » أن مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب أن تنضم الى الغرب !

ولكن حكومة العسكريين التي بدأت تظهر روحها الثورية ظلت على موقفها المبدئي في رفض الاحلاف .

وأسرعت الولايات المتحدة ، وعقدت اتفاقاً بين عراق ( نوري السعيد ) ، وتركيا ( عدنان مندريس ) كبداية لحلف دفاعي مشترك ، يرتبط بحلف الاطلنطي عن طريق تركيا . ثم انضمت ايران وباكستان .

ودفع نوري السعيد حياته ثمناً لهذا الحلف.. كما أطاح الحلف بعرش شاه ايران . وانتهى عدنان مندريس ، وتقلبت باكستان بين الانقلابات !

أعلن عبد الناصر فور سقوط نوري السعيد . وقيام ثورة العراق « **ان العراق يقع وسط منطقة يريد الاستعمار العالمي ان يؤمن وضعه فيها . ويربطها بخطوط سيطرته ويبسط عليه ظل نفوذه . وأستطاع شعب العراق اسقاط ـ بثورته الخالدة يوم ١٤ يوليو ( تموز ) 1958 ـ أكبر مخططات السيطرة والنفوذ الاستعماريين ممثلاً في حلف بغداد** » .

**وكانت مصر قد قدمت الثمن من دماء ابنائها في سيناء وعلى ضفاف القناة** وواجهت العدوان الصهيوني والجيوش الانكليزية والفرنسية من أجل رفض هذه السيطرة .

وكان انتصار العراق امتداداً لانتصار مصر في معركتها ضد الاحلاف . وأعلن نهرو أثناء زيارته للقاهرة .

« **إن انتصار مصر في معركة الاحلاف ، انتصار للهند أيضاً** » . ولم تكن المعركة ضد الاحلاف العسكرية مجرد اندفاع في العداء . بل كانت مرتبطة أساساً بلقمة العيش للمواطن العربي . فكان **رفض الاحلاف بداية الطريق نحو تحرير الاقتصاد العربي من الاستغلال والاستنزاف الاستعماري . فاستردت مصر قناة السويس ، كما استردت العراق بترولها . وأصبح حق التأميم معترفاً به من الامم المتحدة . وعادت ثروة مصر الى أبنائها . وأقيمت المصانع واختفت البطالة وتوفر قدر أدنى لمستوى معيشة الفرد . واستطاع الانسان في مصر ان يجد الحد الادنى لضرورات الحياة سواء بتخفيض الايجارات أو إقامة المجمعات السكنية او مجانية التعليم** . وتحديد أسعار مواد الغذاء .

بدأت مصر خطوات البناء . ارتفعت مداخن المصانع في الوجهين القبلي والبحري . وأخذت الخطوات تسير حثيثاً نحو انتقال مصر من مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع صناعي متطور . وبعد أن كانت مصر تعتمد في حياتها على ما يقدمه العالم الصناعي ، أصبح كل شيء في البيت المصري من صنع الأيدي المصرية . وأخذ الباب يغلق أمام عمليات النهب الاستعماري . ولكن كما كتب المفكر الفرنسي جاك كوبار .

« قدم القادة الاسرائيليون أنفسهم ومنذ نشأة دولتهم كحراس لمغارة علي بابا الخاصة بالمصالح الامريكية . وتتم عملية النهب على حساب رفاهية الشعوب التي ما تزال تعيش في البؤس الموروث من الاستعمار ومن الظلمة الاقطاعية . بينما حصل الدركي الاسرائيلي وما زال يحصل على ما هو ضروري للقيام بمهمته : المال والسلاح كما أنه يقبض حصته من السلاح » .

فلم تكن الحروب التي خاضتها مصر ضد اسرائيل ، الا دفاعاً عن استقلالها وحريتها ، واصرارها على رفض التبعية أو القبول بسياسة الاحلاف .

كانت مصر وهي تبني حياتها الجديدة تحارب في جبهات متعددة .

**أولاً** : العدو الامريكي الذي أراد أن يحل مكان الاستعمار القديم .

**ثانياً** : العدو الصهيوني الذي قام بدور رأس الرمح .

**ثالثاً** : الرجعية العربية التي أصيبت بالذعر من التطور في مصر وانعكاسه على الشعب العربي .

**رابعاً** : الرجعية داخل مصر ، التي تكتلت داخل الجيش وظهر تآمرها في حرب يونيو ( حزيران ) والعناصر الخائنة التي اختفت وراء شعارات الناصرية ولم تؤمن بها .

وظل الصراع محتدماً بين الوطنية والخيانة . الحركة الوطنية تقاوم الاحلاف والارتباطات العسكرية . والخيانة تصرح جهاراً أو تعمل سراً من أجل جر مصر والوطن العربي الى الاحلاف بكل مسمياتها من دفاع مشترك . أو قواعد عسكرية . أو تسهيلات .

### عبد الناصر والاحلاف

أدرك عبد الناصر منذ البداية معنى الارتباط بالاحلاف اذ كان من أوائل الكتب التي قرأها كتاب « النقطة الرابعة » . ومع ذلك حاول أن يصل الى الحلول السلمية بالنقاش والمحاورة . ووجد نفسه في النهاية ـ كما عبر عن ذلك ـ أمام استعمار جديد . أو كما قال : **« أحسست أمام يوجين بلاك أنني أمام ديلسبس جديد »** . وديلسبس كما هو معروف ، الرجل الذي مهد لاحتلال مصر بعد نهبها من خلال سياسة القروض التي فرضها لحفر قناة السويس .

وبدأ الضغط على عبد الناصر بسياسة القروض . ثم السلاح . وأخيراً بدفع اسرائيل الى العدوان .

وبعد العدوان الثلاثي ، ظهر مشروع ايزنهاور . ثم الحلف « الاسلامي » . ولم يرعب عبد الناصر أن يحمل الحلف العدواني شعاراً دينياً . وأن يتستر وراء الاسلام . فلم يكن الاسلام ستاراً للرجعية التي تريد أن تبني لنفسها امتيازات طبقة شرهة . أو ستاراً للصوص والافاقيين الاستعماريين . وهاجم عبد الناصر الحلف الجديد .

قائلاً :

**« تنزل عليهم نوبة دين ، ونوبة كلام على الدين ، ونوبة كلام على الايمان . وهي فكرة . أهو تضحك على الناس فضحك على المسلمين ، ونقول لهم الدين والايمان والالحاد والاشتراكية كفر . ولكن أكل أموال الناس حلال . العدالة الاجتماعية كفر ولكن نهب أموال الناس حلال ، حكم الشعب كفر ولكن حكم الامراء حلال ويقولوا للمسلمين أحنا بنعمل من أجل وحدتكم ومن أجل رفعة شأنكم ، وهم ناسيين أن المسلمين كلهم عارفين أنهم خدام أمريكا».**

وفضح عبد الناصر في هذا الخطاب الذي ألقاه في عيد الوحدة 22 فبراير 1967 كل الاهداف الامريكية ـ قائلاً :

**« لم نقبل سلاح امريكا في أول الثورة علشان كانوا عايزين مع السلاح الامريكي يرسلوا بعثة امريكا » .**

كان ذلك الطلب في عام 1953 ثم عادوا في عام 1965 وطلبوا تحديد الجيش المصري ، كما فعل الانكليز من قبل . وأعلن عبد الناصر .

**« يجولنا في سنة 1965 عايزين يفتشوا يبق لهم حق التفتيش على الصواريخ وعلى القنابل وعلى النشاط الذري والابحاث الذرية ، وأيضاً يفرضوا علينا أن الجيش المصري ما يكبرش ويقف نموه عند حد معين » .**

فلم يكن الهدف من الاحلاف حماية مصر من الخطر المزعوم . ولكن حماية الاستثمارات الاجنبية ، ووسائل النهب الاستعماري ، والحفاظ على امتيازات الفئة الرجعية التي كونت ثرواتها في حماية القوى الاجنبية .

وكان عبد الناصر يؤكد أن لا طريق سوى الصمود . فقال في خطابه ديسمبر عام 1968، .

**« أيها الاخوة**

**نحن نعلم طريقنا . طريق الصمود وطريق التحرير ، ونحن نعرف أيضاً الثمن الذي سندفعه وقد يكون هذا الثمن غالياً ولكننا لن نتردد في دفعه في سبيل الصمود وفي سبيل التحرير وحتى لا نستسلم أبداً .**

**هذا ـ ايها الاخوة هو اساس بقائنا . بقاء الامة العربية لان اسرائيل اذا توسعت الان فلن تكتفي بهذا التوسع أبداً ولكنها ستتوسع أيضاً في المستقبل . إن إسرائيل كانت تقول دائماً أن ملكها يمتد من النيل الى الفرات . إن اسرائيل كانت تقول دائماً أن لها حق في المدينة المنورة ولها حق في مكة . إن اسرائيل كانت دائماً تقول أن لها حقاً في أجزاء من العالم العربي . . في لبنان وفي سوريا وفي العراق وفي السعودية وفي مصر » .**

**السادات والاحلاف**

ظل السادات مكتوف اليدين مقيد الفكر طوال فترة حكم عبد الناصر . حتى أطلق عليه لقب « البكباشي موافق » .

والحقيقة لم يكن السادات منذ اليوم الأول للثورة موافقاً . بل حاول التهرب من المسؤولية في الليلة الأولى . ثم أعلن رأيه بصراحة ـ كما قال في كتابه البحث عن الذات ـ لم يكن مع الديمقراطية . كان يرى أن الثورة هي من صنع العسكريين . ولا بد أن تسير على منهج الضبط والربط العسكري .

وظل الشر كامناً ثمانية عشر عاماً . ثم انطلق يعربد . كل ما حصل عليه الشعب يسلبه منه . وكل ما تصدى له الشعب يفرضه . كان يعبر بتصرفاته عن فكره الفاشي .

وفي اعقاب اتفاقية الكيلو 101 جاء نيكسون الى القاهرة ، وكان أول رئيس أمريكي يصل مصر منذ عام 1945 ـ أي منذ زيارة الرئيس روزفلت للملك فاروق !

وأعقب ذلك الزيارة المشؤومة لاسرائيل . ومعاهدة التحالف مع العدو

الصهيوني . واتفاقيات التبادل الاقتصادي أي عوده النهب الاستعماري من جديد الى مصر .

وكما عودتهم أمهم بريطانيا قامت الولايات المتحدة في أثر كل خطوة الى الوراء من السادات بخطوات عسكرية الى الامام .

كانت الخطوة الأولى للولايات المتحدة الامريكية ، إقامة « محطة الانذار المبكر » في شبه جزيرة سيناء بين الخطوط المصرية والصهيونية . وتحولت منذ البداية وبعلم وموافقة القيادتين المصرية والصهيونية . الى قاعدة متطورة للرصد الالكتروني ، والاستماع الى الاتصالات اللاسلكية في كافة دول المنطقة . ثم أصبحت هذه المحطة حلقة أساسية في حلقات الاتصال مع اقمار التجسس الامريكية .

وكما هو الحال في كل خطوات السادات أو الولايات المتحدة المتسمة بالخداع والتغرير . بدأ الاحتلال الامريكي لمصر .

وفي الوقت الذي كان وزير الحربية المصري ينفي إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية في مصر ، أكدت صحيفة واشنطن ستار الامريكية أن القاعدة الجوية الامريكية التي وضعها الرئيس المصري تحت تصرف القوات الامريكية تقع بالقرب من الاقصر في أعالي وادي النيل . وهي قاعدة جديدة نسبياً أسمها « كينا » ، ونشرت الصحيفة الامريكية أن الولايات المتحدة تستعمل هذه القاعدة منذ زمن وتهبط فيها طائرات دورية واستطلاعية تابعة لسلاح الجو الامريكي للقيام بدوريات في الشرق الاوسط .

وقالت الصحيفة ان موقع القاعدة هذه يمكن الولايات المتحدة من الوصول الى جميع دول المنطقة كايران وافغانستان ودول الخليج العربي والقرن الافريقي والعودة الى مطار كينا .

وأكدت الصحيفة نقل بعض المعدات المتطورة وبعض أجهزة الرادار الحديثة الى مطار « كينا » في طائرات نقل أمريكية كبيرة . وأن الولايات المتحدة زودت بعض الطواقم الارضية المصرية بالمعدات الحديثة لتتمكن من تأدية الخدمات الارضية للطائرات الامريكية بما في ذلك الوقود .

إن ما يؤكد الشكوك والريبة بل الخيانة والعدوان . أن ما يقوم به السادات وما تنفذه الولايات المتحدة . يتم في الخفاء وبوسائل تضليلية تخفي الاهداف الحقيقية . فتحولت كلمة « الاحلاف » . الى « تسهيلات » ثم الى« مستودعات » ! ويتم تنفيذ هذه القواعد في سرية . وفي خفاء من الجماهير .

ونشرت صحيفة « الوطن » الكويتية تقريراً من واشنطن كشفت فيه دور محطات « الانذار الامريكي » . كما كشفت سر قاعدة كينا .

وقالت الصحيفة في رسالة من واشنطن : « واستناداً الى المعلومات المتوافرة ، **يمكن القول بأن الاستراتيجية الامريكية الجديدة في منطقة الشرق الاوسط تقوم على ما يلي :**

● **تحويل العلاقة بين مصر والكيان الصهيوني الى نوع من التحالف العسكري والسياسي ، موجه في القاهرة ضد الاتحاد السوفييتي وما يطلق عليه « خطر التوسع الشيوعي » ، وفي الحقيقة هو ضد الاقطار العربية الأخرى التي ترفض الانضمام الى المخطط الاستسلامي الذي تدفعها الولايات المتحدة اليه .**

● **استغلال أحداث أفغانستان لتسهيل تنفيذ مخطط يرمي الى إنشاء حلف جديد تحت ستار الدفاع عن الاسلام .**

● **تصوير الخطر الصهيوني كقضية ثانوية في اهتمام المواطن العربي .**

● **العمل على اعداد الخطط والمؤامرات لقلب بعض انظمة الحكم الرافضة ، وابدالها بأنظمة موالية لواشنطن».**

ونستطيع أن نضيف ، أن هذه الاستراتيجية موجهة أساساً ضد المواطن العربي الذي يحملونه عبء أزمة النظام الرأسمالي . من تضخم وبطالة وأرتفاع الأسعار .

لقد أصبح الوطن العربي مرتعاً لكل أفاق أجنبي . من شركات أو محتالين أو نهابين يتدفقون بالألوف كما حدث في بداية الاحتلال القديم .

ولم يعد في قدرة الانظمة المزيلة في الوطن العربي أن تحمي نفسها من غضب الجماهير التي تعيش في علب الصفيح ، وتتمرغ في الجوع ، بينما الفيلات الفخمة

والقصور وشقق الاسكان الفاخر تقام أمام عينيها للقادمين الاجانب ولأغنياء الثراء الطفيلي !

ولم يعد في قدرة المواطن العربي أن يتحمل أعباء الغلاء المستورد من الغرب الرأسمالي . او من فرق وعصابات النهب المحلي .

وأمام موجة السخط العارم ، وسقوط الانظمة العميلة في ايران ونيكاراجوا . تبحث الانظمة الهزيلة عن حماية . ولا تجدها في أقطارها بل تلجأ الى العدو الخارجي . تستمد منه العون كما هو حادث في امارة عمان أو السودان ومصر وغيرها .

واصبح مطلب الاحلاف ملحاً سواء للحكام « الاراجوزات » أو للشركات الاجنبية التي تقوم بعمليات النهب . أو للطبقة المرتشية .

**التحالف الامريكي ـ الصهيوني**

اعلنت الولايات المتحدة اكثر من مرة على لسان رؤسائها أو وزراء الخارجية أو الدفاع الأمريكي .

« إن الولايات المتحدة الامريكية مستعدة لاستخدام القوة العسكرية بغية حماية مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط » .

إن المصالح الامريكية هي هدف الولايات المتحدة . وليست مصالح شعوب المنطقة . ولهذا كان تحالفها مع العدو الصهيوني . إنها لا تثق في قدرة حكام المنطقة الاتباع على حماية هذه المصالح . ولهذا كان إصرارها على دعم الكيان الصهيوني ليقوم بدور الشرطي في المنطقة .

وقام هذا « الشرطي » بالفعل بدوره ، عندما استردت مصر ثروتها المنهوبة وأممت قناة السويس .

ثم قام مرة ثانية بدوره ، عندما أممت مصر الشركات الكبرى وكان النصيب الاكبر فيها للعناصر الصهيونية والاجنبية .

واذا كانت المصالح الامريكية والصهيونية في مصر ضئيلة الشأن بالنسبة للبترول . الا أن ما حدث خلال فترة حكم عبد الناصر أكد ماذا يعني استرداد

الشعوب لثرواتها .

ان مقارنة بسيطة بين أسعار الضروريات أيام ثورة التحرير التي قادها ناصر . والاسعار بعد فترة التبعية التي يقودها السادات تكشف لنا معنى النهب الرأسمالي . وأهداف السيطرة الأمريكية والعدوان الأمريكي الصهيوني . . فكل قرش أو فلس يسلب من المواطن العربي يصب في جيوب السادة الاتباع ثمناً للوساطة التي يقومون بها لملء خزانة الولايات المتحدة والصهيونية .

ولم يكن غريباً بعد أن وقع السادات معاهدة الاستسلام مع إسرائيل بالمباركة الامريكية ، أن تعقد الولايات المتحدة ، واسرائيل معاهدة ثانية لحماية معاهدة الاستسلام . وتنص المعاهدة الثانية على :

**« إن الولايات المتحدة على استعداد لان تنظر بعين الاعتبار في حالة الضرورة في تعزيز وجودها العسكري في المنطقة وتقديم الامدادات العسكرية العاجلة ، وممارسة حقوقها البحرية لوضع حد لأي انتهاك للمعاهدة » .**

إن الولايات المتحدة والصهيونية يدركان أن معاهدة الاستسلام المنافية للقانون الدولي . ولكل الاعراف والقوانين والمواثيق الدولية ، لا يمكن أن تظل سارية المفعول بعد زوال حكم السادات ولهذا أقدمت على توقيع معاهدة التعهد الامريكي لاسرائيل بالتدخل العسكري والاقتصادي لمنع أي خرق مصري لبنود المعاهدة .

ولم تكتف الولايات المتحدة بذلك ، بل دعمت اسرائيل بالسلاح . وتدفقت عليها كل أنواع السلاح الامريكي بملايين الدولارات .

وفي نفس الوقت الذي يزداد فيه الترابط والتحالف بين إسرائيل وامريكا . ترتفع الاصوات ضد الاتحاد السوفييتي ليظل الوطن العربي تحت رحمة عدو لا يرحم دون حليف أو صديق .

الصديق الجديد !

كان السادات ، في تبريره لسياسة الاستسلام على أثر زيارة تل ابيب المشؤومة ، قد أعلن ان مبررات الزيارة والإستسلام هو حرصه على توفير المال اللازم لمواجهة الغلاء ، والحفاظ على ارواح المصريين .

فماذا حدث ؟

بلغت قيمة القروض الائتمانية المقدمة لمصر من الولايات المتحدة 1,5 مليون دولاراً على مدى ثلاث سنوات لشراء أسلحة أمريكية . أي أن مصر عادت من جديد ، ودخلت دوامة تجارة السلاح التي تحررت منها عام 1955 . وعاد تجار السلاح والوسطاء وأصحاب العمولات . وعادت الاسلحة الفاسدة !

وتلقت مصر من أمريكا 35 طائرة مستعملة من طراز ف 4 بلغ ثمنها 600 مليون دولاراً تقريباً . كما تلقت 50 حاملة جنود مدرعة من طراز م 113 بلغت تكاليفها 169 مليون كما حصلت مصر على 11 بطارية صواريخ معدلة من طراز هوك تبلغ قيمتها 560 مليون .

ولم يقتصر الامر على المال . بل الارواح . فقد اذاع ثوار جبهة تحرير عمان أن قوة مشتركة أمريكية، مصرية مؤلفة من نحو ألف رجل اشتركت في أوائل شهر مارس عام 1980 في عمليات ضد ثوار جبهة تحرير عمان ، وان الغرض من هذه العمليات كان لاختبار قدرات القوات الامريكية المصرية على العمل في المنطقة .

وأعلن أن طائرات مصرية اشتركت في القتال في زائير لحماية مصالح الشركات الاحتكارية . وتعسكر قوات مصرية في السودان تحسباً من تحرك شعبي ضد نظام النميري المزعزع .

وأصبحت مصر في ظل الصداقة الجديدة . درعاً للشركات الاحتكارية بعد أن رفعت شعار التأميم في عهد عبد الناصر .

وفي حديث صحفي ، أعقب توقيع المعاهدة سألت محررة من « أخبار اليوم » السناتور الامريكي تشارلز بيرسي .

-«هل تتصور أن الإنفاق العسكري سيتوقف مثلاً أو ينخفض لتوفير الانفاق ؟ هل تعتقد أنت أن عهد مثل هذا سيحدث»؟

فأجاب السناتور الامريكي :

-«ابداً وقد ثبت أن الضعف في حد ذاته ليس ضماناً للسلام»! وهكذا تتكشف نوايا الولايات المتحدة . فهي تريد جيوشاً مسلحة بأسلحة أمريكية لتحارب عنها لحماية مصالحها . ولتزويد تجار السلاح بزبائن فقد بلغ قيمة ما باعته الولايات المتحدة من السلاح لدول الشرق الاوسط 30 مليون دولاراً !

وانتهى الامر بأن اصبحت مصر قاعدة أساسية لتنفيذ عمليات قتالية خاطفة ، في منطقة الشرق الاوسط لصالح الولايات المتحدة .

كما أصبح من وظيفة مدير الوكالة الامريكية للتنمية الدولية بالقاهرة التحدث عن المشاكل الاقتصادية لمصر ، وقوانين الاستثمار . واقتراح سياسة الضرائب !!

وتكشفت نواياً الولايات المتحدة ، فهي تريد أن تملأ الفراغ الذي تـركه خروج القوات البريطانية . وليست قاعدة « رأس بانياس »الابديلا لقاعدة منطقة القنال البريطانية . وهي تصبو الى العودة للعراق لإحياء قاعدة الحبانية .

ثم يعري السادات نفسه فيصرح لمجلة « اكتوبر » أنه ينوي ضم مصر رسمياً ونهائياً الى حلف الاطلسي ! .

# الفصل العاشر

## أزمة الفكر

**بسم الله الرحمن الرحيم**
**« اقرأ باسم ربك الذي**
**خلق . . خلق الانسان من علق**
**إقرأ وربك الأكرم . الذي علم**
**بالقلم . علم الانسان ما لا يعلم »**

**- قرآن كريم -**

- 1 -

## ازمة عالم ثالث .. ام ازمة مثقفين .. !! ؟ !

من يحمل مسؤولية المرحلة ؟ !

سؤال يطرح نفسه بأشكال متعددة .. ولعل أكثر الناس حديثاً عنه هم المثقفون ..

يسألون :

- ما المخرج من الازمة ؟

يقولون ..

- ما الحل .. وما الطريق اذا كانت الابواب كلها موصدة ؟

ويرددون ..

- الى أين .. والظلام حولنا كثيف .. المعتقلات والسجون .. والمشانق والارهاب ...

كلام المثقفين العرب حق .. إنهم يستعيدون مرحلة التحرر .. ويحملون أخطاءها هذه النهاية المؤلمة .. ويجترون كل الآلام .. ويحددون المثالب والاحزان ..

.. لعل من أبرز ما تواجهه .. هو الحيرة في تقييم « المرحلة الناصرية » وما يصدر من الكتب أو مقالات ، لا يناقش سوى أخطاء المرحلة أو إنجازاتها ..

ـ هل كان عبد الناصر ديكتاتوراً ؟

سؤال مطروح في الكتاب . . ويرد مثقف آخر يجعل عنوانه . . « تأملات في الناصرية »

ومن الغريب أن الذين كانوا يهاجمون عبد الناصر حياً بـدؤا ينعونـه ميتاً ويترحمون على أيامه . . والذين ساروا في ركابه مصفقين وخطافين يهاجمونه !

أي أن الغفلة التي كانت سائدة في المرحلة الناصرية ما زالت قائمة ومستمرة حتى اليوم !

وما زلنا نخوض مرحلة التحرر بنفس الاطر السابقة . . البعض ينظر اليها من خلال منظار « الليبرالية » . . وآخرون يقيمونها وكأنها مرحلة « الاشتراكية » !

فمن المسؤول عن هذا كله ؟

ومن يتحمل مسؤولية هذه البلبلة ؟

الاجانب يقولون . .

« . . من الغريب أن المثقفين العرب الذين يحللون أو يثرثرون ، لم يحاولوا الدراسة الجادة للمرحلة . . وتركوا هذه الدراسة للعناصر الاجنبية » . . أي أن ما نعانيه ونحس به لا نستطيع أن نترجمه فكراً وعملاً . . وكأننا لا نستطيع أن نشعر بوطأته ، كما يشعر به المفكر أو المثقف الاجنبي الذي وهب نفسه لقضية الانسان .

فمنذ البداية تدفقت الدراسات الغربية عن مرحلة التحرر . . ومن الواقع ، وليس مجرد نظريات أو « افينشات » وشعارات . . ومع ذلك لم نحاول أن نستلهم من هذه الدراسات ما يضيء لنا الطريق . .

يقول « جاك وودس » المفكـر الانجليزي في دراستـه عن « جذور الثـورة الافريقية » الذي صدر عام 1959 .

**« . . بدأت مع أحداث الاستقلال مرحلة جديدة ، فالطبقات المختلفة التي أيدت النضال من أجل الاستقلال مدفوعة في ذلك باغراض مختلفة ، وبالنسبـة لقوى البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الجديدة التي انبثقت كحكومات ، وحكام لكثير من الدول الجديدة كان الهدف عـادة هو الهـدف المحدود ، هـدف إثراء**

نفسها ، ولم توجد سوى حالات قليلة كان على رأس الدولة الجديدة فيها عناصر ديموقراطية وطنية شاغلها الرئيسي رفاهية شعوبها لا رفاهية نفسها» .

ثم يقول . .

**« . . فالعمال والفلاحون الذين توقعوا أن يجلب لهم الاستقلال حياة جديدة ، لا أن يكون مجرد علم وطني ونشيد وطني ، الى جانب رئيس وزراء أفريقي ورئيس دولة أفريقي ، قد أصبح يسيطر عليهم الضجر والقلق ذلك أن توقعاتهم لم تتحقق - على حين يرون حكامهم الجدد يركبون عربات فاخرة ويرتدون ثياباً فاخرة ويبدأون أنشطة جديدة في مجال الاعمال ويسافرون الى الخارج كالاباطرة ، ويدخرون ثرواتهم في البنوك الاجنبية ، في وقت لا يجد فيه الآلاف عملاً ، ويقيمون في مساكن مزرية ويرتدون أسمالاً بالية ولا يجدون كفايتهم من الطعام . . »**

وإذا كان هذا القول قد إنصب على الثورة الافريقية الا أنه في مجمله تصوير واقعي لحال غالبية الدول المتحررة حديثاً . .

أعطانا « جاك وودس » الصورة الظاهرة ، أو بمعنى آخر مظاهر المرحلة . . ومع ذلك ، لم نحاول أن نعمق نظرتنا لما يحدث في اعماق مجتمعنا . . وكانت النتيجة أن ما حدث في دول أفريقيا المتحررة حديثاً إنتقل الى اقطارنا . . والعكس صحيح .

**الاسباب والنتائج**

ينقلنا « بول باران وايف لاكوست » من ظواهر مرحلة التحرر الى أسباب التخلف الاساسية أو الاقتصاد السياسي للتخلف .

إنهما يكشفان بالمقاييس العلمية عجز الطبقات الطفيلية عن تحقيق التطور والنمو كما فعلت نفس الطبقات في الدول الصناعية فيقول بول باران :

**« . . ولكي تتمكن الطبقات الوسطى الرأسمالية الناشئة من الاضطلاع بقيادة هذه القوى الشعبية وتوجيهها نحو الديموقراطية ، كان عليها أن تربط نفسها بالرجل العادي وكان عليها أن تنفصل سياسياً واقتصادياً وعقائدياً عن الاحتكاريين المتحالفين معها وأن تثبت للامة بأسرها أنها لا تملك المعرفة والشجاعة والتصميم**

لخوض النضال معها من أجل تحسين الاحوال الاقتصادية والاجتماعية ،

والسير به الى نهايته المظفرة . . »

ثم يقول :

« لا يكاد يوجد بلد متخلف واحد استطاعت الطبقات الوسطى فيه أن تصل الى مستوى التحدي التاريخي ! »

إن « بول باران » « وايف لاكوست » في دراستهم يوضحان فشل أي محاولة لدخول الدول المتحررة المرحلة الرأسمالية سواء لاسباب تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية .

**« ان النظام الاقتصادي والسياسي الذي يحافظ عليه تحالف الطبقات المالكة الحاكم يجد نفسه دائماً وأبداً في تضاد تام مع كل الحاجات الملحة للبلدان المتخلفة فلا البنيان الاجتماعي الذي تجسده هذه الطبقات ، ولا المؤسسات التي تقوم عليه كانت عاملاً من عوامل التطور الاقتصادي التقدمي . . »**

أما لاكوست فيرى :

**« إن فرقاً من الفروق الاساسية بين البلدان المتقدمة ذات البنيان الديموقراطي ، وذات الاستقلال القديم ، وبين البلدان المتخلفة هو وجود أقلية مسيطرة اقتصادياً واجتماعياً ، تعود صلابتها وامتيازاتها ، لحد بعيد لتأشيرات سيطرة أجنبية حالية وسابقة » .**

**الموقف**

. . من هذه المقتطفات السريعة نجد أن حياتنا كانت وما زالت موضع اهتمام ودراسة من الخارج بدل أن تنبع من الداخل .

. . وفي نفس الوقت ، نجد من الواقع ومن هذه الدراسات عجز الاقطاع أو الرأسمالية المحلية عن قيادة المرحلة .

وبديهياً . . فإن التخلف الاقتصادي . . أي التخلف عن مرحلة التصنيع عرقل نمو الطبقة العاملة .

تبقى بعد ذلك فئة المثقفين . .

والمثقفون كما هو معروف لا يمثلون طبقة بل هم طبقات مختلفة والغالبية من ابناء الطبقات الوسطى سافروا من المناطق المتخلفة الى لندن ونيويورك ورجعوا الى بلدهم يحلمون بالتقدم ولكن من خلال الرؤ ية التي عاشوها . . وليس من خلال الواقع الاجتماعي والاقتصادي لأوطانهم . . أو من خلال التغيرات والتطورات العالمية والداخلية .

. . والعالم في التغيير . .

العالم الرأسمالي تحول الى « الفاشية » كما تشاهد في الولايات المتحدة . . أو تحولت فيه « الفاشية » الى « ليبرالية » عرجاء كما نشهد في اليابان والمانيا الغربية .

والعالم الاشتراكي يمارس التطبيق الاشتراكي لاول مرة في التاريخ وفي ظروف عالمية صعبة . . ولم يعد هناك نموذج واحد للتحول الاشتراكي . .

فاين يقف « الوطن العربي » وهو فصيل من حركة التحرر العالمي ، ازاء هذه الممارسة العالمية ؟

لا يمكن للاقطاع الذي تربى في أحضان الاستعمار أن يعطي الاجابة . . ولا يمكن للرأسمالية الوطنية وهي بطبيعة تكوينها منحازة الى الغرب سواء فاشياً أو ليبرالياً ، فهدفها هو حماية مصالحها من يقظة الجماهير فهي ، بالتالي عاجزة عن الجواب .

. . هل ننتظر حتى تكبر وتنمو الطبقة العاملة لتعطينا الاجابة ؟ ولكن الطبقة العاملة لن تنمو ولن تكبر في ظل سيطرة الطبقات الرجعية الحاكمة . . فهذه الطبقات تقف ضد التصنيع . . بل تمادت في خيانتها وتعمل على ضرب الصناعة ، كما حدث في مصر وفي كثير من الاقطار التي فرضت عليها الامبريالية العالمية حكومات انقلابية .

الجواب لا يملكه في الدول المتحررة ، سوى المثقفون ولكن المثقفين مشكلة . .

مشكلة المثقفين !

.. وعند هذا الحديث عن المثقفين ، لا يمكن أن نخطىء ، وأن نحملهم مسؤولية طبقية .. والمثقفون ليسوا طبقة ..

وكما حدد عبد الناصر في لقائه مع المثقفين في جامعة القاهرة عام 1968 .. قائلاً :

**« .. المثقفون ليسوا طبقة .. يأتون من القرية ، ومن كل انحاء الحياة في هذا الوطن ولكن يختلف الوضع .. المثقف الذي يأتي من القرية وأخذ فرصة وتعلم وتثقف وأخذ شهادة وارتفع دخله عن دخل ابن عمه الموجود في القرية ولم يأخذ فرصة مثله .. هنا يكون واجب المثقف .. هذا الواجب هو الاحساس بالمجتمع والعمل من أجل المجتمع ، وبهذا يكون المثقف مثقفاً ثورياً » .**

.. ولكن من المؤلم أن المثقف الوطني الذي يقدم حياته في ميدان القتال .. أو يواجه السجون والمعتقلات في الصراع ضد الاستعمار سرعان ما ينهار أمام اغراءات الحياة .. ويجري في شبق لاشباع شهواته الذاتية على حساب ملايين الفقراء ..

.. خرجوا من الازقة والحواري يبحثون عن زوجات من بنات الاقطاع .. وانتقلوا من مساكن القرية الى القصور التي كان يسكنها أمراء الاقطاع أو اللصوص الاجانب .

كانت أحلامهم كبيرة .. واعمالهم فقيرة .. يرفعون شعارات الاشتراكية ، ويبنون الرأسمالية .. يتشدقون بالعدالة الاجتماعية ويلهثون وراء الكسب الحرام ..

وسرعان ما كانوا يتخلون عن مبادئهم ومواقعهم الطبقية ويسرعون في التسلق للارتباط بذيل السلطة جرياً وراء الثراء ، وجعلوا من الثقافة سلاحاً للتبرير والتحليل والهروب من المسؤولية التاريخية ..

بل وصلت المهانة بالمثقفين ، أن رضوا بأن يكونوا سلعة في سوق الرأسمالية ..

واشار عبد الناصر الى هذه الظاهرة قائلاً :

**« .. احنا مشكلتنا معقدة ، عاوزين نطور بلدنا كلهـا ، عاوزين ننهض ببلدنا كلها ، عاوزين الارتقاء ما يكنش لفئة محدودة ولكن لكل الناس .. فيه نوع آخر مثلاً يشعر بالفرق بين المستوى المعيشي اللي بيحصل عليه زميله في دولة نامية زينا ، والمستوى المعيشي اللي بيحصل عليه زميله في مجتمع متقدم ويقول لك ، بقي أنا لو رحت كندا او امريكا أو رحت المانيا ، ممكن يدوني كذا .. واحنا عارفين أن الفنيين بقوا سلعة عالية .. الدول المتقدمة بتخطف أبناء الدول النامية ، وهنا يبدو دور الفني المثقف في أصالته » .**

.. وهذه حقائق .. المثقف العربي الذي كان يفخر بارتداء الملابس الوطنية أو ركوب سيارة « نصر » ، أصبح يلهث وراء « الفولفو » .. ثم سرعان ما يستبدلها « بالمرسيدس » ثم « بالشيفروليه »الامريكية !! بينما ابن قريته يلهث بحثاً وراء لقمة العيش أو المسكن .

كل هذا لا ينفي وجود الطلائع الثورية التي رفضت المساومات والاغراءات ، وظلت أمينة نحو مبادئها ومسؤولياتها وشعبها .. وما زال الكثيرون منهم يلقون المطاردة والارهاب والاغتيال .. ولم يتخلوا عن مواقعهم ..

المشكلة ..

.. ان مشكلة المثقف تكمن في نزعته الفردية .. ويشعر من خلال مصالحه بارتباطه بطبقته .. بينما العامل يعيش وسط رفاقه .. أما المثقف فيمارس نشاطه من خلال ثقافته وفكره .. وما لم يعش المثقف ويشعر بالارتباط بالجماهير ، يظل أسيراً لشعار **« انا »** .

ومن هنا ، كانت مشكلة المثقف العربي في حركة التحرر .. أنه حائر بين حقوق الانسان التي انتزعتها البشرية خلال المرحلة الليبرالية .. وحقوق المجتمع في الثورة الاجتماعية ..

إن عجز المثقفين عن ربط حقوق الانسان بالثورة الاجتماعية هو الذي أدى الى هذا الطريق المسدود أمام المثقفين العرب .. فهم أما ليبراليون يرون في الحريات البرجوازية أحلامهم .. واما اشتراكيون جامدون يعزلون التطور الاجتماعي عن

. . والاشتراكية في حقيقتها لا يمكن الا أن تكون تطوراً اجتماعياً نحو الافضل . . نحو استكمال الانسان ـ كل انسان ـ لحقوقه . . وحقه في الحياة . .

ولن يكون تصحيح أخطاء المرحلة نحو الاشتراكية بالعودة الى الليبرالية . . فالطريق الى هذه الليبرالية أصبح مسدوداً . . فالليبرالية أصبحت من تراث الماضي كما أجمع على ذلك كل المفكرين التقدميين في الغرب أنفسهم . . وليس معنى ذلك وأد الحقوق أو المكتسبات التي انتزعها الانسان خلال هذه المرحلة . . بل المطلوب هو تغذيتها وتنميتها . .

واذا كان طريق الليبرالية مسدوداً ، فان الطريق الى الاشتراكية طويل . . والاشتراكية كفكر علمي تحتاج الى جهد كل مثقف . . فالطبقات الفقيرة لن تحصل على الوعي تلقائياً . . فهناك فارق بين الحس الطبقي والوعي الطبقي . .

وكما قال عبد الناصر في حديثه الى المثقفين :

**« . . ليس عندي ضمان . . انكم الضمان . قوى الشعب هي الضمان ، يقظة الجماهير هي الضمان ، حركة الجماهير هي الضمان ، تمسك الجماهير بالاشتراكية هي الضمان، اصرار الجماهير على بناء سلطة قوى الشعب العاملة هو الضمان . »**

ولكن . . ما حدث في مصر ، ان طلائع المثقفين الذين التفوا حول السلطة نسوا الجماهير . . وكانت النتيجة ـ كما نرى اليوم ـ ليس وبالاً على الجماهير فحسب بل اصبح المثقفون في وضع اشد بؤساً . . . وانحدرت الغالبية منهم الى مستوى الكادحين . . فكما عاد الاقطاعيون لانتزاع الأرض من الفلاح الكادح ، عاد الرأسماليون لانتزاع القطاع العام من السادة البيروقراطيين . . ويزحف الخبراء الأجانب لانتزاع المناصب من المثقفين . . . وكما تشرد العمال المصريون من مصانعهم ، يتشرد المثقفون المصريون بحثاً عن موارد الحياة . . . !

**سوءال وجواب!**

**ومن حق ابناء «الوطن العربي» ان يتساءلون : ـ لماذا نجحت حركة التحرر في فيتنام بينما سقطت كثير من حركات التحرر في ايدي الاستعمار من جديد ؟ . .** ولعل الحديث النظري لن يعطِ الإجابة . . ولكن الواقع في فيتنام قد يكون دليلاً

ما زلت اذكر . . . ولا أظن انني استطيع ان انسى أبداً زيارة لفييتنام عام 1964 . . . كان الجنرال جياب في خيالنا هو « نابليون » مرحلة التحرر . . . وكان اسمه رمزاً لانتصار الشعوب المغلوبة على الامبراطوريات القديمة . . كان انتصاره في معركة « ديان بيان فو » ضد اعتى القادة العسكريين الفرنسيين . قد رفعه الى مستوى الاسطورة .

لم يكن الجنرال جياب ، سوى مثقف ثوري . . . خرج من سلك التدريس لقيادة حرب العصابات، وظل يترقى حتى اصبح قائداً عاماً للثوار . . .

فهل أسكرته نشوة النصر الكبير؟ هل ملأته غروراً وكبرياءاً ؟ هل انتزعته من وسط جنوده الثوار ؟ .

كانت المفاجأة الكبرى لنا ، اننا سنلقي الجنرال جياب . . اين ؟ وفي أي قصر ؟ ولم تمض ساعات حتى كنا في بيت متواضع أشبه بمساكن الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة . . . واستقبلنا هذا القائد الكبير على باب البيت . . . لم يكن أمامنا سوى رجل بسيط من عائلة بسيطة يرحب بزواره . . وكان اللقاء اشبه بجلسة عائلية . . . كانت فيتنام الشمالية في ذلك الوقت تحت قصف الطائرات والصواريخ الامريكية . . وكان الصراع على اشده بين الاتحاد السوفييتي والصين . . .

رفض الجنرال جياب الحديث عن موقف الصين أو الاتحاد السوفييتي . . وكل ما قاله هو ما كان يحصلون عليه من المساعدات . . اما الخلافات فلم تكن تعنيه في معركته . . . انها معركة شعب فيتنام وعليه ان يحل مشكلته بنفسه . . .

وكان ادراكه بطبيعة معركة التحرر عالياً ، . . . ورؤيته بأنها جزء من الثورة العالمية ولا يمكن ان تنفصل عنها . . . وهي ثورة تحررية تقدمية عمادها الفلاحين والكادحين والمثقفين الشرفاء . . . ولم يكن لقاؤنا مع « فان فام فان دونغ » رئيس الوزراء في ذلك الوقت يختلف في مظهره أو حواره عن لقائنا مع الجنرال جياب .

وشاهدنا في هانوي وميناء هايفونج . . . الحرب والحب والورد والبساطة . . . وهكذا انتصرت فيتنام .

وسؤال أخير . . .

في الوطن العربي الذي ما زالت تسود أغلبه القبلية وعبودية فلاح

الأرض . . . والارتباط بالمصالح الرأسمالية العالمية ؛ هل يمكن ان يقود ثورته سوى المثقفين الملتزمين ؟ .

ان بناء القطاع العام ، وهو أساس الانتقال من مرحلة التخلف الى مرحلة النمو لن يبنيه الرأسماليون . . . وخاصة بعد ان كشفت الرأسمالية المحلية خيانتها واستعدادها للتعامل مع الصهيونية . . . وسيرها في ركاب الامبريالية الامريكية . . .

والقطاع العام ليس مصنعاً فحسب . . . فمرحلة التصنيع ليست سوى اطاراً ومناخاً لصنع الانسان الجديد . . . هذا الانسان الذي بدأ مسيرته مع مرحلة التحرر . . . وأكد قدراته في كل المجالات مندفعاً بوعي تلقائي . . . أقام السدود وأشاد مصانع الصلب . . .

وخاض المعارك . . . وانتصر ، ولكنه اليوم يواجه قوى العدوان الداخلية والخارجية . .

. . ان مسؤولية تنظيم هذه القوى الشعبية الجبارة . . هي في المقام الأول مسؤولية المثقفين . . أو نقل الوعي الى القوى الشعبية المنظمة . . .

ولكن ، كيف يمكن ان يقود المثقفون جماهير الشعب دون تحديد لمهام المرحلة . . أو دون وعي بمطالب المرحلة ؟ !

ان النظريات الجاهزة ليست عقيدة ولكنها دليل عمل . . . والتجارب الجاهزة لن تكون بديلاً عن العمل الجماهيري . . .

والوطن العربي باقطاره المختلفة اجتماعياً لن تسوده الليبرالية او الاشتراكية . . فهو يخوض مرحلة الانتقال التي تحتاج الى اسس جديدة لن تأتينا من الخارج ولكنها تنبع من تجربتنا ومن الفكر الانساني الذي قاد غيرنا الى طريق الحرية السياسية والحرية الاجتماعية . . الى التحرير والنصر .

ان ثورة التحرر العربي هي بلا ادنى شك كما علمتنا تجارب السنين الماضية - جزء من حركة الثورة العالمية . . وهي في أعماقها ثورة الجماهير الشعبية ذات المصلحة الحقيقية في التصدي للامبريالية والصهيونية وضرب الاحتكارات العالمية .

لقد قامت ثورات التحرر منذ عام 1952 على اكتاف المثقفين وتضحياتهم وبذلهم . . فهل يعاود المثقفون دورهم ؟ أم انتهت مرحلتهم ؟!

**أزمة الثقافة العربية أم ازمة سياسية؟!..**

.. منذ فترة ليست بعيدة، اجتمع وزراء الثقافة العرب في مؤتمر استثنائي لبحث الغزو الثقافي الاسرائيلي لمصر والخطة العربية لمقاومته!.

.. وكما اجتمعوا إنفصموا.. أي كما اجتمعوا دون تحديد لمعاني الغزو الثقافي، انفضوا بعد إنشاء لجنة لمتابعة الامور المتعلقة بالغزو الثقافي!.

تماماً.. كما يحدث في المجالات السياسية.. اجتماعات ومناقشات.. ولجان ثم نعاس ونوم!.

وهذا شيء طبيعي.. فلا يمكن فصل الازمة السياسية عن أزمة الثقافة.. وكما قال يوسف ادريس:

**«أنا الان في مرحلة مأساوية لانني ازداد إيمانا بخطورة ما لا بد أن أقوم به.. لان الكتابة ليست كما ولا مهنة.. ولكنها ثورة!»**

اما الدكتور زكي نجيب محمود فيعبر عن المرحلة.. قائلاً:

**«..أستطيع أن أقول، الثقافة بمعناها الضيق المحدود، التخصص الذي يهم فئة قليلة من العقول والذي يتناول المستويات الرفيعة من الافكار والفئات الفنية والادبية، هذا الجانب قد أصابه ما نقول عنه من فتور..**

**.. أما الجانب الذي أظنه قد ازدهر فهو الثقافة بالمعنى الواسع الذي هو حركة تنوير الشعب وازدياد الوعي القومي بالمسائل المصيرية، هذا الجانب لم يصبه أي فتور او انهيار».**

**«بعد هذا التحديد دعنا نحصر الحديث اذن في الجانب الاول الذي يهم الفئة القليلة من صفوة المثقفين، وعندئذ اوافقك كل الموافقة أنه هبط في مستواه الى درجة مؤسفة!»**

بعد هذا الحديث من إثنين من كبار المفكرين في مصر.. كيف يمكن مقاومة الغزو الصهيوني؟

الاول في حالة ماساوية يعبر عن حالة مصر.. والثاني يعبر عن الانفصام الواقعي بين المثقفين والشعب!.

**اي فكر؟**

- هل هناك ازمة؟

-وهل هي أزمة شاملة.. كما يقول الدكتور فؤاد زكريا.. أي أن الكثيرين يعتقدون أن السمة الغالبة على الفكر في القرن العشرين هي أنه يعاني أزمة ويرون أن ابرز صفات العقل في هذا القرن هي تلك المحنة التي جعلته يشك في أكثر مبادئه رسوخا واشد بديهياته وضوحاً؟!

.. الكل يعترف بوجود الازمة.. ولكن لا أحد يريد أن يشخصها تشخيصا حقيقيا.. ويزوغ ويراوغ ينتظر من السلطة أو الدولة أن تقول رأيها!

والدولة لا تستطيع أن تقول..

فهي دولة حديثة لم يتبلور لديها الفكر. تخوض المرحلة بشكل تجريبي. وإما دولة من سقط المتاع يتولى الحكم فيها الجهلة والاغبياء!.

وهكذا نظل نصرخ ونولول ونحن نرى الهجمة الصهيونية التي لا تريد أن تتوقف وتزحف على مقدساتنا.. وتدمر حضارتنا وكل ما بنيناه.. وتقتل أطفالنا أمام أعيننا وتهتك أعراضنا.. دون أن تجد رداً!!

..بل أبشع من ذلك .. ان نرى تجاوبا من بعض المثقفين لهذه الهجمة الوحشية.. أو نرى موقفا سلبيا.

رجال الدين يبصمون بالاصابع العشر في مصر على كل ما يأتي به السادات وينتزعون الآيات من القرآن الكريم ليباركوا الغزو الامريكي والوحشية الصهيونية.. ونسوا تاريخ ونضال محمد كريم وعمر مكرم وجمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده..

وتوفيق الحكيم الذي نقل الينا الفكر الفرنسي ، وحمل لواء الدفاع عن فرنسا ضد البربرية النازية.. وكان يعد أحد المفكرين الليبراليين نجده قد تخاذل واستسلم بصورة مشينة.

أما نجيب محفوظ الذي تلقى ثقافته على يد سلامة موسى رائد الاشتراكية الاول في مصر، وكتب يعبر عن الفئات الواسعة من البرجوازية الصغيرة، تراجع ليرتمي في أحضان الصهيونية.

حتى دعاة الاشتراكية خدعهم السادات فترة طويلة قبل أن يفيقوا الى الهوة التي ساق مصر اليها.

ومن الغريب أن الفكر الفاشي الذي ظهر في المانيا وأيطاليا رافعاً علم «المانيا فوق الجميع» «ايطاليا فوق الجميع»، لم يجد في وطننا العربي سوى الحثالة التي تريد أن تمرغ الوطن في الوحل!

فاي فكر بقي لنا؟

الا يصدق زكي نجيب محمود عندما يقول أن الثقافة هبطت في مستواها الى درجة مؤسفة!

الى الماضي!

زكي نجيب محمود أحد القلائل الذين اهتموا بالفلسفة، ترجم تاريخ الفلسفة اليونانية وتاريخ الفلسفة الحديثة.

ثم عاد في آخر أيامه يبحث في التراث، ويتساءل فيما يشبه الحيرة.. ماذا نأخذ من التراث .. وماذا نترك؟ هل هناك تناقض بين العربية والمعاصرة!

كما علمتنا الفلسفة أن ما نأخذه من الماضي أو الحاضر يتوقف على نظرتنا الى الحياة.. أو ما يسمى ب«الايديولوجية»..

أما أن نقع فيما يريده لنا «انور عبد الملك» من أن تكون لنا فلسفة خاصة تواكب حضارتنا في مصر والوطن العربي.. فهذا ما يريده الاستعمار لنا.. أن ندور وندور حول أنفسنا دون مخرج من الحلقة المفرغة..

وانور عبد الملك صاحب هذه الدعوة لم يعرف عنه انتماءاً مصريا أو عربياً في

يوم من الايام!

لقد كانت مسيرتنا عربية .. منذ بدء حركة التحرير العربية.. منذ خرجت من مصر أول البعثات العلمية في عهد محمد علي.. كانوا يومها من شيوخ الازهر.. ومن هؤلاء ظهر رفاعة رافع الطهطاوي.. حمل ثقافة العرب وحضارتهم ولم يجد تناقضاً فيما وصلت اليه أوروبا من فكر وما يحمله من تراث..

نقل رفاعة رافع الى مصر الفكر الليبرالي.. وبذور الثورة الاجتماعية.. فقد عاش في باريس يدرس بعقل متأمل كل ما كان يجري حوله ويتأمل بعقل متفتح تكوين المجتمع الفرنسي وعاداته وسلوكه وأفكاره ومعتقدته الاساسية.. وفي مصر ترجم القوانين الفرنسية.. ودرس رفاعة رافع أعمال فلاسفة الثورة الفرنسية فولتير ومونتسكيو وروسو..

ويكتب عن سفور المرأة قائلا:

**«.. بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة..»**

ونما فكر الشيخ رفاعة رافع مع نمو البرجوازي الثوري الاوروبي.. من الفكرة الديمقراطية الى الفكرة الاشتراكية.. فعمق بكتابه «مناهج الالباب» كفاح الفكر المصري في سبيل الديمقراطية من مجرد البحث عن أشكال الحكم والعلاقات السياسية بين الحاكم والمحكوم الى البحث عن أركان الديمقراطية الاقتصادية وعن أسس العدالة الاجتماعية..

**الثورة!**

**... لقي رفاعة رافع الاضطهاد والنفي.. وظل على ولائه للكلمة الصادقة الشريفة فأوجد جيلا من المترجمين ينقلون ما وصل اليه الفكر من تقدم ورقي..**

**وجاء من بيروت فارس الشدياق لينقل رؤياه للعالم الجديد.. والنظام الاجتماعي في انكلترا وبالسياسة الانكليزية.**

**.. كان الوطن العربي في ذلك الزمان يواجه استعمارين.. الاستعمار التركي الرابض على أنفاسه بكل ما يمثل من تخلف ورجعية وحكم تسلطي وفساد ..**

والاستعمار القادم من أوروبا للاستغلال ونهب الاسواق وحكم الشركات الاجنبية . .

ووجد جمال الدين الافغاني في مصر أرضاً مهدها له الطهطاوي وتلاميذه . .

وانطلق يندد بالحكم المطلق وتسلط الشركات الأجنبية . .

وامتزجت الافكار الليبرالية بالفكر الديني في ثورة حكم الخديوي اسماعيل ومباذل الاسرة الحاكمة . . وتغلغل الشركات والنفوذ الاجنبي . .

ووصل المد الفكري الى مستوى مراحله بانشاء أول مجلس نواب مصري . . وأول دستور مكتوب عام 1878 .

كانت البرجوازية المصرية تبحث عن طريقها للحياة . . وكانت تريد أن تلاحق الزمن أثر اطلاق البرجوازية الاوروبية وتحطيم الاقطاع وتطور اوروبا . .

وانطلقت الثورة العرابية . . ووضعت دستور 1881 الذي أعطى النواب حق المناقشة في الميزانية وبحث الديون التي تراكمت على مصر.

كان الفكر العربي في نمو يسارع الزمن . . فلم يكن الفكر منفصلاً عن السياسة بل كان توأما لها، وكما غذى الفكر السياسة غذت السياسة الفكر . . فهما وحدة متكاملة .

في هذا الوقت الذي بدأت فيه الثورة العرابية في مصر كانت الصهيونية تعرض نفسها على سلطان تركيا وامبراطور المانيا . . وتبحث عن حليف لها في فرنسا وانكلترا . فان قرار مجلس النواب المصري ببحث الميزانية وديون الاجانب هدد الاستعمار كما هدد العناصر الصهيونية التي ساهمت في تراكم الديون على مصر . . . وتحالف الجانبان لوأد الثورة . . .

**النكسة الأولى**

منذ ذلك التاريخ عندما سقطت الثورة، وعندما أرغم الشعب العربي في مصر على القاء سلاحه، كانت الصهيونية تعمل في دأب متواصل . . مدعمة بقوة الاستعمار . . كانت تنمو في الاتجاه المعاكس بينما كنا ننحدر في نفس الاتجاه . .

كانت الصهيونية تنهل من كل فكر عالمي لتبحث عن طريق لتحقيق أحلامها

في خلق الوطن . بينما كنا نعادي كل فكر عالمي، تارة باسم الدين وتارة بأسم التراث وتارة بأسم التقاليد . .

. . كانت الصهيونية تأخذ من الفكر الديني لتؤكد حقها في خلق الوطن . . ورفعت شعار الاشتراكية . . ونهجت الطريق الليبرالي . . وتفاهمت مع الفاشية في لحظة اغتيال النازية لآلاف اليهود . . !

وأصبح اليهودي الان هو رجل الله المعذب في أرض الله . . واليهودي هو المتدين الذي يقف أمام الشيوعية! وكانوا يقدمون هذه الصورة بالعلم والفن . . وفي السينما والمسرح والرواية والكتاب . . بينما ظلت أفكارنا مقيدة بالحديد الذي فرضه الاستعمار . . ولم يتحطم رغم كل ما حققناه من تعليم أو تقدم في المرحلة الناصرية

وأصبح الانسان اليهودي صاحب رسالة يكرس لها حياته . . بينما نعيش في تمزق . .

المتدين يتهم رجل العلم ورجل العلم يسخر من الاتجاه السلفي . .

وهكذا أصبحت الثقافة بدون هدف، يجمعها أو يحدد إتجاهها . .

**المقاومة!**

واستعاد الشعب العربي في مصر قواه من جديد في ثورة 1919 عندما جمعت البرجوازية المصرية قواها لمواجهة الاحتلال . .

انطلق الفكر العربي من جديد، فقام قادة الفكر يفجرون القضايا الهامة الخطيرة ولم تكن المسألة عندهم مجرد كتابة . . أو قصيدة الشعر . . أو تعليق على كتاب . . بل كانوا يشقون الارض ليستأنفوا مسيرة الطهطاوي والافغاني . .

كانت فاتحة العشرينات كتاب «الديوان» الذي أصدره العقاد والمازني معاً ليضعا به ميزاناً جديداً للنقد الادبي ويفتحا مجالاً جديداً للادب والفن، ولم تمض سنة واحدة الا وقد ظهر للدكتور هيكل كتاب عن «روسو» لا ليعرض تاريخ رجل أسمه جان جاك روسو، ولكن لينشر مناخاً من الحرية السياسية يريد له أن يشيع في الناس، ومضى بعد ذلك عام واحد وأخرج سلامة موسى كتاب «حرية الفكر» وكتاباً آخر عن نظرية التطور . . وهكذا قدم الادباء والمفكرون صرخة في وجه

الاحتلال تدعو الى انطلاق الفكر وحرية الرأي.

ثم يخرج علينا الدكتور علي عبد الرزاق الرازق بكتابه «الاسلام وأصول الحكم» . .

ليواجه به السلطان فؤاد ثم الملك فؤاد الذي أراد أن ينصب نفسه خليفة للاسلام . .

وكان الكتاب دعوة الى حق الشعب في أقامة الحكومة على الصورة التي تلائمه . . وهكذا تلاقى الفكر الديني مع الفكر الحر لمواجهة الاحتلال والحكم الاقطاعي . .

ولم تكد الضجة تهدأ حولَ كتاب « الاسلام واصول الحكم » حتى اصدر طه حسين كتابه «عن الادب الجاهلي» ليحدث ضجة أكبر من أجل تحرير الفكر ووضع أسس جديدة لمنهج نقد جديد . .

وتتألق أعمال الادباء والمفكرين وأثرى الادب بروايات «هيكل» وقصص توفيق الحكيم الذي قدم «عودة الروح »، كما فتح باب الادب التمثيلي . . وأخرج احمد شوقي مسرحياته الشعرية ليضيف لوناً جديداً الى الادب العربي . .

وقام طه حسين بتقديم وتعريف الشعب العربي بالادب الاغريقي كما ترجم القصص الفرنسية . .

وشاهد الوطن العربي نهضة أشبه «بعصر التنوير» . . سرعان ما انطفأت شعلته . . واختفت مجلة «الرسالة» و«الثقافة» و «دار التأليف والترجمة والنشر» التي أعادت الى الفكر العربي حيويته بترجمة الاداب العالمية وقدمت كتب الفلسفة والعلوم والفكر الحديث في أوروبا . .

عود على بدء!

قامت الثورة الروسية وظهرت طبقة جديدة الى الوجود بلورت مفاهيم الثورة الاجتماعية وأتخذت لها اسلوباً سياسياً في الحكم . .

وهنا وجدت الطبقة الوسطى أنها بين خيارين . . التسليم للاستعمار . . أو التسليم لهذا القادم بما يحمل من مفاهيم ثورية جديدة . .

ووقفت هذه الطبقة مترددة بين الاتجاهين وظلت بذلك بعيدة عن الحكم الذي فرض سلطان الاقطاع وحافظ على الاحتلال .. حتى كان عام 1936 وتمت المصالحة بين الطبقة الوسطى والاستعمار بمعاهدة 1936 الذي أطلق عليها «معاهدة الصداقة».

ولم تكن الصداقة مع الاحتلال فحسب، بل امتدت يد الطبقة الوسطى الى الاقطاع الذي وصل الى قيادة حزب الوفد ..

وفقدت الطبقة الوسطى مهامها التي كانت تقوم على الاستعانة بوسائل الحضارة الاوروبية لتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي والعدالة الاجتماعية وارتمت في أحضان الاستعمار، وانتهى الامر بكتاب ومفكري هذه الطبقة الى نفس المصير .. فرأينا العقاد يلهث وراء السلفيات تاركاً مهام المرحلة، كما انتقل توفيق الحكيم من «عودة الروح» و «يوميات نائب» الى «الربا المقدس» .. وطه حسين يتقلد مهام وزارة التعليم ..

.. ولم يكن هذا حال الشعب .. فالبرجوازية الصغيرة تلقت العلم من الطبقة الوسطى .. واخذت تشق طريقها رغم كل المعونات وظهر أدب نجيب محفوظ معبراً عن هذه الطبقة ..

لم تسلم البرجوازية الصغيرة بما شاءته الطبقة الوسطى، لم تنحاز في بحثها عن الغد الى جانب من جوانب الحضارة الاوروبية. بل رأت في الاشتراكية ينبوعاً جديداً يجدد الحياة والقيم ويحقق الاهداف الوطنيـة ..

وفي الخمسينيات، كان الفكر الاشتراكي في الوطن العربي يصارع بجانب بقية التيارات من أجل القضية القومية .

**الفكر الاشتراكي!**

فرضت الاشتراكية نفسها بعد الانتصارات التي حققتها في الحرب العالمية الثانية .. لم يكن انتصاراً عسكرياً فحسب، بل انتصاراً سياسياً ..

وأثرى الفكر العربي بهذا المنهل الجديد .. وتجددت حركة الترجمة بعد ان ازيل الحاجز الذي أقامه الاستعمار والرجعية بين الشعب العربي والفكر الاشتراكي الذي مثل حضارة صاعدة بكل ما تحمله من تجديد في القيم .. وكشف لحقيقة

الاستعمار .. وتقديم منهج جديد لبناء الانسان ومستقبل الحياة ..

ومن خلال حركة الترجمة عرف الشعب العربي «اراجون» و «ايلوار» و «مكسيم جوركي» و «بابلو نيرودا» وغيرهم من الشعراء والادباء الجدد في أوروبا وامريكا ..

وترجمت اعمال «همنغواي» و «ريتشارد رايت» و «ايليا اهرنبرج»

وكشفت الآداب السياسية حقيقة ما يبيته الاستعمار .. وحقيقة القوى المناضلة ..

فشهد الوطن العربي سيلاً من الاعمال السياسية الاوروبية التي كان لها دورها في تفجير ثورات الخمسينيات ..

وعرف الشعب العربي ما هي النقطة الرابعة؟ وعرف حقيقة الديمقراطية في أمريكا! وقرأ «أعمدة الاستعمار» .. وكلها مترجمة عن الامريكية لمؤلفين وكتاب اشتراكيين ..

كما ترجمت أعمال «ماوتسي تونغ» وغيره من أعمال الفكر السياسي، فاستيقظ الشعب العربي على وسائل حضارية جديدة ظلت محجوبة عنه أمداً طويلاً ..

وكان لهذا كله أثره على الفكر العزبي وتجديده .. فظهرت أشعار البياتي وكمال عبد الحليم والشرقاوي وكاظم السماوي .. كما ظهرت القصص التقدمية لحنّا مينا ويوسف ادريس ..

وانتقلت القصة من التعبير عن البرجوازية الى التعبير عن معاناة الشعب الكادح من فلاحين وعمال .. وكانت الارض للشرقاوي فاتحة هذا العهد الذي سادت فيه هذه الافكار الجديدة في الوطن العربي ..

وانتزع نعمان عاشور من توفيق الحكيم السيادة باعماله المسرحية .. وستظل مسرحيات نعمان الى أمد طويل رمزاً للمرحلة ..

وكان للتيار الاشتراكي أثره على كل نواحي الفن والادب في الوطن العربي.

وتفتحت آفاق المواطن العربي على أبعاد جديدة في الحياة. وعرف الواقعية الاشتراكية في المسرح والسينما في العراق من اعمال يوسف العاني .. كما كان

لكتاب محمود العالم وعبد العظيم أنيس عن الادب ما كان لكتاب «الديوان» للعقاد والمازني.

**ماذا حدث؟**

كانت ثورة يوليو حصيلة لهذا الجهد الطويل المتواصل .. ورغم ذلك، كانت ثورةتجريبية .. أي لم تقم على أساس نظري .. وأنطلق المثقفون والقادة كل يعمل على هواه .. وكانت النتيجة أن تربع الجهل والتخلف بعد مسيرة الانطلاق التي تحققت في أيام أو سنوات ثورة يوليو ..

وانطلقت من جديد التيارات الغربية والشاذة تريد أن تفرض نفسها .. وسادت العنصرية والاتجاهات الدينية المنحرفة والفاشية .. سواء في المجال السياسي أو الثقافي ..

واختفت العناصر الجادة .. وطردت العملة الرديئة العملة الجيدة .. وبدأنا نصرخ في هول من الغزو الصهيوني دون أن نعمل أو نفكر في العمل الجاد ..

إن المرحلة .. مرحلة جادة .. تتطلب المراجعة ووقفة صلبة نراجع أخطاء الماضي ونستعد للمواجهة الجادة.

ولن يكون ذلك الا باعداد المواطن العربي إعداداً جاداً ليتحمل مسؤولياته ويشعر بالاخطار التي تهدد كيانه ..

ولن يكون ذلك بالمؤتمرات أو الاجتماعات ولكنها مسؤولية المثقفين في كل المجالات .. الادبية والفنية والثقافية .. في المسرح والسينما والكتاب .. والاذاعة والتلفزيون .. والقصة والرواية ..

.. وأن نعيد المسيرة الى مجراها النضالي الجاد .. في كل مناحي الفكر .. الدينية والليبرالية والاشتراكية ..

فالفكر الديني لم يكن أبداً جامداً أو رجعياً .. كما أن الليبرالية حركة تقدم .. وعلينا أن نفتح النوافذ لكل الافكار وخاصة الاشتراكية التي تحمل تباشير الغد. ومن خلال ذلك وحده نستطيع أن نجابه الغزو الصهيوني ..

-3-

التيار الديني (أ)

الى أين

.. تضيع القدس!

.. ويستمر الزحف الصهيوني!

..وتبارك الولايات المتحدة العدوان!

ويستمر الجدل والنقاش حول العلاقة بين الدين والدولة .. وتشارك في الجدل مراكز البحوث في أوروبا وامريكا .. وينفقون على هذه المراكز الاموال الطائلة!

وتطلع علينا صحيفة «الفينانشال تايمز» الانكليزية بمقال عن «بعث اسلامي» وتتحدث عن التجديد .. والعودة الى تمجاد الاسلام!

وتأخذنا دوامة البحث .. بينما «البعث الاسلامي» الذي يتشدقون به لا يعني سوى القواعد العسكرية ومخزون البترول!

فهل هي أزمة فكر؟ أم أزمة سياسية!؟

الدين .. والوطن!

اننا نواجه اليوم قمة الهجمة الاستعمارية التي بدأت مع بداية القرن الماضي منذ الغزو الفرنسي ... الى الاحتلال البريطاني ... الى السيطرة الامبريالية الامريكية ، وفي كل خطوة كانت الصهيونية تعمل وتزحف .. مع نابوليون وغليوم ودزرائيلي وبلفور .

وانتقلت الى الولايات المتحدة مع روزفلت وايزنهاور وجونسون ثم نيكسون وكارتر !

فماذا كان موقف رجال الدين !؟

تلقت القاهرة أخبار زحف نابليون .. وفي هذا الوقت العصيب برز رجل الدين السيد عمر مكرم نقيب الأشراف .. لم يطلب حكماً .. ولا سلطاناً .. ولم يناقش الاحكام الشرعية .. بل استنفر الشعب للقتال وبث فيه روح المقاومة ،

وصعد الى القلعة وانزل منها علمًا كبيراً ، اطلقت عليه الجماهير « البيرق النبوي » ونشره بين الناس . . . ولقيت دعوة عمر مكرم استجابة جماعية من أهل القاهرة . . تجمعت حوله ألوف العامة يتصايحون بالحرب ويحملون العصي والنبابيت والبنادق ومعهم الطبول . . واغلقت الحوانيت وخلت الأسواق ، واشتركت طوائف الحرف ( وهي اشبه بالنقابات اليوم ) وكانت كل طائفة تجمع الأموال من افرادها كل قدر طاقته واشترى رؤساء الطوائف الأسلحة والذخائر والخيام . .

وعندما دخل نابليون القاهرة . . غادرها عمر مكرم ، فوجه اليه نـابليون الدعوة يعطيه الامان ويطلب منه العودة . . فرفض . . . واتخذ نابليون إجراءات انتقامية تعسفية . . فعزله من منصبه الديني كنقيب الاشراف وصادر أمواله . . .

وعندما انتهى الاحتلال الفرنسي ، عاد عمر مكرم الى القاهـرة ، فوجـد الحاكم التركي يريد ان يحكم مصر حكمًا مطلقاً . . . وتصدى عمر مكرم ، وتزعم الجماهير من جديد في ثورة 1805 . . واجتمع رجال الدين من مشايخ الازهر في دار الحكمة الكبرى ـ بيت القاضي ـ وطلبوا عقد مجلس شرع واختصام الوالي . . وكتبوا عريضة بمطالب الشعب . . بلغ عددها واحداً وعشرين مطلباً كان أهمها :

1 ـ عدم مرابطة القوات العسكرية في القاهرة .

2 ـ عدم السماح لأي جندي بدخول القاهرة حاملاً سلاحاً معه .

3 ـ الامتناع عن فرض أي ضريبة على سكان القاهرة بدون موافقة المشايخ والأعيان . .

. . . وهكذا خط رجال الدين في بدايـة القرن المـاضي اسلوب العمل السياسي :

ـ المقاومة المسلحة ضد العدو .

ـ ووضع أول نواة للدستور وحكم الشعب .

**قانون الحقوق**

وصف أحد رجال السياسة في فرنسا هذه العريضة التي تضمنت شروط المشايخ بأنها «وثيقة الحقوق» . . وأنها تشبه قانون الحقوق الذي أقره البرلمان الانكليزي عام 1689، وأعلن فيها أن حق الملك في العرش مستمد من إرادة الشعب الممثل في

البرلمان، وأن البرلمان له حق نقل التاج وفقاً لمصلحة البلاد .. وأنه لا يجوز للملك أن يفرض الضرائب بدون موافقة البرلمان ..

وتضمنت عريضة رجال الدين في القاهرة نصوصاً مماثلة .. فأنهت العريضة حكم الوالي خورشيد باشا ونصبت محمد علي والياً .. كما نصت بعدم إنشاء ضريبة بدون موافقة الشعوب ..

وما زال الفقهاء ورجال القانون في مصر الى اليوم يشيرون الى هذه العريضة كأول دستور يمليه الشعب العربي في مصر على حكامه ..

إن رجال الدين في هذه الحقبة لم يقفوا ليبحثوا في التراث والعودة الى الماضي بل امتزجوا بالواقع ونزلوا الى الشعب يعبرون عن مطالبه وحملوا السلاح دفاعاً عن الوطن.

ولم يكن هذا موقف كل رجال الدين .. هناك التيار المضاد .. فندما أراد محمد علي أن يفرض حكمه المطلق أجتمع عمر مكرم بكبار المشايخ وطلب منهم الوقوف في اجماع وتماسك ضد محمد علي ولكن سرعان ما تخاذل الشيخ محمد المهدي، والشيخ محمد السادات، والشيخ محمد الدواخلي .. وخرجوا على الاجماع .. واستسلموا لمحمد علي بعد أن لوح لهم بالمناصب والمنافع ..!

وهكذا كان بين رجال الدين تياران:

- تيار اسلامي ثوري يهدف الى تغيير الاوضاع القائمة.

- تيار رجعي يهدف الى حماية الاوضاع القائمة.

واستطاع التيارالاول أن يصل فكراً الى «وثيقة الحقوق» .. ولكن ملوك انكلترا احترموا عهدهم والتزموا بالوثيقة منهجا ومسلكاً بينما محمد علي لم يعمل بها لأكثر من عامين ثم عبث بها!

**الازهر!**

.. سيطر رجال الدين مما كانوا يلهثون وراء الثروة والحياة والمناصب على الأزهر.. ولكن هذا لم يمنع رجال الدين الثوريين من الانطلاق وراء التطورات العالمية ..

استفاد الشيخ حسن العطار من وجود الفرنسيين في مصر واخذ ينبه رجال الأزهر الى واقعهم الثقافي والعلمي . . . ويحضهم الى الالمام بالعلوم العصرية ومتابعة المؤلفات المترجمة عن اللغات الاجنبية . . . ويقول عن هذه المؤلفات :

**« . . وفيها أعمال كثيرة وأفعال دقيقة أطلعنا على بعضها ، وقد تتحول تلك الاعمال بواسطة الاصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القول الى الفعل ، وتكلموا في الصناعات الحربية والآلات النارية . ومهدوا فيها قواعداً وأصولاً حتى صار ذلك علمًا مستقلاً مدوناً في الكتب وفرعوه الى فروع كثيرة . . »**

ثم يقول :

**« ومن سمت به همة الى الاطلاع على غرائب المؤلفات وعجائب المصنفات انكشفت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم وتنزهت فكرته - إن كانت سلمية - في رياض المفهوم » . .**

هكذا كان يفكر رجال الدين في بداية القرن الماضي . . يتطلعون الى الغد ويأخذون من الماضي القدرة فيشير الشيخ حسن العطار الى الائمة الاعلام وكيف كانوا يجمعون بين الاحكام الشرعية والعلوم الدينية ، واطلاعهم على غيرها من العلوم حتى في كتب المخالفين في العقائد . .

. . وكان رفاعة رافع الطهطاوي من تلاميذ الشيخ حسن العطار . . سافر مع أحدى البعثات التعليمية الى فرنسا ليكون إماماً دينياً للطلبة ، ولكنه سرعان ما انكب على الدراسة وأصبح أحد أعضاء البعثة . . وعاد الى مصر ليكون مثالاً لرجل الدين في عصره . . رجل الدين المتحضر الذي ألمّ بعلوم الغرب وتطوره وعمل على نقل هذه العلوم الى العربية ، وفتح بذلك الافاق أمام أجيال فتحدث عن الحياة النيابية والحقوق الاجتماعية وتحرير المرأة .

وما كان في استطاعة الطهطاوي أن يقدم هذا الفكر الا في ظل نهضة شاملة حمل لواءها محمد علي رغم كل النقائض التي سادت فترة حكمه . .

**الافغاني**

. . وجاء الافغاني الى مصر ليشعلها ثورة ، وليدفع التيار الثوري الديني الى مرتبة أسمى . .

كان جمال الدين الافغاني من أوائل المقاتلين ضد الغرب الاستعماري . وانذر بخطر السيطرة الغربية في الشرق الاسلامي ، وتمثل عواقبها فيها اذا طال عهدها وأدرك شؤوم المستقبل وما يصيب المسلمين من مصائب إذا لبث الشرق الاسلامي على حاله . . فهب يضحي بنفسه ويفني حياته في سبيل إيقاظ العالم الاسلامي . .

وكما يقول عنه مستر بلانت المحامي الانكليزي :

**« اما نبوغ جمال الدين الافغاني ففي اجتهاده في حمل الممالك التي وعظ فيها على أن تعيد النظر في الموقف الاسلامي كله ، وأن تستبدل بالقديم ، التحرك الى الامام حركات أدبية منسجمة مع العلم العصري . . » .**

. . ان ما يحدث في العالم الاسلامي اليوم ، تصدى له رجل الدين . . الشيخ جمال الدين عام 1891 . فلم يقف يطلب الصدقات ولم يطالب بالزكاة عندما أعطت حكومة فارس حق احتكار « التمباك » المحصول الرئيسي في ايران الى شركة انكليزية . . . بل أرسل خطاباً حاراً يندد فيه بالحكومة لارتكابها هذه الخيانة الضارة بثروة البلاد . .

وصدرت فتوى بتحريم شرب التمباك وبيعه في البلاد فاضطرت الحكومة الى العدول عن هذه الاتفاقية . .

وسعى في تركيا الى تحويل حكومتهم الى حكومة دستورية . . وأجتمع ببعض رجال تركيا الفتاة الذين قاموا بالانقلاب التركي وشجعهم ودعا لهم بالتأييد . .

واستطاع جمال الدين الافغاني أن يحدث في الاوساط العلمية تأثيراً بعيداً بما ألقى من دروس ومحاضرات في الجامعة التي أنشئت في ذلك الوقت بتركيا . .

كما كان الافغاني متصلاً بحركة التحرير التي كانت ضد القيصر وكان يردد أنه سيصلي صلاة جنازة على القيصرية ، وسيحضر تشييع جنازة الامبراطورية الانكليزية في الهند !

**الافغاني في مصر !**

حمل الافغاني علم الثورة الدينية الى مصر . . ولكن في أي اتجاه ؟ . . يقول الكاتب الانكليزي تشارلز آدم في كتابه « الاسلام والتجديد في مصر » :

**لم ينشأ الدافع الاول الى حركة الاصلاح في مصر نفسها ، بل كان صدى تعاليم جمال الدين الافغاني .. كان جمال الدين الممثل النابه والمدافع القوي الشكيمة عن الاصلاح الشامل .. وكذلك كان العامل الجوهري في أحياء حركة التحرير في مصر . . »**

.. لم يجلس جمال الدين الافغاني في مرحاب يتعبد .. بل كان يجتمع بالناس يحدثهم عن الشؤون العامة وما يمس مصلحة البلاد وأهلها .. ويقول الشيخ محمد عبده أنه تلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والمنطق . .

.. بينما كان كهنة الازهر يثقلون عليه ، بل زعموا أن تلك العلوم تقضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد تهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خير الدنيا والآخرة ! .

ولم يفزع الافغاني من الجمود أو الاتهامات بل ظل ينمي الوعي بين الشباب المصري .. ويفتح الآفاق نحو العلوم الحديثة .. وكانت هذه هي العوامل الجوهرية في حياة حركة التجديد في مصر .

وكما قال الكاتب الكندي في كتابه « حركة التنوير في الشرق الاوسط » ·

**« .. وكانت أقوى مشاعل حركة التنوير القومي والفكري هي التي حملها جمال الدين الافغاني الذي تخرج على يديه ، وفي مجالسه الكثيرون من أبناء مصر والاقطار العربية » .**

ولا جدال أن الثورة العرابية كانت نتيجة اليقظة التي بعثها جمال الدين الافغاني . .

فكانت أحاديثه تتناول الشؤون العامة وما يمس نظام الحكومة ومصلحة الشعب .. فقد أثار في الشرق عاطفة التذمر من الغرب ، وكان يحارب في الشرق ظلم الظالمين ..

ونفي من مصر .. وسافر الى فرنسا وأصدر صحيفة « العروة الوثقى » مع الشيخ محمد عبده .. يهاجم فيها الاوضاع السائدة في مصر .. من استبداد الخديوي الى النهب الاستعماري والاستغلال الاقتصادي . .

كان الربط بين الفكر الديني والتطور السياسي سمة دائمة ومستمرة ولم ينعزل

رجال الدين في صومعة ولم يلجأوا الى الكهوف يستخرجون منها الافكار . .

ومع نمو الفكر السياسي ، كان يغذيه الفكر الديني . . الذي تحدث عنه الافغاني . . مزايا الحكم الجمهوري . . والاشتراكية . . ومساواة الرجل بالمرأة . . وحقيقة العلم والاستفادة من العلم الحقيقي . . وسعادة الامم التي قال عنها أن «سعادة الامم تأتي من صفاء العقول من كدر الخرافات ، وصدا الأوهام ، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع . . »

## الثورة !

. . وتلقف رجال المرحلة من الافغاني أفكاره . . واشتعلت الثورة العرابية . . وساهم رجال الدين بالفكر والعمل . . وظهر عبد الله النديم الذي كان أحد مريدي الشيخ جمال الدين الافغاني ، وأمد الثورة بمقالاته الوطنية عن الاتحاد . . وفي حقوق الحاكم . . وحقوق الشعب . . وفي الحكومة المستبدة وقتلها للنفوس وإفسادها للاخلاق ، ويكتب عن الاتراك الذين أذلوا البلاد ، وعن الخديوي اسماعيل الذي غرق في شهواته وجلب الديون على مصر بتمليك الاجانب ثرواتها . . ثم يكتب عن التحكم الاجنبي في اقتصاديات البلاد ، ويطالب بإنشاء الصناعات وتشجيع الصناعة الوطنية ومحاربة المنتجات الاجنبية .

وتحدث النديم عن الحرية كحق لكل فرد وعن الحياة الدستورية وحق الانتخاب والترشيح لكل مواطن ، وعارض الشيخ محمد عبده في قصر الانتخابات على المتعلمين ، لان الفلاح هو صاحب المصلحة الحقيقة في البلاد ويكون الاغلبية العظمى من سكانها وأدرى بمشاكلها من غيرهم . .

وحمل النديم على الموظفين الاجانب الذين يحتلون أكثر المراكز الرئيسية في جهاز الدولة ويتقاضون مرتبات خيالية لا تتناسب مع ما يؤدونه من أعمال . .

وكانت اجتماعات رجال الثورة تناقش مستقبل مصر ، وأنواع الحكومات التي تصلح للحكم ، وكان البارودي أحد رجال الثورة وأحد شعراء مصر يتكلم عن فوائد الحكومة الجمهورية . . ومما قاله : « لقد كنا نرى منذ البداية الى قلب مصر الى جمهورية محايدة مثل سويسرا ، وعندئذ تنضم الينا سوريا ويليها الحجاز ، ولكننا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لانهم متأخرون عن زمنهم ، ومع ذلك

سنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نموت . . »

. . وهكذا نرى أن التيار الديني كان دائمًا ينقسم الى اتجاهين : الاتجاه الثوري الذي مثله الافغاني وكان يطالب بالجمهورية، والاتجاه المتخلف الرجعي الذي كان يتمسك بالأمر الواقع !

وعلى الرغم من ذلك أفتى شيوخ الازهر وعلماؤه بمروق الخديوي من الدين لانحيازه الى الجيش المحارب للبلاد والمعتدي عليها . .

وانطلق النديم يخطب . .

**« يا اهل مصر . . ليس من قعد عن نصرة الله كمن جاهد في سبيل الله . لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله » .**

ثم يقول :

**« يا اهل مصر . . أن الانكليز يقولون مصر هي حصن البلاد العربية من فتحها فقد اخذ بلاد المسلمين ، فهبوا للدفاع عن وطنكم ، وتقووا واحفظوا حصن البلاد الاسلامية وجاهدوا في الله حق جهاده ، لتحفظوا هذا الدين العظيم وتدفعوا عدواً يريد ان يدخل بالخيل في بلد الله ، يريد أن يدخل الكعبة المشرفة عن بلادكم ، وقد استعان على أغراضه بخديويكم الذي باع الامة ارضاء للانكليز وجعل بلاد الاسلام مقابل حماية الانكليز له . . »**

ولم تكن مصر بمعزل عن العالم العربي والاسلامي في محنتها عندما هاجمها الانكليز فقد اعتلى العلماء المنابر في تركيا وأخذوا يستنفرون المسلمين كي يحملوا السلاح ويتطوعوا في الحرب المقدسة ولكي يحموا أرض الاسلام . .

وفي الهند ثار المسلمون ضد حكامهم الانكليز . . وفي تونس هرع الناس الى المساجد يدعون لنصرة الثورة المصرية .

وعلى الرغم من ذلك كان هناك الصوت الرجعي « الشيخ حمزة فتح الله » الذي كان يمتدح الخديوي . . ! ويمهد للاحتلال !

فلم يعرف الفكر الاسلامي الأزمة طالما كان هناك نمو ومد ثوري . . فالتيار الاسلامي الثوري ساهم في دعم سيادة الشعب . . والتصدي للاستعمار . . وانطلقت

مع الفكر الليبرالي الحياة النيابية .. وبدأ في مناقشة الاسس الاشتراكية منذ منتصف القرن الماضي .. ولم يوقفه الجمود الفكري أو الاتجاه الرجعي بل الذي أوقف التيار الديني الثوري هو أزمة الاحتلال والحكم الرجعي .

**اصول الحكم !**

.. ومع ثورة 1919 انطلق الفكر الاسلامي من جديد .. ولعل كتاباً لم يصدر في مصر ، أحدث من الضجة ما أحدثه كتاب « الاسلام وأصول الحكم » للشيخ علي عبد الرازق .

كان الكتاب جهداً دينياً في معركة سياسية فكان تحدياً لعرش وملك أراد أن يبوأ نفسه خليفة للمسلمين بعد سقوط الخلافة عند قيام الثورة الكمالية في تركيا ..

فكان الكتاب أحد العوامل التي تصدت لقطاعات عريضة محافظة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي .. كما أفسد « اللعبة » التي أراد الاستعمار البريطاني أن ينفذها في مصر والشرق الاوسط .

صدر كتاب « الاسلام وأصول الحكم » صرخة ضد الملك فؤاد الذي كان يحكم حكماً فردياً يفرض به طغيان العرش وجبروت النظام الملكي .. ويفتتح المؤلف كتابه بقوله :

**« أشهد أن لا إله إلا الله ولا أعبد إلا إياه ولا أخشى أحداً سواه ، له القوة والعزة ، وما سواه ضعيف ذليل .. » !**

ثم يقول في الكتاب :

**« ولولا أن نرتكب شططاً في القول لعرضنا على القارىء سلسلة الخلافة الى وقتنا هذا ، ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والغلبة ، وليتبين أن ذلك الذي يسمى عرشاً لا يرتفع الا على رؤوس البشر ولا يستند الا فوق أعناقهم ، وأن ذلك الذي يسمى تاجاً لا حياة له الا بما يأخذ من حياة البشر ، ولا قوة الا بما يغتال من قوتهم ، ولا عظمة ولا كرامة الا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم .. وأن بريقه إنما هو بريق السيوف ولهيب الحروب .. »**

كان موقف الاسرة المالكة من خضوع للاحتلال الانكليزي وتواطؤها معه ضد

الشعب مما دفع كل القوى لعدائها . . فيقول الشيخ علي عبد الرزاق في كتابه . .

**« من الطبيعي في أولئك المسلمين الذين يدينون بالحرية رأياً ، ويسلكون مذاهبها عملاً ويأنفون الخضوع الا لله رب العالمين . . من الطبيعي في أولئك الأباة الاحرار أن يأنفوا الخضوع لرجل منهم أو من غيرهم ، ذلك الخضوع الذي يطالب به الملوك رعيتهم ، الا خضوعاً للقوة ، ونزولاً على حكم السيف القاهر . . » .**

ويسرع رجال الدين الذين يتشبثون بالنظام القائم ، فيتهمون صاحب « الاسلام وأصول الحكم » بأنه يحبذ أن تقوم في مصر « جمهورية دينية » أي جمهورية مدنية . . وبأنه ثائر على الحكومة وخارج على نظمها الثابتة . .

وحاول بعض علماء الدين الذين تعودوا الركوع أن يرشحوا الملك فؤاد للخلافة وأجتمعت هيئة كبار العلماء لتحاكم مؤلف « الاسلام وأصول الحكم » وأصدرت في ذلك الحين حكم الادانة . . ثم أجتمعت بعد سنوات لتصدر حكم البراءة ! .

وظل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » يؤكد أن التيار الديني الثوري الذي كان امتداداً للافغاني والشيخ محمد عبده مستمر ولم يخفت .

ما هي أهم النقاط التي اثارها الشيخ علي عبد الرازق ؟

**أولاً : أن الخلافة ليست نظاماً دينياً . . والقرآن لم يأمر بها ولم يشر ، وأن الدين الاسلامي بريء من نظام الخلافة ، بريء بالاخص من الادوار التي عصفت به وعملت كثيراً على تأخر المسلمين في سيرهم نحو التقدم من الوجهة الفكرية أو العلمية أو الاجتماعية او التشريعية .**

**ثانياً : أن القرآن يترك المسلمين احراراً في إنشاء الحكومة التي يرونها ، وأن من يبحثوا من الوجهة العلمية عن احسن شكل للحكومة يسد حاجاتهم .**

ويقول الشيخ عبد الرازق :

« وإني أتحدى أي عالم يقول بعكس ذلك ويؤيد رأيه بأي نص من القرآن او بحديث واحد . . إن الاسلام دين حر قبل كل شيء ، يلائم كل العصور والبيئات . . »

**ثالثاً : في الرد على سؤال : هل الخليفة خليفة النبي ؟**

اجاب :

-«وهذا مع الاسف خطأ شائع جداً ، لقد أثبت في كتابي أن النبي لم يكن ملكاً ، وانه لم يحاول أن ينشىء حكومة أو دولة ، فقد كان رسولاً بعثه الله ولم يكن زعيمًا سياسياً». .

**خطان !**

. . لسنا في حاجة الى تكرار الحديث عن أحداث ثورة 1919 ودور الازهر . . ثم محاولات الملك والانكليز في ضرب وحدة رجال الدين . . واستغلال الشيخ « التفتزاني » شيخ الازهر في ضرب الحركة الوطنية . .

وظل التياران في صراع حتى ظهور جماعة الاخوان المسلمين ، وتصدى الشيخ خالد محمد خالد بكتابة « من هنا نبدأ » .

«أحدث كتاب خالد محمد خالد ضجة دينية وسياسية أكثر مما أثاره كتاب الاسلام وأصول الحكم». . كان صرخة في وجه كهنة الدين وكان قفزة في الفكر الديني الثوري .

ولا شك أنه كان عاملاً من العوامل التي اطلقت ثورة 1952 . . .

التيار الديني (ب)

**من اين نبدأ**

منذ ثلاثين عاماً . . . في عام 1950 صدر كتاب « من هنا نبدأ » للشيخ خالد محمد خالد . . .

في هذا ا« الكتاب » دعوة صريحة من رجل الدين الى حرية الفكر . . . وهي دعوة ليست منبثقة من رغبة في الحوار أو الجدل ، بل هي امتداد لذلك الفكر الديني الذي انطلق طوال القرن الماضي في مواجهة الموجة الاستعمارية التي تعرض لها الوطن العربي من مشرقه الى مغربه .

لم يقف الشيخ خالد صامتاً أو مفتياً كرجال الدين الأفاضل في مصر الذين أيدوا معاهدة « كامب ديفيد » !

بل قال في كتابه : . . .

« . . . فعندما رأت انكلترا إصرار الشرق على التخلص من صداقتها الجبرية المفروضة ، دقت إسفين الصهيونية في فلسطين . . . » .

وقال . . . .

« فانكلترا تعلم ولا ريب أن تمكين الصهيونية في فلسطين تمكين للفتنة والبغي والعدوان ، وتهديد مستمر لحياة السلام . . . »

كان هذا في عام 1950 . . . وفي بداية 1979 يخرج علينا شيخ الازهر ، ليدعوا الى تأييد معاهدة كامب ديفيد مستشهداً بقوله تعالى : **﴿ وإن جنحوا للسلم فأجنح لها﴾** .

ويتجاهل الشيخ عبد الرحمن البيصار ، الفتوى التي اصدرها علماء الأزهر في يناير 1956 وأصدرت فتواها في تحريم الصلح مع اسرائيل ، وفي تحريم التعاون مع الدول الكافرة التي تظاهرهم .

وقالت الفتوى المذكورة ان من يفعل ذلك يخرج عن جماعة المسلمين . . .

من اين جاء هذا التضارب . . . أو هذا الردة في التيار الديني ؟ . . .

**دين . . . لا كهانة !**

رجل الدين الغبي الجاهل ، يثير احتقارنا ، ورجل الدين الشرير الرديء يولد الجزع في نفوسنا ـ أما الناضج المتسامح ، البعيد عن الخرافات ، فهو الجدير بحبنا واحترامنا ».

فولتير

بهذه الكلمات المقتبسة صدر الشيخ خالد محمد خالد كتابه « من هنا نبدأ » . . .

ـ كان المد الثوري العالمي في عنفوانه بعد هزيمة النازية وانطلقت القوى الثورية في الوطن العربي وفي مصر مع هذا المد الثوري الذي اتسم بالمطالبة بالتغيرات الاجتماعية والعدالة الانسانية . .

وتصاعد التيار الثوري الديني ، وامتزج بالحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار والرجعية والتخلف الديني . . .

وتصدى خالد محمد خالد للتيار الرجعي الديني ، فكانت مؤلفاته امتداداً لمسيرة الافغاني وعلي عبد الرازق .

فتساءل :

. . . « وأنا اليوم لنسمع صراخاً بوجوب العودة الى الدين . . . فالى اي دين يدعو هؤلاء المتصايحون ؟! »

ويرد قائلاً :

« هناك شيء إسمه الكهانة . . . وهناك الدين الرشيد » . . .

ثم يستطرد في تفسير معنى الكهانة . . . وأصولها التاريخية . . . والى دعوة الناس الى الفقر ، وتسخير نفسها للدفاع عن مصالح الكبار . . . وتكافح كل محاولة لتحول اجتماعي يريده المجتمع ويتضرم شوقاً اليه . . .

ويعدد الفوارق بين الدين والكهانة :

**أولاً** : ان الدين إنساني بطبعه وشرعته . . . أما الكهانة فانانية بغريزتها . . .

**ثانياً** : ان الدين « ديموقراطي النزعة ، أما الكهانة فهي لا تر من بالديموقراطية ولا أضعف الايمان » .

**ثالثاً** : يتجلى في ايمان الدين بالعقل وكفر الكهانة به كفراً تاماً . . .

**رابعاً** : ان الدين يؤمن بالحياة . . .«أما الكهنة فيبغضون الناس فيها ويستأثرون هم بالطيبات !! » .

**خامساً** : ان الدين يتفاعل مع الحياة والعلم ويؤمن بالتطور بينما الكهانة جامدة لا تتحرك ، ولا تسمح لنفسها ولا للناس بتطور أو نهوض .

وهكذا وضع خالد محمد خالد الفوارق بين الدين والكهانة حتى ينزع عن الدين رداءه الجامد الذي ألبسوه له « الكهنة » ولينطلق التيار الديني مع تيارات العصر . . . وحركة التحرر الوطني . . . في مقاومة الاستعمار والعمل من اجل العدالة الاجتماعية . . .

**الانحراف بالثورة !**

ان التيار الديني الثوري لم ينفصل أبداً عن حركة التحرر في مقاومة الاستعمار والتطور الاجتماعي . . . بل كان يغذيها . . . وهو موجود اللحظة ولكن صوته خافت مع ركود الحركة الوطنية ونكستها الحالية . . . ومع غياب الديموقراطية وغياب حرية الفكر انطلق تيار الكهانة من جديد ، وظهرت جماعة « التكفير والهجرة » لتنادي بتكفير المجتمع وهجرة الناس الى الكهوف ، وترك معاهد العلم . . . واستطاعت هذه الجماعة ان تستقطب عدداً كبيراً من طلبة الجامعات والمدارس من تيار الحركة الوطنية ليكونوا رصيداً - بوعي أو بغير وعي - للحكم الرجعي القائم في مصر . . .

إن أزمة الفكر الحالية في مصر هي في الواقع أزمة سياسية . . . إمتدت الى التيار الديني تريد ان تحرف القوى الدينية عن أهداف المرحلة . . . وهي مقاومة الاستعمار ، والسير نحو الاشتراكية . . . الى متاهات من المشاكل . . .

. . . إنــه نفس الاسلوب الـذي حــاول الاستعمـار ان يلعب بــه في الخمسينات . . .

وتساءل خالد محمد خالد . . .

فما هي الحدود التي تريد حكومة دينية أن تقيمها ؟

ويقول :

**« إن الحدود في الاسلام كثيرة ، وهي جميعاً موقوفة عن العمل وليس هناك مجال لاقامتها . . . »** .

ثم تحدث عن حد السرقة ، وكيف أوقفه عمر في أيام المجاعات وصارت سنة رشيدة من بعده . . . إذن فحد السرقة موقوف حتى ينزل الرخاء مكان الجدب . . .

أما حد الزنا فأمر إقامته يحمل موانع تنفيذه ، فقد شرط الله لاقامته ان تثبت الخطيئة باقرار مقترفها أو البينة واشترط ان تكون البينة اربعة شهود ، وأن يروا الجزيمة رؤ ية سافر . . . ويكاد يكون ذلك مستحيلاً .

وحد الخمر مثل حد الزنا تماماً في صعوبة تنفيذه أو استحالته فهو لا يقام إلا بالاقرار أو البينة وبينته شاهدان بل لا بد في رأي بعض الفقهاء ان يشهدا بأنه شرب وهو عالم مختار . . .

. . . وبعد ثلاثين عاماً من كتاب خالد محمد خالد تظهر هذه المشاكل بين الشبــاب بعد ان كـان الهدف في مـرحلة النـاصـريـة تصحيـح الاخـطاء وبنـاء الاشتراكية . . .

**الثورة الاجتماعية !**

كان التيار الثوري الديني في مرحلة الخمسينات مستجيباً للثورة التي تجتاح العالم . . . وهي ثورة اجتماعية هدفها العدالة الاجتماعية . . . وهي النقطة التي وصل اليها المد الثوري بعد ان تخطى الليبرالية ، وأدرك ان الرأسمالية تنهار . . . ولم يعد هناك مفر من ربط المسألة الوطنية بالتحولات الاجتماعية . . .

ولم يتردد خالد محمد خالد ان يقول :

«هل العدالة الاجتماعية روسية الجنسية ، ماركسية الدم ؟ . . . أم هي رغبة احست بها الانسانية منذ أحست بوجودها ، ومنذ سمعت وجيب الدعى والحياة يخفق بين جنبيها»؟

**« وهو سؤال نوجهه لاولئك الذين يرجفون بالتهم على كل من يرفع عقيدته مستحثاً سير الاصلاح » . . .**

ثم يستشهد بأقوال رئيس الغرفة التجارية الامريكية يومذاك الذي قال :

**« . . . أما الآن فقلبوا نظركم في ارجاء الأرض تروا ما تم فيها ، زالت الرأسمالية القديمة أو كادت صفيت في روسيا ، وهي في حشرجة الموت في أوروبا ، وتكاد تختنق في بريطانيا . . وقد اقتضاني عملي ان اتجول في اقطار الأرض ، فرأيت مصرع الرأسمالية بعين رأسي » .**

ثم يعلق خالد محمد خالد قائلاً :

**« . . . إنه شاهد من أهلها . . يعلن ان عهد الرأسمالية ـ عهد السلب والنهب ، والسالبين والمحتكرين . . . قد مضى وتقوض . . . » .**

وهكذا نرى فارقاً واسعاً بين التيار الثوري الديني والتيار الرجعي الديني .

تيار يدعو الى مناقشة مشاكل الواقع ، وبذلك يلتحم مع الحركة الوطنية . . . وتيار يريد العودة الى الوراء . . .

نادى التيار الثوري الديني بالتقريب بين الطبقات . . . وتحديد الملكيات الزراعية . . وتحديد الاجازات الزراعية . . . والتأميم وحقوق العمال . . . كما نادى بتطبيق قانون « من أين لك هذا » . . . قائلاً :

**« . . . إن قانون « من أين لك هذا » هو الوسيلة الناجعة للمساواة بين المواطنين أمام القانون : وهو الكلمة الرهيبة التي ستجلجل في روع اللصوص الكبار حين يحاولون السلب والنهب ، فيكفون أيديهم خوفاً وحذراً . . . » .**

الى اين ؟

لم تغفل الناصرية التيار الديني الثوري . . . فكان من وزرائها عناصر من هذا التيار . . . ولم يتجاهل « الميثاق » دور الدين في تطوير المجتمع . قائلاً :

**« . . . إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه . » .**

ولكن ما ان مات عبد الناصر ، وانتكست الحركة الوطنية حتى اطلت الرجعية الدينية من جديد تحاول ان تصرف الشعب عن حقوقه وأمانيه وأهدافه . . .

. . . ونشطت الجمعيات الاسلامية في مصر ، ويقدر البعض عدد افرادها بنحو مائة الف منظمين تنظيمًا جيداً . . .

وهذه الجمعيات منتشرة داخل أوساط الشبان وعلى مستوى الجامعات . . . ومن المعروف ان السادات قد شجع قيام هذه الجمعيات الاسلامية ، بهدف تجميد نشاط اليسار الذي كان في ذلك الحين يعارض انقلاب 15 مايو . . .

ومن الملاحظ ان اعمار افراد هذه الجمعيات يتراوح بين 16 و 20 سنة . . . أي الجيل الذي شب ليجد السادات في الحكم . . . ووقع هذا الشباب في حيرة وهو يرى كل القيم والأسس التي قامت عليها الثورة تنهار . . . وتنهار معها آماله نحو المستقبل . . .

وبدل ان يلتف هذا الشباب نحو أهداف محددة راح ينادي بالحجاب وفصل الطالبات عن الطلبة . . . ويطالب بوقف المحاضرات لتأدية الصلاة . . . وأخذ بعضهم في الظهور بمظهر يتنافى مع الحضارة !!

. . والأمر لم يقتصر على مصر . . بل ان كثيراً من الاقطار شهدناها تتراجع عن الخط التحرري . . . وبالتالي شجعت التيار الديني الرجعي ، فظهرت في كثير من العواصم العربية نفس التقاليد والبدع . . . وأخذوا يقننون ويشرعون لفرض الحجاب وقطع اليد . . .

. . . وهكذا يشهد الاسلام ردة رجعية . . بعد القفزات التي خطى اليها خلال مراحل الصراع ضد الاستعمار والرجعية . . .

**الهموم كثيرة !**

أفزعت هذه الردة الكثيرين . . . وخاصة بعد ان افردت بعض الصحف العربية صفحاتها للمناظرة تأييداً للخط الرجعي . . فانبرى الدكتور كمال ابو المجد ، فكتب :

« إن الأمر ليس أمر مناظرة بالكلام ولا مبارزة بالالفاظ . . . فهموم المسلمين كبيرة ، ومشاكل تطبيق النصوص كثيرة . . . » .

ثم جدد بعض النقاط الهامة :

أولاً : ان الاسلام لم يفرض نظاماً سياسياً مفصلاً والخلافة ليست نظاماً محدد المعالم . . .

ثانياً : ان الحكم الاسلامي نظام مدني ، وسلطة الحكم مرجعها الشعب . . .

وهكذا ، عدنا من جديد الى بداية القرن الحالي عندما أثار الشيخ علي عبد الرازق هذه النقاط في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » . . . وكأننا لم نتقدم خطوة !

لم يتحدث الدكتور أبو المجد عن هذه « الهموم الكثيرة » ولكنه تحدث عن الفكر الاسلامي !

لم يتحدث عن مواجهة اسرائيل . . عن كامب ديفيد . . عن القدس . . وكأن الفكر الاسلامي معزول عن هذه الهموم ! او أن هذه الهموم لاتهم الفكر الاسلامي !

وبديهي أن التيار الاسلامي لا يتمثل في مثل هذه المناظرات أو الجدل . . فهناك على أرض فلسطين وعلى أرض لبنان من يعبرون عن الفكر الاسلامي الثوري ويقاتلون جنباً الى جنب مع تيارات الفكر الاخرى . . التي تتمثل في جبهات وطنية مناضلة ضد العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية . .

## الجبهة !

. . كانت الجبهة الوطنية عام 1946 هي قمة التقاء الفكر الاسلامي الثوري مع القوى الوطنية . . وتحددت الاهداف .

- رفض الاحلاف العسكرية .
- الجلاء . . ورفض المفاوضات .

وكانت الجبهة قد تشكلت في مواجهة « صدقي باشا » الذي سرعان ما عمل على انقسامها . .

ولكن هذه الجبهة هي التي خاض شبابها القتال في القنال ، وسرعـان ما التحمت كل القوى مع تصاعد المد الثوري الذي لم يطفئه الا حريق القاهرة . .

وفي أعقاب الحريق . . كانت ثورة 1952 .

ومع ثورة يوليو تصاعد الفكر الاسلامي مع بقية التيارات وظهرت المؤلفات الاسلامية : أعلام العرب . . وقادة الفكر الاسلامي . . وكتب التراث . .

ومن جديد تنتكس الثورة . . وعادت سيطرة الفكر الرجعي . .

. . ويتأكد أن أزمة الفكر هي أزمة سياسية . . فمنذ استلام السادات ، وتتكاثر الهموم على الشباب . . ويبحث عن حل فلا يجده ، الا في الفكر الرجعي بعد أن حجب عنه كل فكر متحرر أو تقدمي . . ويلجأ الشباب الى الغيبيات بعد أن سدت أمامه طرق المعرفة أو العمل الجدي .

وما يحدث في مصر يتكرر في أقطار عربية أخرى . . أزمات معيشة ومشاكل حياة . . وإرهاب وسجون ومعتقلات مع عجز عن حل المشكلة القومية . . أو المشاكل الداخلية .

وتلقفت المخابرات الامريكية الخيط لتوسع الهوة بين الطوائف والاتجاهـات المختلفـة . . ويتفتت الوطن العـربي ، وتحدث الصـراعات الـدموية في تعصب مقيت . .

. . ولعل السؤال :

● كيف الخروج من الازمة ؟

هل يكون بمحاولة تجديد الفكر ؟ . ولكن كيف ؟ .

إن المطلوب اليوم جبهة عريضة لمواجهة الاخطار التي نعيشها . . ولن تقوم هذه الجبهة الا بتحديد للاهداف . . وما لم يتم ذلك ، فان الساحة العربية مقبلة على صراعات عنيفة ، تقف الصهيونية والامبريالية تغذيها وتشهد الانهيار . .

. . وهكذا تتحقق « فتنة » الصراع ، أي أن يقاتل العربي عربياً آخر بدل أن يقاتل العدو الحقيقي . . وقد بدت بوادر هذا الصراع في لبنان .

.. كان يمكن أن تكون « قمة بغداد » بداية .. ولكن ما حدث وما يحدث حطم الآمال ..

ففي رسالة من « القاهرة » لمراسل صحيفة القبس نقرأ :

« تشهد السوق المصرية منذ بداية عام 1980 توسعاً في النشاط الاستثماري الذي تقوم به ثلاث شركات مشتركة شبه حكومية ، بين مصر والكويت والسعودية وأبو ظبي .. »

فأين المقاطعة التي نصت عليها قرارات مؤتمر بغداد ؟

يقول الخبر ..

« تم تأسيس الشركة العربية المشتركة للاستثمار عام 1978 بمساهمة شركات حكومية في أبو ظبي ، وشركات القطاع العام المصرية ، برأسمال 50 مليون دولاراً ..

أما الشركات الاخرى .. شركة إسكان متوسط « أي ليس شعبياً » وقد حصلت هذه الشركة على قرض سعودي قيمته 100 مليون دولاراً في عام 1977 .. وما زال القرض ساري المفعول ..

ومشروع فندق « كايرو سكاي » الذي يقام وسط حي المال ، والشركة الكويتية المصرية لمواد البناء .. والشركة الكويتية المصرية لانتاج الاحذية ، والمصنوعات الجلدية .. وقد حصلت هذه الشركة على ترخيص لانتاج موديلات « بالي » العالمية .. والشركة الكويتية المصرية لانتاج أنابيب البلاستيك .. الخ .

وهكذا يتم تقويض قرارات مؤتمر بغداد .. ويدعم نظام السادات .. وتتالى التنازلات حتى أصبح « المسجد الاقصى » و « القدس » وهي الأماكن المقدسة موضع مساومة !

ويقف المسلمون حيارى وهم يرون أعز ما ارتبطوا به يضيع .. ومقدراتهم تسلم الى العدو .. بينما حكوماتهم تقف عاجزة ، أن لم تكن عاملة على تدعيم نظام السادات واتفاقيات كامب ديفيد ..

**جبهة اليوم !**

كان الشيخ « خالد محمد خالد » في كتابه الاسلامي « من هنا نبدأ » يطالب بتحديد الاجور وتحديد الملكية الزراعية ومواجهة الاستعمار . .

وهي المطالب التي نادت بها الحركة الوطنية في عام 1946 . . فماذا يكون مطلب اليوم . . وكيف تحدد الاهداف ؟

نحن في حاجة الى فكر اسلامي يدعم الجبهة . . فليس الوقت عودة الى فتاوى السفور أو الحجاب أو تطبيق الحدود . . فان ارضنا تنهب . . وثرواتنا تسلب . . والشعب يعيش في المقابر كالاموات . .

إن المسجد الاقصى يعني كل مسلم .

وكنيسة القيامة تعني كل مسيحي .

وكما يقول الشيخ محمد سويد . . وهو صوت خافت وسط أبواق الرجعية . .

لقد شبعنا احتجاجات وخطب عنتريات وسئمت نفوسنا المحاضرات والندوات . .

. . واذا كان اغتصاب الارض وانتهاك العرض لا يوجبان الجهاد على العرب والمسلمين فأي شيء يوجبه ؟

العقوبات وحدها لا تكفي فقد سبق وقاطعنا العدو والذين يتعاملون معه واستمر العدو في طغيانه . ونتام ناسين ما يجب عمله بينما يبقى العدو ساهراً عاملاً على إحداث الثغرات في صفوفنا والتسرب الى مواقع ضعفنا .

ان ما يترتب على المحاربين الملتزمين بقضايانا العربية الاسلامية اذا كانوا جادين ـ ما يلي :

1 ـ الوحدة بينهم أولاً ثم بينهم وبين الفلسطينيين .

2 ـ اعلان الجهاد المقدس ضد العدو .

3 ـ ضرب مصالح كل من يتعاون مع العدو أو يسالم العدو من كان وحيث وجد . .

هذا صوت اسلامي يمثل امتداد الخط الثوري الاسلامي . . ولكن هل يكفي هذا الصوت ؟

إن الجبهة هي مسؤولية كل صاحب فكر . . فاين الصوت الليبرالي ؟ واين الاشتراكيون ؟

ان الجميع مطالبون اليوم بتحديد موقف من الشركات الاحتكارية التي هي أساس البلاء . .

والاشتراكيون مطالبون بالعمل من أجل الجبهة . .

ولكن الفكر أصبح اليوم في اغلب وطننا العربي يعاني مشاكل أقعدته عن العمل . . بل انحرفت به عن الثورية التي قادت المسيرة طوال السنوات الماصية . .

- 5 -

### الفاشية الجديدة

.. ما زال الكثيرون يحلمون بيقظة ضمير للسادات .. أو مأزق يدفعه للعودة الى الطريق الصحيح ، أو نوبة كرامة تستثيره أمام تحديات بيغن ! .

.. الذين كانوا يرددون هذه الاقوال .. أي عودة السادات الى الصف العربي . أو تخليه عن كامب ديفيد .. واهمون ..

السادات ليس ظاهرة مصرية .. بل تعبير عن مرحلة تقودها الولايات المتحدة .. وكان مهيأ لها منذ شبابه !

ولم تسنح الظروف للسادات أن يقوم بدوره الا عندما أحكمت الأزمة الاقتصادية حلقاتها بالعالم الرأسمالي .. ودخلت مرحلة الجنون « الفاشي » .. فشاهدنا انقلاب غانا الذي أسقط نكروما .. وانقلاب اندونيسيا .. ثم السادات .. وأخيراً وليس آخراً انقلاب شيلي ! .

### الفاشية الجديدة

في كل مرة ، سقط فيها حكم وطني .. شاهدنا بحور الدماء ، وإلغاء كافة الحقوق الديموقراطية ، وفرض الارهاب بشكل وحشي على كافة القوى التقدمية ، وانشاء « مبدأ الزعيم » .. وفتح الطريق أمام الاثرياء الجدد الاكثر تطرفاً من ناحية الجشع ..

.. وكانت هذه هي نفس المظاهر التي صاحبت « النازية » في ألمانيا و « الفاشية » في ايطاليا .. أو اليابان ..

مع الاختلاف الكبير ..

كان شعار « النازية » المانيا فوق الجميع .. وكذلك ايطاليا واليابان .. وكانت الفاشية تعني حكم سادة التروتستات وأصحاب البنوك وكبار المسؤولين الحكوميين ..

أما « الفاشية الجديدة » في دول العالم الثالث ، فهي تمثل أحقر ما وصل اليه

« القادة » وفئة « الطبقة الطفيلية » ، فهم لم يضعوا بلادهم أو شعوبهم فوق الجميع .. بل طبقوا الاساليب الفاشية لخدمة البنوك والتروتستات خارج أوطانهم .. ورضوا بأن يكونوا خدماً وأداة في يد الرأسمالية العالمية .. وأن يجعلوا شعوبهم عبيداً وأجراء للسادة الاجانب مقابل فتات الموائد التي يحصل عليها « الطفيليون » والسادة « القادة » !

ولعل السادات أبرز مثال لهؤلاء القادة ..

إنه يعترف بأقواله في كتابه«البحث عن الذات»، عن انتمائه الى « النازية » فكراً وعملاً .. من خلال علاقته بالجاسوس الالماني « أيلر » ..

ويعترف ولا ينكر انتماءه الى فئة أغنياء الحرب .. ويرى أن هؤلاء الطفيليين واللصوص هم الشعب ، فيقول عن أحد هؤلاء الطفيليين .

« .. كان ( غوبية ) هذا مليونيراً من أغنياء الحرب فلما أصدر عبد الناصر قوانين الاشتراكية في سنة 61 وضع ( غوبية ) أمواله تحت البلاطة ، كما نقول ، وارتدى ملابس رثة للغاية ، فصدق عبد الناصر ورجاله أنه معدم فعلاً .. ولم يكن ( غوبية ) فريداً في هذا .. فقد فعل الكثيرون من الاثرياء في عهد عبد الناصر وقبله .. فالشعب المصري على مدى تاريخه الطويل قد تعلم كيف يخدع حكامه اذا تعارضت أوامر الحكام مع رغبات الشعب ومصالحه .. » !

.. وهكذا ، يكشف السادات عن حقيقة انتمائه .. وعن طبيعته المتسمة بالخداع .. فهو لم يكن من رجال عبد الناصر ، وان كان يجالسهم ويشترك في قراراتهم !

**سمة الفاشية**

.. فهل يمكن أن يتراجع السادات عن خطواته .. أم أنه يسير في طريق « الفاشية » الى النهاية ؟

وهنا لا بد أن نراجع نشأة .. أو « قيام النازية وانهيارها » .. والى أي مدى يسير السادات في خط متوازي معها ..

.. فكما بدأ هتلر .. بدأ السادات .. بدأ هتلر بكتاب « كفاحي » ، وأراد

في البداية أن يطلق عليه إسم « أربع سنوات ونصف من الكفاح ضد الاكاذيب والبلادة والجبن » . . ولكن ناشر الكتاب رفض هذا العنوان الثقيل . . واختار اسم « كفاحي » ! . .

فاذا قلبنا صفحات كتاب السادات « البحث عن الذات » نحد أنه يحمل نفس المنهج ، أي عشرين عاماً ـ وهي عمر ثورة يوليو ـ ويصفها بالاكاذيب والبلادة والجبن . . فيقول :

« . . لذلك تجد كل أفعالي طوال مدة قيام مجلس قيادة الثورة ، وبعد ذلك بمنأى عن هذا النزاع ، أي الصراع في السلطة او المزاحمة على المناصب . . » !

وكتاب « السادات » ككتاب « هتلر » مليء بالترهات ، فيقول بعد أن عاد من رحلة في الخارج :

« . . وصلت مصر ، فاذا بكل شيء على نقيض تام مع صوره الجميلة . . صراع وتشاحن ، لا على شيء معين ، بل على كل شيء مهما بلغت تفاهته . . »

فاذا انتقلنا من « الذات » الى « الدولة » نجد التشابه كبيراً . . جيرنـج ، الرجل الثاني في المانيا الهتلرية يعمل على جمع الثروات والارباح من العمل الصناعي والتجاري . . وكذلك شبيهه عثمان أحمد عثمان . . الخ .

. . وكما حدث لرجال الدين في المانيا ، الذين تعاونوا مع النظام النازي ، ثم انقلب عليهم ، حدث نفس الشيء لرجال الدين في مصر !

أما عناصر القيادة في الحزب النازي ، فكانوا من أحط البشر . . جورنج زير نسـاء ويتعاطى المخـدرات . . وشترانجـر ، الذي بـدأ حياتـه مصوراً للمنـاظـر العارية . . وروهم قائد جيش العاصفة ، من الشواذ . . ! ولسنا في حاجة الى ذكر ما يقال وما يحكى عن عناصر الحزب الوطني الديموقراطي ! .

فاذا انتقلنا الى المواثيق والعهود السياسية ، نجد أن موقف السـادات من مواثيق الجزائر والرباط أو معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفييتي ، لا تختلف عن النهج الذي اتبعه هتلر لكل المعاهدات والمواثيق التي وقعها . . فلم تكن سوى قصاصات ورق ، كما أعلن ذلك صراحة ! . .

اختلاف !

ظهرت النازية كمحاولة اخيرة لانقاذ الرأسمالية في المانيا وايطاليا . . وكما قيل :

**« ان انحطاط الرأسمالية سيكون انحطاطاً اكثر اضطراباً ومأساوية ودموية من صعودها » . .**

بعد الحرب العالمية الاولى التي نشبت من أجل اعادة توزيع الاسـواق أو المستعمرات . . عادت المانيا لتعاني مشاكل البطالة والتضخم مع الازمة العالميـة الطاحنة . . فكانت المانيا هي البلد الذي عانى أكثر من غيره من الازمة الاقتصادية الكبرى عام 1929 . . فوصل عدد العاطلين الى 6 مليون مع انهيار الاجور . . وبدأ الانهيار في النظام المصرفي العالمي . . وفوضى العملات . . واختلال تنظيم الاسواق . .

. . وهنا ظهرت « النازية » كمنقذ للرأسمالية ، واجتمع هتلر بممثلي الرأسمال الزراعي واتحاد أصحاب المناجم وكـارتل الصلب والنسيـج ، وغيرهم من كبـار الرأسماليين 300 .

وأصبحت « النازية » « كالفاشية » في ايطاليا ترفع شعار الاشتراكية وتحمي الرأسمالية ! .

ولم تختلف « الفاشية الجديدة » عن مثيلتها القديمة . . كلاهما قام في أعقاب أزمة رأسمالية عاتية . .

ان الازمة العالمية الحالية التي تجتاح العالم الرأسمالي . . سواء في البطالة أو التضخم أو اضطراب النظام النقدي . . جعل من الفاشية ضرورة حتمية . .

. . وزارة العمل البريطانية أعلنت في أوائل شهر يوليو ، أن عدد العاطلين في بريطانيا بلغ 1,9 مليون . . أي يقترب الرقم من المليونين ، وهو الرقم الذي كان مقرراً لاواخر العام الحالي .

كما ان الارقام التي أعلنتها الحكومة البريطانية أن نسبة التضخم تصل الى 21% . .

وبالمثل تواجه الولايات المتحدة نفس المشاكل .. من بطالة وتضخم .. ولم تعد المشكلة قاصرة على دولة رأسمالية دون أخرى .. بل أصبحت الأزمة شاملة ..

وكان لا بد من « فاشية جديدة » .. ولكنها في هذه المرة لن تكون في الوطن الأم .. بل فاشية تابعة .. أي فاشية المستعمرات تكون مهمتها إنقاذ الوطن الام من أزمته .. وانقاذ الطبقات الطفيلية من ثورة الجماهير ..

**الوجه البشع !**

.. قامت الانقلابات في شيلي ، وغانا .. وكوريا الجنوبية ، لتعيد السيطرة الاستعمارية .. ولكنها في هذه المرة سيطرة أمريكية .. وأصبحت الولايات المتحدة مصدر الانقلابات ضد الحكومات الوطنية .. واقامة حكومات فاشية عسكرية ..

وأصبحت كوريا الجنوبية نموذج مكبر للاوضاع السياسية والاجتماعية الميئوس منها والسائدة في العالم الثالث ـ وكما يقول تقرير صحفي ـ النساء هن السلعة الوحيدة المتوفرة بكثرة والموزعة بعدل على الشرائح المؤيدة للنظام .. وفي غياب الديمقراطية .. وحرية الصحافة .. أغتنت عائلة الرئيس وأقاربها وأتباعها وحاشيتها وجنرالاتها .. وتحولت كورية الجنوبية ، بلد العدة ملايين نسمة ، الى شركة مساهمة لهيئة من كبار المنتفعين بالظلم والقهر والكبت والفقر والجهل ..

وثمة اجماع على أهمية الدور التجاري الذي تلعبه زوجة الرئيس .. وقد أكدت نشرة سرية ، أن السيدة الاولى ( !! ) تمتلك 131 شركة تجارية ! ...

ومصر لا تختلف عن تلك الحالة .. فقد صرح السادات في تلفزيون أمريكا ، ونقله تلفزيون فرنسا .. تبريراً للصفقات التي تبرمها سيدة مصر الأولى .. بأن السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت تعمل في التجارة ! ...

**الصهيونية !**

.. ان التقاء « الفاشية » بالصهيونية ، ليس جديداً .. ففي سبيل قيام اسرائيل قدمت الصهيونية للنازية أسلحة قتال وملايين الدولارات .. كما كان كبار رجال الصناعة في أمريكا على اتصال بالنازية طوال فترة الحرب ..

.. وعندما انتقل ميزان القوى من انجلترا الى أمريكا .. نقلت الصهيونية

نشاطها الى الولايات المتحدة وبذلك أصبحت أكبر مركز للصهيونية العالمية .

وفي وسع جماعة الضغط الصهيونية ذات النفوذ في الولايات المتحدة الامريكية والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجمع العسكري - الصناعي ، ووكالة المخابرات المركزية الامريكية أن تقوم بالدعاية لوجهة نظرها من خلال الكثير من وسائل الاعلام الامريكية . .

ولا شك أن وجهة النظر الصهيونية لا تختلف عن الدعاية الامبريالية . . الداعية لسباق التسلح . . والكراهية والعدوان ضد حركات التحرر الوطني .

إن 20% من أصحاب الملايين الامريكية ، هم من أصل يهودي . . وتبلغ قدرة الجالية اليهودية الاقتصادية في الولايات المتحدة الامريكية 1,5 تربليون دولاراً! .

وتعتبر الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية أضخم وأغنى الجاليات في العالم . .

وهذا يكشف لنا سر ارتباط العسكرية الامريكية بالعسكرية الصهيونية ، فهما وحدة متماسكة اقتصادياً ، تحتاج الى أسواق ومواد خام من المستعمرات أو التوابع . .

**السادات !**

. . وهنا تبدو خطورة السادات . . والنظام الذي يحيط به فالسادات كما ذكرنا ، وكما قال في كتابه « البحث عن الذات » . . لا يرى الشعب الا في الاغنياء والاثرياء . . حتى ولو كانوا لصوصاً ومهربين يضعون ما ينهبونه تحت البلاطة ! . .

وهكذا ، كان لقاء السادات مع الولايات المتحدة والصهيونية . . لقاء فكري . . ولقاء مصالح . . والارتباط أبدي . .

فهل تصطدم مطامع الصهيونية مع السادات . ؟

إن أطماع تل أبيب التوسعية لا تعرف حدوداً . . فهي الكيان الوحيد في العالم الذي يرفض حكامه تخطيط حدوده الرسمية ، منذ لحظة اعلان الكيان الصهيوني الغاصب . .

« ان اسرائيل هي هناك ، حيث يوجد جنودها » . .

وأعلن مناحيم بيغن قائلا :

« إننا لن ننسحب أبداً من القدس الشرقية وغزة ومرتفعات الجولان » . . فما هو رد السادات . . ؟

نقتطف سطوراً من الرسالة التي بعث بها السادات الى بيغن . . يقول في الرسالة :

* إننا نلتزم بنص وروح « كامب ديفيد » ، وندعو الى الاحترام الدقيق لكافة الالتزامات التي تتضمنها هذه الوثائق التاريخية . .

* تظل مصر على استعداد لمساعدة شركائها في عملية السلام ، تمدهم بحلول وسبل نموها حتى اذ فشلوا في رؤية واقع الامور أو حكمة هذا العمل ، ونحن في ذلك نطبق على اسرائيل ما كنا نطبقه مع اخوتنا العرب ! . .

* اننا نعتقد بيقين بأن كافة الامور سوف تسوى في النهاية ! . .

. . هذه كلمات السادات ، وهي ليست في حاجة الى تعليق . . فالرجل يعرف دوره . . فهي فاشية جديدة ذيلية . . تعرف دورها في مساعدة شركائها . . سواء لحل أزمة الرأسمالية العالمية او في العدوان على حركات التحرر . . أو نهب الشعوب . .

واذا كانت الامبريالية العالمية تعرف اليوم أنها عاجزة عن شن حرب عالمية لتفوق الاتحاد السوفييتي ، كما أعلن ذلك وزير الدفاع الامريكي . . فانها لن تتردد في الزج بشركائها الصغار في حروب محدودة ! . .

**القواعد !**

. . بادرت أمريكا بتصعيد سباق التسلح في المنطقة بصورة لم يسبق لها مثيل . . اذ بلغت قيمة الاسلحة المرسلة الى مصر مؤخراً ، ومن بينها مقاتلات ف ـ 16 التي تتجاوز سرعتها سرعة الصوت ، ودبابات 3 ـ م . . لكي يتمكن السادات من مباشرة مسؤولياته الجديدة في التحالف العسكري . . وأدى ذلك الى زيادة سنوية في ميزانية التسلح بعد أن كان السادات قد زعم أنه يوقع اتفاقيات كامب

ديفيد من أجل تخفيض ميزانية الحرب . .

ولكنها الفاشية . . فكما فعل هتلر ، عندما حاول حل مشكلة البطالة عن طريق التصنيع الحربي وزيادة عدد القوات المسلحة ، كذلك تلجأ الولايات المتحدة الى نفس الاسلوب . . مع فارق ، أنها تحمل شركاءها الصغار بالقروض لدفع ثمن السلاح . . وبدل أن تخوض الولايات المتحدة الحرب مباشرة تدفع بوكلائها الصغار الى حروب صغيرة . .

وأقيمت القواعد العسكرية للقوات الامريكية سريعة الانتشار في مصر . . ولم تبق الا اشارة الانطلاق . .

إن الموقف يتطلب رؤية موضوعية . .

. . بعد ساعتين من ابرام معاهدة كامب ديفيد ، وقع كل من وزير خارجية الولايات المتحدة وموشي دايان ، نيابة عن حكومتيهما ، على مذكرة تقول ، انه في حالة انتهاك المعاهدة ، فان الولايات المتحدة ستكون مستعدة للنظر على وجه الاستعجال في اتخاذ الاجراءات ، مثل دعم وجود الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة ، وارسال الامدادات الطائرة الى اسرائيل ، ثم ممارسة الحقوق البحرية من أجل وضع حد للعدوان ! . . .

. . لقد وضعت الولايات المتحدة نفسها في صف العدو . . وعلينا أن نحذد من هم الاصدقاء . . ومن هم الاعداء . . وكما أعلن تشرشل في الحرب ضد النازية . . إنني اتحالف مع « الجميع » في سبيل قهر « الفاشية » . . علينا أن نستنجد بكل القوى العالمية المعادية للامبريالية الامريكية ، لقهر الفاشية الجديدة . .

فلا أمان . . ولا ثقة في العهود الأمريكية أو الصهيونية . .

. . وأخيراً . . هل نحن أمام أزمة فكر . . أم أننا متخلفون فكرياً ، كما نحن متخلفون سياسياً واقتصادياً ؟ .

. . ومن المسؤول عن التخلف الفكري . . والأزمة السياسية ؟

إن قادة الفكر ، كما هو الحال بين القادة السياسيين في ذعر من التقدم الى مستوى المرحلة . . بينما الجماهير تسرع خطاها نحو المستقبل . . وهذا سر المأساة التي نعيشها . . قادة بلا جماهير . . وجماهير بلا قادة . . ولهذا تفرخ الرجعية بيضها ، وتظهر الكتل الصماء من الفاشية والكهانة . . .

## الليبرالية الميتة

... في كتابه « تجديد الفكر العربي » ، يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن حيرته في آخر أيامه بين الفكر الغربي والتراث العربي .

إنه لم ير طوال مسيرته الفكرية الوحدة بين التراث والحضارة . ولهذا عندما حدد مسيرته بفلسفة ديكارت وبيكون ثم وجد الطريق مسدوداً عاد الى الوراء ... الى التراث العربي ...

إن الذعر من الارهاب الذي يجتاح الوطن العربي ، جعل المفكرين يهربون من واقع اليوم ... ووقفوا عند حدود مرسومة ... حدود الليبرالية ، والفلسفة المثالية ... ولم يتقدموا خطوة نحو هيجل وانجلز وماركس ...

وما يعاني منه الفكر .. تعاني منه السياسة .. فالقادة السياسيون يتحدثون عن كل شيء ما عدا الحقائق السائدة في عالم اليوم ...

فمنذ 70 عاماً تحدث الزعيم الوطني محمد فريد عن دور العمال في حركة التحرر الوطني ... وبزوغ الاشتراكية .. والمشاكل الاجتماعية ... ولم يكن الاشتراكيون في العالم قد أسسوا دولتهم الأولى بعد ... بل كانوا بضع مئات مشردين في أوروبا تطاردهم الحكومات بالسجن والاغتيال .

وقامت ثورة 1917 ، وتأكد ان الفكر الاشتراكي ليس أحلاماً أو أوهام مغامرين ... بل حقيقة قائمة في سدس الكرة الأرضية .. وان الطريق لبناء حضارة جديدة .. ومع ذلك ظل مفكرونا ينبشون الماضي ويتعلقون بأوهام الليبرالية ...

ورغم قيام عبد الناصر بمد الجسور الى العالم الاشتراكي ... وتأكيده على دور الطبقة العاملة .. ومحاولاته لحل المشاكل الاجتماعية .. إلا ان كبار المفكرين ظلوا « فاقدي الوعي » ولم يحاولوا اختراق الحواجز التي اقاموها حول انفسهم ...
وجاءت وفاة عبد الناصر ، كإنقاذ لهم .. ليعودوا من الجديد الى الليبرالية ... يريدونها فكراً وتطبيقاً ...

فهل تستطيع « الليبرالية » ان تحقق الديموقراطية والحرية . . أو أن تقف حائلاً امام الغزو الامبريالي الصهيوني ؟!

ان الليبرالية أو التحررية هي وليدة الثورة الصناعية . . وضمنت الليبرالية للطبقة الوسطى نصيبها الكامل في الامتياز . . . الحرية الفردية . . والمال . . والربح . واستقلال الطبقات الشعبية . . .

كان ذلك في أوروبا . . . اما في وطننا العربي ، فلم تظهر الطبقة الوسطى إلا بمقدار محدود . . . ولم تظهر من خلال التصنيع إلا في مصر . . . بل كانت في الأساس طبقة تجارية . . .

وحتى في مصر ، لم تملك الطبقة الوسطى مصانعها ، بل قاسمها الأجانب واليهود . . . وكان لكل منهم الثلث . . .

فلم تملك الطبقة الوسطى الأرادة الكاملة . . . ولم تحرز الامتيازات أو حقوق الطبقات الوسطى في أوروبا . . . ولم يحكم حزب « الوفد » سوى 7 سنوات من عمره الذي امتد ثلاثين عاماً . . . ومن قبل عجزت الطبقة الوسطى عن حماية دستورها عام 1879 . . . بعد ان تآمرّ عليها الاقطاع والاستعمار . . . وظل الاقطاع ممثلاً في الملك . . . والاستعمار ممثلاً في المندوب السامي يعصفان بكل اتجاه نحو التصنيع . . أو الديموقراطية .

ولم يكن فشل الأحزاب الوطنية في مصر وسوريا والعراق إلا نتيجة ، طبيعية لعجزهم عن التصنيع . . . وضعف قدراتهم المالية والاقتصادية . . . وبالتالي التنظيمية .

اما في اوروبا ، فكما يقول هارولد لاسكي :

« وبعد عام 1848 ، ولمدة تقرب من نصف قرن أيضاً ، كان يبدو ان الفكرة التحررية قد دخلت مملكتها دخولاً تاماً . . . اذ ان الثروة الضخمة التي انتجتها جعلت في الامكان القيام ببعض التنازلات للجماهير . . . » .

. . والحقيقة أن الرأسمالية بعد عام 1848 دخلت مرحلة الاستعمار وأستطاعت عن طريق نهب الشعوب أن تجدد نفسها وأن تعطي جماهيرها بعض الفتات . .

البرجوازية الصغيرة

كان انهيار فرنسا وانكلترا في بداية الحرب العالمية الثانية إيذاناً بانهيار الامبراطوريتين الكبيرتين .. ولم ينقذهما من الهزيمة الساحقة الا السلاح والمال الأمريكي ..

وكان ذلك إيذاناً بانهيار النظم السياسية المتعلقة بأذيال هاتين الامبراطوريتين ..

وظهرالتفسخ على نظام الحكم في مصر .. وأخذت أعمدة النظام تتساقط .. وبدا بوضوح انهيار النظام الملكي .. وظهرت منشورات الضباط الأحرار تطعن في الملك والملكية .. كما كان إضراب قوات البوليس دليلا على أن الدولة الملكية تقف معزولة .. وأكد حل مجلس النواب من جديد عجز الطبقة الوسطى عن الحكم ..

وكانت إضرابات الطلبة والعمال .. وظهور الجبهة الوطنية للعمال والطلبة بشيراً بظهور طبقات جديدة .. وقيادة جديدة في الحل السياسي بما تحمل من فكر جديد ..

كل هذا لم يقف رؤية واضحة لرجال الفكر ، عما يحدث في العالم من تغييرات .. أو ما يحدث حولهم من تحولات .. وظل مفكرون كبار جامدين عن فكرة التحررية التي عاشوها أثناء دراساتهم في انكلترا وفرنسا .. ولم يتبينوا واقعهم أو حركة الجماهير ..

ولكن .. ظهر خلال ذلك سلامة موسى ورفاقه الذين خاضوا غمار الفكر الجديد ، وإن كان بعضهم قد انتكس والبعض تراجع عن معتقداته أمام الارهاب ..

وظهر نجيب محفوظ متأثراً بالفكر الاشتراكي ، وعبر بكتاباته عن البرجوازية الصغيرة التي كانت مطحونة .. وأنشدت أمامها طرق الحياة .. كما ظهر يوسف ادريس والشرقاوي ونعمان عاشور يعبرون عن الأفكار الاشتراكية ، ويتحدثون عن معاناة العمال والفلاحين ..

وقفزت « البرجوازية الصغيرة » الى الحكم ، ممثلة في تنظيم الضباط الصغار والمثقفين .. وتم لها الاستيلاء على الحكم ..

ولكن البرجوازية الصغيرة ـ كما عودتنا ـ لا تأخذ طريقاً واحداً . . بل هي في ترددها تتذبذب في علاقاتها الداخلية والخارجية . . فلم يحصل العمال على حق التنظيم السياسي . . ولم تتخذ العلاقات بصورة حاسمة من الامبرياليين . .

لم يدرك الليبراليون أن العهد الماضي ذهب بلا رجعة ، وأن الحرية الليبرالية لن تحقق حرية الفرد . . وأن حرية جديدة بفلسفة جديدة هي التي تغزو العالم . . وأن الفكر الاشتراكي هو المنقذ من المأساة . . ولكنهم ظلوا متمسكين بحريات دستور 1923 الذي لم يتحقق لظروف موضوعية . . ويريدون تحقيقه في ظروف عالمية متغيرة . . وعندما أفاق الليبراليون من أحلامهم ، لم يجدوا أمامهم سوى الفاشية ، فارتموا في أحضانها . .

أما اليسار الذي يشبه « الفجل الاحمر » كما سبق وقلنا ـ فلم يكن يحمل من سمات اليسار سوى القشرة الخارجية ، بينما هو في أعماقه أبيض . . ودفعتهم أحلامهم الى التصور بأن الاشتراكية تتحقق بالخطوات التي اتخذها عبد الناصر . . وعجزوا عن ادراك طبيعة المرحلة . . وما زالت أحلامهم الديمقراطية الليبرالية تراود بعضهم . . ويصفقون لحركة الجماهير العفوية ولا يلتقون بحركة العمال . . ومرت عليهم أحداث اضراب عمال المحلة الكبرى . . واضراب النقل المشترك دون أن تثير فيهم ما أثارته أحداث 19,18 يناير . .

. . إن حرية المثقفين لم تتحقق في الماضي ، عندما ضربت البرجوازية الوطنية الطبقة العاملة في أعقاب ثورة 1919 . . فلم تكن هناك قوى حقيقية تقف أمام عدوان الاستعمار أو الاقطاع . .

لقد أرتبطت حرية المثقفين بحرية العمال والفلاحين . . وهذا ما تنبه إليه عبد الناصر نظرياً . . وسعى الى تحقيقه إجتماعياً وإقتصادياً . .

لم يسأل المثقفون أنفسهم . . لماذا لم تتحقق الحرية فعلياً ، رغم النص عليها نظرياً ؟ .

كان من السهل بناء المصانع . . . أو توزيع الأرض ، رغم ما لقي كل من الأمرين مقاومة القوى المضادة . . . اما الحرية ، وهي التي تؤدي الى مشاركة الانسان في تحرير نفسه ودعم الصناعة أو ممارسة قوانين الاصلاح ، فقد لقيت مقاومة عنيفة من كل القوى الرجعية والاستعمارية . . . وحتى من المثقفين أنفسهم

الذين أرادوا الاستئثار بالحرية دون الفلاحين والعمال . . .

. . . وهكذا ، أطيح بالحرية . . . وبالديموقراطية . . . وبقضية التحرر الوطني . . .

وكان السؤال . . .

● هل العمال والفلاحون مهيئون لممارسة الديموقراطية ؟

ونسي المثقفون ، ان نفس السؤال وجه اليهم عند بدء العمل بدستور عام 23 ، وقيل أن « الدستور ثوب فضفاض » . . .

إن دور المثقفين ، ليس ممارسة الحرية فحسب ، بل توعية ونقل الفكر الاشتراكي الى الطبقة العاملة . . فالأشتراكية علم ، وليست مجرد شعارات . . .

المرحلة والصراع . . .

لن تتحقق حريتنا ، إلا اذا ادركنا طبيعة المرحلة التي نعيشها . . . وحقيقة الصراع في عالم اليوم . . . وانعكاساته على وطننا العربي وبالتالي على مصر . . .

. . . يمر العالم اليوم في مرحلة صراع بين حضارتين أو اتجاهين . . . الحضارة الاشتراكية الصاعدة . . والحضارة الرأسمالية المحتضرة . . .

ولسنا في حاجة الى انحسار النظام الرأسمالي من اكثر من ثلث العالم في مدى أقل من نصف قرن . . . وبذلك فقد السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية التي كان ينفرد بها . . .

. . . وفاتنا مرحلة الثورة الصناعية ، وواجهنا التطور الرأسمالي ، في مرحلته الاستعمارية . . .

بدأ هذا النظام بالنشاط الفردي نحو امتلاك وسائل الانتاج ، لتحقيق الربح . . . ومع التطور لم تستطع قوى الانتاج أن تجاري قدرة التوزيع . . . وانساق اصحاب وسائل الانتاج الى كفاح يزداد حدة وعنفاً من أجل الاسواق . . . وكانوا يحققون أهدافهم لانفرادهم بالقوة . . . وبالسلاح . . . وبالدم . . . وكانت تدعمهم الافكار التي تمجد الفرد وتشيد بعبقريته وقدراته ! . . .

وفي الحقيقة ، لم يكونوا « فرداً » بل أفراداً تجمعهم مصالح مشتركة تمثلت في استغلال الانسان واستعباد الشعوب . . .

ولم يكن من الممكن استمرار الاستغلال أو الاستعباد مع تفاقم الازمات من بطالة وارتفاع الاسعار والجوع . . .

وكما يقول هارولد لاسكي المفكر الانكليزي :

. . « ولكن الديموقراطية السياسية والفكر التحرري الذي يعبر عن اهدافها الداخلية ، لا يستطيعان تجاوز الاطار الذي يحيط بهما ، اكثر مما كان يستطيع المجتمع الاقطاعي أن يتجاوز المبدأ الذي ينظمه . . إن التغيير الاساسي في العلاقات الطبقية ، يتطلب الآن ، كما تطلب في نهاية القرن الخامس عشر ، ثورة في فكرة الملكية وبالتالي في فكرة الدولة التي هي حاميتها ، اذا أريد لها أن تكون فعالة في تغيير طابع قوى الانتاج . . . » .

وتغيرت فكرة الملكية بظهور الاشتراكية . . كما تغيرت فكرة الدولة بقيام أول ثورة اشتراكية في العالم . . .

وتبين ان تمجيد الفرد أو الاشادة بقدراته لم يكن يقصد بها كل إنسان . . . بل الانسان الذي يملك ويستغل ويستعبد الآخرين . . .

وظهر الاتجاه الثاني . . . وأصبح حقيقة واقعة . . .

قام على فكرة وجود العمال داخل مصانع . . . يعملون متضامنين . ويمثلون القوة الحقيقية العاملة في المجتمع .

ومن خلال تجمعهم داخل المصنع يملكون القدرة على الحوار الديموقراطي . . . وعلى العمل الفعال والحاسم ضد أعدائهم . . . انهم بفعل مشترك يستطيعون ان يوقفوا حركة المجتمع . . . كما يستطيعون دفعه الى الامام . . . إن بين أيديهم كل قوى الانتاج والخدمات . . .

وقام المجتمع الجديد بشيراً بحضارة جديدة . . وقضى على المبدأ التالي :

« . . . إما أن تنهب الغير ، وإما أن ينهبك الغير ؛ إما أن تشتغل لصالح

آخر ، وإما أن يشتغل هو لصالحك ؛ إما أن تكون سيداً ، وإما أن تكون عبداً . . . » .

. . . وفي هذه الكلمات البسيطة يتمثل الصراع الحالي في العالم . . . صراع بين الذين ينهبون الغير وبين الذين يرفضون فكرة النهب . . . صراع بين من يدعون السيادة وبين من يرفضون ان يكونوا عبيداً . . .

الفكر الرجعي . . .

ساد المرحلة الناصرية ، نفسية وعادات ومفاهيم السيد أو العبد ، أو الملاك الصغير ، أو المستخدم الصغير ، أو الموظف الصغير أو المثقف ، وبكلمة موجزة ، سادت مفاهيم الانسان الذي لا يفكر إلا في مصالحه ولا يبالي بمصير الآخرين . . . . وكما قيل . . .

« . . . . إذا كنت استثمر قطعة أرض ، فليس لي ان اهتم بالآخرين ، واذا جاع الآخر كان ذلك أفضل : فإني سأبيع حبوبي بسعر أغلى . . . واذا كان لي منصب صغير كطبيب أو مهندس أو معلم أو مستخدم ، فما يهمني من الغير . . وربما تملقت المتسلطين على زمان الحكم ، وسعيت الى ارضائهم ، فأحافظ على منصبي ، بل قد أنجح في شق طريقي ، وأصبح انا نفسي بورجوازياً . . . ».

وأدى هذا الفكر الى وأد المرحلة الناصرية . . . بل أدى الى سقوط مصر في أيدي الصهيونية والامبريالية . . وبدأ الطبيب الصغير أو المهندس الصغير او المعلم في عملية موازنة دخله مع مصاريفه . . ولم يعد يجد الطريق للوصول الى هذه الموازنة مع زحف التضخم وارتفاع الاسعار الزاحف على مصر مع الغزو الامبريالي . .

فهل هذا التضخم وارتفاع الاسعار ظاهرة عالمية كما يقولون ؟ .

لا جدال أن انقسام العالم الى معسكرين اقتصاديين لم يعزلهما عن بعضهما . . . ولا شك أن التضخم في الغرب الرأسمالي له انعكاساته على العالم الاشتراكي . . .

ولكن لا بد أن نقر ببعض الحقائق :

**أولاً :** ان التضخم في عالم اليوم هو ظاهرة رأسمالية أو احتكارية .

**ثانياً :** ان انعكاس التضخم على العالم الاشتراكي لم يأخذ ابعاد التضخم الرأسمالي . . .

**ثالثاً :** إن ارتفاع الاسعار في العالم الاشتراكي ، وهو ارتفاع ضئيل - لم تصحبه البطالة . . . أو الأزمات الخانقة . . .

**رابعاً :** ان الانعكاس الحقيقي للأزمة الاقتصادية الرأسمالية ، بالنسبة للعالم الاشتراكي ، لم يظهر إلا في بولندا ، نتيجة ارتباطاتها بالقروض الرأسمالية . . . وتغلغل العناصر الصهيونية المخربة في اجهزة الاقتصاد والتخطيط . . . والانحراف عن الخط الاشتراكي .

إن انهيار النظام الرأسمالي العالمي ، وسقوط الحضارة البرجوازية . . جعلها تدافع بشراسة عن البقية الباقية من حياتها . . سواء سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً . . وتحاول أن تدعم نفسها بالافكار الوسيطة . . فظهرت نظريات هربرت ماركوز وانحرافات المرتدين أمثال جاروري . . مع عنف الأجهزة السياسية . .

وكان لهذا كله انعكاساته على العالم الثالث . . أي الطريقتين ؟

منذ أكثر من سبعين عاماً ارتفع صوت محمد فريد الزعيم الوطني . .

« . . نقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومات وتطأطىء رأسها أمامها . . »

وربط محمد فريد قضية الاستقلال ، بقضية الاشتراكية العالمية ، فلم يترك وهو في منفاه مؤتمراً إشتراكياً الا وقدم له مذكرة بمطالب مصر .

واليوم . . بعد أن أصبح للعمال دولة . . وللاشتراكيةحكومات . . وبعد أن أكد عبد الناصر حتمية الحل الاشتراكي . . وتحدث عن الاشتراكية العلمية . .

ما هو موقف قادة الفكر السياسي والاقتصادي ؟

ما زال الموقف في الوطن العربي .. وفي مصر ، يتذبذب ، كالبندول الى اليمين والى اليسار .. تارة يلجأ الى الامبريالية لحل المشاكل .. وتارة يتقرب الى الاتحاد السوفييتي لحماية نفسه من الغول الصهيوني والامبريالي ..

وهو في كلتا الحالتين يتجاهل القوة الهائلة المؤثرة في عالم اليوم ، ويتشبث بالنظام الرأسمالي المنهار ..

يتحدث عن التنمية والتصنيع .. ويلجأ الى العدو الذي أوقف نموه وحرمه من التطور ..

ويتحدث عن مقاومة الامبريالية والاستعمار .. ويلجأ الى الامبريالية والاستعمار لتمده بالسلاح ..

ويريد أن يحارب الصهيونية والامبريالية بنفس الافكار التي أرضعته بها طوال الفترة الاستعمارية ..

... إن الصراع اليوم اعنف مما كان في الماضي ... فكما أعلن عبد الناصر في الميثاق ...

«... والصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو انكاره ..» .

وحاول عبد الناصر ان يكون الحل سلمياً ... وأعلن ان من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ومنعها من أي محاولة للعودة الى السيطرة ...

ولكن الرجعية ـ كما تنبأ عبد الناصر ـ لجأت الى حليفها الطبيعي وهو الاستعمار... وأطلت رؤوس الخيانة التي رحبت بالاستعمار القديم وتحالفت معه ، وجذبت معها عناصر ممن أثروا من الثورة ... وفتحوا أذرعهم للاستعمار الجديد ...

وكان لا بد أن ينفسح المجال ديموقراطياً لقوى الشعب العاملة ، وهم الفلاحون والعمال والمثقفون ... وهو ما نادى وعمل من اجله الزعيم الوطني محمد فريد ... ثم جدد الدعوة عبد الناصر ، وكان ذلك انعكاساً للحركة الوطنية ...

إن هذا التحالف بين قوى الشعب لا يمكن أن ينبثق تلقائياً . . . ولا يمكن ان ينعزل داخلياً . . .

لقد بذلت القوى الرجعية الكامنة في صفوف ثورة 23 يوليو ، كل جهدها وعنفها لتتصدى لتنظيم هذه القوى . . . كما بذلت أقصى ما تملك من جهد لعزل هذه القوى عن الحليف الطبيعي لها . . . فكانت تقف عازلاً بين قوى الشعب ، وبين قوى الطبقات العاملة . . . سواء في الدول الرأسمالية أم في العالم الاشتراكي . . .

وخلال هذا الصراع الدموي العنيف الذي شاهدته السجون والمعتقلات . . . وقف « سادة الفكر » في الوطن العربي متفرجين أو لاهين بما كسبوا . . .

تجاهل « سادة الفكر » ان الديموقراطية لا تتجزأ . . . فهل يمكن ان يكون هناك مواطن حقيقي ومواطن غير حقيقي . . . هل يمكن أن تكون الملكية هي التي تخلق المواطن . . .

ان الحرية أو الديموقراطية لا يمكن ان تكون وسيلة من وسائل التعبير ، ولكنها وسيلة للحياة . . .

إن الحرية أو الديموقراطية لن تتحقق في مصر إلا بتنظيم قوى الشعب العامل وجموع الفلاحين من أجل النضال ضد الخونة في الداخل والاعداء في الخارج .

ولا بد أن تتحدد المطالب الاجتماعية . . الأرض لمن يزرعها . . . وأرباح المصانع التي ينتجها العمال للشعب وليس لحفنة من الصهيونيين والأجانب والخونة في الداخل . . .

ان « السادات » ضد كل هذا . . . ربط نفسه بالولايات المتحدة قلعة الاستعمار والرجعية . . . وليس أمام الشعب إلا ان يسقط السادات . . . ولن يتحقق هذا الا بتحالف قوى الشعب . . . والتضامن مع قوى الاشتراكية العالمية . . .

## الختام

هل آن أن نحطم قيود الفكر التي كبلنا بها الاستعمار ؟ . . . وهل آن ان

نخرج من قفص الرعب الذي نعيش فية ؟ . .

إن العالم اليوم يعيش مرحلة « الذرة » التي فجرت حضارة جديدة . . . يواكبها تطور فكري رائع ، أعاد الى الانسان انسانيته . . . لا استغلال . . . ولا استعباد . . . ولا مذلة . . .

وجاء الوقت لنشارك البشرية جمعاء في رحلتها نحو الآفاق الجديدة ، هذه الآفاق لم يصنعها الغرب وحده بل شاركنا فيها بدماء غزيرة . . . وبأرواح غالية وبفكر متنامٍ . . .

كنا أول شعوب عرفت الكتابة ، وأهدتها للبشرية . . . وجددنا الفلسفة اليونانية . . . وغذينا الفكر العلمي . . .

. . . . وفي الحاضر ، كنا أول من وضع نموذجاً لتطور البلدان النامية . . ووضعنا الأسس النظرية لتطور بلدان العالم الثالث . . . وتحطمت على أرضنا امبراطوريتان استعماريتان . . .

فهل آن ان نفكر بأسلوب الحاضر . . . وأن نعايش المستقبل . . . وأن نحث الخطى نحو الغد . . .

غد الانسان الحر . . .

الانسان الذي لا يفكر في نفسه بقدر ما يفكر في مجتمعه . . . وغده . . . وإنا لمنتصرون . . .

# الفهـــرس

# مصر بين عهدين

## (1952 - 1970) , (1970 - 1981)

كان من المفروض أن يصدر « هذا الكتاب » ، قبل سقوط السادات وقبل سقوط « كامب ديفيد » . . . وقبل الانسحاب الاسرائيلي من سيناء . . . وأن يسقط « الكتاب » بعد أن سقط السادات وسقطت بدورها المراحل . . .

ولكن السادات لم يكن فرداً ، بل كان رمزاً لمرحلة مرت بها مصر والوطن العربي . . وكان لسلوكه البالغ التحدي والصراحة الشاذة ، ميزة ـ إذا كانت هذه ميزة ـ تعرية نظم المساومة والخيانة . . . وكان له فضل ـ إذا كان هذا فضلاً ـ عملية الفرز بين العناصر الوطنية ، وعناصر الخيانة المتخفية ، برداءات ، واقنعة متعددة الألوان والأشكال . . . .

وشاءت الأقدار أن يسقط السادات . . . تحت الأقدام أمام قادة العالم ورؤسائه . وتسقط معه مرحلة مظلمة في حياة شعب مصر . . . بعد أن أسكن الشعب المقابر . . . وجعله يقتات الجوع . . . ويهاجر مشرداً . . . .

لماذا هذا الكتاب في هذه الفترة بالذات ؟

لأنه يقدم عرضاً مفصلاً لوقائع الأحداث المصرية ما بين التجربة الناصرية وتجربة الرّدة الساداتية فكان هناك واقع ملموس يجب تسليط الضوء عليه ، وهو مصر بين عهدين (1952 - 1970) ، (1970 - 1981) !



منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ ص. ب 6693 - 113